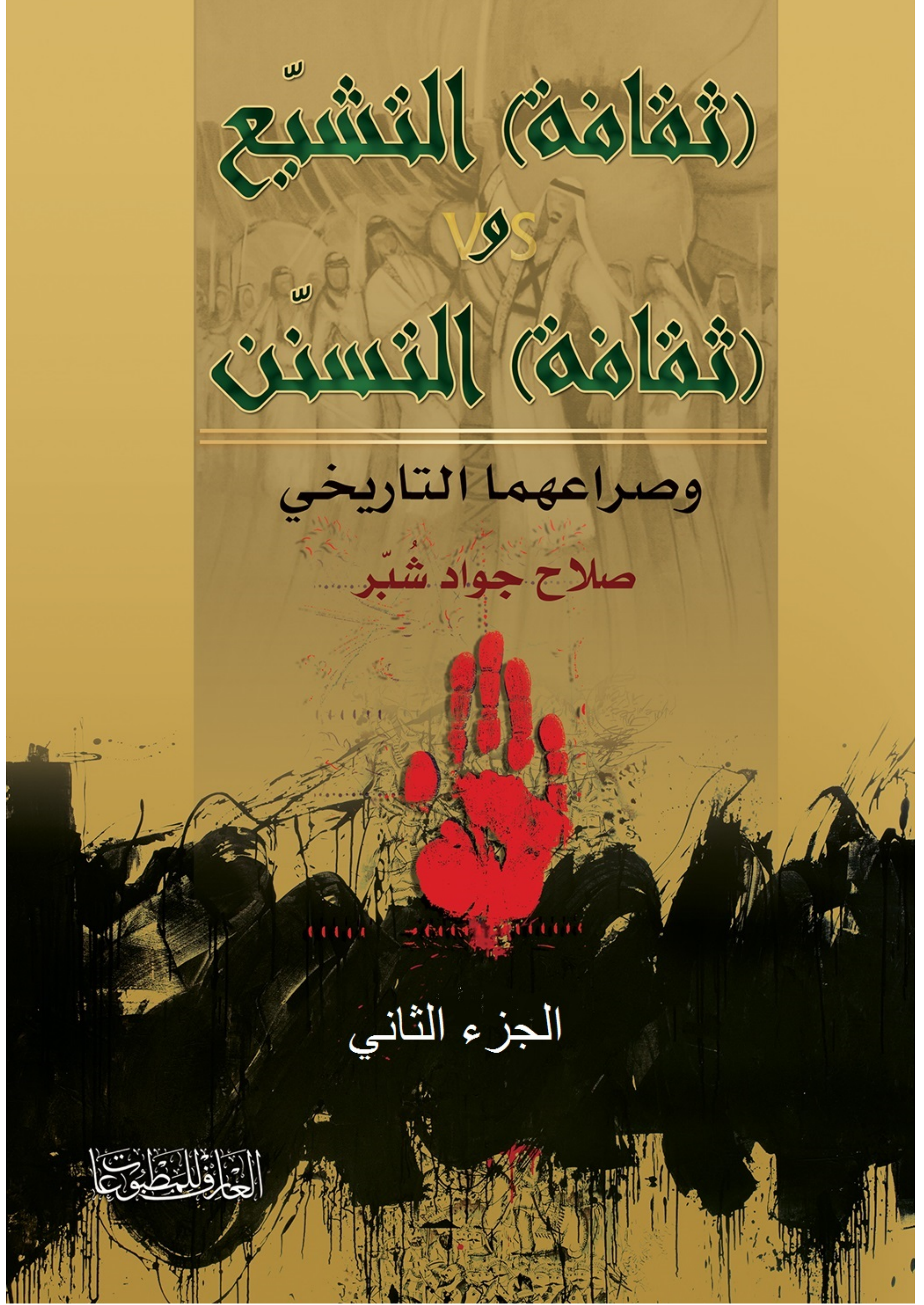


(ثقافة) التشيّع
vs
(ثقافة) التسنّن
وصراعهما التاريخي
صلاح جواد شُبّر
الجزء الثاني
العارف للمطبوعات

(ثقافة) التسنن و(ثقافة) التشيع

صراعهما التاريخي

الجزء الثاني

(ثقافة) التسنن و(ثقافة) التشيع

صراعهما التاريخي

صلاح جواد شُبّر

الطبعة الأولى 2014
القياس: 17 × 24
ISBN 978-614-441-058-5

نشر وتوزيع
شركة العارف للأعمال ش.م.م

بيروت - لبنان
00961 1452077
Trl:www.alaref.net

التوزيع في الجزائر والمغرب العربي:
دار الأبحاث للطباعة والنشر والتوزيع
الجزائر - هاتف: 744281 - 21 (00213)
البريد الإلكتروني: www.alabhaath@.com

التوزيع في الأردن:
دار المناهج للنشر وللتوزيع
الأردن - هاتف/ فاكس 00962 465624
البريد الإلكتروني: info@daralmanahej.com

الحقبة الحادية عشر: الدولة العباسيّة (132/ 721 م – إلى 193/809 م) من عصر السفاح إلى عصر الرشيد

يعتبر الكُتّاب التأريخيون المتعمقون في دراسة حضارات الإسلام والمنطقة بأن العباسيين هم البداية الحقيقيّة للحضارة الإسلاميّة كما يرى في ذلك توينبي (ت 1975). . لأنها كانت الحضارة الحقيقيّة التي يُمكن أن تتوفر فيها عوامل متطلبات الحضارة. . . . .

أما الأمويون فإنهم يعتبرون حقبتهم ما بين عام 54 إلى عام 132 هجرية هو هجمة بدويّة امتداداً للغزوات التي قام بها المسلمون منذ العام الذي اسقطوا الدولة الساسانية وبعض أجزاء الدولة البيزنطينية في عام 636 ميلادية 15 هجرية. . . . .

ومع أن المؤرخ العملاق الآخر فلهاوزن (ت 1918) يعتقد بأن فترة الدولة الأمويّة هو صراع فارسي عربي. . . . . وبغض النظر عن ذلك التفسير فإن أولئك المؤرخين عندما يكتبون لفترة الحضارة كما يسمونها فإنهم يستندون على مقاييس في جذور تلك الثقافة. . . فعندما تنعدم الجذور في أية ثقافة فإنهم يترددون في أن يُحمّلوها المعنى ذلك، لأن الحضارات مثلها مثل الإنسان في وجوب امتلاكه لأسلاف ويكون لها أعقاب أي جذور وأبناء. . . . . وقد يمكن أن تكون الجذور (الآباء) هنا نابعة من مصدرين أو أكثر. . . . .

وعندما افتقد المحققون القدرة على اكتشاف أسلاف ثقافة الدولة الراشدية، أو ثقافة قريش فإنهم عكسوا ذات الشيء على الأمويين، فالغوا من التأريخ أو لم يعترفوا بوجود ثقافة للدولة الراشدة وكذلك للدولة الأموية، في نفس الوقت لم يعترفوا بوجود ثقافة قرشيّة (بدويّة) ما قبل ظهور

النبي، وإنّما كانت كلّ تلك الحُقب عبارة عن محطات زمانيّة وقتيه قام بها غزاة بدو بسبب فراغ القوة التي تركتها المجتمعات التي سبقت إنشاء كيانات تلك الدول.

فالهجوم العربي أو كما يُسمونه (معركة القادسية) في زمن الخليفة الفاروق لم يكن في العرف الثقافي عبارة عن قدرة لثقافة على ثقافة، باعتبار أن العرب الغزاة لم يكن له أصلاً ثقافة، وإنّما كان التعليل الذي سطّروه هو الفراغ والضعف بسبب الأمراض التي أصيبت بها الدولة الساسانية سنة 651 ميلادية والتي كانت مؤهلة لهجوم أية قوة أخرى في المنطقة بدوية كانت أم غيرها[1] شأنها كشأن الحضارة الرومانية الغربية (أوروبا) التي سقطت عام 476[2] وتفتتت على يد الغزاة وكوّنت دولاً متعددة في المنطقة وانبلجت منها الرومانية الشرقية الأورثوذوكسية متخذة من القسطنطينية (اسطنبول) عاصمة لها والتي استمرت إلى وقت متقدم بالرغم من خسارة سوريا ومصر إلى المسلمين حتى سقطت نهائياً على يد محمد الفاتح في عام 1453 م.

(1) كان هنالك عوامل كثيرة أدت إلى سقوط الإمبراطورية الساسانية أهمها هو مهاجمتها من قبل هرقل في عام 610 م من الخلف بعد أن أبحر من القسطنطينية إلى البحر الأسود ودخل في العمق مما سبب في ضعضعة الدولة بشكل كبير كادت تودي إلى حرب أهلية. . . . ولكن معركة نينوى كانت من أشدها التي أدت إلى اغتيال كسرى الثاني فعمت الفوضى في كلّ الإمبراطورية وحكم تقريباً اثنا عشر ملك منهم اثنان من الإناث لمدة أربعة عشر سنة، وهو تأريخ قريب جداً ومشابه لمسيرة الدولة الأمويّة والعباسية وكذلك العثمانية في مراحل سقوطها في السنين الأخيرة. . . هذا من جانب أرباب التأريخ وعلم الثقافات فإنهم يفسرون ذلك السقوط بأنه حتمي ولولا وصول العرب إلى فارس لكان على تلك الإمبراطورية أن تسقط إما بيد الزرادشتية أو المانويّة على حساب الثقافة المجوسيّة السائدة آنذاك كما أشرنا إلى ذلك في الصفحات الفائتة.

(2) في زمن سيطرة قريش على مكة تقريباً.

فالحضارة - أي حضارة - إما أن تسقط على يد غزاة لهم قدرات عسكرية مسلحين بجيش لا يعرف الرحمة كلّ همهم هو إبادة المقابل والاستيلاء على تلك البقعة من الأرض، كما هي غزوات القبائل المغولية التي دمرت حضارة دولة بني العباس، أو أن يتم غزو تلك الحضارة من قبل حضارة أخرى إما من الخارج أو من بُناتها، وفي غالب الأحيان تسقط الحضارات من قبل الحضارة التي تتولد من رحم الحضارة المغلوبة كما هي الحضارة الرومانية بعد سقوط الحضارة الهيلينية.

وقد يجتمع العاملان في تحقيق هدف السقوط ولكن القبائل المهاجمة التي تُغير على الحضارة من الخارج في غالب الأحيان تكون عامل مساعد في موت الحضارة على يد الحضارة المنافسة. لأن الغزوات البدويّة من الخارج لا تُقيم حضارة بديلة، وإنّما تغزو وتنهب وتدمر ثم تنسحب، بمعنى آخر لا تُقام حضارة على أنقاض حضارة في الحالة الأولى، بل يُقام فوضى تهيء الظروف لظهور من يتمكن من السيطرة على الدولة، ولنا من الغزو المغولي نموذج مُميّز في هذا الإتجاه.

لم تكن دولة بني أمية مسيرة حضارة، ولم تكن من سبقتها الدولة الراشدة هي الأب لها لكي تتميّز بما تتميز بها الحضارات المقارنة على الأقل التي كانت في المحيط العالمي آنذاك مثل الدولة الساسانية والدولة الرومانية والبيزنطية. وهذا هو رأي الكاتب الكبير وأب علم التأريخ للعصر الحديث (آرنولد توينبي) (ت 1975 م).

وبالفعل لو تمت مقارنة التنظيمات الإدارية والعلمية وتخطيط الدولة في العصرين الراشدي والأموي لم نجد بأن هنالك مسحة حضارة نبعت من ذات التشكيل الذي كان يسود العرب آنذاك، بل كانت ثقافة العرب هي عبارة عن ثقافة بدائيّة وهي الثقافة البدويّة المعروفة التي أشرنا إليها باعتبارها أولى خطوات مراحل الثقافات والحضارات والتي من الممكن لها أن تتقدم

وتتفرع إلى ثقافات أخرى تتلاءم أكثر مع الإنسان في مسيرة حياته. . . . .
نعم من الممكن أن يتم إطلاق لفظة (المجتمعات) على تلكما الفترتين فيما يتعلق بشكل التجمع.

كما هو الرأي في غياب أب للثقافة الراشدية والأموية، في نفس الوقت فإن تلكما الحضارتان كانتا عقيمتان بدلالة غياب عقب لهما أيضاً. . . . . .
فهما عاقر في نتيجتها بدلائل أن الثقافات تبقى في مسيرتها ضمن نفس مبادئ تلك الثقافات، نعم هنالك آثار كبرى تنتج عن موت الثقافة والتي تندرج معظمها ضمن النتائج السلبية التي تجتاح المجتمع كما هي بكتيريا الجسم الميت إن لم يحسن دفنه أو التخلص منه أو معاملته بما يجب أن يتم من خلال الدفن أو التعقيم.

وبانبلاج الثقافة العباسيّة أو ربما يمكن لنا كما يرى توينبي (ت 1975) أن نطلق عليها الحضارة الإسلاميّة باعتبارها كانت آنذاك تميل إلى مشروع بناء دولة وبناء كيان يتكون من عوامل بناء الحضارات مثل القدرات الفكريّة والقدرات الفنية والمعاهد العلميّة ونُظم تأسيس الدولة وغيرها من مرتكزات الحضارات. . . . . . في تلك الفترة توجهت تلك الثقافة إلى معالجة ما سقطت فيه أسلافها من الأخطاء من تلك التي أدّت بها أن تموت بتلك الميتة الشنيعة. . . . .

فالحضارة الأمويّة لم تمت في عام 132 هجرية، بل أنها ماتت في يوم استقالة واغتيال معاوية الثاني عام 64 هجرية الذي جرّد الأساس الشرعي لوجود الدولة وبناء الحضارة. . . . فكان أهم علامة من علائم موت الحضارات هو توالي الرؤساء أو الملوك بشكل نسق ما يسمى (بالأقليّة المسيطرة)، والأقلية المسيطرة هنا كانت في زمن الأمويين هم بنو أمية وفي زمن الدولة الراشدة هم القرشيين (العيّنة). . . . فهذه الأقليات في المنطوق التأريخي إما أن تكون عيّنة علميّة متفوقة على بقيّة أفراد المجتمع كما هم في

الثقافة الهيلينية اليونانيّة خلال أربعة قرون قبل الميلاد والتي كان سقراط (ت 399 ق.م.) هو مثلها الكبير، أو أن تكون تلك العينة تعارض مصالح الجمهور فتتحول إلى ديكتاتورية(1).

فقوة المجتمع هي من قوة هذه الفئة والتي في الأعم الأغلب إما أن تكون قدرات فكريّة أو قدرات ديكتاتورية وهي التي تمكّنت بفضل تلك القدرات أن تسود المجتمع وأن تُسيطر عليه. . . .

وهنا يمكن لنا أن نتفهم حرص النبي صاحب الرسالة في خلق هذه الفئة من الأقلية فيما بعد موته في قيادة المجتمع، وهي سُنّة قد لا نجدها فقط في مسيرة النبي، وإنّما هو قانون عام ينطبق على الأديان وعلى كلّ المجتمعات وحتى الديمقراطية فيها(2)، ولولا التبدّل القانوني لتلك الدول لبقيت تلك القوة مسيطرة إلى أن تنهار الدولة في ثورة عارمة كبرى كما حدث في مسيرة الثورة الفرنسية أو في مسيرة الثورة المصرية عام 2011 أو التونسية في ذات العام.

كان الخيار أمام الثقافة العباسيّة الجديدة أن تنطلق في سيطرتها العسكرية المتوشحة بالعنف من معالجة أسباب سقوط الثقافة المنهارة الأمويّة التي شاخت أمام التغيّرات التأريخية التي اجتاحت المجتمع الإسلامي آنذاك وخصوصاً بعد أن بدأ عصر التدوين وظهور نمط جديد من

---

(1) وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها (الأنعام، 123).

(2) لا بد لنا ونحن نتعامل مع الواقع أن نعترف بقدرات المجتمع اليهودي في عالم اليوم وفي القرن الواحد والعشرين في تمكّنه من أن يحتل المراتب المتقدمة في حكومات العالم الغربي وفي مؤسساته العلميّة والاقتصادية وهو ما أهّلهم في أن يتمكنوا من السيطرة على مسيرة توجيه السياسة والإعلام والطب والعلوم الأخرى. في الوقت الذي يمثل اليهود أقلية محدودة في العالم 14 مليون منهم 75% في إسرائيل، تقريبا 1. 7% في أمريكا والبقية في البلدان العالمية الأخرى.

القُدرات الفكريّة والقدرات الاجتماعية على الساحة، والتي ظهر بأن الواقع الحاكم منذ بدايات موت النبي وإلى ذلك التأريخ لم يكن متلائماً فكرياً وروائياً مع السُنّة النبوية التي ظهرت فجأة فيما بعد تدوينها، وهي تقريباً مائة سنة من هجرة الرسول، فكان على التركيبة الاجتماعية أن تتغير باتجاه التناسب مع المرحلة الجديدة. . . . .

فقد انتفضت المجتمعات في البداية من الخارج ثم تعاونت مع حركة الداخل[1] في طريقة عنف وعنف متبادل وهو الأسلوب المتعارف عليه في التغيير (البدوي) ضمن المجتمع العربي الذي بقيت عوامل التغيير هي ذاتها رافعين شعار الثورة المتوشح بمبادئ أقرب كثيراً إلى أصول النبي وهو الرضا من آل محمد.

وكانت الثقافة العباسيّة تتبلور في النقاط التالية:

- الركون إلى الشخصية الكبرى المنافسة لشخصيات الثقافتين الإسلاميّة (النبي) والشيعيّة (علي) وهو العباس ابن عبد المطلب.
- توجيه الروايات والأحاديث الخاصة بالنبي وعلي نحو رفع شأن العباس والحط من علي بقدر الممكن من خلال اتهامه بتلوث يديه بدماء المسلمين وبفقره وغيرها. فكان من المهم منع كلّ ما يمت إلى علي من فضائل.

(1) يرى المؤرخ الكبير توينبي بأن الحضارات تسقط على يد القدرات التي يُسميها (البروليتاريا) أي بالمعنى العام هم سواد المجتمع الذين يكوّنون الجسم الكبير في البداية من خارج الدولة، وهم هنا إما (الموالي) من الدول التي احتلتها الدولة الأموية، أو من سواد المجتمع الداخلي فيمن يُحيط بالعيّنة الاجتماعية ويسميها بروليتاريا الداخل وبروليتاريا الخارج. ولفظة البروليتاريا التي شاعت في منتصف القرن العشرين تعني المحرومين من العمال ومن عوام المجتمع. (توينبي، آرنولد: مختصر دراسة التأريخ، ج 1، المركز القومي للترجمة، بيروت، 2011).

- الإعتماد على غير العرب وترهيبهم في حماية الدولة بدلاً من العرب ومن القرشيين، فالأجنبي مهما أبدع يبقى غريباً في دار الخلافة لا حول ولا قوة له إلّا طاعة السلطان.
- ملاحقة الأفكار الأخرى المناهضة وأهمها هو الحسنيين، الحسينيين، الخوارج، الزيديين.
- توجّه الدولة إلى بناء مرافق وتطور عمراني وإفاضة المال العام على أصحاب العلم وعلى المؤرخين.
- إشغال الناس بالصراعات الفكريّة الجانبية وليس العقائدية.
- القتل والتشريد وتنوع أساليب السجون وإشاعة الإرهاب بالشكل العلني للدولة بعد تطوير خطط التخلص من المعارضين. والاعتماد على عتقاء الأمويين[1].
- استغلال الفراغ الفكري الذي لم تُمله الثقافة الشيعيّة لتأصيل ثقافة التسنن.

ولكن العباسيون فوجئوا بأن آل محمد لهم من يُمثلهم، وكان آنذاك الإمام السادس جعفر بن محمد الملقب بالصادق (ت 148)[2] والذي كان الثوار يعتقدون بأن سقوط العدو اللدود لآل محمد أي الأمويين سوف يدفعه إلى ترؤس الدولة الجديدة أو المباركة ضمن اعتقاد سابق أصله بدوي الثقافة والفلسفة، وهو أن (الشرعية) هي (القوة) أو (الدولة) وأن ثقافة التشيّع هي الثقافة المنافسة للثقافة الأمويّة والمستندة على أسس السيطرة السياسيّة في استلام الحكم. . . . . . فالحكم السياسي آنذاك هو الفاصل في تقرير المُحق من المبطل. . . . . . . وهذا المفهوم المُبهم لعامة الناس يعني بأن

(1) ابن الأثير، الكامل في التأريخ، مجلد 7 ص 19. المصدر السابق.
(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Ja%27far_al-Sadiq.

الإسلام عموماً ومنذ أن بُعث لم يتمكن من أن يُغيّر من تفكير المجتمع القرشي الذي ظهرت فيه فكرة الإسلام في توضيح هذه النقطة الجوهرية، وهو أن الرسالة السماوية لم تكن غايتها الرئيسية الحُكُم أو السياسة وإنّما كانت غايتها الكبرى متمثلة في تغيير المجتمع نحو الفضائل ضمن المعادلات الثلاث التي أشرنا لها فيما قبل.

فالاعتقاد الذي ساد المجتمع فيما بعد سقوط الأمويين كان مثالاً جلياً في عجز الثقافتين الإسلاميّة والشيعيّة من الناحية التأثيرية في تغيير الأصل البدوي لفكرة المجتمع وفكرة بنائه. . . . . فتوجه قادة الفكر الثوري الجديد[1] إلى الصادق ظناً منهم بقبوله استلام الحُكُم بعدما استتبت الأمصار غير دمشق إلى الفكرة الجديدة التي كانت صادقة في أن تجد لها من يقودها وينقذها من حيرة الظلال التي مرت بها خلال أكثر من قرن ونصف من سيطرة سياسية (لا فكرية) بل (بدوية) (قرشية) (فئوية). . . .

ولكن الصادق الإمام كان ذو موقف سلبي تجاه التوجهات السياسيّة وفكرة الدولة لأنه كان على علم بأن تغيير المجتمع لا يتم من خلال أدوات العنف والقتل والاستباحة والسيطرة كما يعتقد الإسلام السياسي، بل أن مفهوم الدولة الحضارية هو عملية تفاعل لقُدرات فكريّة اجتماعية ثم إلى قيادة والى تهيؤ إجتماعي وفكري ونفسي للتغيير[2]. . . كما في نفس الوقت

(1) أبو سلمة الخلال (ت 132)، أبو مسلم الخراساني (ت 137)، محمد بن علي وأخيه إبراهيم بن عبد الله بن العباس. راجع الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Abbasid_Caliphate.

(2) الثورة كانت فارسية بدون منازع بدأت من خراسان وكان قادتها ثلاث: بكير بن ماهان (ت 127)، ثم مولاه أبو مسلم الخراساني (ت 137)، وأبو سلمة الخلال (ت 132)، وأن الأخير قد سجن العباسيين في الكوفة أربعين يوماً، كما انه آوى السفاح عنده لكي لا يقتلوه.

لم تكن الثقافة الشيعيّة هي الثقافة التي تحمل في مبادئها توجهاً سياسياً بل أنها حركة تغييرية فكريّة ونفسية واجتماعية هدفها ربط الإنسان مع أطراف المعادلة الثلاث (أخيه الإنسان، الطبيعة، السماء) ضمن فلسفة فكريّة متبناة على أسس القرآن والسنة النبوية وليس على أسس أفكار المجتمع السياسية.

وبرفض الصادق الإمام فكرة قيادته للانتفاضة السياسة للثورة الجديدة توجه القادة الجدد إلى تبني مبدأ القرابة العائليّة مع النبي وهم العباسيون (الأعمام) وأشاعوا مقولة أن العم هو أقرب من البنت (فاطمة) في الوقت الذي كان بنو العباس لا يختلفون في توجهاتهم الفكريّة عن الشيعة في تبني مبادئ التشيّع الرئيسية، هذا في الوقت الذي ظهر في ذلك التأريخ بأن التشيّع كنظرية وأطروحة لا تتوافق مع الحكم، لأن الحُكُم شيء مختلف عن الإمامة أو القيادة الدينية، وباجتماع القيادة (الإمامية) الدينيّة مع الحُكُم (السياسي) فإن الطاغي دوماً هو الأكثر تأثيراً وهو السياسة في دولة عليها أن تدخل في مواجهات ومعارك ومقتلة وما إلى ذلك. هذا مع وجود تجربة غير موفقة في استلام الحُكُم من قبل علي الخليفة الرابع فيما يخص التشيّع كأطروحة.

وقد كانت فكرة انسحاب الصادق الإمام من ساحة السياسة ضربة قاصمة إلى الشرعيّة التي يتوجب إضفائها على الحُكُم والثقافة العباسية، وهذا يعني بأن الدولة الجديدة ستعاني من نفس مشكلة الأمويين فيما يتعلق بموضوع الشرعية، فكان أمام الخليفة الثاني المنصور (ت 158) أن يتخاصم مع ممثل الشيعة بصورة أقرب إلى المواجهة في انتزاع الاعتراف منه بحكم بني العباس، ولكن الصادق الإمام لم يُعط للمنصور الفرصة في ذلك وكان يتجنّب أن يدخل معه في مواجهات سياسية أو مواجهات متعلقة بالحكم، وكان يتذرع بأنه شخصية فكريّة لا تتعامل مع السياسية، ودوره هو فقط حفظ مسيرة النبوة والإمامة من الناحية الفكرية...... وهنا لم يكن

أمام المنصور[1] بعد فترة من محاولات عديدة إلّا قتله بالسم والتخلص منه في عام 148 هجرية.

ومما سبق مقتل الصادق الإمام تمكن المنصور والخلافة العباسيّة من أن توفّر جو فكري أدّى إلى ظهور المدارس الإسلاميّة والتي كانت في الواقع قد نمت بصورة طبيعية بعد أن ابتدأ عصر التدوين الثاني، فظهرت المذاهب الفكريّة المختلفة كرد فعل لمذهب المعتزلة على يد مؤسسها واصل بن عطاء (ت 131) في زمن الأمويين وانتشارها في زمن العباسيين والتي كان أهمها هو مذهب الأحناف علي يد العالم أبو حنيفة النعمان (ت 150) الشخصية التي وجد أبو جعفر بأنه من الواجب أن يتكئ عليها لكي يكتسب شرعيّة الحُكُم بعد أن يأس من الصادق الإمام. . . . .

ولكن أبو حنيفة ساير الحُكُم كفترة أولى، مع أنه كان قد هرب من اضطهاد الأمويين في تأييده لثورة زيد بن علي (ت 122) ثم عاد ثانية إلى العراق بعد أن استدعاه المنصور لتولي القضاء، ولكن النعمان كانت له مدرسته المخالفة لمدرسة التشيّع من الناحية الفقهية وخصوصاً فيما يتعلق بموضوع القياس (Syllogism) والذي ركن إليه في استنباط الحُكُم الشرعي

---

(1) شخصية المنصور مثار جدل بين المؤرخين، فقد سمّته أمه (مقلاص) وهو أسم لص معروف وذلك بعد أن سرق المنصور غزلاً من امرأة وصرف الأموال على نُدمائه، وعندما كبُر جاءت به أمه إلى الأهواز فاشتغل عند الحاكم الشيعي سليمان بن حبيب ابن المهلب جابياً على الخراج فسرق الأموال فسجنه، وعندما تولى الخلافة قتل سليمان. وفي سجن الأهواز التقي (بنوبخت) المنجم المشهور فأسلم بعد أن كان مجوسياً ثم صار من حاشيته وهو الذي هندس بناء بغداد. وكان المنصور يؤمن بالتنجيم بشكل كبير فقد استدعى كلّ المنجمين في الدولة فأشاروا عليه بتسمية ابنه (بالمهدي) الذي سيملك الأرض فيما بعده. كما طلب من (مطيع بن أياس) (شاعر ماجن خمار كذاب) أن يُعلن روايته لحديث عن النبي في أن المهدي هو ابن المنصور (الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج 12، ص 86، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2014).

بعد أن عجزت المدارس الفكريّة الأخرى غير الشيعيّة في التوصل إلى ربط المسائل المستحدثة بإشكالات إصدار الحُكُم الشرعي، وهو استنتاج أساسي من أسس الاختلاف مع المدرسة الشيعيّة الفكرية، مع أن أبو حنيفة كان قد تتلمذ علي يد الصادق لأنه كان شيعي الثقافة والتفكير (أقرب إلى الزيدية) ولكنه سني الفقه. وهذا أمر يكاد أن يكون معروفاً في أن كلّ الأجانب من العلماء أو الفقهاء ذو توجه شيعي، وهو ما يشترك به أبو حنيفة في هذه الخصلة[1].

كانت ردود الفعل عارمة بين جمهور الشيعة عندما رفض الصادق الإمام الاستجابة إلى تولي الحُكُم بعد سقوط الأمويين وكانت الشدة لا تختلف فيما بينها من كلي الجمهورين الشيعي والعباسي، بل كافة أفراد المجتمع وخصوصاً في أقطار العالم الإسلامي، فلم يكن أمام هذه المشكلة الكبرى غير المتوقعة من قبل الصادق إلّا أن تبدأ ثورات الشيعة بالظهور والتي كانت أهمها هي ثورة محمد ذو النفس الزكية (ت 145) وأخوه إبراهيم التي كانت الثورة الكبرى التي هزت عرش العباسيين، وكذلك ثورات العباسيين أنفسهم بسبب الخدعة التي خدعهم أبو العباس السفاح (ت 135) في أن تكون الولاية لآل البيت فثار عم المنصور عبد الله بن علي عليه، بعدها تحرك أبو مسلم الخراساني (ت 137) القائد العسكري الشيعي، ولكن المنصور عاجلهما وقتلهما شر قتلة[2].

(1) أبوه هو ثابت بن زوطى بن ماه الفارسي أو النبطي (أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، الإمام محمد أبو زهرة، ص 14، دار الفكر العربي، بيروت، 1990).

(2) هنالك تقريبا ثلاثين انتقاضة شيعية انطلقت في الفترة ما بين تولي السفاح الخلافة إلى حين عهد المأمون 200 هجرية هذا الرقم لا يشمل ثورات غير العلويين الذين كان الكثير منها في الواقع يحمل التوجه الثقافي الشيعي ولكن بدون رفع شعار التشيع.

ولكن قبل أن نذهب بعيداً في مسلسل نمو الثقافة العباسيّة يجب علينا أن نبحث في (الجينوم) الثقافي العباسي لنكتشف أسلاف هذه الثقافة، كما هو البحث العلمي لكل قضيّة في الحياة سواء أكانت شخصية أو علميّة أو تأريخية.

أسلاف العباسيين تنطلق من فراغ، بمعنى آخر ليس هنالك من أب للثقافة العباسية...... بعكس أسلاف الثقافة الإسلاميّة التي انطلقت في عهد الرّسول في مبعثه والتي كانت الإبراهيمية[1] هي سلفها..... نفس الشيء يقال عن الثقافة الإبراهيمية التي كانت سلفها هو الثقافة التي سبقتها وهي ثقافة التوحيد على يد نوح وآدم وقبلهم من الأنبياء...... ولا يقتصر الأمر على الجانب الديني للثقافات بل أنه أمر يكاد أن يكون فطري في كلّ الثقافات العالميّة مثل الثقافة الهيلينية والثقافة المصرية والثقافة الفارسية وغيرها، فإن علماء الانثروبولوجيا قد توصلوا إلى تحديد آباء وأجداد تلك الثقافات.. نفس الأمر ينطبق على الثقافة القرشيّة التي تُعتبر (البداوة) وهي بداية الحضارات الجد الأكبر لها منذ بداية تأريخ العرب البائدة.

وقد أخفق علماء الإنسان في تتبّع الجذور الوراثية للثقافات العربية والثقافات الدينيّة واعتقدوا بأن بداية الولادات في التاريخ هو ظهور الرسالة النبوية، وأن كلّ ما جاء بعدها هو تفرّع من تلك الثقافة[2]، مع أن الرسالة

(1) ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: 78]. وهنا تعبير (الملة) ليس هو (الدين) كما نعتقد لأن الدين هو الإسلام، هذا في الوقت الذي لم يكن مصطلح (الثقافة) مُتعارف عليه في ذلك الوقت، فكانت تستعمل مصطلحات متقاربة من الفهم منها مثل (الملّة) أو (المجتمع) أو (القرية) (القوم).. الخ. لأن القرآن نزل في محيط عربي ضمن مصطلحات الواقع العربي.

(2) ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123].

النبوية لم تكن أكثر من محطة من المحطات الثقافيّة على مستوى العالم كما هي الثقافة الكونفوشيّة بالنسبة إلى العالم أو إلى منطقة الشرق الأقصى. . . . . كما أنهم أهملوا جذور وأسلاف الثقافة الإسلاميّة مع أن القرآن جاء صريحاً في الانتماء الوراثي إلى إبراهيم وثقافته. . . . ولذلك نجد بأن المسلمين قد حدّدوا بداية التأريخ بالهجرة النبوية إلى المدينة وكأن التأريخ بدأ في ذلك الوقت وما قبله كان خارج نطاق الدورة التاريخية[1] مع إهمال كامل للارتباط الثقافي ما بين الإسلام وبين بقيّة ثقافات الأنبياء ومسيرتهم[2] وهو وكما يبدو كان مُخططاً من قبل أصحاب الثقافات الأخرى التي كانت سائدة قبل مجيء الإسلام وبالتحديد الثقافة اليهودية التي تَعتبر نفسها بأنها الجد الأكبر لكل ثقافات الأديان التي انطلقت على وجه البسيطة، وما عداها ممن لم يكن له أصل في مسيرة الانتماء إلى الثقافة الإبراهيمية فإنه دخيل على الديانة السماويّة وثقافاتها بشكل عام، ولذلك نجد بأن اليهود لا يرون في الثقافة الإسلاميّة إلّا نوع من الانفصال التاريخي عن مسيرة الحضارات، وأن نهاية الحضارة الإبراهيمية هي اليهوديّة فقط لأنهم يعتبرون المسيحيّة فرع من اليهودية وأن المسيح كان يهودياً، وهذا هو السبب في السعي الكبير الذي كان أتباع الثقافة اليهودية في الجزيرة العربية أن يعملوا عليه في سبيل قطع الجذور مع الثقافة الإبراهيمية وخلق حاجز فكري مع طبيعة العوامل الرئيسية بين الثقافتين، وانظر هنا إلى الرد السماوي

(1) من سياسات الفخر للبداوة هو ادعاء الفضائل كلها للفرد البدوي، مع استغفال لما قد تمّ من قبل الآخرين في كلّ إنجاز في الحياة، وقد انتقل هذا الجانب السايكولوجي إلى العرب وإلى ثقافتهم البدويّة إلى تطبيقات السياسة والعمل والاجتماع وبقيّة مفاصل الحياة التي تتطلب أن يشترك أكثر من عقل أو طاقة في إنجاز مهمة ما.

(2) ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

على هذا الاتهام بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]. فهنا نرى العنوان الحاسم الذي لا يقبل التأويل في تبرؤ الثقافة الإبراهيمية من احتوائها من الكتابيين كثقافة، ومن قبل (الصنميين) وهم قريش كثقافة في ذلك الوقت. فقوة الثقافة الإسلاميّة هو عمقها في التاريخ وليس في انقطاعها عن المدد التاريخي وعن جذورها العميقة التي تعود إلى أكثر من ربما أربعة آلاف سنة أو تزيد.

كما يحلو لي أن أشير إلى أن الإصرار على انفصال الثقافة الإسلاميّة عن الثقافات التي نشأت منها وأعني بها الإبراهيمية هو لكي لا يتم السؤال عن أصول الثقافة القرشيّة التي لو أردنا أن نُماشي أصولها ومنبعها وجذورها فإننا لا نجد غير الثقافة البدويّة أباً لها فقط وليس ثقافة الأديان، ولذلك حُجب الأول لكي يُحجب الثاني عنها وهو مجرد تحليل لا أكثر مع أنني أعترف بأن فكر الثقافات وابتداءها وتفرعاتها لم يكن معروف في ذلك الوقت من التاريخ ولم تكن لتلك المصطلحات من مكان في واقع المسلمين أو من منتمي الثقافات الأخرى.

إذن من أين ولدت الثقافة العباسيّة هنا. .؟ ومن هم أسلافها. .؟

في التحليل والتمحيص أمامنا أكثر من احتمال ولعل الأقرب إلى الواقع هو أن الثقافة العباسيّة كانت ثقافة هجينة (Hybrid) حدثت من خلال طفرة

(1) سورة آل عمران، الآية: 67.

(2) Lloyd Hawkeye Robertson and La Ronge, Sask. Unfertile ground: Religious mutations in the scientific community Humanist Perspectives, 44 (3), 30.Northlands College. FIND IN:
https//:www.google.com.lb₤?gws_rd = cr.ssl&ei = Ut3bU-jcHaet0QXy2IDA BA#q = cultural + mutations + psychology + pdf.

وراثية (Mutation)[1] بسب التعقيد الذي ألَمّ بالمجتمع حيث كان كل ما فيه آنذاك فيه (هجيناً) وليس ذو أصول فكريّة أو أصول اجتماعية أو حضارية متناسقة. . . . فالدولة آنذاك انفتحت على العالم برمته في الوقت الذي لم يكن لتلك الدولة أن تستوعب غزارة التغيّرات التي حدثت في التعاضد أو الملاءمة بين تلك الثقافات الدخيلة. . . . . فقد صارت الدولة عبارة عن خليط لم تر المجتمعات العالميّة الأخرى شبيهاً له. . . . . .

فالثقافة الرومانية أو البيزنطينية لم تكن تضم ذلك الاختلاف من تنوع البشر، بل كانت سياسة روما وكذلك القسطنطينية هو فكرة (الإدارة الذاتيّة) للمنطقة أو المقاطعة التي تدخل في نطاق تلك الدولة، فبقي المجتمع المُخصص الذي يمتلك ثقافة معينة خاصة به نقيّة لم تتغير ولم تتبدّل بفعل الخليط من الحضارات التي تفد عليه بسبب الغزو أو الحرب أو ما شابه.

فالدول العالمية الكبرى اليوم عندما تُفكر في زيادة نفوسها أو في تطوير نظام الهجرة لها فإنها تضع حداً معيناً (Quota) يتناسب مع قدرة ثقافة ذلك البلد كي تبقى قادرة على التماسك والبقاء بما تملكه من خصائص ومميزات[2]. فضعف أية ثقافة على حساب تقوية ثقافة أخرى لا يُعتبر في

---

(1) فكندا اليوم لا تقبل أكثر من 2% سنوياً من عدد نفوسها فيما يخص المهاجرين واللاجئين والمستثمرين والأجانب وغيرها، بل أنها عندما تجد بأن المجتمع الكندي وثقافته بدأ بفقدان التماسك أو نقاوتها فإنها توقف عملية الهجرة، وهذا ما تفعله أمريكا في تجنب تخلخل حضارات المجتمع وتضعيف الحضارة الأصلية التي يعيشها ذلك البلد. . . . . . فقد تبنت الدولة الكندية في أعوام التسعينيات من القرن الماضي مصطلح جديد سمته (Visible Minorities) وهو المصطلح الذي يعني ضمان خصوصية الثقافات المختلفة عن الثقافة الكندية، وطرح بديل لها في أن تصون ثقافاتها بدلاً من الذوبان في المجتمع الكندي، أو تضعيفه أو تغييره أو تبديله، فجعلت للثقافات الكبرى المعروفة التي فُرضت عليها في قبول هجرتها أن تضع برنامجاً خاصاً بها تحافظ بها على مفرداتها بشكل يمنعها من الذوبان في =

العرف الحضاري بأنه انتصار بشري لجهة على أخرى، فانحسار الثقافة الفرنسية اليوم في العالم لحساب الثقافة الانكليزية ليس هو ما ترميه الثقافة الأخيرة أو نصر لها، بل تعتبره انتكاساً لها كما تعتبرها الأولى كذلك. . . .

فتوازن الثقافات خصوصاً الحيّة منها والتي تمتلك مؤهلات إنسانية شأنها كشأن التوازن بين عدد نفوس البشر وعدد وحدات النبات إلى عدد وحدات الحيوانات بشتى تنوعاتها، فهنالك توازن في الحياة وأنّ قلة عدد أي صنف من الأصناف المكوّنة للحياة على حساب صنف آخر سيؤدي إلى كارثة طبيعية تُصيب الجميع ومن ضمنها النوع الذي ازداد عدده كذلك[1]، فالكوارث التي تصدر عن غضب الطبيعة أو من غضب الثقافات أو غضب السنن تصيب الكل ولا تستثني أحداً حتى تلك الشخصيات التي كانت تدافع عن جانب الحق في هذه المعادلة[2].

فالمجتمع فيما بعد سقوط الحضارة الأمويّة لم يكن من النوع الذي يُمكن له أن تولد ثقافة من رحمه، لأن عوامل تولّد الثقافات لم تكتمل كما هو اكتمال ولادة الكائن الحيواني أو النباتي، بل لم يكن أمامه إلّا أن يعمل في ولادة غير طبيعية تمّت بطريقة غاية في الغرابة (طفل أنابيب) أو (تلقيح اصطناعي) أو عبارة عن تجميع جيني بطريقة معينة اكتشفتها الطبيعة بطريقة أو بأخرى كما حدث مع النعجة (دوللي) التي ولدت من دون أسلاف، وإنّما جاءت بطريقة غاية في الإعجاز العلمي. . . . . . .

فبالقدر الذي تحدث الطفرات العلميّة الوراثيّة أو الكونيّة فإنها تحدث

= المجتمع الكندي ليس من الجانب السلبي، وإنّما من أجل حماية الثقافة الأصلية وحماية الجاليات الأخرى الوافدة. . . . . . فكندا تُعتبر قوتها هي من فسيفساء الثقافات ومن القوميات التي تقريبا تضم كلّ ثقافات وقوميات العالم.

(1) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

(2) ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

ضمن إحصائية معينة يعرفها المتخصصون في علم الوراثة[1] تقريباً واحد بالمليون في كلّ تشكيلة وراثية لجيل واحد. . . . . . وبالرغم من أن معظم الطفرات الوراثيّة هي مميتة وضارة والتي تُمثل أكثر من 70%، فهنالك طفرات إيجابية ومهمة جداً من أجل استحداث النوع، ولولا ذلك لبقيت البشرية مقتصرة على نوع واحد فقط من المخلوقات[2].

كانت الثقافة العباسيّة ثقافة ذو طفرة، ولكنها طفرة من النوع الذي يُسمى (غير توريثيّة) لأنها حدثت في الجسم (الخلايا الجسمية) (Stem cells) وليس في الأصل، باعتبار أن الطفرة في الأصل يعني في الخلايا التي تعمل على التوريث (الخلايا الجنسية) (Germ cells). . . . . .

وهنا في مثالنا تُمثل الثقافة الإسلاميّة التي جاء بها الرّسول وحملها القرآن والسنة النبوية هي النوع الأصيل أي الطبيعي. أما ما حدث من طفرة في المثال العباسي فقد كان هنالك كائن جديد وهو (الكائن العباسي) أو التركيبة الثقافيّة العباسيّة التي حملت الكثير من الصفات التي نشأت فيها، فهي إلى الواقعية أقرب منها إلى الإيديولوجية التي كانت تتمتع بها سابقتها الأموية.

فقد انطلقت ثقافة العباسيين من مبدأ الفراغ الذي تركته انسحاب الثقافة الشيعيّة من ساحة الحُكُم والدولة، بل كانوا جزءاً منها فيما سبق قبل حدوث

(1) يصل معدل الطفرات في حقيقيات النوى والبكتيريا أحادية الخلايا إلى حوالي 003. 0 طفرة لكل جينوم في كلّ جيل. أما المعدل لدى الإنسان يتراوح بين 1 × 10-6 إلى 1 × 10-5 طفرة لكل نيوكليوتيد يتم نسخه. راجع مادة طفرات وراثية على الموقع:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Mutation.

(1) Lesley Newson, Peter J. Richerson, Robert Boyd. Cultural Evolution and the Shaping of Cultural Diversity. See the Article at the following site: http//:www.des.ucdavis.edu/faculty/Richerson/CultDivers.pdf.

الطفرة.... الطفرة الثقافيّة التي حدثت منذ عهد أبو العباس السفاح (ت 136) بعد أن تبيّن للقادة بأن الثورة لا يمكن لها أن تنضج أو أن تستمر إلّا بمدد ثقافي تشريعي، وهو بالمعنى المعروف آنذاك الإنتساب إلى آل الرّسول فقط[1]. وهنا امتنع الحسنيون والحسينيون عن تولي الأمر فما كان من القادة الجدد إلا أن قدّموا السفاح كممثل لآل الرّسول، وبمجرد أن تولى الأمر كان له أن يُقيم الثقافة العباسيّة كما وصلت إليه وهي الثقافة الهجينة المُعقّدة ذات الطفرة (غير المُميتة) بل (الإيجابية) التي لم تُولد من مسيرة طبيعية لعالم الثقافات..... وهكذا ثقافات في العموم الأغلب وحتى في الكائنات تكون حادة القدرة ذو قابليات تتميّز بها عن البقيّة من الأفراد أو الثقافات......

فانبرى قادتها إلى أساليب غاية في البراغماتيّة والسياسيّة فكان عليهم أن يتخلصوا من عدوهم التأريخي الذي أصبح منتهي المفعولية (Expired) وهم بقايا فلول الأمويين ثم التخلص من القادة الذين أوصلوهم إلى الحُكم فقتلوا أبو سلمة الخلال (ت 132) وكذلك أبو مسلم الخراساني (ت 137) بطريقة ذكية بعدها تحولوا إلى مرحلة وضع أسس الجانب الفكري الشرعي لسدة الحُكم من خلال خلق بلبلة ثقافيّة معقدة بين الشخصيات والمدارس الفكريّة التي انتشرت أيما انتشار بحيث تحوّلت مسألة الحُكم والدولة إلى قضيّة ثانوية مقارنة بالنزاع الفكري بين المدارس الكثيرة والآراء الفردية في كلّ زاوية من زوايا الدولة......

كما في ذات الوقت لم يكن هنالك من جامع عام للدولة في عروبتها أو

(1) كان بيت النبي يتمثل آنئذ بثلاث أطراف، آل الحسن، وآل الحسين، وآل العباس، فكان يُمثل الحسنيين هو عبد الله بن الحسن، والحسينيين جعفر (الصادق)، وعمر بن علي (السجاد)، والعباسيين يمثلهم أبو العباس.

في مذهبها، بل أكّد الخليفة الثاني المنصور (ت 158) على التوجه إلى أمور الفن وإلى حوارات علوم الطبيعة وإلى منح الإدارة الذاتية إلى القوميات وإلى الثقافات الأخرى بحيث تحوّلت الدولة إلى أن تكون ذو حكم ذاتي في أقاليمها بالطريقة التي مكّن الحاكم أن يُمارس صلاحيات واسعة على شرط الولاء المطلق للحاكم وهو الحُكُم العباسي.

أما فيما يتعلق بالثقافة الشيعيّة المنافسة (الطبيعيّة) لثقافة العباسيين فإن الطريقة التي ابتدعها المنصور هو بث الرعب بشكل أكثر حدة من عصر الثقافة السابقة له. . . . . . . هذا في الوقت الذي كان على الصادق أي منذ عام 114 أن يُتم المشوار الذي بدأه منذ العصر السابق في أن يتمكن من تشكيل أطروحة إسلامية رصينة تعتمد على دقة التوثيق مع وضع منهج استنباطي للأحكام الجديدة. . . . فانتشر في ذلك الوقت طلابه بين المدارس الفكريّة كلها تقريباً ينقلون أصول التُراث من سُنّة النبي التي كان الإمام يعتقد بأن ما تمّ روايته من السابقين من الخلفاء من آل أمية وآل مروان كان فيه الكثير من الخطأ وذلك من أجل أهداف سياسية لتثبيت الحكم. . . . .

فبادر وبقوة إلى منهج ضخم وكبير إلى خلق مدارس عقليّة ونقليّة بعضها قريب من الفكر الإمامي وبعضها بعيد عنها ولكنها تصبّ في نفس المسار وهو اعتماد أسلوب البحث في الوصول إلى مبتغى الإجتهاد في الأحكام. . . . ولم يكن في نفس الوقت من هدف طموح للثقافة الشيعيّة في النزاع على الحكم. . . . . وهنا نكاد نقرر بأن عصر الصادق كان هو العصر الذي قدح فلسفة التدوين والفقه في الإسلام. . . . مع أن المنصور كان مجتهداً جداً أن يتخلص من جُهد الصادق العلمي في أن تكون له المصدريّة في بناء هذه النهضة الفكريّة بسبب امتلاكه ذات التخوف الذي كان يمتلكه الخلفاء من الذين سبقوه في العصر الأموي في غياب شرعية الدولة بطريق الوصول إلى الحُكُم من خلال العنف والسيف والحرب.

ولما لم تنفع عملية انتزاع ذلك الاعتراف من قبل الصادق حاول المنصور أن يَقوم بذلك من خلال تلاميذه وهو أبو حنيفة (ت 150) وغيره ولكنهم أيضاً لم يستجيبوا له مع أنهم وفي ذات الوقت لم يظهروا مصدريّة رأيهم من الصادق مما حداهم إلى إغفال ذكره في كتاباتهم الفكريّة والفقهية خوفاً من القتل والتشريد.

فالنشاط الفكري في زمن الدولة العباسيّة وفي الدول التي سبقتها كانت بيد السلطة، وهي التي تتحكّم بمسيرة توجيه الحديث والرواية إما من خلال شراء الذمم أو من خلال البطش أو من خلال التوجيه بالشكل الذي يضمن عدم التطرق إلى شكل الشرعيّة الحاكمة. . . . . وقد يُمكن أن يتم استباحة بلد أو قطر بسبب وجود مُفكر أو شخصية امتلكت الجرأة في الإشارة إلى هذه النقطة الحساسة من التاريخ. وعموما فقد كبار القادة من المفكرين مثل أبن المقفع (ت 142)[1] على يد المنصور وأبو حنيفة وغيرهم بسبب رفض السلطة توجهاتهم الفكريّة التي لا تخدم السلطة العباسيّة في تثبيت شرعيتها[2].

فقد حاول الحُكُم العباسي الجديد أن ينقُر على وتيرة الإرث القديم الذي عفى عليه الزمن والمتعلق بعلاقة الخليفتين مع التشيّع وثقافته[3]. كان

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Ibn_al-Muqaffa%27.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Ab%C5%AB_%E1%B8%A4an%C4%ABfa.

(3) فثقافة التشيّع كانت أول ما واجهته بعد وفاة النبي هي التشكيلة القرشيّة الراشدية وهو موضوع حساس جداً بالنسبة إلى كافة المذاهب الفكريّة التي انطلقت في العصور المتأخرة، فكانت المدارس الفكريّة تلك عندما تُريد أن تضع أولوياتها فإنها تتناول الجانب التشريعي المتمثل بشخصية المشرّع، فكان النبي هو المشرّع الأول ثم بعده من الذين هم أفضلية الناس، فكان الحديث يدور عن من هو الأفضل الشيخين أم عُثمان أم علي. . ؟. . . فكان الأشاعرة لهم رأي والخوارج لهم رأي والعباسيين لهم رأي وكلّ مدرسة من المدارس عليها أن تُقدم جواباً على =

ذلك بعد مقتل الصادق عام 148، فكان يقول (و الله لأرغمن أنفي (أتقبل الرأي) وأنوفهم (يعني الشيعة) وأرفعن عليهم بني تيم وعدي (يعني الشيخين))، ثم استدعى مالك بن أنس (ت 179)[1] فأمره أن يؤلّف كتابه (الموطئ) وأن يكون سهلاً يتناوله الناس بعد أن يمنع كلّ كتب الأفكار الأخرى وخصوصاً كتب الثقافة الشيعيّة[2]، وقد تبنى الرشيد فيما بعد ذات

= هذا السؤال لأنه موضوع فقهي تشريعي مهم باعتبار أن الركون إلى أفضليّة الخلفاء الثلاث على علي يؤهلهم إلى اتخاذ تشريعاتهم وأقوالهم وسُنّتهم كمصدر مهم من مصادر الفقه الذي تعمل به الدولة أو عالم الفكر. وبما أن الثقافة الشيعيّة لا ترى بأحقية أي إنسان في وضع التشريع إلّا من خلال النص النبوي ولذلك لم يروا في الشيخين ما يدعوهم إلى اعتماد مصدريتهم أمراً علميّاً في التشريع ليس بلحاظ التقليل من شخصياتهم ولكن بسبب غياب النص الإلهي على مركزهم التشريعي، بينما كانت الروايات التي تتّبعها ثقافة التشيّع تؤكد على أن النص كان ملازماً لعلي وهذا معناه أن الأفضليّة مُطّردة له من هذه الزاوية. . . . هنا نحن من منطلقنا لا نتفق ولا نختلف مع كلي الرأيين لاعتقادنا بأنه ليس من الحرفيّة والعلميّة تقرير الجواب على ذلك باعتبارنا لا نملك الأدوات لذلك التقرير، وإنّما كلّ ما نُريد نقله في هذا المجال هو الطريقة الإستدلالية الشيعيّة مقابل الطريقة السُنيّة.

(1) مالك رجل فارسي ابن أبي عامر الأصبحي حليف بني تيم وهم حلفاء طلحة بن عبيد الله (ابن عم أبو بكر)، أمه عالية بنت شريك الأزدية. أنظر ترجمته على الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Malik_ibn_Anas.

(2) فقال له: لم يبق يامالك على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وأني قد شغلتني الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به وتجنب رخص ابن عباس (شيعي الثقافة بالرغم من أنه عباسي الانتماء) وشدائد ابن عمر، ووطّئه للناس توطئة. . . . قال مالك: فوالله لقد علّمني التصنيف يومئذ (سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 8، ص11)، ثم قال مالك: يا أمير المؤمنين أن أهل العراق لا يرضون علمنا (لأنهم متأثرون بالفكر الشيعي) قال: يُضرب عليه عامّهم بالسيف، وتقطّع عليه ظهورهم بالسياط. . . ثم شرط عليه المنصور أن لا يروي لعلي (ولذلك لم نجد في الموطأ رواية لعلي)، ثم قال له يا مالك: والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تُكتب المصاحف ولأبعث به إلى الآفاق فلأحملنّهم عليه. (سير الذهبي ج8، ص 618). . . . . . وبتقريب مالك إلى صف السلطة كان أمام إمام المحدثين ابن إسحاق (ت 151) وكان المفتى العام للدولة في المدينة، وهو النسّابة الكبير أن يهاجم مالك في عرضه، وكذلك فعلها مالك =

ثقافة (الموطئ) الذي كان خالياً تماماً في نسبية رواية الحديث إلى آل البيت وثقافتهم، فقال لمالك: (ينبغي أن تخرج معي إلى العراق فاني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حَمَل عثمان الناس على القرآن، ثم طلبت السلطة أن لا يُفتى في الناس إلّا مالك بن أنس) مع العلم بأن مذهب الدولة الذي تبناه الرشيد كان مذهب أبو حنيفة وتلميذه المفتي العام أبو يوسف.

ولقد تمكن المنصور من الاستفادة من القدرات غير العربية التي دخلت الإسلام وخصوصاً من بقايا الحضارة الساسانية باعتبار أن الحضارة البيزنطية حتى وإن خسرت سوريا ومصر ولكنها تختلف في موقعها وفي انتمائها غير الشرقي عما هو مع الثقافة الفارسيّة التي هي شرقيّة العادات وشرقيّة المعرفة. فهم أقرب إلى الذوبان في جسم الدولة منه إلى الثقافة البيزنطيّة. وبذلك ضم بلاط العباسين الكثير من القدرات الفكريّة والعلمية التي بنت العاصمة مثل الحسن أبو سهل النوبختي (ت 202) وغيره.

خلف المنصور حاكمان ثم آل الأمر إلى الرشيد (ت 193) الشخصية المعروفة بقدراتها السلطويّة الدمويّة والتي تمكّن خلال فترة حكمه من أن يضرب أقطاب التشيّع وثقافته ضربات موجعة جداً من خلال التشريد والقتل والسجن حتى مات بعد أن حكم 23 سنة وابتدأت فترة الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون والتي بوصول المأمون إلى الحُكُم بدأ عهد جديد من التعامل ما بين الثقافتين.

= ضده. . . . . فمالك له رأي في أن الولد ممكن أن يبقى ثلاث سنوات في بطن أمه، وهي كما يقول بعض أصحاب السير بأنها منقبة ومعجزة لمالك في أن يكتمل خلقه في بطن أمه هذه المدة الطويلة. . . . . وهنا نُفيّ أبن إسحاق إلى خارج المدينة بتأثير مالك، فذهب إلى حاكم إيران المهدي بن المنصور بعد أن اتهمه مالك (بالثقافة الشيعيّة). وهنالك ألف كتابه الكبير (المغازي). (تأريخ بغداد. الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الجزء الأول، ص 238. دار الكتب العلمية، بيروت، 1997).

وهنا علينا أن نُلخّص إفرازات الفترة التي ابتدأت منذ حكم العباسيين وإلى وفاة الرشيد (132 - 193) أي لفترة ستة عقود:

- الثقافة العباسيّة لم تكن لها أسلاف وإنّما ولدت اصطناعيّاً.
- بداية العصر الثاني للتدوين وللأحكام.
- اعتمدت الدولة على غير العرب في الإدارة.
- انحسرت فكرة الثقافة القرشيّة من المحيط الإسلامي وبرزت بقايا (Spores) موتها.
- اعتمدت الحركة العباسيّة في مقاتلة الأمويين على الشخصيات الشيعيّة انتماءاً وكان العقل المفكر أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة، ثمّ انضوى تحت لوائه محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وغيرهم. ثمّ إنّ محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس ـ الذي كان داهيةً محنّكاً ـ تعرّف على الدعاة، واستطاع بعد موت أبي هاشم أن يُسيطر عليهم ويستقلّ بهم.
- اعتماد أسلوب العلم والتفقه في محاربة ثقافة التشيّع فضلاً عن السيف والسجن[1].

---

(1) كان الكثير من أعداء الشيعة يتصرفون وكأنهم شيعة فيضعون أفكارهم من أجل إثارة حنق السلطة على التشيّع من جهة وكذلك الاحتماء بهم في مناسبات أخرى، راجع كتاب: (فرق الشيعة: ابو الحسن النوبختي، ص 61، مطبعة الدولة 1931. اسطنبول). وكذلك كتاب: (الفهرست للطوسي. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، 1417 هجرية).

- اختراق ثقافة التشيّع لبقيّة الثقافات والسيطرة على قادة التفكير في ذلك العصر بعد أن تحوّلت إلى واقع شعبي ظاهر.
- و ظهر أول متكلمي الشيعة وهو علي محسن التمار (ت 231). بالإضافة إلى شخصيات كثيرة فقهية وفلسفية وعلمية.
- اختراق الثقافة الشيعيّة لحاشية الخلفاء[1].
- مقتل اثنين من أئمة التشيّع وهم الصادق (ت 148) على يد المنصور والكاظم (ت 183) على يد الرشيد، وإمام واحد من المدرسة السُنيّة هو أبو حنيفة (ت 150).
- ظهور أول تبرعم رئيسي في الجسم الشيعي وهم الاسماعيليّة في لحظة وفاة إسماعيل (ت 143) الابن الأكبر للإمام الصادق.
- بداية ظهور فكرة المهدويّة وتُراثها وذلك بسبب ازدياد الاضطهاد على رُواد ثقافة التشيع. . . . في نفس الوقت ظهرت الفكرة وانتشرت وسادت بقيّة المدارس الأخرى[2] ولكن بصورة مختلفة.

---

(1) النوبختي، محمد بن الاسكندري، علي بن يقطين، عيسى بن روضة، أبو الحسن علي بن محمد الفرات، آل بسطام.

(2) الأمويين وضعوا شخصية (السفياني) وكان واضعها هو خالد بن يزيد بن معاوية انتقاماً من مروان الذي كان عدوه الكبير مع أنه زوج أمه. وبعد أن رأى العباسيون بأن للشيعة مهديّهم وللأمويين سُفيانهم بادروا إلى ذات الفكرة باختراع اسم المهدي على الخليفة الثالث العباسي لكي تتمكن السلطة من احتواء الجانب الثقافي للفكرة المهدوية. ولكن الشيعة فيما بعد طوروا الفكرة خصوصاً خلال القرن العاشر على يد العلامة المجلسي وذلك من خلال شرح حوادث انتصار المهدي على السفياني في آخر الزمن وطريقة إرجاع حق آل البيت (الأغاني ج 12، المصدر السابق). (المجلسي، بحار الأنوار ج 13. دار الرضا، بيروت، لبنان. المكتبة الالكترونية International Archieve).

قراءة الاحداث بالتواريخ جدول رقم (11): من الممكن الاطلاع على مسيرة الأفكار وأسماء الشخصيات التي شاركت في الثقافات وصراعاتها خلال هذه الفترة.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
مقتل أبو سلمة الخلال	132	من مؤسسي الدولة العباسية
وفاة أبو العباس السفاح	135	أول خليفة عباسي
ثورة سنباد	137	ضد المنصور
مقتل أبو مسلم الخراساني	137	من اسقط الأمويين
ثورة ملبد بن حرمة الشيباني	138	ثورة الخوارج ضد المنصور
وفاة أبان بن تغلب بن رباح	141	راوية كبير
ثورة الخوارج الراوندية	141	ضد المنصور
ثورة عبد الجبار في خراسان	141	ضد المنصور
مقتل عاصم السدراتي	141	ثائر خارجي ليبيا
مقتل ابن المقفع الأديب الكبير	142	احرقه المنصور
مقتل ذو النفس الزكية محمد	145	قتله المنصور
بناء بغداد	145	بناها المنصور
وفاة إسماعيل بن الإمام الصادق	145	توفى في حياة أبيه
الدولة العباسية - الكوفة	147	بدايتها
وفاة عوانة بن الحكم	147	أول من أرّخ
مقتل الصادق الإمام	148	المنصور بالسم
مقتل حسان بن مجالد	148	ثورة الخوارج في الموصل
وفاة ابن جريج الرومي	150	أول من صنف الأحاديث في مكة
وفاة أبو حمزة الثمالي	150	صاحب الدعاء
مقتل أبو حنيفة	150	أول إمام للسنة
ثورة كافر خراسان	150	على المنصور
وفاة زرارة ابن أعين	150	يوناني، متخصص في الفقه

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة ابن إسحاق المؤرخ الكبير	151	أول من كتب التأريخ
مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن باخمرا	154	قتله الهادي
وفاة مؤمن الطاق	155	النعمان بن الأعور
وفاة الاوزاعي	156	إمام الحديث
وفاة أبي مخنف	157	مؤرخ مشهور
وفاة أبو جعفر المنصور	158	الخليفة
ثورة المقفع	159	في خراسان
ثورة يوسف بن إبراهيم البرم	160	ضد المهدي
وفاة سفيان الثوري	161	راوية مشهور
دولة الأغالبة بدايتها	162	سنية المذهب تونس
مقتل بشار بن برد	168	قتلوه بالسياط
وفاة المهدي ابن المنصور	169	الخليفة الثالث
مقتل، الحسين العابد	169	ثورة فخ
خلع عيسى بن موسى	169	عم المنصور
اغتيال موسى الهادي الخليفة	170	رابع خليفة عباسي
مقتل إدريس بن عبد الله بن عيسى	172	مؤسس الأدارسة
وفاة الخليل الفراهيدي اللغوي	175	فارسي الأصل
وفاة الليث بن سعد	175	راوية ثقة
مقتل يحيى بن عبد الله المحض صاحب الديلم	175	مات في حبس الرشيد
وفاة مالك بن انس	179	توفي قبره في المدينة
وفاة أبو يوسف	181	قاضي القضاة قبره في بغداد
مقتل الكاظم الإمام	183	قتله الرشيد بالسجن
وفاة هارون الرشيد	193	توفي بطوس

جدول رقم (١١)

الحقبة الثانية عشر: العصر العباسي الثاني (المأمون 195/813 م – المعتمد 260/892 م)

بالتأكيد لم تكن الصراعات التي دارت في الحقبة المنصرمة العباسيّة منذ التأسيس وإلى حين ابتداء عصر المأمون ذو طابع طائفي كما نتصور وكما يعتقد البعض من كلي الفريقين السنة والشيعة، فهم أي الطرفان قد قادتهم الطرق المٌبرمجة غير الصحية إلى نتائج غير صحيحة (Misleading). . . .

فأسس كلّ مشروع فكري أو علمي أو بحثي يعتمد على نوعيّة المنهج في طريقة الوصول إلى النتائج. . . . فالاعتقاد المبدئي بأن الحرب هي حرب طائفيّة ما بين الأطراف المتنازعة هي التي تُفسد على الباحث استنطاق النتيجة الصحيحة، كمن يُعتقد بأن وجع الرأس (Headache) في المصاب بقرحة المعدة راجع إلى قلة وصول الدم إلى منطقة الرأس، فيبدأ الطبيب في إعطاء الدواء الخاص بذلك، مع أن الألم سينحسر وقتياً، ولكن العلة تبقى كما هي بسبب تشقّق جدران المعدة أو الإثنى عشري من جرّاء سوء استعمال الطعام أو لسبب وراثي أو لضغط نفسي.

فالكثير من التاريخيين في تصدّيهم لقضايا التأريخ افترضوا أن أسباب الصراع منبعه الانقسام الإسلامي وهي الفكرة (الطائفيّة)، ولكنهم بالأخير تمّ اصطدامهم بحقائق بعيدة عن الواقع وذلك لأننا في عملنا البحثي تطغى علينا فكرة الإحلال المُسبّق (Preoccupied) لأصل المشكلة[1]، وهنا يعني

(1) كمن يذهب إلى طبيب نفسي والى طبيب جراح وإلى طبيب أعشاب والى مُشعوذ لعلاج حالة مرضية ما، وبسبب انحيازه أو تشبّعه بالعلم الذي عاش في أكنافه يُفسر الحدث المرضي بالطريقة التي يفهمها أو التي ملأت عليه عقله وهذه الطريقة هي التي سميّتها الإحلال المسبّق =

بأنه لمن المهم أن ينظر الباحث إلى المشكلة بشكل شامل وأن يتحلّل بقدر الممكن من موضوع الأفكار المسبّقة التي دخلت في ذهنه بإرادته أو بعدمها. وهذا لا يمكن له أن يحدث باعتبار أن الإنسان عُبدٌ لفكره ولمعتقده ولكل ما يُحيطُ بالفكرة من أجواء ومن تشنجات وتفاعلات نفسيّة وعاطفيّة، خصوصاً إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه ذلك الإنسان ذو توجه أحادّي التفكير طائفي أو ديني أو فئوي أو ما إلى ذلك من أسماء للعامل الواحد الذي يتحكم بفكر الإنسان.

وهكذا كَتَب مؤرخونا وعلماؤنا الأفاضل (معظمهم) منهج رؤيتهم إلى الصراع الذي كان يدور في أزمان الدول فيما بعد وفاة الرسول إلى ذلك العامل وهو عامل (الطائفيّة). . . . . . . ومع أنني - وللحق أقول - بأن آراءهم لم تكن كلها لحدٍ ما مُجانبةٌ للخطأ، وإنّما هنالك الكثير منها كان يتحرك بالنَفَس الطائفي كما كان الكثير في ذات الوقت يتحرك بالنَفَس الذاتي الأناني، فنحن لا نَنفي توفّر العامل الطائفي، وربما بكل ثقله في مسيرة الصراع، ولكننا نؤكد على التنبّه إلى عدم اعتباره العامل الوحيد وراء مسيرة التأريخ في الدول التي نناقشها في هذا الكتاب. . . . . . .

فكل عوامل التأثير الثابتة والمتغيرة في دراسة مسيرة التأريخ هو ما نُطلق عليه مصطلح (الثقافة) التي هي السلوك وأسلوب الحياة وطريقة الاستجابات مع الحوادث الاجتماعية. . . وكلما تتشابه مظاهر الاستجابات لقضية معينة في العدد الأكبر من المجتمع كلما كان ذلك المجتمع هو أقرب

= للفكرة. . . . . بالتأكيد فرضية الإحلال المسبق ليس عملية خاطئة بكلياتها، ولكنها بالتأكيد ليست هي الآلة الوحيدة للبحث أصل المشكلة، فالمريض المُصاب بالقرحة المعديّة ليس من الخطأ أن نفترض فيه نقص الأوكسجين أو قلة وصول الغذاء إلى منطقة الرأس، وإنّما الخطأ الافتراض بأن ذلك هو السبب الوحيد للأوجاع التي تنتاب الإنسان المصاب بذلك الداء.

إلى الفكرة (الحضارية)، وبالعكس كلّما تنوعت وتعددت أنواع الاستجابات إلى تلك الظاهرة كلما كان ذلك المجتمع أو تلك الثقافة أقرب إلى التمزق في قالب حضارتها.

فالاستجابة الفردية عامل مهم جداً في تقرير حجم الثقافة ومدى تأثيرها في كيان المجتمع، مع أن هذه الثقافة في الغالب لا تبدو واضحة للعيان ولا تظهر على السطح إلى الآخرين وخصوصاً في توفّر عامل غياب الحرية الفردية والحرية السياسيّة والفكرية كما هو الحال في الدولة العباسيّة أو الدول التي سبقتها، وهذا ما أدّى إلى تحوّل أنظار المجتمع إلى فكرة غائمة تغيب فيها عوامل الربط التي يجتمع حولها أفراد ذلك المجتمع، كالمشتركات الاقتصادية أو الفكريّة أو العلمية. والتي من خلالها تتولّد حلقات المعرفة وحلقات الترابط الاجتماعي والفكري والوجداني.

فالمجتمع الإقتصادي أو الرأسمالي يعتمد في طريقة ترابطه على تناقل رأس المال بين أفراد المجتمع وحاجة كلّ منهم إلى الآخر بسبب آلية انتقال رأس المال من هذه الجهة إلى جهة أخرى..... ولذلك فقد تكون (الآلية السياسيّة) هي التي يميل إليها المجتمع اعتقاداً منه بأنها تملك وسائل تُحرّك رأس المال، وأن الفرد الاجتماعي لا بد له من إنشاء علاقة معينة مع تلك الجهة السياسيّة لكي يتمكن من إدامة معيشته بما تمليه عليه الظروف الحياتية وغيرها. وعندما تميل الكفّة إلى التكنولوجيا فإن المجتمع وأفراده يميلون إلى اكتشاف علاقة جديدة مع الجهة التي تمتلك تلك التكنولوجيا من أجل تدوير رأس المال والاستفادة من تلك الأفكار باتجاه تطوير الفرد مالياً واجتماعياً..... وهكذا تتغير العلاقات الاجتماعية تبعاً لواقع وشكل الروابط التي تخلقها الأفكار في ذلك المجتمع (الرأسمالي).

ولا غرو في القول بأن الفرد هو نتاج المجتمع، أو أنه تبرعم من

عوامل الربط التي تولّدها طرق المعيشة وشكلها. . . . . فالفرد في المجتمع العباسي كان لا يمتلك من عوامل الربط مع الآخرين إلّا من خلال ما تفرزه السلطة أو الحُكُم من تلك الوسائل كما يفرز المجتمع الرأسمالي عوامل التكنولوجيا وعوامل الصحافة وحريتها وعوامل إثارة الغرائز الماديّة وغيرها. . . . . . كذلك أفرزت الدول التي نشأت في العصور التي تلت موت النبي عوامل ربط محدودة جداً ليس للشعب أو للفرد العادي بل لكافة طبقات المجتمع من فرصة لإقامة تلك العلاقات التي تهمّ معيشة الإنسان ومصالحه، فلم تترك تلك الدول للمواطن المسلم من خيار غير خيار السلطة في نوعيّة العلاقات التي تصب أخيراً في استمرار توجيه فكر المواطن نحو هدف السلطة ومبدئها.

يواجه الفرد المواطن هنا علاقتين مهمتين في طبيعة بحثه عن علاقات المنفعة وهما فلسفة (العدو الداخلي) وفلسفة (العدو الخارجي)، وكلتا العلاقتين لهما تبعاتهما في تشكيل ثقافة الإنسان كما تخلُق التكنولوجيا ثقافتها في تصرفات وعلاقات الفرد. . . . . فالعدو الداخلي معناه فُقدان امتيازات الفرد في الدولة مهما كانت قليلة أو معدومة، لأن الفرد لا يمكن له أن يُدرك حجم مردوداته من الدولة أو المجتمع إلّا بتلمّس المجتمعات الأخرى التي نالت قُدُرات من تلك المردودات[1]، ولكنه يبقى في اعتقاده بأن العدو الداخلي هو خطر عليه، حتى وإن كانت الدولة بالنسبة

(1) استغربت الجاليات العربية التي هاجرت إلى الغرب أن تكتشف بأن الفرد ومن ضمنها هو، له من الامتيازات الكبرى المشابهة للمواطن الغربي، بل أكثر أحياناً، منها التزام الدولة بكامل معيشته مع أولاده وزوجته وبكل جوانبها، حمايته من غضبة القانون الغربي الذي خرقه هو من خلال تعيين محامي له لكي يدافع عنه وهو المُعيل، هذا بالإضافة إلى حمايته من الأمراض ومن كلّ ما يخص حياته مع عائلته.

له عادلة. وهذا معناه أن تتوجه ثقافة الفرد إلى الدخول في صراع أو مناوشة مع ذلك العدو من خلال القوة أو الفكر أو الدعاية أو كلّ ما يمكن له أن يُخفّف من وطأة السلطة سواء أكانت حقيقية أم وهمية، بل ربما من خلال الوسائل السياسيّة أو منظمات المجتمع المدني أو البرلمان أو الأحزاب وغيرها.....

أما الخارجي فهي فكرة (محاربة الآخر) بطريقة ترتبط بموضوع فلسفي أو تشريعي والتي سُميّت أحياناً (بالغزوات) التي أشاعها المجتمع منذ عصور الخلافة الراشدة والى حين أن سقطت الدول التي تحكم باسم الإسلام...... فقد تحوّلت فكرة محاربة الآخرين إلى مفهوم أساسي من واجبات المواطن المسلم، وانعدام المبادرة إلى الغزو يعني الغزو المتبادل من قبل الطرف الأقوى من الدول المحيطة، وهذا العامل خلق ثقافة متأصّلة ومتجذّرة في اعتبار الآخرين أعداء سواء أكانت تلك المجتمعات مُسالمة أم غير مسالمة، إسلامية كانت أم كافرة.. فالغزو تحوّل إلى نوع من العلاقة (النفعيّة) مشابهة للعلاقات (التكنولوجيّة) في المجتمع الديمقراطي يسعى إليه الفرد باعتباره مورد للرزق والغنيمة والثراء في جو كان العبيد والإماء يلعبون دور كبير في تكوين شخصية الفرد وفي تكامل متطلبات حياته.

فلقد كان العباسيون مهتمين في غزو الشعوب البيضاء التي كانت آنذاك تحت قوة الدولتين المسيحيّتين بعد أن فقدت أفريقيا السوداء من سيطرتهما، وبعد أن صار العبد أو الأمّة السوداء موجودة ومتوفرة في كلّ سوق من أسواق النخاسة في طول وعرض البلاد، بل في كلّ بيت من بيوت المسلمين، فمن يحتاج إلى المزيد من العبيد أو الإماء ما عليه إما أن يشتري ما يشتهي أو أن يستعين بعصابات متمرسة لسرقة العبيد من زنجبار وتنجانيقا (تنزانيا) الآن شرق أفريقيا وجلبهم بأسعار زهيدة.... أما النخاسة

البيضاء فهي من الأمور التي يَسيل لها لُعاب الشرقيين من المسلمين العرب، فكانوا يندفعون بشكل كبير في الالتحاق بتلك الغزوات التي تقوم بها الدولة باسم الإسلام في نشر مبادئه إلى أمم الأرض الأخرى أملاً في الحصول على المزيد من الجواري أو العبيد البيض الذين يتوقع أن تكون أنسالهم ذو سُحنات غير ملوّنة يفتخر بها أمام أفراد المجتمع الآخرين.

الغرابة التي نواجهها في تقييم تلك الغزوات من قبل كلّ المؤرخين الإسلاميين هو الفخر والتفاخر بما حقّقه المجتمع العباسي في تلك العمليات والتي يراها بأنها نوع من حماية الإسلام وحماية الإنسان كما يُعبّرون عنها. . . . .

وهكذا توجّهت الشعوب العربية والشرقية في العصر السابق وفي الفترة ما بعد عصر الرشيد إلى غزو البلدان التي كانت تُحاذي الدولة الإسلاميّة في كلّ بقاعها، فازداد أولئك العبيد من الملونين وغير الملونين، وكان أقرب فئة إلى العرب هي تركيا التي كانت تُسمّى أرض الروم، فازداد الأتراك الذين تحولوا ليس فقط إلى عبيد، بل أن الخلفاء وقادة الدولة والعسكريين والوزراء قد اقترنوا بتلك الفئات البيضاء إما كزوجة أو مُلُك يمين، أو أم ولد أو غيرها، فتمكنت تلك الخليلات من أن يفرضنّ وجودهنّ بطريقة أو بأخرى على الدولة وعلى مسيرة سياستها. . . . وقد توسعت تلك الحالة وبصورة رسميّة في زمن المعتصم بعد أن تحوّل الأتراك إلى قوة كبرى تتحكم بالجيش الذي تحوّل إلى مؤسسة ضخمة منفصلة عن مؤسسة الدولة.

كان زمن المأمون[1] زمناً خاصاً في مسيرة الدولة العباسيّة لما تمتلك

(1) المأمون شخصية شيعية الثقافة وربما المذهب، مُعتزلي العقيدة، والذي يبدو بأن انتمائه إلى الاعتزال هي مرحلة وسطية في انتقاله إلى التشيّع كما هو موقف ديكارت (ت 1650) من موضوع فلسفة الشك العقلي. وقد تربّى المأمون في الوسط الخراساني ذو النظرة العلميّة =

هذه الشخصية من قُدرات استثنائية في طريقة نظرتها إلى مستقبل الثقافة العباسية، فقد أدرك الرجل بأن ثقافة أجداده العباسيين في طريقها إلى الانهيار والتمزق في الوقت الذي لم يمتلك العالم كله من قدرة سياسية في التحكم بمسيرة هذه الدولة العملاقة المترامية الأطراف......

فالدولتان الكبيرتان المسيحيتان وبقيّة الحضارات لم يكن لها من قدرة على تغيير واقع ثقافة الدولة العباسيّة لما تمتلكه هذه الدولة من أسلوب وحشي في التعامل مع الشعب ومع الأفكار الأخرى، فقد اطلع المأمون على ثقافات الأمم الأخرى وهي الفارسية والبيزنطينية واليونانية فوجد آثارهما المادية والعمرانية غزيرة جداً وعميقة إلى الدرجة التي شعر بأن واقع دولته يعيش في قعر الحضارة وفي خارج زمن الإنسان..... فكان عليه أن يعمل ما يراه مناسباً في طريق بناء حضارة جديدة قوية تعتمد على قدرات حرية الإنسان وعلى فكرة التعاون مع الأمم المجاورة لا مواجهتها....

فكان أول ما أقدم عليه هو إجراء لم يتمكن أن يقدم عليه حاكم في تأريخ أمة بدويّة عربية هو التنازل عن الحكم، مع أن الرواية التي تُروى بأنه كان قد نذر في أنه لو تمكن من دحر أخيه الأمين فانه سوف يتنازل في الحُكُم إلى أشرف شخصية على الأرض وكانت تلك الشخصية إمام الثقافة الشيعيّة (علي الرضا) الإمام الثامن لدى الشيعة[1]، وهو كما رأينا المحاولة

= والتعدد المذهبي والفكري مما أكسبه قُدرة علميّة وانفتاح كبير في النظرة إلى مستقبل الدولة العباسيّة بما يتعلق باستمراريتها ودستورها. فكان أول ما قام به هو الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى التي كانت محضورة في العصور السالفة. أنظر الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Al-Ma%27mun.

(1) هذه الرواية ذاتها أو ما يشبهها تجدها في أساطير كثيرة ولكن أقربها هو نذر قسطنطين بأنه سوف يعتنق المسيحية إذا تمكن من القضاء على أخيه ليسينيوس، ولكن الأول تمكن من أخيه وقتله في عام 324 ق.م. فأسس القسطنطينية ثم أقر المسيحية كديانة رسمية للمملكة.
http//:en.wikipedia.org/wiki/Helena_(empress).

الثالثة أو الرابعة التي تواجه هذا النوع من التحدي في استلام الحُكُم[1] والتي رفضتها لا اجتهاداً منها ولكنه موقف مبدئي لا يتناسب مع نوعيّة الرسالة التي يحملها مثقفي التشيّع في النظر إلى موقع الحاكميّة أو موقع السلطة. . . ولكن المأمون هدّد الرضا فاضطر القبول بولاية العهد مع علمه بأن ذلك سوف لن يتم وأن مقتله سيكون هنا وعلى أعتاب هذه الخطة.

بالضبط ماذا كان المأمون يرمي من خطته تلك في الوقت الذي امتلكت هذه الشخصية الدولة وهي في أوج قوتها وليس ضعفها. . .؟ لا أحد يعلم بالضبط الدوافع الخفيّة، أو غير الخفية التي دفعت بالمأمون إلى تبني هذا الموقف، ولكن بالتتبّع لتأريخ المأمون يمكننا أن نلتقط بعض النقاط التي تقودنا إلى القول بأن ثقافة المأمون هي ثقافة شيعية، وكان يأمل لدولة بني العباس أن يُغنيها بقدرات آل البيت من ناحية الشرعيّة الحاكمة، في الوقت الذي كان يريد لهذه الخطوة أن تكون مُنعطفاً في تغيير سياسة الدولة نحو تبني فكر جديد ومسيرة جديدة كما صنع قسطنطين في تأسيسه لأكبر إمبراطورية مقدسة وهي البيزنطينية بعد أن تبنى المسيحية[2]. . . . . .

فقد كان المأمون يعتقد بقدرة العقل وقدرة الإنسان على صنع حياته، بل كان ينظر إلى الجانب الروائي المجرد وخصوصاً بعد أن انقطع زمن التوثيق لمائة وخمسين سنة من الزمن بأنه لم يعد دقيقاً إلى الدرجة التي من الممكن أن يتم الاعتماد عليها كتشريع لدولة عالمية. . . . . . ولذلك اعتمد المرحلة الوسطيّة التي غالباً ما يتّبعها المتفقهون بعد اكتشافهم ضعف السند

(1) معاوية الثاني عام 64، عمر بن عبد العزيز عام 100، أبو سلمة الخلال 133، المأمون عام 193.

(2) هنالك من الروايات تُقرّ بأنه كان يخفي مسيحيته بعد أن عمّدته أمه (هيلانة) وبقي على إخفاء دينه إلى أن قوي بالصورة التي تُمكنه من أن يُظهر انتمائه العقيدي.

إلى إتباع جانب العقل، وهو مذهب المعتزلة فانتمى إلى فكرهم بدلاً من أن ينتقل إلى مرحلة متقدمة في إعلان تشيّعه الثقافي وربما المذهبي، والذي كان في ذلك الوقت كمن يعلن كفره أو مروقه عن المجموع.

وبدأ كما كان يرى في تصفية جيوب الرواة التاريخيين غير العقليين من خلال مقولة (خلق القرآن) وتوجيه الدولة إلى استعمال منطق العقل ومنطق النقاش وهو مبدأ المعتزلة المعروف....... ومع أن التوجّه العقلي المعتزلي لا يمكن الاعتراض عليه فيما يتعلق بأهميته لمسيرة الدولة، ولكن الوسيلة كانت غير عقليّة من خلال الفرض ومن خلال الإكراه والتي انعكست بالتالي على كيان الدولة وعلى العلاقة مع ولي عهده الذي أدّى به أن يقتله بالسم في سنة 203 بعد أن ضاق به ذرعاً بسبب التناقض الذي عاشه الخليفة في داخل نفسه ما بين شرعيّة الخلافة وبين الضغط العباسي عليه في استمرار بقاءه فيما بينهم....

راهن المأمون على فكرة تطوير الدولة العباسيّة علميّاً باعتقاده في أن حكم العلم سيكون كافياً بتغيير المجتمع ورفع قدراته من الواقع البدوي السلطوي إلى الواقع الذي يتفهم أبعاد الحضارات شأنه في ذلك كشأن واقع المسيرة الأثينيّة اليونانية في قدراتها التي انطلقت من فلسفة ومفاهيم الحُكُم والديمقراطية فبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام الترجمة وأمام كل من له القدرة على خوض هذا المضمار وكانت علاقته القريبة مع خراسان كعاصمة ثانية له قد أكسبته الكثير من البعد العلمي والسياسي بعد أن أحاط نفسه بشخصيات سياسية ولكنها علمية فقهية يُعترف بها كما هو الطاهر بن الحسين الذي كان الشخصية التي تعتبر الوزير الأول له والذي لعب هو وأولاده دوراً كبيرا في تأسيس الدولة وكذلك الفضل بن سهل (في البداية) وهؤلاء كانوا شيعيو الانتماء مذهباً ذو توجه ثقافي سني، أما جعفر البرمكي

والبرامكة[1] فكانوا بالعكس ذو توجه ثقافي شيعي بمذهب سني ولذلك تخلص منهم داهية العباسيين الرشيد، مع أن هنالك الكثير من الأخبار تؤكد بأن لعبة ولاية العهد هي لامتصاص النقمة بعد أن اشتعلت ثورات شيعية كبرى في زمن المأمون وأهمها هي ثورة محمد إبراهيم طباطبا (ت 199) وأبو السرايا[2].

وبموت المأمون كانت الدولة العباسيّة كدولة قد بدأت تسري بها ربما أولى علائم الموت تدبّ في أوصالها وهي صفات الحضارات التي لا يمكن التنبه لها بصورة مجردة بدون معرفة تأريخ الحضارات المقارنة الأخرى، مع أننا لا نرى ولا نُقرّ بوجود حضارة عباسية بل نرى بوجود (مجتمع عباسي) شأنه كشأن المجتمعات الأخرى التي تُقام في طول وعرض العالم. فآثار الانهيار تبدو في كلّ حضارة أو في كلّ مجتمع والتي من الممكن تسجيل مظاهرها بالتالي:

- توسيع الرقعة الجغرافية لها (الانتفاخ).
- انتقال وسيطرة الأقلية من خارج ذلك المجتمع على الحكم.
- تخلي المجتمع عن تبني فلسفة إدارة الحكم.
- الاعتماد على القوة والجيش في التحكم بمسيرة الحضارة.

---

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Barmakids.

(2) كان إبراهيم طباطبا من علماء الزيديّة ومن كبار المحدثين خرج في ثورة شعبية بعد أن وجد امرأة عجوز في الكوفة تستجدي الناس فبكى بكاءاً شديداً فقال لها أنت وأمثالك سيدفعونني غداً أن أخرج لسفك دمي. . . . قُتل هو وقائده أبو السرايا في الكوفة بعد أن امتدت ثورته وشملت كل البلدان الإسلامية. الإمام يحيى مؤسس الإمامة في اليمن هو أحد أحفاده. راجع في ذلك (الملل والنحل، للشهرستاني مجلد 7، المصدر السابق). وكذلك كتاب: (مقاتل الطالبيين للأصفهاني، ص 361، المصدر السابق).

■ التغيّر الجغرافي في عاصمة الحكم.

في هذا الوقت من الحُكُم العباسي لم يعد هنالك من إطار أو جامع بل تحوّلت إلى دولة مشتتة تحكمها في معظم الأحيان إما حكومة محليّة أو من خلال قدرات الجيش التي بدأت في التوسع على حساب تشكيلة الدولة..... وهنا لا يمكن لنا أن نغفل ما للقوة العسكرية خصوصاً إذا كانت منتظمة من تأثير على عوامل انهيار الحضارة أو التشكيلة الإدارية للدولة.

أما الثقافة الشيعيّة فكانت تتسم في تلك الفترة ب:

- قتل بقيّة أئمة آل البيت الرضا علي بالسم على يد المأمون في عام 203، والجواد محمد على يد المعتصم بالسم في عام 220، والهادي علي بالسم في سنة 254 على يد المعتز، والعسكري محمد بالسم على يد المعتمد سنة 260. وانتهاء عصر المعصومين الإثنى عشر.
- ظهور ثلاثة من أئمة أهل الحديث الأربعة مالك بن أنس، الشافعي، أحمد بن حنبل وكلهم يعودون في سندهم إلى (فقه) الشيعة ضمناً وليس ثوثيقاً.
- ظهور عدد غزير من الرواة الشيعة مع نشر كتبهم بين العامة[1] واكتمال النص التشريعي النقلي بوفاة العسكري.
- بداية عصر المهدوية وفلسفتها وأدبياتها.
- غياب المهدي المنتظر وبداية ما يسمى عصر الغيبة الصغرى سبعين سنة.

(1) المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية، جواد علي. المصدر السابق.

- تقوية الجانب الشيعي الثوري (الإسماعيلية) على حساب الشيعي الفكري (الإثنى عشري). في مدن العالم.
- ظهور حركات باطنية متطرفة تبرعمت من فكرة المهدوية (الجديدة) في المجتمع الإسلامي، كما ظهرت شخصيات ادعت ارتباطها بالسماء بطريقة أو بأخرى.
- ظهور دول شيعية كثيرة في العالم تدعي انتسابها إلى آل البيت بعضها كبيرة وبعضها محلية.

ولكن السؤال الكبير الذي يجب أن نسأله هو: هل أن الثقافة العباسيّة كانت هي ذاتها ثقافة للتسنن أو أن التسنّن وثقافته أرفع من أن توصم بهذا النوع من السلوك...؟ وللجواب على السؤال لم نر أن هنالك من اعترض أو ناقش واقع الثقافة العباسيّة أو تبرأ منها من أعمدة الثقافة السُنيّة كما عملت ثقافة التشيّع عندما انفصلت منذ أمد بعيد عن سياسة (مدرسة الخلافة) كمسيرة إدارية وعن فكر (السلطة) كمذهب عملي......

فالمدرسة السُنيّة (الفكرية) لازالت والى القرن الواحد والعشرين ترى بأن العباسيين هم من يُمثل ثقافة التسنّن وأن مدرسة (الخلافة) هو القانون الذي تبنته كامتداد لمدرستي الراشدين ومدرسة الأمويين...... وهنا تحمّلت المدرسة الأخيرة وزر سلوك الدولة العباسيّة وثقافتها بشخوصها وأعبائها وطريقة تعاملها مع أحداث التأريخ بما فيها من مثالب ومشاكل.

وحسبي اعتقادا بأن ذلك هو تجني على تلك المدرسة (السنية) خصوصاً إذا عشنا للحظات مع الكثير من مفردات وأدبيات تلك المدرسة التي كانت ركيزة كبرى ومهمة من ركائز المسيرة الإسلاميّة الناصعة، ولكن مما يفسر ذلك الارتباط هو (التسنّن الثقافي السياسي) الذي فرض نفسه على

ساحة العمل وعلى كامل تلك المدرسة في الوقت الذي تمّ فصل ذلك الرابط (السياسي) في ثقافة التشيع، وهو أمر جوهري جداً في مسيرة كلتي الثقافتين.

وقد يمكننا أن نُشبّه الأمر بما حصل في زمن العصور الوسطى من سيطرة البابا على السلطتين الدينيّة والدنيوية في العالم باعتباره ممثل السماء على الأرض في امتلاكه لكامل أرواح البشر وممتلكات الوجود.....

وهذا المنطوق هو ذاته الذي تسرب إلى الفكر السني من خلال فقه (مدرسة الخلافة) التي سنّها الراشدون وخصوصاً الخليفة الفاروق الذي كان يرى في المسار (السياسي) حلقة لا يمكن فصلها عن مسيرة الفكر (الديني)، بل أنه تابع إلى ما تُقرّره أساليب السيطرة والقوة ومفاهيم الدولة...... فسارت (المدرسة) السُنيّة بذلك المفهوم تماماً كما كان البابا في العصور الوسطى في تحكّمه في الدولة إلى أن انتفض الشعب بثورات مثيرة وانتفاضات وصراعات وتمكّن أخيراً من أن يفصل الفكر الديني عن الفكر السياسي كلياً، وكذلك إزاحته إلى محيط آخر ليجعل له من كيانه الدنيوي (المادي) مساحة (0.44) كم مربع فقط[1]، بعد أن كان يمتلك كلّ العالم، بينما سمحت له الظروف بامتلاكه بالمقابل أفكار (الدين) وقلوب (عاطفة) كلّ العالم المسيحي بملياراته......

---

(1) تبلغ مساحة الفاتيكان 0.44 كم مربع ويقارب عدد سكانها 800 نسمة فقط وتعتبر بالتالي أصغر دولة في العالم من حيث عدد السكان أيضًا، وبالرغم كونها أصغر دول العالم سكانًا ومساحةً فهي تستقي دورها وأهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم والتي يربو عدد أتباعها على 1.147 مليار نسمة، كذلك من كونها تُحفظ في متاحفها وأرشيفها مجموعة من أرقى المنتوجات الفنيّة للجنس البشري على مر العصور، فضلاً عن القضايا السلميّة والأخلاقية التي تدافع عنها. أنظر في تفاصيل ذلك الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Vatican_City.

بالتأكيد لم يكن ذلك قد تمّ تحقيقه اعتباطاً، وإنّما جاء بعد مذابح كبرى ومعاناة هائلة ارتكبت فيه أبشع أنواع الظلم والقتل والتهجير إلى أن تفتق عقل العالم المسيحي على صيغة كما هي الآن، صيغة احترام الدين بما هو تخصصه، وترك أمر الدنيا وصراعاتها واتجاهات البشر إلى ذات الفرد الذي قد يخطئ وقد يصيب.

قدرة ثقافة التسنّن ودورها: كان المتحكم بمسيرة الثقافة السُنيّة في العصر العباسي هم الطبقة الدينيّة التي تُشرّع والتي تضع التعاليم الدينيّة والتعاليم الفكريّة وأفكار الغزو إلى الأمّة، والتي تُعتبر بالنسبة إلى السلطة السياسيّة الذراع المهم في استمرار الدولة وانصياع الناس لها، فهؤلاء عبارة عن طبقة موجودة في كلّ دولة وكلّ مجتمع، وهم طبقة القساوسة في العالم المسيحي وطبقة المؤسسات الدينيّة التي لا ترى لها من موقع إلا أن تكون في قلب صنع قرارات الدولة وتبرير الشرعيّة ومنع المجتمع من أن يفكر بغير اتجاهات الدولة وربط هذا الفكر بالفكر العلوي الديني.

فقد كان الحكام كلهم منذ الدولة الراشدية والى هذا الحد من الدولة العباسيّة يعيشون على بركات هذه الفئة وعلى نوعية الأحكام التي تُشرّع وتُكتب لإضفاء الشرعيّة على الحُكُم وعلى الخليفة...... فكانت التشكيلات الدينيّة مهمة جداً بل أن القضاة والمفتين والعلماء وأئمة الجمعة وكُتّاب ومدوني التواريخ وكتبة الروايات والمتفقهين والمتكلمين وغيرهم ممن يمكن أن تشمله عباءة التقديس كان لهم دور ضخم وكبير في حاشية السلطان....... وهؤلاء هم الذين كانوا يملكون مفاتيح التغيير فيما لو أرادوا أن يُغيّروا من واقع المجتمع والأمة على شرط أن تجتمع كلماتهم مع استحالتها.

فلقد حاول خلفاء بني العباس وحتى من بني أمية أن يُزعّموا

الشخصيات الشيعيّة على هذه المؤسسة الدينية، فقد كان المنصور (ت 150) أول شيء بادر إليه هو الطلب من الصادق (ت 148) أن يتخذ هذا الدور باعتباره أولاً هاشمي كما هو المنصور، وثانياً معادي للثقافة الأمويّة التي قتلت أجداده وبقيّة الشخصيات الشيعية، ولكن الصادق لم يكن يعيش ذات الهم الذي يعيشه المنصور، وإنّما كانت مهمته الكبرى هو الإمامة التي ينحصر دورها في تغيير المجتمع على ضوء المعادلة الثلاثية الربانية (ثقافة التشيع)، ولذلك قتله. . . . . وهذا ما نراه في كلّ قادة مدرسة ثقافة التشيّع سواء أكانت تلك القيادة سُنيّة المذهب (أبو حنيفة) أو شيعية المذهب (الصادق). . . . . انظر مقاتل الطالبيين وعدد من قتلهم المنصور والعباسيين أثناء فترة حكمهم.

فعندما يراد قتل شخصية من الشخصيات السُنيّة (المذهب) فان أبسط ما يمكن تبرير قتله أو ملاحقته هو انتماؤه إلى ثقافة التشيّع كما هي قضايا كثيرة منهم محمد ابن إسحاق (ت 151) أو أبو حنيفة ذاته (ت 150). ونصر بن عَلِيّ الجهضمي (ت 250)[1].

فليس هنالك من تحديد للانتماء المذهبي في تبني مسيرة أي من الثقافتين فقد وجدنا الكثير من الخلفاء والذين هم من المفترض أن يكون الفكر السُني قد ضرب بأطنابه في تفكيرهم ولكنهم كانوا أقرب إلى ثقافة التشيّع منه إلى ثقافة التسنن.

وعجبا لم نر منذ تأريخ بعيد من رواة ومحدثي (ثقافة) أو (مذهب)

---

(1) كَانَ من كبار الأعلام، وقَالَ النسائي، وابن خراش: ثقة، وقَالَ عبد الله بن مُحَمَّد الفرهياني: نصر عندي من نبلاء الناس. انظر ترجمته سير أعلام النبلاء، ج12، ص135. المصدر السابق وكذلك تجده على الموقع:
http//:library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom =2176&idto=2176&bk_no=60&ID=2038.

التسنّن أن بادر إلى تفسير ظواهر يعجز العقل عن إدراكها أو على الأقل التحلل منها، كما لم نر من مبرر للثقافة السُنيّة أن تتبنى مسيرة خلفاء بنو أمية أو بنو العباس واعتبارهم ممثلين لتلك الثقافة وفي اعتبارهم مسيرة متناسقة مع مبادئ ثقافة أو مذهب التسنن. . . .

فليس من المعقول أن نجد أو نعتقد بخليفة له أكثر من مائة من الخصيان[1] وبقدرهم من السراري وأحمال الأطنان من الذهب وهو لازال يمثل ثقافة مهمة مثل ثقافة التسنن. . . . . . فقد نجد الغرابة في الكتب الرصينة للثقافة السُنيّة مثل صحيح البخاري (ت 256)[2] الذي كان معاصراً

(1) راجع ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس: تأريخ مختصر الدول ص242. تحقيق خليل منصور. الدار العلميّة، بيروت، 1997. الخصيان (Hermophrodit) عبارة عن طبقة من الغلمان حسني الوجوه يتم اختيارهم غالباً من أولاد السبي ثم يتم إزالة الخصية (Testacles) بعملية تُسمّى (Casteration) إخصاء فتظهر في أجسامهم مظاهر الأنوثة لحد ما مع افتقادهم للميل الجنسي إلى معاقرة الإناث وخصوصاً نساء الخليفة بسبب إفتقادهم لهرمون الذكورة (Testosterone) وهي مظاهر تدفع بعض الرجال ذو الميل المختلط (Bi-sexual) إلى الإثارة الكبيرة لأن ذلك المسخ يحمل صفات الجنسين الذكر والأنثى. . . . . وقد نجد أن تلك الحالة قد تمّ استعمالها الآن في الغرب في عملية تحويل (Trans-sexual) للبعض من الجنسين وخصوصاً الذكر إلى الأنثى. وقد احتل الخصيان في التأريخ الإسلامي دوراً رئيسياً في تسيير شؤون الدولة فيما يتعلق بقرارات الحرب وقرارات السلم وغيرها. . . . . . و لقد وصل في دولة من الدول أحد الخصيان أن يحتل الدرجة الثالثة بعد الخليفة والصدر الأعظم، (الكسلاز أغاسي) في زمن مراد الرابع، ويرى بن عبد الرب في (الاستيعاب) أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من جاء بفكرة الخصيان إلى الحُكُم في الإسلام. أنظر للاستزادة الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Eunuch.

(2) وكان معاصرا للمتوكل، الكتاب ربما الأول لمواد تلك الثقافة، وجه الاستغراب هو إهماله في الرواية عن الصادق إمام ربما كلّ المذاهب، وليس فقط الإمامي، مع أن الفترة الزمنية كانت قصيرة بينهما وكان يسكن في المدينة أيضاً. في الوقت الذي روى لتلاميذ الصادق. . . . . هذا في الواقع لا نعتبره نحن من المنظار الثقافي إهمال، وإنّما هو حدث ثقافي مهم يُعطي مؤشراً =

للمتوكل، الكتاب ربما الأول في الاعتبار لمواد تلك الثقافة التي لا تروي عن الصادق (ت 148) أي حديث.

تميز عصر المأمون بانتشار (لقيّم) ثقافة التشيّع مثل طلب المعرفة ثم التوثيق ثم العالميّة (Globalization) في تنوّع المعرفة بين أمم الأرض كافة ثم التغيير السلمي في التعامل مع المجتمعات وهذا الجو هو الجو الطبيعي لنمو المعارف والمعرفة خصوصاً بعد أن تحولت الدولة إلى دولة (أمميّة) اختلطت فيها قدرات الأمم وخصوصاً الأمم الفارسية التي كانت تحمل قدرات المعرفة.

بعد موت المأمون خلفه المعتصم وهو شخصية مناقضة للمأمون في الكثير من الصفات خال من العلميّة ميّالاً إلى العنف (يقال بأنه أميّ) فاتخذ له طريقاً مناقضاً لطريق أخيه المأمون في اعتماده على شعب بدوي في تسيير أمور الدولة أي بعبارة أصح بأن الثقافة البدوية التركيّة وجدت ضالتها في واقع تركيبة عقلية المعتصم (أمه ماردة تركيّة من مولدات الكوفة) الذي كان يكره العرب ويلحق بذلك الكره ثقافة التشيّع وآل البيت.

فليس لنا من الصعب أن نُميّز الانعطاف التاريخي في زمن المعتصم في

= كبيراً على الانفعال في التعامل مع الثقافة الشيعيّة بطريقة بعيدة عن منطق البحث والعلم، حيث كان يتوجب على الباحث مثل البخاري أن يكون محايداً جداً في طريقة التوصل إلى الحقائق، وهذا هو الشيء الأساسي الذي ترك بصمات شك كبيرة على تراث التسنن، مع الإشارة إلى أن البخاري كان يروي لأناس خوارج مثل عمران بن حطان البصري وغيرهم من الذين لا يجمعهم مع ثقافة التسنّن إلاّ الموقف المتطرف من ثقافة التشيع. (انظر: ترجمته سيّر أعلام النبلاء للذهبي، ج 4، ص215، المصدر السابق). . . . نحن بالتأكيد لا نغفل وجود سبب من قبل البخاري لذلك الموقف ولكننا في ذات الوقت لا نجد في التعامل مع سيرة وعلم أي سبب في الانحياز إلى أي طرف سواء أكان ذلك السبب سياسياً أو اجتماعياً أو شخصياً. أنظر ترجمته على الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_al-Bukhari.

بداية الغزو التركي إلى البلدان الإسلاميّة وهي الثقافة المناقضة لثقافة الفرس في المعرفة، فلئن كان الفرس ذو قطرات علمية، فإن الأتراك على النقيض منهم في قدراتهم العسكرية والقتالية، في هذا الوقت بالذات كان هنالك سجال كبير يجري خارج أروقة الخلافة وهو انتشار تيار السلفيّة التي يقودها ابن حنبل ضد التحلل الأخلاقي الذي أشاعة المعتصم في المجتمع البغدادي[1] وهي ظاهرة رد الفعل التي يقوم بها المجتمع في أزمنة التناقض الثقافي كنوع من حفظ تراث الدين أو الثقافة الدينية ولكن بأسلوب ليس بالضرورة أن يكون علاج لحالة الانعطاف الفكري، بل مجرد رد فعل غير محسوب أحياناً كما هو العنف الذي رافق الثقافة الشيعيّة ما بعد مقتل الحسين ولقرن ونصف تقريباً.

خلف المعتصم (ت 227) الواثق (ت 232) بعده المتوكل (ت 247) (أمه تركية أم ولد) الذي يُعتبر عصره هو البداية الفعليّة لعملقة هيكل (ثقافة التسنن) وتدهور (ثقافة التشيع) بل أن الأمر قد أخذ صورة التنافس الفعلي ما بين الثقافتين في ظل تقهقر واضح للثقافة الأخيرة على مستوى القدرات الاجتماعية وقدرات العلاقة مع السلطة، وهو سجال طبيعي لصراع الثقافات في ظل عوامل القدرة التي تمتلكها كلا الثقافتين المتصارعتين.

المتوكل شافعي المذهب (أول خليفة يعتنق هذا المذهب) دموي الشخصية قتله الأتراك بعد أن داسوا خصيتاه.

فالثقافات في زمن الدولة العباسيّة كانت رهينة بدمويّة الحاكم لما له من

---

(1) في بعض الروايات كان المعتصم شاذ جنسياً وكان لا يرى في الشذوذ من طريقة خاطئة في تحقيق رغبات الإنسان، وكان كذلك له غلام مقرّب يقال له (عجيب) قد هام عشقاً به (السيوطي في تاريخ الخلفاء/ 364، المصدر السابق).

قدرة على إبادة المعارضين لثقافة الحكم. في زمن المتوكل تم إخراج البخاري[1] لصحيحه وذلك في عام 232 هجرية وعمره آنذاك هو 38 سنة حيث أهداه إلى المتوكل وهي أول محاولة تعتمل فيها السياسة بعملية (التوثيق) الروائية، فخرج الصحيح بطريقة (صحيحة سياسيّة) وهي تماماً ما يتوافق مع مسيرة (ثقافة التسنن) التي تتناغم مع (مدرسة الخلافة) في تقرير أهمية السلطة السياسيّة إلى الدين.

في نفس الفترة تمّ إخراج كتاب صحيح مسلم (45 كتاباً، جمع فيه 3033 حديثاُ) وهو العمل الآخر المتين لثقافة التسنن والذي تمكّن المؤلف في ذلك الكتاب من أن يُحوّل تلك الثقافة إلى ثقافة تنتهجها السلطات والمجتمعات بشكل علمي مبرمج لتكملة البخاري في مسعاه باعتبار أن الثقافة الفقهية والرواية شأنها كشأن أي علم يبدأ صغيراً ويتطور بالتجربة والزمن وهذا ما فتح الباب فيما بعد على بقيّة الصحاح التي تُعتبر السند الكبير لثقافة التسنن التي سادت الدول الإسلاميّة إلى حين الوقت الحالي[2].

كثافة الثقافة: فالكثير من المحللين التاريخيين الذين عاشوا ثقافة

---

(1) روى عن عائشة 242 حديث، روى عن فاطمة الزهراء حديث واحد، روى عن أبو هريرة 446 حديث، روى عن علي بن أبي طالب 29 حديث، روى عن عبد الله بن عمر 270، روى عن عمار بن ياسر أربع أحاديث، روى عن سلمان الفارسي أربع أحاديث، روى عن الصادق صفر.

(2) أما الصحيح الثالث فهو النسّائي (ت 303/ 915 م) من مدينة نسى في نيسابور تركمانستان الحالية فقد هاجر إلى مصر وعمل هنالك قاضياً في الوقت الذي كانت مصر تميل إلى حب آل البيت أي ذات ثقافة شيعية، قبيل وصول الفاطميين إليها في زمن هجرة الشيعة من الاضطهاد إلى شمال أفريقيا وهنالك بدأ في الإنتاج إلى أن وصل إلى حالة التجلي في أن يكتب في واقعيّة التأريخ الإسلامي، فلننظر ما يرويه الذهبي عنه: [روى الذهبي وابن خلكان والمقريزي وغيرهم، أن النسائي خرج من مصر إلى دمشق والمنحرف بها عن علي (ثقافة التشيع) كثير، فصنّف كتاب تهذيب خصائص الإمام علي رجاء أن يهديهم الله عز وجل، فسُئل عن فضائل=

التسنّن وإرهاصاتها بما تحمل من ثقل لا يمكن تفسيره أو تبريره أو الإشارة له عندما وجدوا أنفسهم عاجزين عن التماشي في تفسيره أو تعليله لأنه أمر صعب جداً من المنطوق العقلي، فقد تجد رواد ثقافة التسنّن مضطرين إلى إرجاع ذلك إما إلى السُنن الربانيّة في تفسير الحدث، أو أنهم في بعض المواقف يرون النقص في أنفسهم في تفسير تلك المواقف بل يقللون ويسحبون الثقة من نفسيّة المسلم في مجرد التفكير في القول الشائع: ومن نحن لكي نُفسر سلوك تلك الشخصية أو هذا الخليفة. .؟ فلو كنا قادرين على تفسير هذه الحادثة لكان قد بادر إليها فلان العالم أو المؤرخ الفلاني. . . . وهي طريقة ذكيّة من طرق فصل العقل الإنساني ذو القدرة التحليلية عن الواقع وتجريده من حسه الفطري.

فالحضارات والمجتمعات بل الثقافات تسقط بعوامل أهمها ثلاث يرأسها العامل الديني الذي تستعين به الطبقة المسماة (البروليتاريا) (العوام) وهم طبقة المنتفعين من الحُكُم في إسقاط الثقافة تلك، هذه الطبقة غالباً لا يكون لها في الأصل أي علاقة بالجانب الديني، وإنّما هي دخيلة على الدين بسبب أن الدين عامل مهم في التقرب من بلاط السلطان، أما أصحاب الفكر الديني الأصيل (المثاليين) فهم في كلّ الثقافات العالمية بعيدون عن مركز القرار وعن حاشية السلطان[1]، وهذا يُنبئنا بحقيقة جليّة وكبرى من

= معاوية فقال: أي شيء أخرّج. . . .؟! ما أعرف له من فضيلة إلاّ حديث: اللهم لا تشبع بطنه!، فضربوه في الجامع على خصيتيه وداسوه حتى أُخرج من الجامع، ثمّ حُمل إلى الرملة فمات شهيداً، وفي رواية أخرى إلى مكة فمات فيها. والأرجح أنه مات بالرملة]. . . راجع: (تذكرة الحفاظ، للذهبي ص 699، المصدر السابق).

(1) فقد منعت قريش من وصول أمية بن أبي الصلت الشاعر والموحد قبل البعثة وكذلك زيد بن نوفل وكلاهما من المتنبئين الذين كانوا يعتقدون بأن الله سيبعث أنبياء إلى قومهم (العرب) (المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، المصدر السابق).

المهم على الباحثين العرب والمسلمين خصوصاً إدراكها تلك هو استحالة جمع (الدين والحكم)....... هذه الإستحالة تنطبق على المنطوق الشخصي وعلى المنطوق الفكري........ فقد يتحجّر العقل الديني إذا شارف على خلطه بالفكر السياسي، بينما العكس تجده في الفكر السياسي فإنه يُثري فيما لو اتصل بالفكر الديني....... فمن السهولة على السياسيين أن ينتهلوا من الفكر الديني، وأن يتحولوا إلى قديسين للدولة بينما يستحيل ذلك على طائفة القديسين المتدينين المتبحرين في الدين في أن يتحولوا إلى سياسيين أو إلى فقهاء سياسة....... وهذه الحقيقة لم تدركها الأديان الخمسة الكبار الموجودة اليوم في العالم إلا بعد معاناة تأريخية دفعت ثمنها البشرية جمعاء من خلال ملايين الضحايا في مذابح كبرى سنتها قوانين خاطئة للجميع كما هي سُنّة الإنفجار الذري[1] التي تتبلور في (اندماج نووي) والتي تتحول طاقته إلى طاقة تدميرية فقط. نفس الشيء ممكن أن يحدث في حالة (الإنشطار النووي) (الدين، والسلطة)[2].

(1) التفاعل النووي، يعتمد في قوته التدميرية على عملية الانشطار النووي أو الاندماج النووي، ونتيجة لهذه العملية تكون قوة انفجار قنبلة نووية صغيرة أكبر بكثير من قوة انفجار أضخم القنابل التقليدية، حيث أن بإمكان قنبلة نووية واحدة تدمير أو إلحاق أضرار فادحة بمدينة بكاملها، وبهذه العملية فإن شكلاً دائرياً صغيراً بحجم كف اليد يمكن أن يسبب انفجاراً تصل قوته إلى قوة انفجار تحدثه مئات الآلاف من الأطنان من مادة ال تي إن تي.

(2) إندماج الدين والسلطة هما عملية مُدمّرة (ما لم يُحسن توجيهها) كما هي عمليّة الاندماج النووي (القنبلة الهيدروجينية) من خلال تجميع نواتان ذريتان لتكوين نواة واحدة أثقل. ويلعب اندماج الأنوية الخفيفة مثل البروتون وهي نواة ذرة الهيدروجين والديوترون نواة الهيدروجين الثقيل والتريتيون وهي نواة التريتيوم دوراً هائلاً في العالم وفي الكون، حيث ينطلق خلال هذا الاندماج كمية هائلة من الطاقة (15 مليون درجة مئوية) تظهر على شكل حرارة وإشعاع كما يحدث في الشمس. فائدة الاندماج النووي تكمن في إطلاقه كميات طاقة أكبر بكثير مما يطلقه الانشطار. كما أن المواد المنبعثة عن الاندماج (خصوصا الهيليوم 4) ليست مواداً مشعّة.

لا يحدث الإنفجار الحضاري الإجتماعي المتكافئ (للإنفجار النووي) إلّا بعد أن (يُفرض) (بالقوة) أو (الإكراه) الاندماج أو الانشطار ما بين المفهومين (الدين والحكم) مع الفارق هو أن السُنّة التاريخية مادتها الزمن بينما السنة المادية (الذرة) فإن المتحكم فيها هو قانون الميكانيك، وهذه مرتبطة فيه العلة بالمعلول ارتباطاً آنياً[1]. والزمن هنا في هذه المعادلة نسبي والذي يُعتبر في عُرف الإنسان الحالي عمليّة تعوّدها على مدى ملايين السنين من خلال تفاعلات بيولوجية وفكرية وحياتية فاعتبرت ثابتة، بينما الواقع العلمي يقول بنسبيّته تبعاً لعوامل كثيرة بعضها تمّ اكتشافها وبعضها لم يُكتشف بعد[2].

---

(1) كأرتباط علة الحرارة إلى النار، فبمجرد وجود النار فإن الحرارة موجودة. ولا يمكن التحكم بهذه القوانين لأنها قوانين جامدة لا تقبل التغيير مهما حاول عقل الإنسان، بينما السُنة التاريخية فإنها تقبل التغيير ومطّاطة في التعامل مع محاولات الإنسان التغييرية، مع قدرتها أن تُدمّر ذلك الإنسان على المدى البعيد كما هي موضوع زرع الأعضاء في جسم الإنسان فإن التدمير يحدث على المدى الطويل في موت الإنسان المريض إذا لم يُحسن التشكيل الداخلي للتلاؤم ما بين جزيئات التركيبة الذرية (DNA).

(2) النسبية وهي النظرية التي أضافت الزمن كبعد رابع بالإضافة إلى الأبعاد المكانية الثلاثة، تقول أن الزمان والمكان مرتبطان معاً ولا يمكن أن يوجد أحدهما بمعزل عن الآخر. نسبياً، نعلم أننا نستطيع أن نتحرك في هذه الأبعاد-المكانية- بكل حرية حيث نستطيع السير يميناً أو يساراً أو إلى الأمام أو الخلف أو إلى أعلى أو أسفل. ويمكننا ركوب آلات مثل الطائرة أو الصاروخ التي تنقلنا في البعد المكاني الثالث (الارتفاع) ومن هذه الفكرة البسيطة عن الأبعاد يتضح أنه بإمكاننا أن ننتقل عبر الزمن بهذه الصورة. لكن النظر إلى ما سبق يُعدّ مفهوماً كلاسيكياً فحسب حيث يفترض أن الزمن مقياس مطلق لسرعة حركة هذه الأجسام. . . . . . في النسبية يبدو الزمن نفسه على أنه دالّة في السرعة النسبيّة بين الأجسام ويتباطأ أكثر فأكثر كلما كان الفرق في السرعة النسبيّة بين الأجسام أقرب إلى سرعة الضوء، ويُمكن أن يتوقف تماماً إذا ما وصلت هذه السرعة النسبيّة إلى سرعة الضوء. . . . . . . لو افترضنا أن رائدا للفضاء غادر الأرض وعمره 25 سنة آنذاك، وترك أخاه الصغير البالغ من العمر 22 سنة وغاب في رحلته الفضائية مدة عشرة سنوات بحسب توقيته على الصاروخ المسافر بسرعة قريبة جداً من سرعة الضوء =

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (12): تزاحم الحوادث والاصدارات وتنافس الثقافات والمذاهب فمعظم كتب الصحاح تم كتابتها في هذه الفترة كما تنافست المدارس الفقهية فيما بينها على أشدها في هذه الفترة، بالإضافة إلى علم العقائد ورجالاتها هذا مع الثورات الكثيرة التي انطلقت ربما في كل البلدان الإسلامية.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة هشام ابن الحكم	199	له تاثير على البرامكة راوية كبير
مقتل ابن طبا طبا	199	ثورة زيدية على المأمون
مقتل أبا السرايا	199	ثائر عذب حتى الموت
وفاة سيف بن عمرو	200	مختلق شخصية بن سبأ
وفاة الحسن النوبختي	202	مهندس بغداد
مقتل الرضا الإمام	203	الإمام الثامن قتله المأمون
وفاة الإمام الشافعي	204	ثالث أئمة الجمهور
وفاة هشام بن محمّد بن السائب الكلبي	204	أول من أرخ في النسب
وفاة محمّد بن عمر الواقدي	207	مؤلف في التاريخ
وفاة نصر ابن مزاحم	212	مؤلف كتاب الملاحم
وفاة ابن هشام محمد	213	مؤلف سيرة ابن هشام
وفاة عبد الله المأمون	218	أهم خليفة عباسي
مقتل الجواد الإمام	220	الإمام التاسع قتله المعتصم
ثورة الهنود الزط	220	ثورة الفقراء في العراق
بناء سامراء	221	بناها المعتصم
مقتل بابك الخرمي	222	عذب وصلب في سامراء
وفاة المدائني	225	في علم الكلام

= بحسب ما يرصد أخوه، فإنه يجد عند عودته من رحلته في سن 35 سنة أن أخاه الذي كان أصغر منه عمراً قد أصبح في سن الأربعين أو الخمسين على حسب سرعة الصاروخ التي تحرك بها.
أنظر موقع النسبية التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Theory_of_relativity.

ثورة محمد بن القاسم	225	زيدي في العراق قضي عليها
مقتل المعتصم	227	قتله الأتراك
ثورة بنو سليم	230	بغا الكبير قاتلهم
وفاة علي بن إسماعيل بن ميثم بن يحيى التمّار	231	أول من تكلم من الإمامية
وفاة محمد عبد الملك الزيات	233	رئيس وزراء قتله المتوكل
مقتل أبي الهذيل إمام المعتزلة	235	عذب حتى الموت
هدم قبر الحسين	236	هدمه المتوكل
وفاة إبراهيم الثقفي الكوفي	238	ألف كتاب في الغارات
وفاة أبو جعفر الاسكافي	240	ردّ على الجاحظ، بحاثة كبير
وفاة ابن حنبل الإمام	241	آخر أئمة المذاهب
وفاة المحاسبي	243	متصوف بغداد
الدولة اليعفرية باليمن	247	زيدية
مقتل المتوكل على الله	247	داس الأتراك خصيتاه
مقتل المنتصر بالله العباسي	248	قتله الأتراك كان سفيهاً
إصدار صحيح البخاري	249	أول صحيح في الإسلام
إصدار صحيح مسلم	250	ثان صحيح في الإسلام
مقتل نصر الجهضمي	250	جلده المتوكل ألف سوط لروايته حديث
إصدار صحيح أبو داوود السجستاني	250	ثالث صحيح في الإسلام
مقتل الهادي الإمام	254	الإمام العاشر
وفاة الجاحظ	255	عالم معتزلي
وفاة البخاري مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل	256	مؤلف صحيح البخاري
مقتل المهتدي بالله العباسي الخليفة	256	قتله الأتراك بعد أن عذبوه
وفاة أبي داوود السجستاني	257	مؤلف سنن أبي داوود
الدولة الطاهرية	259	في اليمن
مقتل العسكري الإمام	260	قتله المعتمد العباسي
وفاة الفضل بن شاذان	260	ألف 180 كتاب
وفاة أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري	261	مؤلف صحيح مسلم

جدول رقم (١٢)

الحقبة الثالثة عشر: من عام 260/869 م حكم المهتدي إلى 329/940 م حكم الراضي: توالي 7 خلفاء

وهو عصر الانفجار الكبير الذي حدث داخل المجتمع الإسلامي عموماً والذي لم ينج منه أحد حتى تلك الثقافة التي كانت تقف على النقيض منها وهي الثقافة الشيعية، مع أننا يجب أن ندرك بأن الانفجار هذا الذي سنتحدث عنه بلحاظ الجانب الثقافي والحضاري لم يكن وليد يوم تأسيس الثقافة العباسيّة فقط، بل أنه وريث مسيرة طويلة بدأت منذ تأريخ السقيفة سنة 11 هجرية والذي لم ينضج حسب نسبيّة السُنّة التاريخية إلّا بعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على ذلك التأريخ أو أقل منه بقليل.

طبيعة الانفجار وشكله:

- تحكّم الأجانب (من خارج المؤسسين) بالخلافة، وكذلك بالتشريع.
- موت الجانب الإبداعي على كلّ مستويات بناء الدولة وتفاقم قوة التجمعات العسكرية الصغيرة والمليشيات.
- انحسار فهم الحاكم وذوبانه في فكر الغرائز والانفعالات[1].
- موت الجانب الثيولوجي في تفكير الدين والدولة.
- تحول الدولة والحضارة إلى أُكلةٍ للأمم الأخرى البدويّة وغيرها.

---

(1) كان الراضي (ت 329) قد أقسم أن لا يشرب الخمر ولكن مستشاريه أقنعوه أن يحصل على فتوى من الفقهاء تثبت الصحة الشكليّة لقسمه، فاعتبر القسم باطلاً، فعاد إلى الإدمان على الخمر. وعندما أراد المكتفي (ت 295) يوماً أن يقرأ كتاباً فطلب من وزيره أن يُعيره بعض الكتب فأمر الوزير أن توضع كلّ الكتب أمامه حتى لا يقع بين يدي الخليفة كتاب تأريخي يتعلم منه في كيفية تسيير أمور المملكة.

- سيادة فكر السلطة وضعف فكر الدين وشخصيات غريبة عن طبيعة المجتمع من الخصيان وغيرهم.
- ظهور المذاهب المنحرفة وبكثرة.
- زيادة أساليب البطش والقهر والتشريد.
- التحجر الفكري واستشرائه وموت قدرة الثقافة على النهوض.

بدأ عصر الانفجار السلبي عندما وصل الحُكُم إلى المتوكل (ت 247) بعد أن سبقه آخرون يمثلون فكر الانهيار والضعف في تنامي سيطرة الجانب الغرائزي على سلوكيّاتهم وعلى نظرتهم إلى المجتمع، والغريب أن الكثير من الرواة عندما يحاولون أن يؤرخوا إلى هذه الفترة فإنهم يكتبون بما يتعارض مع الذوق وكأنهم أقرب إلى الكذب منه إلى الصحة، إما ربما عن حُسن نيّة أو بسبب أن الرفض الأوّلي قد يولد رفض ثانوي وهكذا إلى أن يصل الرفض إلى غايته في نفي اسم الثقافة أو المبادئ عن تلك الدول التي تشكّلت فيما بعد السقيفة. . . . . فالقدرة التبريرية للكثير من كُتّاب التأريخ لم تتفق مع منطق العقل، بل لا تزيد من الطين إلّا بلّة بسبب الانحراف عن هدف التحليل العلمي الذي يقود في النهاية إلى فكرة الوصول إلى عملية النهضة العلميّة والفكرية.

وبنظرة بسيطة على كلّ الحكام الذين حكموا الأرض حتى في عهود قبل لنقل ألف سنة من ولادة السيد المسيح لم نتمكن أن نصل إلى نوعيّات مشابهة إلى الشخصيات التي حكمت الدولة العباسيّة خلال هذه الفترة. . . . . فمن الصعوبة لنا أن ننتزع شبيه للحاكم العباسي في مسيرة الدول الرومانية أو البيزنطية أو الآشورية أو البابلية أو العربية أو غيرها فيما يتعلق بالوحشية والدموية وافتقاد قدرات النفس والمعرفة. . . . . فهذا نيرون (ت 68 م) المعروف بوحشيته وسطوته وهو الذي أحرق روما ثم قتل أمه لم

ينج من العقاب الدنيوي عندما أقرّ مجلس الشيوخ في اعتباره عدواً للشعب ولكنه انتحر فيما بعد تخلصاً من عقاب الدولة وعقاب السماء.

لا يمكن أن تنفصل الثقافة لشعب عن نوعيّة الشخصيات التي تتكون منها لبنات تلك الثقافة، فالفرد هو من يصنع الثقافة ومن يسعى إلى بنائها وتشييدها، باعتبار أن الثقافة هي محصلة عمل الأفراد وسلوكهم. . . . .

فالفرد المسلم الذي انتمى إلى الإسلام اعتقاداً ومتخذاً من أصول ذلك الفكر منهجاً في حياته لا بُدّ له من أن يختلف عن الآخرين من الثقافات التي تعاملت مع مفردات الحياة ليس بالصورة الواسعة ولكن ضمن حدود خاصة وذلك بسبب نوعيّة الأفكار الدينيّة والاجتماعية التي بنى عليها معتقداته. . . وعندما تغيب التأثيرات الفكريّة والدينية والاعتقادية لذلك الفرد في تطبيقها فطرياً على مسيرة عمله في داخل نطاق المجتمع وفي علاقاته فإننا ربما نَرُدّ ذلك إلى عدم قدرة تلك الأفكار من تغيير أو تهذيب ما تحمله نفس الإنسان من نزوع إلى حب الذات والميل في الحصول على غرائزه على حساب الآخرين. . . . وهي معادلة محسوبة في مسيرة الشعوب وفي مسيرة تطور المجتمعات.

إنه لمن الأجدر لعلماء الأنثروبولوجيا أو علماء البيوغرافيا العرب خصوصاً بل الإسلاميين إلى ضرورة دراسة تلك الشخصيات التي حكمت والتي كان لها القدرة في التحكّم بالدولة أو بالحضارة التي بُنيت في عصر العباسيين أو في العصور التي سبقتها أو التي جاءت بعدها. . . . كمن يريد أن يكتشف حضارة لبلد ما فعليه أن يُحقق في كلّ ما يتعلق من موجودات ومن بقايا تلك الحضارة سواء أكانت أحجار أو أواني أو كتابة أو قول أو ما يهديه إلى اكتشاف نوعية الحضارة التي يرمي إليها[1].

(1) أمام هذه الجدلية المعقدة يرى البعض من علماء الإنسان الانثروبولوجي ومن المسلمين =

فلقد أتحفنا الكاتب البحاثة الكبير طه باقر وهو يوضّح لنا شخصية جلجامش الشخصية التي هي غير أسطورية كما قدّمها لنا التاريخ القديم من خلال الألواح التي تمّ اكتشافها ومن خلال ملحمته الشعرية التي كتبها إما هو أو شخص آخر إلى أن تمّ تقديم صورة واضحة عن تلك الشخصية القديمة التي تحوّلت من أسطورة غير حقيقية إلى شخصية واقعية قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تقريباً.

تأريخ شخصياتنا التي حكمت الواقع الإسلامي أو الدولة التي افترضها توينبي (ت 1975) بأنها بداية الحضارة الإسلاميّة لم يتم تقييمها بالشكل العلمي الصحيح التي تتبعها معاهد العلوم. . . . فكل ما كُتب عن شخصياتنا عبارة عن شذرات لا تتفق مع مُخرجات الواقع الاجتماعي، ولا تتفق مع الفكرة التي يحملها ذلك الحاكم سواء أكانت إسلامية أو غير إسلامية. وهذا معناه بأن ما نُقل لنا عن تلك الشخصيات هو غير دقيق بل غير صحيح خصوصاً إذا وجدنا في كتب التأريخ بأن الوصف الذي انطبق على الشخصية الحاكمة في القرن الثاني الهجري قد تمّ استعارة ذات الكلمات وذات الأوصاف لإضافتها على الخليفة الذي حكم في القرن السادس، وكأنّ الخلفاء بأجمعهم (كوبي)، يموت زيد لتحل روحه في عمرو وهكذا.

معظم وربما كل ما كُتب عبارة عن أقاويل فقط يستورثها التأريخيون بالتتابع لملئ صفحات كتاب يتطلب تقديمه لتلك الشخصية الحاكمة. تماماً

= الذين اقتحموا هذا العلم حديثا أي في منتصف القرن الماضي بأن واقع الدولة العباسيّة لم يكن بيد الحاكم كفرد أو بيد العباسيين كقبيلة أو بيد السلطة التنفيذية، وإنّما كان مركز القوة متمثلاً بشخصيات (الثقافة السُنيّة) التي تتخفّى بالمواقع الدينيّة من الذين ينتمون إلى التسنّن مذهباً ولكنهم ذو توجهات مختلطة بين المصلحة الذاتية والتي هي مصلحة الحُكُم والقوة وبين إشاعة مذهب التسنّن لمنع الآخرين المنافسين لهذا الفكر من الاقتراب من انتزاع القوة منهم.

بعكس كتابة التأريخ الروماني أو البيزنطي أو حتى السومري أو المقدوني أو غيره. . . . إننا ربما نشفق على كلّ من يُحاول كتابة تأريخ خليفة أو شخصية أو قائد أمني أو عسكري حتى في زمننا الحاضر، أي في القرن الواحد والعشرين فإنه تغيب عنه حقيقتان مهمتان وهما الدقّة العلميّة وغياب المعلومة[1]. . . . . بالتأكيد هذا بالإضافة إلى ميل العقل العربي إلى تجنّب التوثيق والاعتماد على سياسات الفخر والبطولات من المسموعات.

إنه لمن المهم على المواطن العربي أو المسلم أن يُدرك بأن التأريخ الذي وصلنا والذي هو بين أيدينا هو نتاج شخصيات على الأعم الأغلب، كما هو العلم الطبي والعلم البحثي الهندسي وهم لا يختلفون عن الآخرين في نوعيّة عقولهم أو قدراتهم أو تأثّرهم بالأحداث السياسيّة والنفسية الاجتماعية، ولكن الفرق هو أنهم تمكنوا في مسيرة حياتهم في أن يقفزوا من حيّز العقل الجمعي إلى العقل الإبداعي في خروجهم من دائرة الضعف الاجتماعي والاستكانة لقوة المجتمع إلى قوة التحرر والشجاعة، فهذا (دراكر) يكرر في فلسفته بالقول بأن ليس هنالك شخص غبي وشخص ذكي أو دولة متأخرة ودولة متقدمة، بل أن الشيء المتحكم هو الفرق في استثمار الموارد الشخصية والإدارية تجاه قضيّة معينة[2] وهي التي تخلق عقل متحرر

(1) الشيء بالشيء يذكر عندما انتخب أول برلمان عراقي في عام 2010 وأقول أول يعني خلال تأريخ العراق الذي قدمُهُ ربما يتعدى أربعة آلاف سنة، حاولت أن أحصل على معلومات عن نوعيّة الشخصيات التي تمّ انتخابها لكي تُمثّل الشعب العراقي في البرلمان. وبعد جهد جهيد لم أتمكن من أن أحصل إلاّ على معلومات بسيطة جداً عن بعضٍ منهم، وتكاد أن تكون كلّ تلك المعلومات متشابهة تتبلور في مكان ولادته، شهادته، مركزه لا غير. مع أنني قد حاولت أن أقوم بذلك في أقطار أخرى عربية فلم أفلح أيضاً.

(2) أفكار بيتر دراكر اليومية في الإدارة، مكتبة جرير، 2008.

لكي تُفسر سقوط (تفاحة نيوتن) لما لها من عمق في مسيرة الإنسان، بينما لم يتبيّنها ملايين من البشر من الذين يعيشون المحيط ذاته.

كل شخصية من الشخصيات التي حكمت الدولة العباسيّة سواء أكان من خلال حاكمها الأعلى (الخليفة) أو الولاة أو المفتين الدينيين على التأريخ العربي أن يُعيد النظر في دراستها ثانيةً من خلال خمسة جوانب على الأقل[1]:

- الجانب الشخصي (Back ground) الثقافيّة والتربية.
- الوراثية العائلية (Genome).
- الأنثروبولوجي Anthropology (علم الإنسان).
- الإبستمولوجي Epistemology (علم المعرفة).
- (السايكوباثولوجي) Psychiatric (الهرموني).

ولكن ما دور ذلك لمستقبل ثقافتنا القادمة. . . . . ؟

وهل أن نبش التأريخ له من انعكاس ايجابية على مسيرة أجيالنا. . ؟

بالتأكيد أن التأريخ هو فاعل فيما بيننا والشعب العربي شعب مع أنه لا يقرأ ولكنه لن يفصل حياته عن الماضي، وهو أمر يُعتبر أمر أساسي في مسيرة الحضارات. . . . فأهم علامة من علامة موت الحضارات هو نسيان التأريخ أو الذوبان في تأريخ ثقافات أخرى. . . . . . نقول ذلك بلحاظ القدرة الكبرى للثقافة الغربية التي تحطّ رحالها بين ظهرانينا في زمن العولمة

(1) قد يختلف البعض في نقاط التقييم ممن يعتبر أحد تلك النقاط فيه عنصرية مما يتعارض مع حقوق الإنسان.

- امتلاك الثقافة الشيعيّة أعلى طبقة من المحدثين والفقهاء في ذلك العصر.
- تبني اثنان من خلفاء بني العباس ثقافة التشيّع منهجاً لهما الناصر (ت 622/ 1226 م) والمستنصر (ت 640/ 1242 م).

كما لهذه الفترة من إيحابيات كبرى على الثقافة الشيعيّة ولكنها لم تخل من سلبيات انعكست على مُستقبل التشيع، فقد انبرى للثقافة الشيعيّة علماء التسنّن المذهبي وأمطروهم بتُهم كثيرة تبدو للإنسان المسلم بأن منطلقها من حرص على حفظ تراث الدين. هذا في الوقت الذي هيأت هذه الفترة إلى ظهور جيل طائفي من العلماء هدفه الرئيسي مواجهة الثقافة الشيعيّة بالسلاح الطائفي مثل: ابن الجوزي (ت 597/ 1201 م)، وابن الأثير (ت 630/ 1233 م)، وابن خلكان (ت 681/ 1282 م)، وأبو بكر البكري (ت 685)، وابن تيمية (ت 728/ 1327 م)، والذهبي (ت 748/ 1348م)، وابن القيم الجوزية (ت 771/ 1292 م)، وأبي الفداء ابن كثير (ت 774/ 1301 م)، وابن تغري بردى (ت 874/ 1470 م)، وابن حجر (ت 852/ 1449 م)، وغيرهم من الجيل الثاني ما بعد عصر البويهيين بعد أن استفحلت روح الكُره ضد الشيعة بسب عصر الانفتاح وعصر توسع الثقافة الشيعيّة فكان الرد عنيف ومتشنج وبصورة تبين مدى الألم الذي في قلوبهم من جرّاء ظهور نتائج الصراع الحضاري ما بين الحضارتين على شكل أرقام وشواهد لا تقبل النقض.

اعتقد أقطاب التوجه السني (السياسي) بأن الحرب والانتصار هو انتصار (مذهبي) على شاكلة الصراعات التي كان تدور في العصور السابقة في القتال ما بين الدولة (السُنيّة) وبين الخوارج أو الزيدية أو العلويين أو الحنابلة أو ما إلى ذلك. مع أن الظرف البويهي كان مختلف كلياً عن أزمنة

القرون الأربعة السالفة، فالتشيع في زمن البويهيين تحول ذاتيّاً إلى (ثقافة) وليس (مذهباً) مع اعترافنا ببقاء القسم الكبير من عوام الناس وميلهم إلى النوع الثاني من فكرة التشيع. . . . . . . هذا في الوقت الذي نتفهم مخاوف أعمدة الثقافة السُنيّة في تلك الفترة من الزمن بعدما اكتسح (التمذهب) الشيعي ربما كلّ العالم الإسلامي ابتداءاً من العراق ثم إيران ثم سوريا والشام بعدها مصر والمغرب العربي ثم الجزيرة.

فمفهوم الصراع في عقليّة (ثقافة التسنن) في ذلك الوقت كان يتبلور في إثبات وجود وغلبة وقوة، وأن التقدم الذي يُحرز يتم إضافته إلى ملف صراع غلبة (التجمع) أو (الفئة) أو (العصبة) التي كانت تتحكم بحركة الفكر. . . . . هذا المفهوم الجدلي من الصعوبة على العقليّة العربية أو العقليّة التي بناها الدين (الذي وصل إلينا) أن تدركه. . . . . . . فكل منا يعتقد بأنه مالك لتلك الفكرة التي تنطلق من عقله أو من مخيّلته ولا يعتقد بأنها أصبحت مُلك للجميع بمجرد خروجها من عقل الفرد، فيبقى يدافع ويقاتل دونها حتى ولو كانت خاطئة بسبب تَغيّر الظرف أو تَغيّر المعطيات. . . . فهي بالنسبة له جزءَ من شخصيته ومن عقله ومن ذاته، فتراه يقاتل في سبيلها بشكل لا هوادة ولا يقبل أن يُدرك بأنها لم تعد مُلكه أو أنها أصبحت في عداد الأموات وليس عليه أن يُعيد لها الحياة بل عليه أن يبحث عن مفردة حياتيّة جديدة يتفاعل معها.

فكل ما كُتب في تلك الفترة عن حياة الصراع الثقافي من قبل أقطاب الثقافة السُنيّة كان ينطلق من فكرة (الشخصنة) وفكرة (الحيازة) وفكرة (التملّك) وفكرة (العصبيّة) وكلّ تلك المصطلحات لم تكن إلّا سلوك ثقافي وليس سلوكاَ ايديولوجياَ سواء أكان ايديولوجياَ دينياً أو وضعيّاً. بل أن الايديولوجية تحوّلت إلى نتيجة وليس إلى سبب، مع أن الواقع الفعلي هو أن تكون الإيديولوجية أحد مسببات الثقافة.

فلم تكن أسباب الغضب السُنّي المتفجر في ذلك الوقت من التأريخ ولا في العصور التي تلته متأتيّاً من الهجوم المُضاد على الثقافة السُنيّة أو بسبب انتهاك أو اضطهاد. . . . فلم يُعرف على مدى تأريخ هذا الصراع أن اضطهدت قوى شيعية أخرى سُنيّة من الناحية الفكريّة أو غيرها أو منع إقامة شعائر أو ما إلى ذلك. . . . بل العكس هو المتعارف عليه، ولكن الحنق الذي أصاب الزعماء - في زمن البويهيين - هو السماح بممارسة الشعائر الشيعيّة والتي تتعلق بتلك الثقافة لا غير، وهو أمر يُعتبر غريباً في واقع الشعوب وفي واقع الأمم وصراع الحضارات والأفكار. فقد تألم المؤرخ العراقي الشهير ابن الجوزي كثيراً وهو (العربي المولد من نسل محمد بن أبي بكر) من طريقة ممارسة الشيعة للشعائر في مقابرهم[1] وعدم التزامهم بما تقرره أفكار الثقافة السُنيّة[2].

(1) وقال ابن الجوزي في المنتظم: 5/ 28: (وفي أول يوم من شوال حضر الموكب النقباء والأشراف والقضاة والشهود، فنهض بعض المتفقهة وأورد أخباراً في مدح الصحابة وقال: ما بال الجنائز تُمنع من ذكر الصحابة عليها بمقابر قريش وربع الكرخ. . . . ؟ والسنة ظاهرة ويد أمير المؤمنين قاهرة. . . . ؟! فطولع بما قال فخرج التوقيع (مرسوم رئاسي) بما معناه: أنهيَ ما ارتكب بمقابر قريش من إخمال (إهمال) ذكر صاحبي رسول الله (ص) (يقصد الخلفاء الثلاث) وتورطهم في هذه الجهالة، واستمرارهم على هذه الضلالة، (عدم ذكر اسمائهم) التي استوجبوا بها النكال واستحقوا عظيم الخزي (على الشيعة) والوبال، وإنّما يتوجه العتب في ذلك نحو نقيب الطالبيين (الرضي)، ولولا ما تدرَّع به من جلباب الحُكُم وأسباب يتوخاها، لتقدم في فرضه ما يرتدع به الجهال، فليؤجر بإظهار شغل السنة في مقابر باب التبن ورَبْع الكَرْخ من ذكر الصحابة على الجنائز، وحثهم على الجمعة والجماعة، والتثويب بالصلاة خير من النوم، وذكر الصحابة على مساجدهم ومحاريبهم أسوة بمساجد السنة، والتقدم بمكاتبة ابن مزيّد (الشيعي حاكم الحلة والمشهدين النجف وكربلاء) ليجري على هذه السيرة في بلاده، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]. (ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمن: المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992).

(2) بعد التغيير الذي حصل في العراق ما بعد عام 2003 وبسبب الحرمان الذي عاناه الشيعة =

هذه الفترة لم تكن إلّا بداية تقنين عمليات الإبادات التي كان يُخطط لها أقطاب الثقافة السنية. . . . ففي السابق كانت عمليات القتل ربما تشمل كلّ المعارضين إلى الحُكُم مهما كانت انتماءاتهم، أما فيما بعد فترة العصر البويهي فإن السيف تسلّط فقط إلى التشيّع، مع أن التشيّع آنذاك أنقسم إلى أقسام، ولكنني هنا أعني به التشيّع الإمامي الإثني عشري وهو الفرع الوحيد من الشيعة الذي لم يبادر في الصراع على الحُكُم أو السيطرة على الدولة. . . . . . فالعلماء في ذلك الوقت أي المراجع الشيعيّة لم يقتربوا من الحُكُم البويهي بشيء بل أبقوا على نفس المسافة التي وضعوها لأنفسهم مع كلّ الحكام سواء أكانوا من الشيعة أو من الطوائف الأخرى، وهي من أهم ميّزات الشيعة الإثنى عشرية والتي تُعتبر من قمة المزايا التي امتلكتها تلك الثقافة في فصل الدين عن السياسة كاملاً فيما يتعلق برجالاته أو فقهه.

اعتقدت الثقافة السُنيّة بأن عليها أن تعمل المستحيل في سبيل إجلاء الحُكُم البويهي، لأنها كانت تعتقد بأنه حكم شيعي(1) (المذهب) وهذا أمر

= العراقيون وغير العراقيون في منعهم من ممارسة الشعائر الحسينية لقرون من الزمن انطلقوا في أجواء الحرية لممارسة تلك الشعائر ونقلوها على صفحات الفضائيات التلفزيونية وفي وسائل الإعلام الأخرى ورآها كل من في العالم وبدأت وسائل الإعلام العالمية تنقل أحداث تلك المناسبات بشكل صحفي وحرفي وهو ما سبب حنق هائل من قبل أقطاب الثقافة السُنيّة السياسيون الذين يمثلهم في هذا الوقت عامل (الإرهاب) في الانتقام منهم وقتلهم بطريقة تفجير العبوات الانتحارية وغيرها. وأغرب ما رآه العالم في هذا الأمر هو تجمّع أكثر من عشرة مليون إنسان في البقعة التي قُتل فيها الحسين وهي كربلاء، وهو حدث يبدو غريباً على مسامع الشعوب العالمية والعربية مما دعى الناس المسلمين غير الشيعة إلى البحث عن الدوافع الفكرية التي تقف خلف هكذا شعائر وماذا تعني كربلاء.

(1) كان الاعتقاد المُبهم السائد لدى علماء السُنة هو أن يبادر علماء الشيعة إلى استبدال مبادئ (الحُكُم) و(السلطة) تبعاً للحالة السياسيّة السائدة في سيطرة فئة شيعية على الحُكُم من الناحية الفقهية الروائية، كما يحصل في الكثير من ممارسات الفقه السني في تغيير آرائه تبعاً لحالة =

فيه الكثير من الخطأ في التقييم وفي الدقة العلميّة. . . . . فالانتماء المذهبي لا يعني في العُرف الفكري إلّا بأنه عنصر من عناصر الثقافة ليس إلّا، أما الثقافة السُنيّة فكانت ترى العكس، كانت ترى بأن القوة هي عامل الدين وعامل الفكر والحياة، والقوة هي ما يجب أن تسود بيد أرباب الثقافة السُنيّة، وهذه الفكرة أو الخاصرة هي أضعف نقطة في مسيرة الفكر السُنّي الثقافي، بل هو الأمر الذي أوصل العالم الإسلامي إلى ما وصل إليه في القرون التي تلت ذلك الوقت والذي تبرعمت منه أفكار التطرف والإرهاب والتخطيط لإبادة الجميع من المخالفين للفكر السُنّي، كما كان ذلك هو العامل الأساسي في تأخّر البلدان الإسلاميّة إلى الدرجة التي أصبحت اليوم في قعر مقاييس التقدم بين دول العالم.

لم يكن هنالك من سر في أمر دخول السلاجقة العراق في عام 447/ 1055 م وسيطرتهم على الخلافة العباسيّة بعد أن تحالف الجانب الديني المحيط بالخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت 467/ 1075 م) مع السلطة السياسيّة وقادة الجيش في دعوة الأتراك إلى حسم الأمر وإنهاء الوجود البويهي.

فقد كان السلاجقة من القبائل الغزنويّة التركية أو ما شابه، أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة، ذو توجه سُني، ولم يكن لهم من معرفة بواقع المحيط العربي أو المحيط الإسلامي، فقد تفاقم أمرهم بشكل كبير في أواسط آسيا وفي إيران ومحيطها فأرسل لهم الخليفة العباسي القائم بطلب القدوم إلى احتلال بغداد. وكان الخليفة رجلاً هزيلاً يحيط نفسه بحاشية

= السياسة ولحالة السلطة الدنيوية. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على غياب الدقة في فهم الفكر الشيعي المتعلق بالسلطة وبالحكم، ولكن الشيعة وعلمائهم في ذلك الوقت لم يُغيّروا من الأمر بشيء، بل بقيت أدبيات فقه الحُكُم والسلطة كما هي عليه منذ اليوم الأول لحادثة السقيفة.

معظمها من الحنابلة كالشيخ أبو جعفر ابن أبي موسى الهاشمي وكذلك الشيخ (ابن المسلمة) وغيرهم.

وهكذا وصل طغرل بك (ت 455/ 1063 م) إلى بغداد بجيش جرار من بدو مناطق وسط آسيا وتمكن من السيطرة على الحُكُم[1] فكان ذلك مُسرّاً إلى نُقباء الثقافة السُنيّة لا لشيء إلا لأنه سُنّي فقط لا غير. . . . ثم تمكنوا بعد ذلك من أن يُقنعوا الخليفة أن يُزوج ابنته له وبذلك تحوّل الواقع إلى واقع تتنفس فيه طحالب الطائفيّة بدلاً من الجو الذي تزدهر فيه الأفكار وتتصارع الآراء على منصة الحقائق. . . . .

فكانوا قد أوجدوا قبلاً لهذا الغزو ذرائع من خلال عمليات عنف طائفي، فقد تمّ إثارة فتنة كبرى في بغداد سنة 441 وسنة 444 لكي يجدوا ذريعة لخلق مذابح بين الطرفين وهو أسلوب مُتّبع[2] في كلّ مسيرة الثقافات العالمية التي تُبدي هزالاً فكرياً أمام الثقافة المناوئة لها. . . . . فالحرب والقتل وسفك الدماء تُغيّر من عواطف وتوجهات الناس باتجاه الانفعال بدل استعمال العقل والمنطق. . وبذلك تمكنوا من أن يرتكبوا مجزرة كبرى في

---

(1) الشيء المفاجئ هو أن الشيعة لم يقاوموا السلاجقة بل قاومهم عوام السُنّة، سبب عدم مقاومة الشيعة هو التخلص من حكم آل بويه الذين لم يحددوا توجهاته مع رفض فكرة الحُكُم الطائفي. . . . أما الرفض السُنّي فكان بسبب الوعي العام الذي ساد المجتمع البغدادي في رفض أي صراع طائفي يدور على أرض بغداد. . . . راجع في هذه المعلومة كتاب: (حسن الأمين، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، 1997).

(2) وليس بمستغرب في أن نشاهد ذات الأسلوب وقد تمّ استعماله في العراق بعد عام 2003، وكذلك في مصر بعد ثورة مصر في عام 2011 ومقتل العالم الفاضل د. شحاتة، وكذلك في تونس وليبيا واليمن ما بعد ثورات الربيع العربي. فأسلوب العنف هو الوسيلة التي تلجأ إليها الثقافة المهزومة في أوقات الشدة. أنظر كتاب (ثورات الربيع العربي، نظرة من الداخل، عامل ثقافة التشيع، د. صلاح شبر، دار الروافد، بيروت لبنان، 2015).

الوقت الذي كانت بغداد مدينة ذات كثافة شيعيّة خصوصاً جانب الكرخ، فكان الشيعة هم أكثر من قُتل على يد الفئة التي قويت شوكتها وهم كما ذكرت الحنابلة ذو التوجه الأصولي. . . كما استبيحت في ذلك الوقت أروقة المكتبة العظمى[1] التي كانت تضاهي دار الحكمة وأحرقت من قبل الغوغاء ورُميت في النهر.

ولابأس بأن نرى هنا ظاهرة حضارية أخرى في مُسلسل حرب الثقافات وهو تناول المكتبات[2] والشخصيات العلميّة في القتل وفي التدمير وهذا ما حدث آنذاك في سيطرة شعوب لا تمت إلى الثقافة الإسلاميّة بشيء وإنّما كان سبب مساعدة أولئك الأجانب في استباحة بغداد والدول الإسلاميّة منطلقاً من التوجّه الطائفي الضيق الذي لم يؤدي إلّا إلى المزيد من القتل

(1) أنشا الوزير البويهي سابور بن أردشير (ت 416/ 1025م) سنة 381 مكتبة عظيمة في جانب الكرخ وفيها خُزانة عشرة آلاف مُجلّد لكي توازي مكتبة دار الحكمة وعمل لها فهرساً. وردّ النظر في أمورها ومُراعاتها والاحتياط عليها إلى الشريفين أبي الحسين محمد بن أبي شيبة، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني، والقاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون الضبي، وكلف الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل العناية بها.

(2) ذكر المقريزي (ت 848:) حرق كُتب المكتبة الفاطمية من قبل السلاجقة (عندما سيطروا على مصر)، وكانت من عجائب الدنيا، ويُقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ويقال: أنها كانت تشمل ألف وستمائة ألف كتاب، وقال في ذلك بأن السلاجقة (أخذوا جلودها عبيدهم وإماءهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم، وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان، وأن فيها كلام المشارقة الذي يُخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار، وبقي منها ما لم يُحرق وسُفّت عليه الرياح التراب فصارت تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب)، كما من الممكن أن نشاهد الحريق الهائل الذي ارتكبه عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية العظمى والذي يقال أنه كان بأمر من الخليفة الثاني وذلك في عام 641 م. راجع المصدر السابق، برنارد لويس:
The Vanished Library. Bernard Lewiš reply by Hugh Lloyd-Jones September 27, 1990.

والتدمير وسفك الدماء. . . . وهنا نلاحظ كيف ترك شخصية عملاقة وباحثة قديرة مثل الطوسي بغداد (ت 460/ 1039 م)[1] متوجهاً إلى مدينة النجف في عام 449 وأقام بها المدرسة العلميّة (الحوزة) اليوم، وهي ظاهرة معروفة لذوي الخبرة في ضرورة الانتقال من محفل اجتماعي إلى محفل آخر له قدرة على تنمية الأفكار والمواهب.

وهنا تحوّلت الثقافة الشيعيّة إلى مرحلة متطوّرة ومتقدمة بعد أن بدأت أولى خطوات منهجها العلمي المدرسي الذي لم يكن له من وجود خلال العصور التي سبقت هذا العصر بسبب الاضطهاد الفكري الذي كانت تتعرض له هذه الثقافة منذ أيام السقيفة وإلى هذا التأريخ[2]. . . . . . وبدخول عصر المنهجيّة المؤسساتية بدأ عصر الانحسار في ذات الوقت إلى الثقافة السُنيّة بعد أن استنفذت قدراتها في أن تواكب التطور الفكري والعلمي لمسيرة التأريخ ومسيرة العلم[3] فبقيّت تراوح مكانها وتُعيد ما كُتب

---

(1) بعد أن توفي السيد المرتضى (ت 436/ 1015م) انتقلت الزعامة الدينيّة إلى الشيخ الطوسي، فأصبح الزعيم الأوحد للشيعة والمرجع الأعلى لهم، وخَصّص الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) كرسي الكلام (وهو أعلى مرتبة علميّة في الدولة) له بعد أن عُرف بالمقام العلمي الرفيع، فانهالت عليه الأسئلة المذهبية العلميّة من كلّ الأقطار، وكان يُجيب عليها بكل طلاقة وحرية، مع الاشتغال بالتدريس على المذاهب الإسلاميّة غير الشيعية، وكان محفل درسه يضم طائفة كبيرة من علماء سائر المذاهب بالإضافة إلى ما يضم من علماء الشيعة. أنظر ترجمته على الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Shaykh_Tusi.

(2) فقد وضع أبن الجنيد (ت 380/ 990م)، والشريف الرضي (ت 406/ 985م)، والصدوق (ت 381/ 991م) والمرتضى (ت 436/ 1015م)، والمفيد (ت 413/ 1022م) والكراكجي (ت 449/ 1057م) الأسس العقليّة والنقلية لعلم الكلام لمدرسة الإمامة. (راجع: المرجعية، القزويني، المصدر السابق).

(3) لقد كان الحُكُم البويهي يطلب من أئمة المذاهب الإسلاميّة أن تجرى حواراتهم العلميّة بحضور الوزراء فكان الوزير ابن المغربي (ت 418/ 1027م) قد أدار أول مناظرة بين العالم =

وما نُشر بشكل إجتراري ليس فيه من تطور وابداع فتوقّفت هنالك هذه الثقافة وتشنّجت بل تصنّمت بشكل طبيعي وليس فرضاً.

فالفكرة غالباً إما أن تسير أي أن تحمل عوامل الإستمرار، وإما أن تنسحق بما يتجدد من فكر وقدرات علميّة. . . . . فليس هنالك في عالم الفكر والثقافة شيء اسمه ساكن بلا تجدّد أو بلا تأخّر، فالفكر إما أن يسير إلى الأمام أو يموت، وهو ما نُعبّر عنه السير إلى الخلف، هذا في الوقت الذي لم يكن يُدرك علماء ومفكري الطائفة السُنيّة المُبدعين والكبار من خطورة المرحلة التي وصلت إليه هذه الثقافة، فكان المعيار الذي اتبعوه في نجاح الفكر السُنّي هو الحُكُم والدولة، وبوجود حكم يعني وجود ثقافة، مع أن لهذا القول أكثر من خطأ، وأكثر من اعتراض، لأن الدولة لا تُمثل إلّا أحد أوعية الثقافة، بل هي ناتج طبيعي لقدرة تلك الثقافة أن تتمكن من أن تُحوّل السلوك إلى دولة. . . . . كلامنا هذا لا ينطبق على الثقافات الفرضيّة الديكتاتورية، وإنّما تشمل فقط الثقافات المنفتحة التي سلكتها الأمم.

في هذه المرحلة كانت الظروف تُنذر باتجاه أن تتقوّض هذه الثقافة، ثقافة التسنّن بطريقة أو بأخرى، أو أن تتجدّد أو أن يَحدُث في داخلها انقلاب كامل وشامل لكي تبدأ من جديد كما هي النبتة الضعيفة التي يتوجب إعادة قُدُراتها بدلاً من أن تدعها تموت وتبدأ مجدداً ببذرة جديدة يتم تحسين الجنين الذي بداخلها بشكل علمي دقيق مع توفر ظروف بذرها من حرارة وتربة ومواد غذائية ويد علميّة وما إلى ذلك.

= الشيعي الكبير المفيد وبين شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار الهمذاني (ت 415/ 1024م)، كما جرى ذات الشيء بين العالمين الكبيرين بحضور عضد الدولة في جامع براثا، وقد تمكن المفيد من أن يُقدّم أدلة كبرى لم يتمكن القاضي من مجاراته، كما ألّف المُفيد في ذلك كتب كثيرة أهمها هو كتاب (الفصول المختارة) مما اضطر عضد الدولة إلى إهداء فرس مرصع بالجواهر إليه.

فمنطق التأريخ يُقرّ بأن الضعف الثقافي والفراغ الفكري لا بد له أن يُملأ بثقافة جديدة، أو كما يُعبر عنه القرآن أن يؤول أمر مجريّات المجتمع التي حكمته تلك الثقافة أن ينهار أمام غزو خارجي بعد أن اجتاز المرحلة الأولى من مراحل الاستبدال وهي مرحلة أن يسيطر عليها أكابر مجرميها[1]، وهو أمر لا ينطبق فقط على الثقافة السُنيّة التي سادت في ذلك العصر، بل أنه سُنّة ربانيّة تنطبق على الجميع في كلّ ثقافات البشر وعلى مدى التأريخ. . . . .

فقد سقطت روما في عام 1220 م وكذلك القسطنطينية 1453، واسطنبول أو الدولة العثمانية في عام 1923، وموسكو أي النظام السوفيتي في عام 1991 لذات السبب من العقم الثقافي الذي مارسته العصبة التي امتلكت أسباب الجانب الفكري، وليس العصبة التي امتلكت أسباب القوة المادية أي الحكام. . . . . .

فالدولة السياسيّة ليست هي معيار السقوط، لأن السياسي تابع إلى ثقافة فكر الدولة وليس العكس، فالسقوط العسكري هو نتيجة خلل في العلم السياسي العسكري كما هو سقوط العثمانيين في فيينا 1683 م، أو اندحار المسلمين في (أحد) في السنة الثالثة للهجرة أو غيرها.

أما السقوط الثقافي لأمة فهو سبب لضعف القدرات المعرفيّة للدولة أو للمجتمع. . . . . . وقد كانت الثقافة السُنيّة التي بُنيّت على مدى القرون الستة التي تلت مبعث النبي تسير ليس على سكة الفكر، وإنّما على عُكّاز العصبية والقوة والإبادة والبداوة. . . . وهذه الثقافة - *لا بأس بأن أكررها*

(1) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا (الجعل أي السُنّة) فِي كُلِّ قَرْيَةٍ (ثقافة أو دولة) أَكَٰبِرَ (الحكام أو علماء السوء) مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (بسبب إهمالهم لعُقم ثقافتهم)﴾ [الأنعام: 123].

للمرة ربما الرابعة في هذا الكتاب ليس - هي (المذهب السني) بذاته، وإنّما هو إفرازات ذلك المذهب، كما هي إفرازات السموم الطبيعية التي ينتجها الجسم الإنساني في أثناء عمليات الأيض (Metabolism) والتي تُسيطر على الجسم، وتُحوّل الخلايا من خلايا عادية إلى خلايا سرطانية أو خلايا ضارة بدون علم أحياناً الجسم، أو بتساهل من قبل ذلك الجسم في عدم التنبّه إلى ظاهرة تجميع تلك السموم. . . . . . وهنا على العقل (أي إرادة الإنسان) في هذه الحالة إما أن يستعين بقواه الداخليّة في محاربة استمرار تَسرّب السموم، أو أن يتُم الاستعانة بعوامل خارجية بمختلف تنوعاتها.

وهذه الظاهرة قد تتكرر مع أي ثقافة أخرى وليس فقط مع ثقافة التسنن، فقد مارستها ثقافة التشيّع في عصور عندما سارت على ذات منهج ثقافة التسنّن في مصر في زمن الدولة الفاطمية، وفي الدولة الحمدانية، مع أن كلتي الدولتين ليستا إثني عشرية الثقافة، ولكن بالعموم فإن القانون مُطّرد في كلّ مُكّون ثقافي على الأرض. . . .

ما أريد أن أشير إليه في هذا الحديث هو أن المعرفيين العلماء، والمفكرين من ثقافات الأمم تقع عليهم مسؤوليات جسام في حفظ مسيرة الثقافة ومستقبل المجتمع من خلال ثلاث طرق:

- أولهما هو امتناعهم أن يكونوا أدوات للسلطة السياسيّة باعتبارها الجهة القويّة أو أي جهة أخرى (مُثُل منخفضة).
- أن يفرضوا آراءهم الثقافيّة على (الأكابر) أي القادة السياسيين أو قادة الدولة، وليس العكس.
- أن يُطوّرا من قدراتهم تماشياً مع حاجة التطوّر الثقافي.

فقد انفصلت أثنيا عن أسبارطة بعد حرب نازفة استمرت 28 سنة (431 ق.م. - 403 ق.م.) وكلتاهما يونانيتان وكان ذلك بسبب الاختلاف فيما

بين الدولتين على أسس من يحكم من..؟ المعرفي أم السياسي....؟ وبذلك انتجت أثينا (المعرفيّة) عمالقة علماء الأرض وهم سقراط (ت 399 ق.م.) وافلاطون (ت 347 ق.م.) وأرسطو (ت 322 ق.م.).... كذلك انفصلت مدرسة النجف المذهبيّة الشيعيّة عن المدرسة السُنيّة في عام 445 هجرية.

وهنا لنا أن نجد مقدار المحنة التي ألمّت بالثقافة السُنيّة من جرّاء ذوبان قادتها ومفكريها ومنظريها في ثقافة الدولة والقوة، وتحوّلت بمرور الزمن إلى كيان واحد كما عبرت عنه سابقاً بذرتي الأوكسجين والهيدروجين في جزيئة الماء (H_2O) وهذا الكيان من الصعوبة جداً أن يتم التمييز فيما بين مكوّناته بالشكل الفكري والشكل الفعلي..... نعم لقد حاول عمالقة كبار أن يعملوا على هذا المنحى في رسم حدود كلي الفكرين مثل العلامة الكبير أبو حنيفة النعمان (ت 150/ 767 م)، والغزّالي (ت 550/ 1111 م) ولكن من الصعوبة أن يتم ذلك باعتبار أن المشكلة لا تكمن في التفرعات ما لم يتم إزالة القدسية (Infallibility) عن الأصل، تلك هي سُنة الشيخين الصديق والفاروق، في الوقت الذي تعتبر المدرسة السُنيّة بأن الاقتراب من تلك السيرة هو توجّه مُغرض يقترب من الكفر بل هو الكفر بعينه.

فقد بُنيت أسس المدرسة السُنيّة التي وصلت إلى المسلمين على فكرة (مدرسة الخلافة) التي وضع أسسها الشيخان[1]...... ومناقشة تلك

(1) لا أعني من هذا الكلام بأنني أحاول إلقاء تبعات هذا الأمر على الصديق والفاروق مع أنهما يتحملان القسط الكبير، ولكن ما أريد التأكيد عليه هنا هو من كتب سيرة الشيخين ومن صمّم وضعها في مصافي السيرة (المعصومة) تلك هي الدولة الأمويّة ومن لف لفها من رواة ومحدثين وعلماء هم من يتحمّل بقيّة ملحقات النتيجة.

السيرة لها أبعاد وتبعات كبرى على صلب ثقافة التسنن، بل أن مناقشة ذلك الفكر بموضوعيّة سوف ينسف أصل وجود المدرسة السُنيّة الفكرية، وهو أمر لم يتجرأ عليه أو يفكر به أي من المثقفين أو العلماء السُنّة لا قبلاً ولا الآن في القرن الواحد والعشرين. . . .

نعم تطرق إلى الموضوع عدد من الكُتّاب وليس العلماء ما لم نضع لمدرسة الشيخ أبو رية (ت 1970 م) من ميزة خاصة في طريقة اقترابه من ذلك شيئاً ما، وكذلك البعض من رواد النهضة الفكريّة، وفكر الحداثة مثل محمد عابد الجابري (ت 2010 م)، ونصر حامد أبو زيد (ت 2010). كما استمر المنهج بعد الثورة المصرية الجديدة وفيما بعد التغيير في عام 2012 حيث تمّ وضع منهج يتبنى ما يُفهم منه محاسبة التأريخ ومحاسبة الشخصيات الكبرى رحمها الله المقدسة من خلال بحوث معمقة لا من خلال انفعال طائفي أو عاطفي لتبيين ما جنته أفكار تلك الشخصيات على الأمّة وعلى أجيال التأخّر الذي تعيشه الشعوب الإسلامية.

سقوط بغداد: لم يكن سقوط بغداد على يد هولاكو عام 656 هجرية 1235 م بالشيء المفاجئ لرواد الفكر الثقافي العالمي، ولا إلى الشخصيات العارفة بمسيرة السُنن التاريخية، فقد كان نتيجة طبيعية لها مصاديق في عالم البيولوجيا وعالم الطب وعالم الشعوب وكلّ ما يخصّ حياة الإنسان. فالفراغ دوماً يجب أن يتم ملؤه بشيء ما، والفراغ الفكري الذي تركته الثقافة المسيطرة على مجرى الأحداث وهي الثقافة السُنيّة بما افتقدته من قدرة على مواكبة تطور المجتمع وبسبب تنكّرها لفكر الإنسان وتنوعه كان ذلك هو الفراغ الذي أصبح مهيئاً إلى ثقافة أخرى لكي تحل محل ثقافة التسنن، وبما أن الثقافة في الواقع الإسلامي لم تتمكن من النهوض ما لم يكن هنالك قوة فاعلة تُهيئ الأرضية للجانب الفكري كما هو أمر الانهيار الهيليني أمام غزو

الإسكندر الكبير في عام 338 ق. م. بعد أن استنفذت الثقافة الهيلينية مُبررات وجودها فانهارت بسرعة رهيبة لا تُقارَن بسرعة بناء تلك الثقافة، وذات الشيء انطبق فيما بين سنة 1989 إلى عام 1991 على الثقافة السوفيتية عندما تحلّلت أكبر قدرة عسكرية على وجه الأرض.

وقد يمكن لنا أن نُقارن الكثير من الثقافات والحضارات التي سقطت بفعل التهيؤ الثقافي لعامل الفراغ الفكري الذي تركته الثقافة المسيطرة على الدولة وعلى رجال المعرفة والتي كانت في العصر السوفيتي هي ثقافة البروليتاريا الاشتراكية التي لا تعترف إلا بنفسها قدرة فريدة في الإمساك بسياسة عقل المواطن وتوجهاته. . . . . كذلك الشيء ممكن لنا إدراكه من خلال السقوط المريع للفكر الكنسي بعد الثورة الفرنسية الكبرى بين عامي 1789 إلى عام 1799 والتي تغيّرت على أساسها كلّ حسابات الإنسان على هذه الأرض.

هنالك أمر يجب على المُسلم ملاحظته أو التنبّه له في مسلسل الغزو المغولي إلى العالم الإسلامي لا بأس بمناقشته من الوجهة الثقافيّة والتي - مع الأسف - لم نر مثقفينا قد تطرق له بشكل حيادي علمي بعيداً عن الدموع والنوائح التي يضعها أولئك التأريخيون بمجرد ذكر اسم هولاكو أو سقوط بغداد، وهو ما يُنسيهم الحديث في واقعيّة الحدث بشكل علمي كما ناقش العالم الكاثوليكي واقع الثورة الفرنسية أو انكلترا بالنسبة إلى الثورة الأمريكية عام 1775 أو سقوط روما بالنسبة إلى الكاثوليك الغربيين 1806 أو غيرها من الحضارات أو الثقافات التي تمر على الأمم وتتغير بفعل عوامل الفناء وعوامل الحضارة وسنة التأريخ.

لا زال كُتّابُنا إلى يومنا هذا يندبون حظهم بشكل مُمّل وبشكل لا يروق لكل ذي عقل عن سقوط بغداد، وكأن بغداد والعالم الإسلامي كانوا

يتمتعون بما تتمتع به دول العالم المتحضر من احترام رأي الإنسان يقوده نظام حكم دستوري يتمتع بمجلسين، وأن الرئيس مسؤول أمام سلطات كثيرة. . . . وأن المواطن مضمون لحريته وفكره وماله وعرضه ومعتقداته. . . مع الأسف أن نرى هذا النوع من التخلف الفكري الذي لم أجده في ثقافات كلّ العالم التي انهارت أو التي سقطت أمام غزو خارجي أو تغيّرت داخلياً. . . . . .

فهذه الكنيسة الكاثوليكية التي انحسرت مساحة دولتها إلى 0.44 كم مربع بعد أن كانت تسيطر على نصف العالم تقريباً هي اليوم تشعر بسعادة غامرة أمام منطق التأريخ، ولم أجد منهم ممن بكى ولطم واتهم وخوّن الآخرين، بل أنهم تعاملوا مع الحدث واقعياً بعد أن اكتشفوا نقاط الخلل الفكري والثقافي والسياسي. . . .

كذلك الأمر مع الاتحاد السوفيتي القريب من عصرنا، وذات الشيء في الثقافة الهندية والكونفوشية وغيرها. . فلا أدري لماذا يَعبُد مثقفونا الماضي، ولماذا يرون فيه أنه مستقبلهم الذي يجب أن يُحولوه إلى كيان ذاتي، ولماذا يرى العرب أو المسلمون بأن الهروب إلى الخلف هو الحل لمشاكلنا، ولماذا يتغنى المسلمون بما يسمونه (السلف) وكأنه الحل السحري لما نعانيه. . .؟

فليس هنالك من يختلف في تشخيص واقع الدولة التي سبقت الإنهيار المريع أمام قدرات المغول - *وللحق نقول* - أنه لمن المفترض أن يحدث ذلك منذ زمن بعيد أي منذ أيام المتوكل العباسي (ت 247/ 861 م) عندما سحق الجند خصيتيه فمات وسيطر على الدولة الخصيان، فكان الزمن منذ ذلك الوقت ولحين قدوم هولاكو تقريباً أربعة قرون ونصف كما يعبر عنه (Bonus) لصالح المسلمين. . . . .

وبمراجعة لعصر الخلفاء الثلاثين الذين توالوا بعد عصر المأمون وإلى حين السقوط تجد هنالك الغرائب في طريقة التقيّيم من قبل أقطاب الثقافة السُنيّة، وكأنّ ذلك هو انتقاص من الإسلام وفكره. . . . . فلم تتمكن تلك العقليّة المنحازة من أن تضع المقاييس أو التشخيص الصحيح لتلك الفترة. والأعجب من ذلك هو أن أولئك الأقطاب ربطوا الأمر بشخص اسمه بن العلقمي وأنه كان هو السبب في كلّ ما حدث، ولا أدري كيف يحترم الإنسان عقله في التصريح بذلك.

فالأقليّة التي كانت تُسيطر على الخلاقة العباسيّة كانت أقليّة دينيّة وكانت من أكثر المنتفعين من وضع الدولة في شكلها المهلهل الذي يمكن لها أن تتكئ على الطبقة الدينيّة تلك، في الوقت الذي كانت هذه الطبقة تضع أمام الحُكُم خيارات بقائها أو خيارات سحب الثقة منها بطريقة أو بأخرى. باعتبار أن الخلافة هي مصطلح ديني قبل أن يكون مصطلحاً ثقافياً أو عشائرياً. . . .

فبقدر تمكن الصراعات الدينيّة أو الأقليات الدينيّة التي تعشش في محيط الملك أو الخليفة من حسم موقفها تجاه منع الأخرى من الظهور والسيطرة على بطانة الحُكُم بهذا القدر تتمكن من أن تحكم قُدُراتها. طبعا كلّ ذلك كان يجري في ظل اتصال جانبي يجري ما بين تلك القوة الدينيّة (ثقافة التسنن) وبين قوى خارجية معظمها دينيّة أو فكريّة أو في غالب الأحيان بربريّة أو قبائليّة ترمي في هدفها الحُكُم والسلطة[1]، فلو اختلف

(1) ولولا نجاح خطة دعوة الخليفة القائم العباسي لقبائل السلاجقة ودخولهم بغداد بقيادة طغرل بك وتمكنهم من السيطرة لأكثر من قرن من الزمن على مُقدّرات الشعوب الإسلاميّة لما وجدنا ذلك قد تم نشره والافتخار به في سعة العقليّة الثقافيّة للتسنن السياسي في التخلص من حكومة الشيعة البويهيين. فقد راسلت قوى التسنن تلك الكثير من القوى الطامحة في العراق قبل وصول هولاكو بغداد خشية من أن يقع الحُكُم ثانية بأيدي الشيعة الفاطميين أو بقيّة التبرعمات.

الحاكم أو الخليفة مع تلك الفئات الدينيّة فإنهم بالتأكيد سوف يستعينون بخارج الدولة بقوى خارجية في السيطرة على الدولة أو القصر. . . . . . .

هذه الاتصالات غير معروفة وتبقى في كلّ دول العالم عبارة عن أسرار ولكنه أمر يكاد أن يكون مشتركاً في كلّ الثقافات والدول العالميّة التي حكمت في خلال تلك الفترة، وربما خلال الفترات الحالية. . . . . فوصول الأتراك ثم السلاجقة ثم البويهيون بغداد، وقبلهم قبائل الهون في أوروبا أو اليونانيين مع الفرس، أو الروس في دخولهم إلى تركيا واقترابهم من إسقاط اسطنبول في عام 1812 وهكذا. . . . . . . لم يكن كل ذلك اعتباطاً وإنّما هو واقع فعلي تلعب فيه القوى المنتفعة خصوصاً الدينية منها دوراً كبيراً في الحفاظ على مصالحها عن طريق التعاون مع القوي ضد الدولة التي تحمل مؤشرات الضعف أو التغيير.

في ذلك الزمن أي في عصور الدولة العباسيّة كانت الأقليّة الدينيّة بتنوعاتها المختلفة التي كانت تُحيط بالسلطان هي التي تقود عملية الاتصال مع الأجانب وهي كلها تقع ضمن مفاهيم (ثقافة التسنن). أما ثقافة التشيّع فهي أصلاً لا تؤمن بضرورة استلام الحُكُم ولا ترى من مُبرّر في أن تُقيم علاقات على ضوء ذلك الهدف.

فقد كان هنالك معياران في ظاهرة الدولة العباسيّة أولاهما هو المعيار الفكري والثاني هو المعيار السياسي وكلاهما له من محيط ومن مساحة يعمل فيها كلا المعياران. . . . فالمجتمع ولكي يتحرك باتجاه مساندة الدولة في خُططها الراميّة إلى إبقاء سيطرتها فإنه يتوجب عليها أن لا تَبخل على المؤسسة الدينيّة تلك في مشاركتها في كعكة الحُكُم وسطوته، ليس فقط للطبقة القريبة من السلطان بل ربما لكل الطبقات الأخرى من العلماء (الأكليدرس) المنتشرين في الجوامع وفي محيط المدن أولئك الذين يقودون

توجهات الدولة الذين يرأسهم المفتي في الدولة، والذي بدوره كان يرى بأن السلطة التي يتمتع بها نابعة من شكل الدولة الدينيّة، ويحيط بالمفتى جهات متنوعة منهم الجيش ومنهم عائلة الخليفة بالإضافة إلى علاقات دينيّة سياسية مرتبطة بالدول المحيطة بالخلافة أو تفرعاتها وهذه كلها تقع تحت إشراف المفتي الديني.

الشعب العربي أو الشعوب التي كانت محكومة بالمرسوم العباسي لم تكن بالمعنى العام شعوباً مُنتجة أو ممن يصنعون الرأي، فالخلافة منذ زمن تأسيسها عام 11 هجرية كانت تحت سلطة شخص واحد بشقيّها التشريعي والتنفيذي الخليفة، وهو الذي لا يمكن أن يُردّ له رأي أو طلب من قبل المعاونين أو أعضاء الحكومة، وهو بعكس الدول التي كانت تحكم في تلك الفترة، أو ما قبلها مثل الساسانيين والرومانيين واليونانيين وغيرهم من الشعوب التي كانت تمتلك دستور وهو الذي يحتل موقع الفوقيّة للحاكم أو الملك وهو ملزم بتطبيقه وإلّا فإن مجلس النواب سوف يعزله أو يعرضه إلى المحكمة وربما القتل(1).

(1) عندما هاجم الفرس اليونان في عام 480 ق.م. دعا الملك الشجاع ليونيداس قومه إلى إنقاذ الوطن ومقاومة الغزو. ولكن تبعه أناس قليلون جداً بعد رؤيتهم حجم القوة الغازية. لكن المجموعة التي خرجت مع الملك كانت تمتلك الثقة المطلقة باخلاص وشجاعة ملكهم فخرج معه فقط 300 رجال من الفولاذ البشري حاولوا أن يصدوا أكبر جيش عرفه العصر القديم. زوجة الملك ليونيداس حاولت إقناع مجلس النواب بإرسال الجيوش لدعم زوجها وفشلت لان الملك خرج عن سلطة البرلمان، وكانوا يعدّون العدة لمحاكمته إذا عاد حياً. ولم يعُد من الجيش أحد من الجرحى الباقين من هؤلاء الثلاثمائة إلّا مقاتل واحد وهو يصف كيف قاتلوا، وصمدوا، ولم يستسلموا رغم كلّ الإغراءات والعروض التي قُدّمت، وأن الملك الحر لم يُفكر بسلطته، ولا عرشه، بل بكرامة مملكته، ومصير نسائها وأطفالها المُهدّدين بالعبودية. لما سمع سكان المدن الإغريقية الأخرى وعرفوا الحقيقة توحّدوا تحت قيادة المقاتل العائد بجيش جرار وهزموا الجيش الساساني.

الذي يمتلك صلاحية الدستور بصورة غير معلنة في الحُكُم العباسي أو في الدول التي سبقتها هم الأقلية الدينيّة (البطانة) التي نتحدث عنها والتي تتحالف أحياناً مع العسكر ومرة أخرى مع الإدارة ومرة مع الخليفة للحفاظ على التوازنات التي تحتاجها في دوام سيطرة الثقافيّة الدينية.

المؤرخون العرب وممن كتب عن فترات الدول تلك لم يُحلّلوا الدوافع السياسيّة أو الدينية، بل نقلوا ما وصل إليهم من الأخبار التي كتبتها نفس الأقليّة الدينيّة تلك فقط[1]، هذا التضليل الإعلامي وشكل المصالح الدينيّة هيّأ أرضية واسعة لكل أنواع الغزوات التي أقدمت عليها بقيّة القوى الطامحة إلى المزيد من القوة. . . . فلم يمارس مثقفوا التأريخ العربي عملية تشخيص

(1) بعد أن دخل العالم عصر التكنولوجيا وتناقل المعلومات وتطوير محركات شبكة المعلومات (Google) أو (Wikepedia) أو (Britanica) فإنها أيضا سارت على سلفها (الجزء العربي) في المعلومة الخاطئة ولم ترع لأهمية عالم التكنولوجيا من تأثير على دقّة وموثوقيّة الخبر، فنقلت تماماً ما زخرت به الكتب الصفراء المُضلّلة التي كتبتها طبقة المنتفعين من الأقليّة الدينيّة الثقافيّة التي كانت تحيط بالخلافة، وهو أمر محزن جداً لعالم التكنولوجيا الذي من المفترض أن يرتفع عن مستوى التضليل وإرسال الخبر على عواهنه. . . . . ولقد وجدت أن ذلك لم يكن الشيء ذاته في المعلومات التي تهم عالم الثقافات المسيحية والتي تنشر على صفحات (المحرك) المعلوماتي ما لم يتم توثيقه من قبل شخصيات علميّة محايدة تمتلك رصيداً علمياً من جامعات يُعترف بمصداقيتها. كما أنني لم أجد ذلك أيضاً في ثقافات الكونفوشية ومذاهبها المتنازعة والتي كتبت ثقافة النزاع ذلك في القرون التي كانت تتصارع فيما بينها، بل أن عالم التكنولوجيا والتوثيق دعاهم إلى أن يعرضوا كلّ ذلك إلى عالم البحث والتوثيق وأن يُوقع على تلك المعلومة شخصيّة علميّة جامعيّة معروفة كما تُعطي شهادة لاكتشاف علمي أو طبي أو براءة اختراع أو ما إلى ذلك. . . . وهنا من المهم جداً على المثقفين العرب وعلى رواد النهضة أن يوقفوا دورة التسطيح تلك ويعملوا بجد وحماس وطني إلى إعادة ثقة المواطن العربي بتأريخه من خلال التحلّل من المعلومة المعبّئة أو الإيديولوجية التي كتبتها أقلام الثقافة السُنيّة منذ فجر التأريخ الإسلامي واستبدالها بمعلومة موثّقة بعيدة عن الكُتُب التي تمّ كتابتها في أثناء سيطرة الدول الإسلاميّة في العصور الأربعة.

دقيقة لعوامل انهيار الأمة، بل وضعوا نظرية بعيدة عن الواقع وعن الثوابت العقليّة في مجتمع تسود فيه الأميّة وتضرب البداوة أطنابها في تركيبته.

المرض العضوي يزداد تأصلاً ما لم يتم تشخيصه علميّاً فإنه بالتأكيد سوف يعود ثانية، فمن المهم تشخيص انفلونزا الخنازير بأنها (فيروس) وليست (بكتيريا). فقد كان الناس تعتقد بأن الأمراض هو غضب سماوي وبقوا على ذلك ولم يُكّلفوا أنفسهم في البحث عن النظر إلى الحقائق البحثيّة، فقتل منهم الطاعون ما قتل إلى أن جاء البعض من الوعاة وتمكن من أن يعيش واقعية الإصابة في الطاعون أو الجذام.

تعتقد الثقافة السُنيّة بثوابت تتوارثها خلف عن سلف من أهمها هو تعريف (المُحتل). . . . فالمحتل في عُرف تلك الثقافة هو غير المسلم أي لا يقول الشهادتين بلسانه فقط، فكل من يتمكن بالقوة أن يُسيطر على الحُكُم والدولة ضمن مواصفات تعريف المسلم فهو غير محتل، وعلى تلك الثقافة أن تمد يدها له لتعطيه شريعة الحُكُم[1].

الاعتقاد الثاني هو أن الخلافة العباسيّة أو الخليفة هو مُن يُمثل الفكر السُنّي أو المذهب السُنّي، وهو ما يُحمّل الثقافة السُنيّة تبعات وزر الحُكُم بسيئاته.

الإعتقاد الثالث هو الحساسية المُفرطة من اكتشاف أسس الثقافة السُنيّة وجذورها، بل فُرضّ على المسلم الإيمان بها بدون دراسة جذورها وعقلانيّتها.

(1) انظر القلقشندي في تعريف الحاكم. (مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، تحقيق عبد الستار فراج، عالم الكتب، بيروت. 2006).

الاعتقاد الرابع هو الخشية الكبرى من التأثير الشيعي بثقافته على القادم الجديد وذلك لغياب الثقة الداخلية أو الحصانة بتلك الثقافة.

الاعتقاد الخامس أن الثقافة السُنيّة ثقافة معصومة يتوجب الإيمان بها بدون الرجوع إلى مبررات أدبياتها.

كان هولاكو[1] قبل وصوله إلى بغداد يعلم جيداً واقع البلد الديني والاجتماعي وقد استغرقت عملية دراسة احتلال بغداد وإسقاط الخلافة العباسيّة خمسة سنوات من قبل أب هولاكو، فكان يدرك بأن الثقافة السُنيّة ثقافة مهلهلة بسبب الظرف القمعي الذي يعيش به الشعب، فكان يُدرك بأن دخوله كلّ الأقطار التي فتحها تعتمد على طبيعة العلاقة الثقافيّة بين الحُكُم والمواطن. . . . . .

وكان يعتقد بأن موضوع احتلال أية دولة في العالم هو أمر مهم من أجل إشاعة فكر المغول المُنضبط الذي يتّصف بالقوة والقدرة، ولذلك فإن هولاكو عندما احتل بغداد لم يستبيحها كما استباح بقيّة البلدان الأخرى التي دخلها، بل أوقف هجوم الجند بعد يوم أو يومين وأمر بإعادة ما هدمه الجند. . . . .

ولكن الشيء الغريب أن يحاول التاريخيون - المُنصفون - التغاضي عن خطوة تنصيب اللجنة العراقية ما عدا الإسم الأول (وكانوا سُنّة المذهب ما عدا بن العلقمي) تُدير أمور البلد[2] وقال لهم بأنني لست مسلماً وأنكم

(1) كان للمغول كتاب لشريعتهم يسمى (الياسة)، وقد كانوا يحترمون الأديان ويحترمون من يدافع عن شريعته من المنتمين.

(2) علي بهادر بمنصب شحنة، ومؤيد الدين بن العلقمي بمنصب وزير، وفخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان، ونجم الدين أحمد بن عمران صدراً للأعمال الشرقية، وأقر القاضي عبد المنعم البنديجي على القضاء، وتاج الدين علي بن الدوامي صدراً للأعمال القرآنية، وفوّض منصب صاحب ديوان البلاد (وزير مالية) كلها لشمس الدين الجويني وأطلق يده في كلّ =

أعرف بأمور بلدكم فعليكم مسؤولية إدارة البلد ثم غادر بعد أن بقي فقط ثمانية أيام[1].

في حقيقة الأمر لم تكن الأخبار التي وصلتنا عن طريقة استباحة العاصمة من قبل هولاكو صحيحة، وإنّما كان فيها شيء من الصحة ولكن في العموم كانت خاطئة كتبت بطريقة غير محايدة واعتقد بأن سبب ذلك يعود لأربعة أمور:

- التملص من المسؤولية التي تقع على عاتق أئمة ثقافة التسنّن في عدم التهيئة للغزو المغولي، في الوقت الذي كانت تلك الثقافة هي المسيطرة على مقدرات البلد[2].
- الاستفادة من الحدث في تشويه وتأخير مسيرة الثقافة الصاعدة وهي الشيعيّة وإلصاق تُهم غير علميّة بأنها كانت وراء ذلك الحدث.

= الأمور. وفوّض حُكم بغداد إلى أخيه علاء الدين عطاء الملك فاحتفظوا بالوظائف المهمة الضرورية وألغوا وظائف أخرى أو قلّصوها وعيّنوا في بغداد نائب شرطة وخازن ديوان وصدر وقف وهي وظائف عباسية قديمة، وقسّموا البلاد إلى خمس مناطق إدارية وضعوا على رأس كلّ منها موظفا باسم (صدر) ثم عيّنوا النواب أي الموظفين والنظار (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لأبن الفوطي، ص 332 - 333، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002).

(1) وصل هولاكو يوم الرابع عشر من شهر صفر عام 656، وغادر يوم الثالث عشر من الشهر.

(2) هنالك أقوال غير موثّقة بتقارير علميّة تقول بأن أعمدة الثقافة السُنيّة هم من حسّن أمر دخول بغداد إلى هولاكو بعد أن اعتقدت بأن الخلافة العباسيّة سوف تتبع منهج آل البيت وذلك بعد أن أعلن الخليفة الناصر (ت 622) والمستنصر (ت 640) التزامهما مذهب التشيع، وهو ذات الموقف الذي تمّ به دعوة السلاجقة من قبل أئمة ثقافة التسنّن نكاية بالخليفة الذي قبل حكم البويهيين الشيعة. ولكن ما أن حل هولاكو في محيط أربيل أخبر هذه الفئة بأنه ليس منحازاً إلى الثقافة التي يلتزم بها الخلافة لأنها ثقافة دموية وغير عادلة عندها تغيّرت نبرة المساومات في إلقاء تبعات الأمر على أضعف جهة في الدولة والتي يراد الانتقام منها (Scape Goat) تلك هي الثقافة الشيعية.

- التغيير من ثقافة التسنّن إلى أي ثقافة أخرى عمليّة صعبة تُهدر في طريقها الدماء والأعراض إلى مستقبل غامض أسوأ مما كان.
- البديل فقط هو الثقافة المناوئة وهي ثقافة التشيع.

بسقوط بغداد بيد المغول حدثت تغيرات كثيرة وضخمة على مستوى الصراع بين الثقافتين السُنيّة والشيعيّة وربما أهمها هو جو الانفتاح الذي ظهر بسقوط سيف التسلط والاضطهاد على الفكر وعلى حُريّة الفرد بعد أن هرب الكثير من أعمدة ثقافة التسنّن إلى خارج بغداد وخصوصاً إلى الموصل وسوريا والى الأقطار المجاورة وتحطّم الجهاز المخابراتي الذي كان يحمي عملية العنف التي تديرها الدولة وتديرها أعمدة الثقافة السُنيّة وهو الجو الوحيد الذي تجد فيه الثقافات مجال النمو والتوسع. . . . . .

فليس بالضرورة أن تكون الثقافة التي تمّ كبحها تُمثل الرأي الصحيح، وإنّما ظرف الإرهاب يوحي للمجتمع بأهميتها وقدرتها[1]، فتحول المجتمع الأكثرية وقتها إلى نسيج حاول أن يقترب بعضه من البعض الآخر لكي يتفهم المواطن أخيه المسلم الآخر بنوع من العفويّة الفطريّة، ولكن كانت بقايا تلك الأقليات الدينيّة المسيسة تعمل المستحيل في سبيل توجيه الأطراف إلى الصراع والقتال كما هي عقليّة فكرة الغلبة وفكرة السيطرة السياسيّة على الحُكُم أو المواقع التي خسرتها تلك الثقافة.

---

(1) كانت الأحزاب اليسارية الشيوعية في فترة ما بين الخمسينيات إلى أواسط السبعينيات في الدول العربية تعيش ظرف المصادرة الفكريّة والملاحقة الأمنية من قبل الحكومات، وكانت في ذات الوقت تُمثّل في عرف المجتمع الأفكار التي تدافع عن المواطن وعن وطنيته. وهي ربما تنطبق ليس فقط على اليساريين بل أنها تنطبق كذلك على حركات الإسلام السياسي التي كانت مكبوتة في بداية الثمانينيات حيث هيئها ذلك الكبت إلى المزيد من التعاطف والانتماء الشعبي لها.

وقد يمكننا أن نضع بعض النقاط في هذا المجال:

○ خسارة الثقافتين السُنيّة والشيعيّة ثقة المجتمع بهما بسبب الدعايات التي كانت تمارسها القوى السياسية.

○ تقوية الحركات المتطرفة الشيعيّة والسنية على السواء بسبب ضعف تلك الثقة بالقيادة.

○ ظهور شخصيات كبرى في الثقافة الشيعيّة وتبرعم النجف وفكرها في مدرسة الحلة الكبرى.

○ سيطرة الفكر الشيعي على بغداد والعراق واكتساح الشعائر الدينيّة الحسينية عموم العراق.

○ ظهور مؤلفات كثيرة وكتب مصدريّة في الثقافة الشيعيّة بينما انحسر الإنتاج في الثقافة السُنيّة.

○ انتماء المغول إلى الإسلام في أماكن تواجد الثقافة الشيعيّة واعتناقهم التشيّع مذهباً.

○ زيادة إصدار الكتب الطائفيّة التي تتحدث عن الظلم الذي لحق بالشيعة وتوعدهم بظهور المهدي وليس بالانتقام العادي لأن قصاص الدم في العرف الشيعي الاثني عشري من صلاحية الإمام المعصوم حصراً.

○ بداية دول تتبنى مفهوم العدالة الإجتماعية (الدولة الإيلخانية) وليس مفهوم الدين المُسيس أو ثقافة التسنّن المتبلورة في (مدرسة الخلافة) فأقرت العدل بشكل لم يألفه المجتمع البغدادي على مدى قرون.

○ تقوقع الفكر المذهبي السُني وتوقفت قدرته على الإبداع وهذا ما

خلق جواً محموماً في ظهور بدع القتل وفتاوى التكفير، وبداية الفكر السلفي.

○ ظهور أهم ثلاث كتب في التأريخ السياسي السني وهي: كتاب سياسة نامة لنظام الملك وزير السلاجقة (ت 485/ 1092 م)، وكتاب غياث الأمم في التياث الظُلم لإمام الحرمين الجويني (ت 478/ 1085 م)، وكتاب المستظهري في الرد على الباطنية للإمام الغزالي (ت 505/ 1111 م).

ولكن الشيء الذي ظهر مع سيطرة الدول الشيعيّة ربما على كلّ البلدان التي كانت تقع تحت العباسيين حيث وصلت قوة الدولة الفاطمية تقريباً كأقوى قوة على الأرض في ذلك الوقت خصوصاً في زمن الحاكم بأمر الله (ت 411/ 1020 م)[1] الذي بزمنه توسّعت الدولة بشكل لم يسبق لسلطة عالمية أن تمتلكها والذي لم يقتصر على الواقع السلطوي بل كان التطور يسير بشكل مذهل مع روح تسامحية كبرى للأقليات وانفتاح على كلّ الأفكار التي تقف مع الثقافة الشيعيّة على طرف نقيض، فلم تتوانى الدولة الفاطمية في أن تضم في إدارتها شخصيات من الثقافة السُنيّة ومن الآخرين.

ولكن الدولة في المنطوق الشيعي الإثنى عشري ليس هو هدف مبعث الأنبياء وليس هو من مسؤولية البشر في إقامة حكم ديني، فالاعتراض في إقامة إمبراطورية دينيّة كبرى عادلة كهذه الإمبراطورية ليس منطلقاً من شكل الدولة، وإنّما من شكل التفويض الشرعي الذي تمتلكه، فالثقافة الشيعيّة لا تعترض على دولة العدل وإنّما تعترض على تسميتها في أنها مُمثلة لله على

(1) الفاطميون حكموا من سنة 296 في القيروان ثم انتقلوا إلى مصر في عام 358 على يد المعز لدين الله، ثم اضمحلت على يد الأيوبيين في عام 592.

الأرض باعتبار أن ذلك التفويض هو فقط من صلاحية النبي والمعصوم. وهو أساس الاختلاف ما بين الثقافتين والتي ترى الثقافة السُنيّة بأن الحاكم هو المفوض في امتلاك كل الشرعيّة التي يمتلكها النبي أو المعصوم أو ربما الخليفة هو المعصوم الذي يُشابه ما يعتقد به الشيعة مع عدم وجود تحديد عددي لأولئك الخلفاء.

هذه الفكرة هي أساس الاختلاف بين الثقافتين الشيعيّة والسنية، فبالقدر الذي تتمكن فيه كلتا الثقافتان من التأثير على الآخر فيما يخص هذا المفهوم، فإن مفهوم الدولة ينضج في العقل الشيعي في حالة تأثير الثقافة الثانية على الأولى، كما هي فكرة الفاطميين في إقامة دولة والذي كان منطلق من نفس مفهوم المنطق السُني في (مدرسة الخلافة) وهو ما لم يعترف به الشيعة الإثنا عشرية، مع أنهم لم يقفوا على جهة المعاداة معهم كما هو ذات موقفهم مع الدولة السُنيّة العباسيّة أو الأمويّة بما يخص مفاهيم الشرعية.

فالثقافة الشيعيّة ليست هي الثقافة التي تفرض نفسها أو رأيها على مسيرة حياة الناس أو تصرفاتهم، ولا هي التي تعطي للآخرين شهادة الاقتراب أو الابتعاد عن الدين فيما يخص فكر (إنشاء كيان)[1] ولكن في

(1) (الكيان) هنا هو أي تجمع يراد منه تنظيم شؤون الأفراد في علاقاتهم ومصالحهم سواء أكان ذلك على مستوى دولة أو إمبراطورية أو غيرها وهي حقيقة عقليّة لا يمكن رفضها من قبل الإنسان، فالجميع يحتاج إلى من يُنظّم شؤون حياتهم في العلاقات التجارية والفكرية والعلمية ولاغنىً لأي من المجتمعات إلى توفر هكذا دولة أو مؤسسة وهو ما يعتبره الشيعة الإماميون مُدركات عقليّة أي فطرية لا يمكن النقاش فيها لأنها من بديهيات فكر الانسان. ولكن اختلافهم مع مدرسة الخلافة أو مع غيرهم من الطامحين إلى إقامة دولة هو معرفة كيفية الحصول على الشرعيّة الربانية في ذلك الكيان. فلئن كان الشيعة الإماميون عاجزون عن التوصل إلى حل لهذه المشكلة العويصة فإن غيرهم تمكّن من حلها على شكل فلسفة =

ذات الوقت فإنها تمتلك الحق في نفي الشرعيّة (كرأي) فقهي ديني عن هذا أو ذاك وليس على الآخرين من أصحاب ثقافات بناء الدول في منع الإماميّة من الإدلاء برأيهم، كما هو انتفاء منع الشيعة تلك الكيانات أو الفلسفات من إقامة دول.

وهذا الموقف كان من الصعوبة على الشيعة أن يقدموه بالصورة التي من الممكن لتلك الكيانات سواء أكانت سُنيّة أو شيعية أو غيرها من إدراكه أو هضمه أو استيعابه على مستوى العقل العادي، وحتى على مستوى العقل العلمي باعتبار أن فكرة التشيّع هي الفكرة الوحيدة في العالم، أكرر الوحيدة في عالم الأفكار الدينيّة أو غير الدينيّة إطلاقاً وعلى مدى أربعة آلاف سنة منذ زمن إبراهيم والى الآن من يفكر بهذا الاتجاه. . . . .

فهو تفكير يكاد أن يكون أمر تنفرد[1] فقط به الإماميّة الإثنى عشرية، بل ربما الجزء منهم (الأكبر). . . . . . . نعم من الممكن أن نرى وضوح هذه الفكرة الآن وفي بعض الفلسفات الحديثة التي انطلقت خلال القرون الماضية وخصوصاً في محيط العالم المسيحي بفئاته المتعددة وبالتحديد الكاثوليك بعد أن تمّ التوصل إلى ذات الفكرة الشيعيّة في عدم التصدي للحكم وذلك بعد مسيرة دماء طالت العالم منذ عصر 300 م إلى عصر الثورة الفرنسية 1799 والله العالم كم ذهب أمام هذه الفكرة من أرواح ودماء. . . . . حيث تمّ فصل الدين بعد ذلك التأريخ تماماً عن الدولة

= (مدرسة الخلافة) أو على شكل دولة (الفاطميين) (الإسماعيليين) باعتبار أن الإمام (المفترض الطاعة) أو (المعصوم) هو حي قائم بين ظهرانيهم وهو من يمتلك حق إضفاء الشرعيّة على تلك الدولة.

(1) نظرية السيد الخميني (ت 1988) المسماة (ولاية الفقيه) هو أمر بين أمرين وهي لا تدّعي بأن الدولة التي تبنى على أساس تلك النظرية هي دولة المعصوم.

وأعلنت الفلسفة المسيحية أي الكنيسة بكامل تفرعاتها (الكاثوليكية، البروتستانتية، الأرثوذوكسية) بأن هدف رسالة السيد المسيح ليس هو إنشاء كيان سياسي على شكل دولة أو ما شابه، وإنّما هو تغيير محتوى الإنسان وربطه بالسماء من أجل إثّراء الفضائل الكامنة في النفس من أجل بناء الكيانات الإجتماعية أو السياسيّة سواء أكانت على شكل دول أو مؤسسات أو هيئات أو ممالك.

ولنا هنا أن نتصور كم هي صعبة على الإنسان الذي خلقه الله على الأرض منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة في التوصل إلى الحقيقة الربانية الكبرى تلك بعد مضي قرون وقرون على بداية خلقه..... فلئن كان العالم المسيحي قد توصّل إلى تلك الحقيقة بعد مضي تقريباً أكثر من ألف وخمسمائة سنة على الإعلان عنها من قبل السيد المسيح فإنه كما أرى بأن المسلمين سيحل اليوم الذي يُمكن أن يصل إلى ذات الحقيقة بعد مضي ذات الفترة العقليّة التي مر بها العقل المسيحي وهو يعني تقريباً أذا اتخذنا التقويم الهجري منطلقاً لعد السنين حيث يكون أمامنا تقريبا 650 سنة من هذا العام. وهي الفترة التي سيتوصل إليها المسلمون في إدراك مغزى رسالة النبي في أن قيام كيان سياسي على شكل دولة ليس هو هدف الدين[1].

فقد طال إرث العالم المسيحي في التوجه إلى حل إشكالية الأزمة التي أدّت إلى ربط الدين بالقوة والسيطرة (الدولة) والتي كان منطلقها قد جاء من حاجة فطريّة ومن ضرورة داخليّة يعيشها في تصوراته وهي الميل إلى الأمان (Security) وهو أصل فكرة الدين.......

(1) لا تجد لهذه الفكرة الشيعيّة من مصاديق إعتقادية إلا لدى كبار علماء الإماميّة من المجتهدين، أو فضلائهم، أما عوام الناس وسياسييهم من الحركات فإنهم يشاطرون العالم السني في مفهومه نحو الدولة.

ولكن الدين كفكرة لن تحقق له هذا المعنى في مسيرته، وإنّما ما يحقق له نيل حالة الأمان هو القوة إلى جانب الدين، فاعتبار أن الدين باعث داخلي يشعر الإنسان بعلاقته بالقوى المتناهية وهي السماء أو فكرة الله والقوة هنا جاءت مكمّلة لتحقيق فكرة تحقيق الأمان التي يطمح إليها. . . . . فقد كان العالم في زمن نشوء الأديان على الأقل الأديان الثلاث يعيش على شكل قبائل وتجمعات تتنازع على عطاء الطبيعة لأن الطبيعة تبقى شحيحة في تقديم مخرجاتها إذا لم يجتهد الإنسان في استخراجها بنفسه والعمل على تفجيرها، وإنسان ذلك الوقت ليس من النوع الذي يمتلك هذا النوع من الإبداع في تفجير تلك الكنوز، فكان ينتزع حاجاته من أخيه الإنسان بطريقة أو بأخرى وأهمها هو الحرب والحيازة والعصبية، وكلما تقدّمت قدرات الإنسان في استنطاق الطبيعة كلما قلّت الحاجة في أن يتمدد على حساب الإنسان الآخر حتى أن وصلت القدرة البشرية في العالم المسيحي الغربي إلى تمكنه من الآلة التي أوحت له مفهومين أساسيين:

- مفهوم حاجته إلى الإنسان لا على سبيل الإستغلال وإنّما على سبيل المشاركة.
- الطبيعة لها ما يكفي لإشباع الجميع.

عندئذٍ تحوّل المجتمع وبالتدريج في التخلي عن فكرة الصراع مع المجتمعات الأخرى التي يحاول بها انتزاع ما تمتلكه من قدرات أو ما أفاضت عليه الطبيعة. . . . في ذلك الوقت أدرك وخصوصاً في العصر الصناعي الأوروبي بأنه ليس من الضروري استعمال أسلوب القوة كعامل أساسي في تحقيق مفهوم الأمن، وهذا التغيير المهم في عقل الناس أفاضه على المفهوم الديني الذي يحمله في نظرته إلى الحياة، وعندئذ حلّ مفهوم المشاركة بدلاً من مفهوم الخصام والنزاع، وهذا ما سخّر مفاهيم الدين لتحقيق رفع قدرات مفاهيم فلسفة المشاركة الإنسانية.

أما العرب أو المسلمون فإنهم لم ينتقلوا في حركة مجتمعهم إلى ما انتقلت إليه الحضارة الغربية، فلم يمر العرب والمسلمون في فترة النهضة الفكريّة الصناعية ولم يستشعر المواطن المسلم في الشرق ولا الحكام بعامل (الأمان) باعتبار أن الواقع لا زال واقع قاس، ولا زالت الصحراء التي هي المُلهم الكبير لإنتاج مفاهيم البداوة والعصبية سائدة في واقع العرب والمسلمين، فالصحراء وأينما وجدت وجد إلى جنبها البداوة، والبداوة هي عامل مهم من عوامل طلب القوة والصراع والنزاع.

في نهاية الغزو المغولي إلى الدولة كان أمام المسلمين أن ينقسموا إلى فئات، القسم الأكبر منهم قرروا الرحيل من فكرة البداوة والقبيلة التي كانت قد اعتمدتها الدولة العباسيّة إلى فكرة الاعتماد على الذات والإنتاج، فكان أول ما قدح في ذهن الناس من الذين رحلوا من التركيبة العباسيّة بثقافتها هم كل الفئات غير السُنيّة، فكونوا دول وتجمعات مختلفة في بقاع الأرض، فانتشروا في الشمال الأفريقي وفي أراضي ما خلف النهر وإيران بالإضافة إلى أوروبا ومناطق في الأندلس.

فتحولت في ذلك الوقت فكرة الدولة العباسيّة إلى رمز مهلهل لا يمتلك روح أو عزيمة، وإنّما تحوّل الأمر إلى ما يشبه الضياع في الوقت الذي انزاحت الدولة العباسيّة أسما إلى مصر من خلال شخصيات لا يُعرف فيما إذا كانت فعلاً تنتمي إلى آل العباس أو إلى غيرهم، مع أن شرعية امتلاك الحُكُم ليس مقتصراً على آل العباس ولكن الناس وجدت هكذا فكانت تُقام الدول باسم العباسيين لمجرد الحصول على الشرعيّة نيابةً (Subsidiaries)[1].

(1) عدم اعتراف كلاً من الخليفة العباسي وكذلك الأيوبيين في دمشق بسلطنة امرأة أسمها (شجرة الدر) قد أربك المماليك (يحكمون باسم الخلافة أي Subsidiaries) في مصر وأقلقهم فراحوا يفكرون في وسائل توفيقية ترضي الأيوبيين والخليفة العباسي وتمنحهم شرعية لحكم البلاد فقرر المماليك تزويج (شجر الدر) من (أيبك) ثم تتنازل له عن العرش فيُرضى الخليفة العباسي =

وزمن التناقل المعلوماتي، فإنه لمن الصعب بل أحيانا لمن الخجل في أن نواجه ثقافات الشعوب الأخرى بهذا الكم الغريب من اللاعقلانيّة والفوضى التاريخية ومن التزوير وغياب التوثيق بالشكل الذي نبدو فيه بأننا أمة لا تملك لا ماض ولا حاضر (كما هو عليه الآن) وبالتأكيد لا مستقبل.

إن معرفة الماضي أمر ليس من قبيل الترف الفكري أو التاريخي بل هو جزء من شخصياتنا، فليس من الصحيح أن ننشر تأريخ معظمه أكاذيب أو تأريخ غير مُوثّق أو تأريخ كتبته الدولة أو تأريخ يتعارض مع العقل الإنساني[1]، فالثقافة التي تحترم ذاتها أو أنها ترنو أن تسود في مستقبلها يستلزم عليها التحلّل من الميل الشخصي في حبها أو بغضها للشخصيات التاريخية، وهو الشيء الذي يدفعهم إلى التفاعل مع معطياتها من خلال عوامل التعاطف التي تنطلق من الجانب الفكري طائفياً كان أم دينياً لأن الثقافة عبارة عن قانون لا يمكن إيقافه وهو تابع إلى مسيرة الكون في طريقة عمله وتفاعله كمن مثلاً يريد أن يثبت بأن العدد الذري لليورانيوم هو 10 بدلاً من 92. . . . . . فالثقافات لم تمت في مسيرة الحياة، ولم تتقدم الثقافات الفاسدة أو المُميتة في أي من حوادث التأريخ، فكلها متعلق بسُنّة ثابتة تسير كما تسير بقيّة سنن الطبيعة مع الاختلاف في طول المدة الزمنية.

فمن الغرابة أن نجد هنالك من يتحمس من كلي الطرفين إن كان من

(1) لم تكتف الثقافة السُنيّة السياسيّة بما نُشر من كُتب ومعلومات مُضلّلة عن واقع التأريخ الإسلامي خلال قرون من الزمن حتى وجدت الشيء ذاته قد أنتقل إلى صفحات الإنترنيت خصوصاً في مواقع يجب أن تكون علميّة محايدة مثل (Wikipedia). . . فالكذب والتحريف مستمر حتى في أدوات البحث ذاتها، وهي كما أعتقد نتيجة طبيعية لمن تغيب من بين يديه قدرة المعلومة التوثيقية والعلمية. . . ولكن الشيء الخطير الذي يواجه مستقبل المعلومة هو فقدان ثقة الأجيال القادمة بكل تأريخنا وهذا معناه بأننا سنكون أمة ليست ذو تأريخ.

أصحاب ثقافة التسنّن أو من ثقافة التشيّع إلى تأخيّر مسيرة الثقافة من خلال محاربة شخصياتها أو التقليل من قُدراتها الفكريّة. . . في الوقت الذي كان على كلّ أولئك المتحمسين أن يُدركوا بأن أسلحة الحرب الثقافيّة هي غير أسلحة الحرب الكلاسيكية، أو حرب الصراع على الحكم. . . . بل تُعتبر حرب الإبادة في الكثير من الثقافات بأنها لا تُمثل إلّا عملية فنيّة مشابهة لعملية استخراج المعدن (الفلز) من شوائبه[1]، فعملية (تكرير) (Refinering) الفكر مهمة كما هي عملية تكرير المواد المختلطة التي ببقائها تسبب ضرراً إلى ذات الفكرة[2]. وهذا لا ينطبق فقط على مستوى الأفكار السماوية، بل هو قانون عام شامل ينطبق على مجمل مسيرة عالم الفكر وعالم البيولوجي والميكانيك.

فقد عانت الثقافة الشيعيّة خلال القرون التي سبقت هذه الفترة من مآسي كبرى حتى وصلت إلى نهاية فترة العباسيين، فكانت من أشد ما مر على التشيّع باعتبار أن المسيرة الحاكمة لمدرسة (الخلافة) (العباسيين) كانت تُتابع بدقّة موضوع فكرة (المهدي) وتُتابع ولادته وكيفية نشأته ومن هو أبوه لكي يتم تحديده والتي من خلاله تتمكن القوة المسيطرة من قتله بدلاً من أن تسمح له في أن يتمكن منها كما هي الروايات التي صارت متداولة في ذلك الوقت لدى ربما كلّ المذاهب والأفكار الإسلاميّة وغير الإسلاميّة[3]. . . .

(1) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: 214].

(2) ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: 179].

(3) كانت الفكرة التي توارثها العباسيون هو التخلص من منقذ يُدمّر مملكتهم وسيطرتهم اسمه (المهدي) وهو ما دعى بالمنصور إلى تسمية ابنه بالمهدي من باب تضليل الناس وتشويه الفكرة، مع أن العباسيين كانوا على دراية من شخصية المهدي من خلال التتابع الذي ابتدأه =

وقد سَخّرت السلطة كلّ طاقتها وقدرتها في ملاحقة أتباع آل البيت لأن الاعتقاد السائد هو وجوب توفّر الثوار في وقت ظهور المهدي لكي يقودهم باتجاه الانقضاض على الحُكُم العباسي كما يعتقدون. . . . فأقدم العباسيون على سجن حتى النساء خصوصاً نساء الإمام الحادي عشر حيث كانوا يعتقدون بأن المهدي سيولد من إحداهن[1].

ولم يتوقف الصراع الفكري على هذه النقطة، بل أن فترة الغيبة الصغرى التي أمدها سبعين سنة قد دفعت بالكثير من أتباع آل البيت القريبين من الإمامين الأخيرين إلى إعلان اتصالهم (بالمهدي) فضلاً عن النواب الأربعة بالتسلسل، وهنا وفي هذا الجو المتشنج والمشحون ظهر على

= الأمويون من خلال حديث النبي الثابت لدى جميع التوجهات الفكريّة في أن المهدي هو من صلب الحسن العسكري الإمام الحادي عشر (ت 260) كما هي الروايات التي تأكدت من أسماء كلّ من سبقه من أئمة الشيعة الآخرين. فكان الرأي الشائع في الدولة آنذاك هو أن المهدي سيكون رجلاً يقود ثورة كما هي ثورة (ذو النفس الزكية) على سبيل الفرض، ولم يكن يخطر في بال المسؤولين العباسيين بأن الفكرة المهدوية قد لا تنضج إلا بعد آلاف السنين.

(1) وكانت العلامة الأخيرة للفكرة هو وجوبيّة أن يصلي الإمام الذي يليه (الثاني عشر) على أبيه (الحسن العسكري) (ت 260) وهو عُرف مُلزم لكل مسيرة الأئمة منذ الإمام الأول علي (ت 41). . . . . . الذي حدث هو أن العباسيين وبالعمل القريب من الحنابلة تمكنوا قبل فترة من أن يكسبوا إلى صفهم أخ الحسن العسكري (جعفر) (المُلقّب بالكذاب) وتهيئته للمستقبل في أن يؤم الصلاة على أخيه، وهي علامة شرعية إلزامية على إمامته. وحالما بدأ جعفر في الصلاة على أخيه ظهر شاب صغير جذبه من رداءه قائلاً له: أنا أحق يا عم بالصلاة على أبي، ثم أتم الصلاة واختفى بطريقة أقرب إلى المعاجز وعلى أثرها بدأ عصر الغيبة الصغرى والتي خلالها كان هنالك أربعة نواب له في علاقة الإمام الغائب بالمجتمع وهم عثمان بن سعيد (ت 265)، ومحمد بن عثمان بن سعيد (ت 304)، والنوبختي حسين بن روح (ت 326)، والسمري (ت 329) والذي بعد موته انتقل الإماميّة إلى عصر الغيبة الكبرى التي لم يُحدّد مداها والتي بنهايتها يتم إقرار حكومة العدل على الأرض وهي ذات النتيجة التي تقول بها ربما كلّ الأديان بل كلّ المذاهب الإسلاميّة وهي ما تُسمّى (الفكرة المهدوية).

السطح المذاهب الفكريّة المتبرعمة من الشيعة إنطلاقاً من سنديّتها في الاتصال مع ممثل السماء على الأرض. . . . . منها فكرة (النُصيريّة العلويّة) الموجودون في الشام الآن[1]، الشلمغاني وتوجهه المعروف بالعزاقريّة (ت 323) وأحمد بن هلال العبرتائي الكرخي (ت 267)، وأبو طاهر محمد بن علي بن بلال، والحسين بن حمدان الخصيبي (ت 346) قبره في حلب باسم البراق) وأفكار أخرى والتي ظهرت بمجرد أن تحوّلت (شخصية الإمامة) وليست فكرة الإمامة إلى طابع (سري) من خلال أربعة شخصيات في البداية ثم سرية بالكامل بعد تأريخ 370 هجرية.

وبدخول التشيّع حيّز السرية المحدودة صار هنالك عصر جديد تُحيطه الكثير من الغموض فيما يتعلق بالعقائد والأفعال التي تخص الشيعة، كما في نفس الوقت انتسب إلى الشيعة الكثير من الحركات السريّة التي كانت تحمل مطامح ورؤى للواقع القائم، مع أن المبرّزين من الشيعة وعلمائها كانوا شخصيّات معروفة معظمهم شخصيات يُدان لها بالعلم والفضل، ولكن الصورة التي نقلها الحُكُم وشوّهها هو الشيء الذي خلق حاجزاً كبيراً في نظرة المجتمع إلى الثقافة الشيعيّة خصوصاً بعد الإعلان عن انتهاء عصر

(1) عود التسمية بكلمة نُصيري إلى محمد بن نصير البكري النميري (ت 270) الذي كان من معاصري الإمام الحسن العسكري، تعتقد النُصيّريّة بأنّ أبي شعيب (لقّبُهُ الإمام الحسن العسكري بأبي شعيب) هو الباب الشرعي للإمام الحسن العسكري، ولكن الشيعة يرفضون ذلك القول ببابيّة السيد أبي شعيب. . . . النُصيريّة هي طريقة وليست مذهباً، لأنها تعتبر أن الدين الإسلامي هو دينها الوحيد، وطريقتها في فهم الإسلام عرفانيّة نابعة عن منهج الإمام علي، تعد فكرة فصل الدين عن المجتمع أساسيّة عند العلويين حيث أنه لا توجد مرجعيّة دينيّة عند العلويين، وهناك رفض عام لتدخل رجال الدين في المجتمع، ويُعدّ العلويون من أكثر الطوائف انفتاحاً مع انتشار الفكر العلماني واليساري مثل زكي الارزوسي مؤسس البعث في سوريا، وفايز إسماعيل، ووصفي الغانم مؤسسي بعث العراق (العلويون والتشيع، علي عزيز الإبراهيم، الدار الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1992).

الإمامة (العلنيّة) والتي انتهت بوفاة الحسن العسكري عام 260 فتحولت إلى صورة قريبة من صور الحركات السرية المعارضة أو الباطنية أو تلك التي ترمي إلى تقويض السلطة القائمة آنذاك، أو إلى صورة انحراف التشيّع عن قادته بعد موت آخرهم وغيرها من الأمور التي حوربت بها تلك الثقافة.

وهذا يعني تحوّل جبهة المواجهة من حرب ثقافية بين ثقافتين إلى حرب اشترك فيها المجتمع، لأن المجتمع اعتقد بأن منطق السريّة هو منطق المعاداة ضده وأن منتموا ثقافة التشيّع هم فئة خاصة، أو عيّنة أو بما يسمى في اللغة الأنكليزية (Cult) أي طائفة بالمعنى (الاصطلاحي) المحدد لا بالمعنى (اللغوي)[1]. فكان منتمو الثقافة الشيعيّة (العوام) لا يُظهرون انتماءهم خشية من القتل والسطوة والنفي، ما لم يُسمح لهم من قبل الأئمة، وخصوصاً في العاصمة وفي مناطق المدينة ومكة، بينما تقلّ هذه الحالة في أقاليم فارس بسبب ضُعف الحالة الأمنيّة وقدرتها على المتابعة. . . . . ففي الصراعات

---

(1) مجموعة مُعينّة تتّبع معتقدات غير طبيعية تنعزل عن جسم المجتمع الكلي بسبب رفضها ما يعتقده المجتمع من توجهات مخالفة غالباً للوضع الفكري والديني الذي تؤمن به تلك المجموعة. ويدلّ أصل الكلمة على نظام ممارسة الطقوس الدينية. . . . . تمّ استخدام الكلمة في بداية القرن السابع عشر للدلالة على التبجيل الموجه إلى الإلوهية والمُستمَد من كلمة cult الفرنسية أو cultus اللاتينية طوائف، بمعنى (التعبّد)، وقد تطور المصطلح في الواقع الإسلامي في العصور المنصرمة، ولعلّ أقرب ما هو إلى تأريخنا هم جماعة (التكفير والهجرة) التي كانت تنطلق من ذات المفهوم في عمليّة التغيير الاجتماعي من خلال الانعزال عن المجتمع أولاً ثم العودة للتغيير بالوسائل المُتاحة لها. وغالباً ما تكون وسائل عنف، راجع في الموضوع الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Cult.
ويتذكر كلنا وضع الطائفة الداوودية بقيادة ديفيد كوروش الذين أُحرقوا بأجمعهم في تكساس في عام 1993. راجع: http//:en.wikipedia.org/wiki/David_Koresh.
وكذلك مذبحة القس جيم جونز في (غويانا) التي انتحر فيها حوالي ألف شخص في عام 1978. راجع أيضاً الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Jonestown.

السياسيّة بين أفراد حواشي الخليفة تكون مسألة إثارة تُهمة التشيّع ضد أي من الحاشية كافيّة في مقتل ذلك الإنسان مع عائلته[1]، وقد كانت تلك التهمة من أقوى التُهم التي تُستعمل من أجل التخلّص من المنافسين السياسيين أو التقرّب من القصر كما تمّ التخلص من آل الفرات ومن البرامكة وغيرهم.

كما وفي نفس الوقت كان التشيّع عبارة عن اسم (Taboo) لا يمكن حتى التلفظ به، بل كان الشيعة يتّقون أنفسهم من القتل من خلال الذوبان في المذاهب الأخرى مثل المعتزلة أو في الاسم العام والذي كان يُسمى (السلف) قبل ظهور مصطلح (السُنّة) الذي تعود بداياته إلى منتصف القرن الثالث. . . . . بل كانت التسمية التي تُطلق عليهم هي أتباع الحسن العسكري أو أتباع الرضا وهكذا لأن شخصية الأئمة كانت آنذاك تُمثل كيان قائم بذاته لا تُمثل واجهة سياسية بل واجهة فكريّة عامة يأخذ منها كلّ المدارس علومهم لأنهم كانوا يروون عن النبي بالسند عن آبائهم، فالانتماء إلى اسم الإمام لا يُمثل تَحسّس بالمعنى العام من قبل السلطة. . . . . فمشكلة السلطة مع أئمة آل البيت لم تنطلق من الخوف في تقويض السلطة بل الامتناع على إضفاء الشرعيّة لها، وهذا تكاد تجده مشتركاً في كلّ الأئمة منذ الإمام الأول علي ولحين الحادي عشر العسكري.

(1) الإبادة العائلية للمعارضين للحكم إبتكار لا تجده في صراع المجتمعات الأخرى مثل الرومان والصينيين واليونان والفرس والهنود، وهو أسلوب متفرد بدوي تبنته الحكومات التي تشكّلت فيما بعد الرّسول في التخلص من المعارض مع عائلته وكلّ من يمت له بصلة، وقد تجده في كلّ أطوار الحكومات التي تقترب من ثقافة التسنّن منذ ذلك الوقت وبقي على ما هو عليه حتى في القرن العشرين عندما كان حاكم العراق في الثمانينيات من القرن الماضي وبمرسوم رئاسي يقوم بتصفية عوائل المعارضين.

في هذه الفترة بالذات نشطت القدرة الفكريّة والروائيّة لجميع المذاهب الإسلاميّة وذلك بسبب الوضع السياسي الذي ساد الخلافة وضعفها وإمكانيّة التسلّل إلى حاشية الخلفاء من خلال تقديم المُنتج العلمي والصراع بين الخلفاء أنفسهم وبين الحاشية المقُرّبة هذا بالإضافة إلى قدرات الأتراك التي كانت لها اليد الطولى في تسيير أمور الدولة. . . . . .

حيث أن الثقافة السُنيّة المُتمثلة بالحكم لم يكن لها القدرة في تمييز ذاتها عن الحكم، فالحاكم هو الممثل الديني للثقافة تلك، بينما تَحلّل منها كلّ من المعتزلة ومن الشيعة ومن بقيّة المذاهب وتوجّهوا إلى الجانب البحثي وجوانب الغوص في الفقه وفي علم الكلام. . . . فقد ألّفت أهم كتب التأريخ وهو الطبري (ت 310/ 923 م) الذي كان يُتهم بالتشيع[1]، وكذلك ألف صحيح مسلم (ت 261)، كذلك ابن قتيبة (ت 276) في الإمامة والسياسة[2]، والبلاذري (ت 279) في أنساب الأشراف، والترمذي (ت 279) في صحيحه، واليعقوبي (ت 282) في تأريخة، وأبو الحسن الاشعري (ت 324) المقالات الإسلامية، وكذلك الأدباء والشعراء كابن الرومي (ت 283) والبحتري (ت 283)، والمتنبي (ت 354). . الخ.

كما تفرّعت دول كثيرة في تلك الفترة واستقلّت وعملت بذاتها مثل أسرة حمدان الشيعيّة (الإسماعيلية) في الموصل وحلب، والدولة الظاهرية في سنة 205 إلى 259، والدولة الطولونية في 258 إلى 292، ودولة

(1) الطبري رجل فارسي بحّاثة كبير لم يلتزم جانب التشيّع ولا جانب التسنن، مع أنه أميل إلى السلطة بسبب الخشية من قتله، وقف ضده الحنابلة في زمن كانت الخلافة العباسيّة بأهوائها تميل إليهم. أنظر ترجمته في الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_ibn_Jarir_al-Tabari.

(2) كان ذو ثقافة معتدلة تميل إلى التشيع.

الأغالبة 162 إلى 296، ودولة الصفاريّون 298، ودولة طبرستان الزيديّة من 250 إلى 300، ودولة الأدارسة التي انقرضت في عام 312 وإعلان عبد الرحمن الناصر في الأندلس عام 310. في الوقت الذي استعرت الثورات الشعبية كثورة الزنج بحدود 250 والثورات الفكريّة المتعددة الخارجية والزيدية. وظهور شخصيات كبرى ومهمة مثل الجاحظ (ت 255)، والحلاج (ت 309) والشلمغاني (ت 323) والكليني (ت 329). . . الخ.

فلم تكن الثقافة الشيعيّة بأفضل حال من الثقافة السُنيّة فيما يتعلق بالتشتت والنزاع ما بين الأطراف المختلفة فقد تحوّل التشيّع السياسي كله إلى جانب التفرعات الشيعيّة الأخرى وخصوصاً الاسماعيليّة بينما بقيت الثقافة الاثني عشرية ذو توجه فكري خالص همّه بناء أسس الدين وعلم السنة والقرآن، ولم يتمكن أي من الأطراف في سحب تلك الثقافة إلى ساحة السياسة حتى في زمن ما بعد غيبة المهدي في عام 260 إلى عام 329، فقد كانت تجربة الوكلاء أو نواب الحجة أمر لم يعتد عليه الناس ولم تألفه، بل كانت ترى في ذلك نوع من الاتصال مع عالم الغيب وليس مع الامام الثاني عشر بالذات، فقد خرج من الفكرة كما ذكرنا سابقاً الكثير من الشخصيات التي ادّعت بأنها باب إلى الله من خلال فكرة الوكالة مع (الحجة) كما هو الشلمغاني والحلاج وأبو شعيب وغيرهم ربما كثيرون ولكن التأريخ لم يُسمّهم كلهم بل بقيت فقط تلك الأسماء التي استمرت فكرتهم قائمة إلى الآن.

فمع ضرورة الإشارة إلى أن ثقافة التشيّع لم تتحول إلى قدرة طاغيّة فكريّة ذات أساس صلب لولا خُطة (غياب المهدي) الصغرى وهي سبعين سنة والتي بها اعتمد الشيعة على أنفسهم في بناء مستقبل ثقافتهم. . . . فقد كانت الفكرة التي بثّها الشيعة بأن فكرة الغيبة قد تتحول إلى فكرة ظهور، أي أن يظهر المهدي ثانية بدلاً من مواصلة غيبته الكبرى كما جرت عليه مسيرة

الأحداث، ولكن الغيبة استمرت وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة أخرى وتحوّل كامل الفقه والثقافة الشيعيّة إلى انعطاف وتحدي كبير في مرحلة خطرة جداً كان يمكن لهذه الثقافة أن تموت تماماً (بالمعنى الثقافي) أو أن تتحول إلى حركة باطنيّة سريّة كما هي حركات الشيعة الأخرى من الزيديّة والاسماعيلية وغيرها. . . . . . ولو كان أن انحدرت تلك الثقافة إلى مطب السريّة والباطنيّة لكان الأمر قد اختلف فيما وصل إلينا في هذا القرن، ولتحولت تلك الثقافة إلى نُخبة كما هي النخب المذهبيّة الصغيرة مثل الأغاخانية أو الخوارج أو غيرها.

ولكن ما هو الشيء الذي حدث والذي منع الثقافة الشيعيّة من الانحدار في مطب الإسلام السياسي. . . . . ؟

الذي حدث هو القدرة الكبيرة التي استعملها الغائب (القائد) في محاربة كلّ المدّعين السياسيين من أتباعه مثل الشلمغاني والنصيري وغيرهم وهؤلاء لم يكونوا في توجُههم ما يمكن أن يختلف عن الآخرين من النُواب الأربعة من شيء إلّا تجنّب السياسة فقط وعدم الركون إلى ما يُسمى اليوم (الإسلام السياسي)، بالرغم من أن بعض النواب كان قد اعتقل لمُدد زمنيّة ليست بالقصيرة مثل السفير الثاني محمد بن عثمان مع التضييق على السفير الثالث النوبختي، في الوقت الذي كان الشيعة ربما بمجملهم ينتظر نتيجة الغيبة بظهور دولة أو انتصار ساحق يكون ذات الشخصية الغائبة هي التي تجلس على قمة تلك الدولة. . . . . . ولكن الذي حدث كان مختلف تماماً في مسيرة فكريّة غامضة، أعني غامضة من ناحية وضوح الهدف والتي لازالت غامضة والى الآن في معرفة بواطن فهم عمليّة الغيبة التي بقيّ الشيعة يتعبّدون بها كما يتعبدون في كلّ الأمور الأخرى التي تغيب فيها معاني التفسير العقلي (الإنساني) كما نُفسر بقيّة حوادث الحياة.

الشيء ذاته ينطبق على حيثيات الغيبة وطريقتها وآلياتها والتي هي الأخرى من الصعوبة جداً أن نمتلك المعرفة في تفسير طرق استمراريتها مثل طول العمر للغائب ومكانه وغيرها من الأمور المتعلقة بالموضوع.

فلقد كانت فترة الغيبة عبارة عن موت من نوع خاص كما تموت الأشجار في الشتاء أو البذور انتظاراً لحياة جديدة في الفصل السنوي القادم وبشكل أقوى وأبدع مما كان عليه. ولولا ذلك الموت البيولوجي للبذور أو للأشجار لم تستمر الحياة في نموها(1).

فلقد تحوّلت مسألة الغيبة إلى اضحوكة لدى أعداء الثقافة الشيعيّة يتندرون بها في كُتبهم وفي أدبياتهم بالشكل الذي تظهر تلك الأطروحة عبارة عن فكرة أقرب ما تكون إلى اللاعقلانية التي اخترعتها ثقافة خاسرة أمام مسيرة ضخمة ودولة عملاقة تقودها الثقافة السُنيّة بالمقابل، كما في نفس الوقت تَحَوّلت إلى خيال كبير ونافذة يُنظَر منها أمل الخلاص من المحن التي مر بها منتمو ثقافة التشيّع منذ اليوم الأول من مسيرة صراعهم مع أعدائهم.

ولم تقتصر فكرة التغني بالخلاص والانقاذ في كتابات الشيعة على الجانب الفلسفي لمسألة الغيبة، وإنّما تعدّتها إلى الخيال في طُرق الانتقام التي سوف يقوم بها المنقذ المهدي من أعداءه من الذين قتلوا الحسين في عام 61 وثورات الشيعة وقبلها مثل اضطهاد فاطمة بنت النبي في السنة الحادية عشر للهجرة وما إلى ذلك من تصورات تُظهر للإنسان المضطَهد وكأن الفرج هو قاب قوسين أو أدنى منه، وهي صفة قد لا تُلازم المؤمنين

(1) هنالك الكثير من رواد الأفكار قد تمّ انتقالهم إلى مراحل (غيبة) أو (عُزلة) فقد حدث مع قصة موسى في دعوته إلى الجبل، وكذلك عيسى والرسول في اعتزاله إلى غار حراء، كذلك نجد ذات القصة مع بوذا ومع كونفوشيوس بالإضافة إلى إبراهيم. أنظر وبشكل مفصل كتاب المؤرخ الكبير توينبي (ت 1975) في كتابه (مختصر دراسة التأريخ، الجزء الثاني، المصدر السابق).

بفكرة الغيبة والعودة والظهور الشيعيّة فقط، بل أنها فكرة ربما تناغي كلّ المضطَهدين في العالم ممن يرنو إلى الخلاص من ربقة الظلم الذي حَلّ به من الحكام ومن الأقوياء السياسيين وغيرهم. . . .

هذه الأدبيّات التي كُتبت كما هي في كُتب الفضل بن شاذان (ت 260) ونصر بن مزاحم (ت 212) وكتاب الفرح في الغيبة لأبن سكين، وكُتُب الجلودي (ت 332) والكوليني (ت 328)، وكُتُب محمد بن سيرين (ت 340)، وكُتُب النُصيري (ت 358)، وكتاب بحار الأنوار للمجلسي (ت 531) وكُتب عديدة جداً تكاد لا تُعد لكثرتها[1] والتي غالبيّة رواياتها نوع من التنفيس الذي كان أئمة آل البيت يمارسونه مع منتمي الثقافة الشيعيّة في سبيل تهدئتهم ومنعهم من اللجوء إلى الثورات المسلحة ومقاومة النظام بالقوة. . . .

فلم يكن منبع كلّ ذلك الأدب الشيعي مُنطلقاً من الخلفيّة الفكريّة للثقافة الشيعيّة (الأطروحة) أكثر من انطلاقه من خلفيّة الاضطهاد والظُلم الذي عانت منه تلك الثقافة على يد مضطهديهم من منتمي الثقافة السُنيّة التي سيطرت على ساحة الأحداث منذ ما قبل فترة السقيفة الحادي عشر هجرية أو ربما أكثر من ذلك بكثير.

تضخمت أدبيّات ظهور المُنقذ بشكل لم يتمكن علماء الشيعة من السيطرة عليه، بل أن الكثير منهم وقع في ذات المشكلة من جرّاء الضغط الاجتماعي الذي سُلّط عليه من قبل أتباعه، ولم يتوقف منذ ذلك التأريخ وإلى حين الوقت الحالي وفي العقد الثاني من الألفية الثالثة[2]. . . . . .

(1) يراجع في تصنيف مؤرخي ثقافة (الغيبة) المصدر السابق: المهدي عند الشيعة، جواد علي.
(2) وبنظرة بسيطة على المكتبات الشيعيّة في مناطق العراق ولبنان وسوريا وإيران تجد لتلك الكتب رواجاً هائلاً يوازي الكثير من كتب ومواضيع أخرى تخص الواقع الحالي الذي يمرّ به التشيّع =

وقد لاحظنا ذات الأمر في الثقافة الأوروبية وخصوصاً في وقت الأزمات التي لم تقتصر على عامة الناس، بل أنه شمل كبار رجال الدولة وقادتهم في ألمانيا. فيُذكر بأن زوجة (غوبلز) (انتحر الزوجان مع أولادهم الستة) وزير دعاية هتلر (ت 1945) كتاب للمتنبئ المعروف الفرنسي (نوستراداموس) (ت 1566 م) اسمه (Prophetics) النبوءات[1].

بعدها تحوّل هذا النوع من التنفيس السايكولوجي إلى أدب مشابه إلى أدب الهجاء الذي تعوّده العرب في طريقة التفاخر وطريقة العداوات والحرب الإعلامية التي تسود المجتمعات والتي من خلال ذلك الأسلوب تعكرت العلاقات الاجتماعية وأدّت بالتالي إلى حروب كبرى أو إلى مقتلة عظيمة لتلك الشخصيات[2].

فقد كانت كُتُب الشيعة في الفترات التي تلت ضعف الدولة العباسيّة

= من تحديات وأخطار، كما أن المجتمع وخصوصاً في عصر الحرب الباردة والتي اضطهد بها الشيعة غاية ما يمكن أن تُضطهد طائفة على وجه الأرض صار يتغنى بآمال الظهور وسطوة المهدي المنتظر. . . وكما ذكرت بأن هذه الظاهرة لا تخص منتمي الثقافة الشيعيّة فقط، بل أنه أمر انتقل إلى المسيحيين من الطوائف الصغيرة التي تعيش ذات الهم في فكرة المهدي وظهوره مما حدى بشركات الأفلام أن يُخرجوا الكثير مما يُروي عن هذه القصص على شكل أحداث متحركة استجابةً لرغبة الجمهور مثل فلم المتنبئ نوسترداموس. . حياته، قام ببطولته الفنان العالمي Orson Welles في عام 1981 تحت اسم (The Man Who Saw Tomorrow).

(1) وعندما فرغت (ماجدة) من قراءة بعض نبوءات (نوستراداموس) والتي لم تكن على هواها، أيقظت جوبلز من نومه ففزع من هذه التنبؤات وعلى الفور لجأ للدعاية المُضادة واستخدم مُنجّم يدعى (كرافت)، وكان الغرض من ذلك إحداث تأثير عكسي على شعوب أوروبا، وقد اتضح فيما بعد أن (كرافت) هذا كان يستنسخ بعض تنبؤات (نوستراداموس) ويعمل على هديها. وبالطبع صدقت نبوءات نوستراداموس بهزيمة ألمانيا.

(2) كان مقتل أعظم شخصية شاعرية عربية بسبب بيت في الهجاء وهو المتنبي عام 345 هجرية. ومن ثم مقتل أعظم أديب وهو ابن المقفع (ت 142) على يد المنصور وعامله على البصرة.

تميل إلى كتابة تأريخ عصر الظهور وماذا سيقوم به المهدي من الانتقام من أعداء التشيّع كما هي روايات القيامة في الانتقام من الظالمين، وقد خلقت تلك الأدبيّات حاجزاً ضخماً وكبيراً ما بين المذهبين السني والشيعي، بل بين الثقافتين كذلك، وانبرى إلى تأجيج روح المعاداة والمنابزة الكثير من القادة والدول السياسيّة التي تلت تلك الفترة وخصوصاً دولتي البويهيين (الإسماعيلين) ودولة السلاجقة (السُنّة) مما ترك أثراً ضخماً جداً وهائلاً من تراث من الصعوبة استيعابه أو مسحه من ذاكرة التأريخ.

وقد يمكن لنا أن نؤرّخ في عصر ما بعد الغيبة 326 هجرية في القول ببداية ثقافة شيعية وسنية جديدة كلّ منهما رسى على أسس تمّ وضع متبنياتها منذ العصر الأول أي زمن السقيفة، تقريباً أكثر من ثلاثة قرون على بداية عصر الصراع والقتل، فقد كانت النتيجة وصولاً إلى منتصف القرن الثالث من الهجرة إلّا أن تبقى ثقافة التشيّع أقوى من ثقافة السلطة أي ثقافة التسنّن على المستوى الروائي والمستوى الشعبي والمستوى الفكري الاستنتاجي، وقد آلت هذه النتيجة المُحزنة بالتأكيد لمنظّري ثقافة التسنّن في أن يُفكروا في حماية ثقافتهم من الغزو الفكري والعلمي التي تحملها ثقافة التشيع، فقد تبين وخلال هذه المسيرة من الصراع الطويل بأن:

- ثقافة التشيّع ليست من النوع الذي يقبل الموت لأنها عبارة عن ما يسمى في العلم الكيمياوي (Isotopes) نظائر مُشعّة تنتقل بسبب عمرها النصفي (Half Life) من طور إلى طور، بعيدة عن الموت إلا من خلال قانون موت الثقافات خصوصاً الثقافات التي تملك مؤهل الحياة ومؤهل النهوض والتي أشادت أركانها واقعيّة التفكير الإنساني الفطري.
- ثقافة التشيّع ليست رد فعل على أي من الثقافات المُعاديّة، وإنّما

هي ثقافة متماشية مع القدرة العقليّة الإنسانية. . . . هذه النتيجة جاءت بعد أن وصلت الأمور في أن تجد اهتزاز مواقف عمالقة الثقافة السُنيّة أمام ثوابت الفكر الإسلامي فيما يتعلق بعوامل الرواية وعوامل المعادلات الثلاث.

○ ثقافة التشيّع لم تُقتل بمقتل الأشخاص، ولم تمت بموت المؤسس لأن المؤسس ليس له من وجود مادي باعتبار أن الفكر لا يصنعه العقل المادي، بل يصنعه الجانب الإلهي[1] من تفكير الإنسان. وهنا لوحظ بأن عباقرة الكثير من المذهب السني قد نحى منحى الثقافة الشيعيّة في رؤيته إلى الحياة.

○ زعزعة الثقة بأصول الفكر السني باعتباره مادة لازالت عُرضةً للإشكال والانتقاد وهو ما خلق التيار القائل بغلق باب الاجتهاد، واعتبار اكتمال ذلك الفكر بالأئمة الأربعة خشية من أن يبقى الباب مفتوحاً في تهافت المزيد من الشخصيات الفكرية. . . . . هذا بعكس ثقافة التشيّع التي بدأ تألقها في ذلك العصر من خلال إدراك أهمية البحث والتنقيب والاجتهاد من أجل الخروج بصيغة مثلى للتشريع الفقهي.

ومع أن الدول الشيعيّة (الإسماعيلية) التي أقيمت في ذلك الوقت كالحمدانية والفاطمية والبويهيين لم يكونوا دول شيعية بالمعنى الواضح التشريعي أو الفقهي، بل أن السياسة كانت تلعب دورها في ضرورة ارتباط تلك الدولة بالعباسيين بسبب غياب السند الشرعي الشيعي في إقامة الدولة الدينية سواء أكان في عصر الأئمة إلى حين 326 هجرية أو بغياب الإمام ما بعد ذلك التأريخ.

(1) ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: 72].

فالفقه الشيعي لم يُصرّح ولم يصدح بإمكانية قيام دولة سياسية إلا بموافقة أو مباركة إمام (المعصوم) ذلك الزمان، وهو أمر يكاد يتفق عليه كلّ الشيعة المتقدمين أو المتأخرين منهم. . . . وعلى أي مجموعة تريد المبادرة إلى قيام كيان شيعي عليها أن تركن إلى المذهب السني، وهذا ما حدث في مسيرة كلّ الدول التي أقيمت في عصر ما بعد الغيبة الكبرى، وكانت أول الدول الشيعيّة هي دولة البويهيين والتي سنتكلم عنها في الفصل القادم.

ولكي نتم الفصل نضع نقاط **حال الثقافة الشيعيّة في هذه الفترة من الزمن بالنقاط التالية:**

- بدايتها الفعليّة في الاعتماد على نفسها بدلاً من وجود إمام يتوجه من السماء.
- تمكّن الأجانب من السيطرة على جانب البحث والعلم الديني وخصوصاً من فارس.
- تكامل ملف العقائد وملف الأحكام الشيعيّة وعلى مستوى التدوين.
- إنتشار الثقافة الشيعيّة إلى كلّ بقاع الدولة وليس في محيط العراق أو الشام.
- وضوح فكر الدولة بمعزل عن الفكر الديني وتجنب الخلط ما بين شخصيات كلي التخصصين.
- ظهور أول دولة شيعية إسماعيلية في اليمن على يد حوشب سنة 270.
- لم تتوقف فكرة (الإستتار) أو (الغيبة) عند الاثني عشرية بل انتقلت إلى الشيعة الاسماعيليّة بشكل فعال ومؤثر وخصوصاً في (السلمية) سوريا وفي اليمن والمغرب.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (13): عصر غني بالأحداث والصراع على إغناء الثقافات بالمُنتج الفقهي والثقافي حيث يظهر الجدول وأسماء الدول وشخصياتها وبما تملكه من قدرات على مواصلة الخط الثقافي.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة المازني	264	تلميذ الأصمعي
وفاة البسطامي	264	فيلسوف متصوف إمامي التوجه
وفاة عثمان بن سعيد السفير الأول	265	أول نواب الحجة
إصدار كتاب سنن الترمذي	266	سادس كتب الصحاح
أول دولة اعتنقت المسيحية أرمينيا	266	قبل الدولة الرومانية
وفاة احمد بن هلال العبرتائي الكرخي	267	إمامي ثقة
إصدار سنن ابن ماجة	268	سابع كتب الصحاح
ابن حوشب	270	أقام أول دولة إسماعيلية (اليمن)
مقتل صاحب الزنج	270	ثائر علوي جمع فقراء البصرة
وفاة محمد ابن سعد	270	مؤلف كتاب طبقات ابن سعد
وفاة محمد بن نصير النميري	270	مؤسس العلويين المسمى النصيري
وفاة محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه	275	صحيح ابن ماجة
وفاة ابن قتيبة الدينوري	276	مؤلف كتاب الإمامة والسياسة
وفاة البلاذري	279	مؤلف كتاب انساب الأشراف
وفاة الترمذي	279	مؤلف كتاب صحيح الترمذي
وفاة أبو حنيفة الدينوري	281	عالم كردي مؤلف كتاب الأخبار الطوال
وفاة المؤرخ اليعقوبي أقدم مؤرخ إمامي	282	مؤلف تاريخ اليعقوبي
وفاة البحتري	283	شاعر إمامي التوجه
وفاة ابن الرومي	283	شاعر إمامي التوجه
دولة القرامطة بداياتها (إسماعيلية)	285	دولة القرامطة في البحرين
الدولة الطولونية في مصر	292	ما قبل الفاطميين

الحادثة	هجرية	الملاحظات
الدولة الفاطمية القيروان بدايتها	296	على يد عبد الله الشيعي
دولة الأغالبة نهايتها على يد عبد الله الشيعي	296	على يد الفاطميين
الخوارج الاباضية	297	بدايتهم
الظاهري أبو داوود أبو بكر	297	حنبلي وقف ضد الطبري
دولة الصفاريون	298	حكمت فارس وافغانستان
وفاة أبو عبد الله الشيعي	298	مؤسس الفاطميين في تونس
القرامطة في اليمن	300	دولة إسماعيلية
دولة طبرستان الزيدية	300	دولة كبرى زيدية
الدولة الرستمية أباضية في المغرب نهايتها	300	أزالها أبو عبد الله الشيعي
مقتل أبو سعيد الجنابي القرمطي	301	مؤسس القرامطة
الدولة الفاطمية بدايتها في تونس	301	أبو عبد الله الشيعي اسماعيلي
وفاة أبو علي الجبائي	303	شيخ المعتزلة
وفاة أحمد بن شعيب النسائي	303	مؤلف كتاب صحيح سنن النسائي
وفاة محمد بن عثمان بن سعيد	304	السفير الثاني
وفاة احمد إدريس الأشعري	306	عالم إمامي صاحب النوادر
وفاة عبيد الله المهدي الفاطمي	308	مؤسس الفاطميين
وفاة الحسين الحلاج	309	إمامي التوجه أعدم
عبد الرحمن الناصر أعلن نفسه أميرا في الأندلس	310	أموي التوجه
وفاة الحسن أبو موسى النوبختي	310	مترجم وعالم من عائلة نوبخ
وفاة الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر	310	مؤلف كتاب تاريخ الأمم والملوك
وفاة النوبختي أبو سهل	311	مؤرخ أمامي
وفاة حامد بن العباس تقلد الوزارة	311	وشى وقتل الفرات
بداية دولة الادارسة في المغرب	312	زيدية مؤسسها إدريس بن عبد الله بن يحيى بن زيد

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة علي بن محمد بن الفرات	312	إمامي التوجه
ابن الاعثم	314	مؤلف كتاب الفتوح
احتلال القرامطة لمكة	317	إسماعيلة
وفاة العياشي	320	مؤلف كتاب الرجعة
وفاة الشلمغاني	323	ادعى السفارة مؤسس العزاقرية
وفاة الاشعري أبو الحسن	324	صاحب كتاب مقالات الاسلاميين
وفاة حسين ابن روح النوبختي السفير الثالث	326	السفير الثالث
إعادة مسجد براثا	328	بغداد
وفاة النعماني محمد	328	كتاب الغيبة
وفاة علي بن محمد السمري السفير الرابع	329	عالم
الغيبة الصغرى	329	انتهت وبدأت الغيبة الكبرى
وفاة الكليني	329	كتاب الكافي
وفاة الصدوق	329	كتاب من لا يحضره الفقيه
وفاة الجلودي	332	كتاب إخبار المهدي

جدول رقم (١٣)

الحقبة الرابعة عشر: 329 / 940 م من عصر المتقي إلى سقوط بغداد 656 / 1258 م عصر المستعصم بالله: حكم فيها 17 خليفة عباسي

هذا هو العصر الذي نُمثّله بعصر الميت الذي بقيّ حياً من خلال الأدوات والأجهزة التي وضعت له لإبقائه على قيد الحياة لسبب أو لآخر، وهو العصر الذي قدّم صورة غير ناصعة للثقافة السُنيّة في الوقت الذي كان على رواد تلك الثقافة أن يمتلكوا القدرة على إعلان انفصالها عن واقع الحُكُم وواقع ما آلت إليه أساسيات تلك الثقافة. . . . .

فمثلها كمثل المريض المصاب بسرطان في مكان ما وفي البداية فقد يكون له الخيار في التخلص من العضو المصاب سواء أكان غُدّة داخلية أو عضو خارجي لكي يحمي بقيّة مُكونات الجسم من الموت المحتم، ولكن لم يحدث ذلك بل كلما ازداد المرض تأصّلاً في جسم المريض (السلطة العباسية) كلما أزادت الثقافة السُنيّة تعلقاً بها كما هو طبيعة التفكير الفردي في الشعور بالمهانه في حالة بتر ذلك العضو، أو التنازل عن شيء أو فكرة كان قد ألفها في حياته. . . . .

فالثقافة السُنيّة تنتهج من بذور الثقافة القرشيّة طريقاً لها في اتباع أسلوب العصبية خوفاً من المجتمع كما هي مقولة النار ولا العار، وهو أسلوب البداوة في التعامل مع وقائع عالم الاعتقادات، وقد تجده في كلّ مجال من المجالات التي خاضتها تلك الثقافة[1].

(1) لتقريب مثال المريض (Terminaly Ill) نفترض بأن المستفيد هو من قرر رفض نصيحة الأطباء من انتزاع أجهزة الحياة عن المريض وذلك لأهميته في إدامة السيطرة أو القوة أو الخوف من استحواذ الآخرين من الأبناء أو المتعلقين على الإرث أو ما شابه وهي قضيّة معروفة في عالم صراعات الإرادات المنبثقة من الارتباط بشخصية المريض. فالثقافة السُنيّة هي المتحكمة والمسيطرة على حالة المريض (الدولة العباسية) بما تمتلكها من قوة وقدرة وسيطرة.

فقد تمكن الأجانب من خارج المحيط العربي البغدادي في غزو عقر الدولة وكان لهم أن ينتزعوا المُلك وأن يشتروا الرأي الشرعي من خلال مفهوم خاطئ في أن العباسيين يملكون بانتسابهم إلى النبي شرعيّة الحُكُم. . وهنا أمامنا ثلاث نقاط جديرة بالاهتمام ضمن الحقائق التالية:

- ليس هنالك من توثيق أن الشرعيّة ترتبط بنسب أصلاً، بل ترتبط بنص كما هو رأي الشيعة في نص النبي على علي.
- ليس هنالك من توثيق في أن تكون شرعيّة الخلافة أو الحُكُم إلى سلالة النبي أو إلى قريش. والنص على علي ليس باعتباره ابن عمه، وإنما بالنص القرآني.
- ليس هنالك من توثيق في أن السلالة تأتي عن طريق العم، بل السلالة هو إما الإبن أو البنت. . . . فالنبي حدّد ماذا يعني مصطلح آل البيت، كما حدد أسماء الأئمة الإثنى عشر.
- ليس هنالك من ارتباط بين الفكر السياسي (الدولة) وبين العلم الديني.

فقد تمكن البويهيين من أن يُسقطوا بغداد وأن يقيموا دولة تعيش تحت اسم الخليفة العباسي بعد أن ضمنوا له البقاء على هذا الاسم وهو أسلوب تعوّده المسلمين من أصحاب الثقافة السُنيّة في إمكانية التعايش مع الآخرين من خلال البقاء على امتلاك الاسم وهو (الخليفة). . . . كما تمكن الأتراك من اكتشاف نقطة الضعف الثقافيّة (السنية) تلك فسيطروا على الدولة بعد أن انتزعوها انتزاعاً بنفس سلاح الثقافة السنية. . . . .

فالزواج الكاثوليكي ما بين الثقافة السُنيّة وبين السلطة أمر يكاد أن يكون حتمياً سواء أكان الحُكُم الظاهر سنياً أم شيعياً أو حتى قومياً أو حتى

علمانياً. . . . . المهم هو أن تكون القوة يملكها اسم متسنن[1]. . . . . ولكي نُقرّب المثال لفهمه نستعرض فكرة زرع غصن لفاكهة معينة على شجرة أخرى ليست ذي رغبة، فأسم الشجرة الأصلية هو المهم في عُرف الثقافة السنية، أما ما تمّ زراعته على أغصانها فيبقى يسمى فرعاً.

من الناحية الثانية كانت ثقافة الدول التي أقيمت على فكرة (التطعيم) مقبولة للبويهيين أو للسلاجقة أو للأدارسة أو للأمويين في الأندلس أو لأي قوم أو مجموعة ترمي إلى نشر ثقافتها والتي وجدت هنالك من مجال خصب جداً للقيام بعملية التطعيم التي تُحقق أهداف تلك الثقافة. مع أن الحاكم عموماً في الدول التي سادت في تلك الفترة لم يكن للدين أو للمذهب من دور في صلب عملها، وإنّما هي القوة والسيطرة والمُلك والاستئثار. . . . . بمعنى آخر لم تكن ثقافة التشيّع مهتمة كثيراً لشعارات أو لفلسفة تلك الدول لأن مقياس التشيّع في نظرتها إلى أي دولة من دول العالم هو (النص) وليس هنالك شيء آخر. . . . وبما أن النص غير متوفر فهنالك احتمال آخر في اعتبار أي سلطة دنيويّة أمر (عُقلائي) لتسيير أمور البشر وهو ما سارت عليه الكثير من الحكومات الشيعيّة اعتمادا على هذا المفهوم.

(1) كلّ الحكام في الفترة من القرن الثاني الهجري والى حين القرن الرابع عشر انتهجوا العقيدة الأشعرية التي ترى في أن القوة أمر ملازم للشرعية، ومن يملك القدرة والقوة وتمكن من السيطرة على الحُكُم فطاعته واجبة حتى وإن كان فاسقاً. مع اختلاف في تعريف المسلم الذي تمكن بالقوة من السيطرة. . . . . والمسلم هنا هو من قال بالشهادتين. . . . . بقيت هذه النظرية فاعلة إلى حين ابتداء فكرتي (الإخوان) و(التحرير) في التمييز ما بين أنواع الحكام المسلمين وقالوا بمرتكب الخطيئة ثم إخراجه من الإسلام كما هي نظرية الخوارج ممن يتوجب قتالهم مما حدى بالحركات المتطرفة السُنيّة أن تنطلق في انتزاع لقب الحاكميّة من ذلك النوع من الحكام (شمس الدين، نظرية الحُكُم في الإسلام، المصدر السابق).

برزت في فترة الحُكُم البويهي[1] الذي أوقف القتل في كلّ الطوائف وليس بالتحديد الشيعة ومنع سلطات الدولة من أن تُمارس القتل العشوائي أو ملاحقة أصحاب الرأي، برزت قدرات كُلّ الثقافات الشيعيّة والسنيّة، وبقيّة الثقافات التي تبرعمت في ذلك الوقت وتوجهوا إلى رفد ثقافاتهم بالقدرات العلميّة والفكريّة الكبيرة، فالفكر لا يمكن له أن ينمو إلا في جو الحرية، فالإبداع هو عامل داخلي ينطلق في أجواء الحريّة الفكريّة والنفسيّة، فقد تمّ في تلك الفترة إنجازات علميّة كثيرة معظمها مُتعلق بتأصّل تلك الثقافة أي أساسيات الفكرة. . .

فالثقافة الشيعة لها قدرة على التحمل (Tolerance) للأفكار الأخرى المناوئة لها فكرياً أو اجتماعياً، بينما تغيب درجة التحمل تلك لدى الثقافة السُنيّة وربما مرد ذلك يعود إلى اعتقاد الثقافة الأخيرة بأنها المالك لواقع البلد والسلطة، وأن تملّكها ذلك يُبيحُ لها التصرف مع الآخرين، بينما لم تكن تلك الصفة واضحة في تفكير منتمي الثقافة الشيعيّة[2].

فالبويهيون هم في الأصل مُلوك الإمبراطورية الساسانية سكنوا شمال إيران بعد انهيار إمبراطوريتهم[3] ولكنهم تشيّعوا بعد أن كانوا سنيو المذهب

---

(1) أما المستشرق آدم متز، فيقول: [لم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهبٌ كلامي خاص بهم، فنجد مثلاً أن عضد الدولة - وهو من الأمراء المتشيعين - يعمل على حسب مذهب المعتزلة]. (آدم، متز: الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990).

(2) في العراق تعيش الثقافات الصغيرة مثل اليهود والمسيحيين والصابئة والأيزيديين وكذلك السُنة والأكراد في مناطق سَكَن الشيعة وليس في مناطق المنتمين للثقافة السُنيّة منذ أمد بعيد وهو ما يُفسر التأثّر الكبير بالثقافة الشيعيّة من قبل تلك الأقليات، ولم يقتصر الأمر على العهود السابقة في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر بل أنه انعكس كذلك على الواقع ما بعد التغيير في عام 2003 وبعد الحرب الطائفيّة في العراق حتى أن منتمو ثقافة التسنّن أنفسهم شعروا بالأمان الاجتماعي في مناطق الشيعة أكثر مما هي في مناطقهم.

(3) كانت تلك المنطقة في ذلك الوقت تضم بعض الجمهوريات الإسلاميّة التي تُحاذي روسيا من=

في القرن الخامس الهجري بسبب وصول ثقافة التشيّع لهم من خلال ثورة الأطروش وكذلك وصول الحسين الطاهر هرباً من ظلم العباسيين ثم التحاقه بثورة الاطروش. . . . هذه التركيبة التي تختلط بها السياسة بالفكر بالثقافة ربما تُمثل عيّنة مهمة يمكن دراستها والاستفادة منها كنموذج من نماذج انتقال وصراع الثقافات وذلك لنقطتين هامتين هما:

أولاً: جذورهم الحضارية القومية.

ثانياً: جذورهم المذهبية.

ماذا يعني ذلك. .؟ يعني بأن الحضارات الكبرى في العالم قبل مجيء الإسلام وهما فارس والرومان كانتا حضارات متسامحة مع الأفكار الأخرى، فلم تُغيّر سيطرة العرب على الدولة الساسانية من أسس التسامح حتى وإن كان الفرس تحت رحمة من احتلهم، فهم قوم يؤمنون بفكرة التعايش مع الآخرين وكذلك الشيء ذاته كان موجوداً لدى كلّ الثقافات الكبرى منها الرومانية والكونفوشية وكذلك ثقافة المغول التي هي ربما فرع من فروع الكونفوشية.

وربما ومن خلال القراءة المتأنيّة لتأريخ الشعوب التي قطنت العالم لم نجد بأن هنالك من فرض عقائدي على الآخرين إلّا من قبل العرب ولا أقول المسلمين، لأن الإسلام كان قد أقرّ فكرة التسامح بصورة جليّة وواضحة في محكم كتابه. . . . .

وهنا نعود إلى أصل الفكرة القرشيّة التي امتلكت ناصية الأحداث بعد

= الجنوب، وقد تحوّلت هذه المنطقة إلى المذهب الشيعي بسبب ثورة الحسن الأطروش في طبرستان في خلافة المقتدر سنة 310 هجرية، ثم زوّج ابنته فاطمة إلى الحسين الطاهر أب الشريف الرضي والمرتضى. (المدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص 309. منشورات مكتبة بصيرتي، قم. 1397 هجرية).

النبي وسيطرتها على العقل العربي وعلى مسيرة الدولة التي كانت تُسمّى باسم الإسلام. هذا أولاً. . . . . أما ثانياً فإن تشيّع البويهيين لم يكن من خلال ردود الفعل، وإنّما هو ناتج طبيعي لواقع إيران والثقافة الفارسية التي اعتنقت في البداية التوجه الثقافي السني، والذي لم تجد له من ملاءمة في تركيبته وفي توجهه وطريقة تعامله مع الثقافة الفارسية المتسامحة، ولذلك تغيّرت شعوب فارس إلى الثقافة الشيعيّة بعدما لمسوا روح تقبّل الآخر الذي تمتلكه تلك الثقافة[1].

فالبويهيون أصلاً هم من سلالة ملوك فارس (بهرام جور بن يزدجر) الملك الساساني، وقد حاول أقطاب الثقافة السُنيّة مثل إبن الأثير بأن ينسبوهم إلى الديلم[2] وذلك للانتقاص منهم بسبب انتماءهم المذهبي، في الوقت الذي تحوّل الديلم علي أيديهم إلى مسلمين استحبوا ثقافة التشيّع التي تتمتع بقدر كبير من التسامح مع قربهم إلى آل الرسول نسباً.

(1) لعله من الممكن أن نشير إلى أن العرب كقومية هم الوحيدون في أمم الأرض المتكيفون على التعايش مع الحالة الديكتاتورية لما لتلك الصفة من عمق في أسس تفكيرهم وثقافتهم والذي من المُحتمل أن نُرجع ذلك إلى واقع التسلط الفكري وغياب التسامح وعمق الديكتاتورية التأريخي الطويل الذي تعايش معه العرب فتحوّل إلى مفهوم عادي تتعطّل عنده عوامل الرفض والثورة، فكأن المعادلة الطرديّة التي ترتبط بعلاقة الثقافة والتطور بمفاهيم الحرية والانفتاح تظهر جليّة فيما لو قارنا هذه الدول ببقيّة دول العالم الأخرى. . . . مع أنني أقول ذلك ليس بلحاظ التوثيق والبحث العلمي، فهذه النظرية تحتاج إلى بحث مُعمّق قبل إطلاقها بشكلها العمومي وهذا ما يدفعنا إلى توخي طريقة البحث العلمي من قبل مفكرينا في مسيرة معرفة أسباب تأخّر أقطارنا العربية.

(2) الديلم هم قبائل تسكن قرب بحر قزوين، وقد كان هذا الاسم هو مسبّة للشخص في مناداته به كما هي سمة (عربي) (بتسكين وضم ثم تسكين وجر) مع أن ذلك لا يرتبط بأصل الأقوام لأن احتقار القوم هو فكرة عنصريّة لا تمت إلى الإسلام بشيء. . . . . وقد حاول يزيد بن معاوية عندما جاء بسبايا الحسين عام 61 هجرية في أن ينادي عليهم بأنهم أقوام من التُرك والديلم. فقد من الممكن أن يسكن الإنسان بقعة جغرافية معينة ولكنه ينتمي إلى أصل ثقافي مختلف.

وقد نمت الدولة في ذلك الوقت نمواً كبيراً وبشكل لم تسبقه فترة من الفترات منذ أن تأسست الدول الثلاث، فقد احترموا الخلفاء بما يُليق بالمُسمى كما فتحوا باب الفكر والنقاش والمدارس المتنوعة ولم يضطهدوا أياً من منتمي المدرسة السنيّة، وكانوا في ذات الوقت قد استوزروا من كافة المدارس المذهبية في شؤون الدولة، فكان السني وكان الشيعي وكان اليهودي وغيره مشاركاً في تسيير شؤون الدولة وهذا ما ساعد على نمو الجوانب الزراعية والصحية[1]. أما أسباب اتهام مؤرخو الثقافة السُنيّة للبويهين بالطائفية أو الانتقاص منهم فمردّه إلى ثلاث عوامل:

- استوزارهم لشخصية شيعية طغت على كلّ من مسؤولي الدولة في العلم والأدب والثقافة من المدارس الفكريّة الأخرى خصوصاً مدرسة التسنّن وهو الصاحب بن عباد (ت 385).
- السماح بإشادة المقامات كلها وبشتى تنوعاتها وكان من ضمنهم مقام علي في النجف.
- لم يقتلوا الشيعة ولم يُضيّقوا عليهم ولم ينفوهم، وإنّما تعاطفوا مع مأساة آل البيت (لأول مرة خلال أربعة قرون) كما تعاطف مَن قبلهم (معاوية الثاني) (ت 64) وعمر بن عبد العزيز (ت 101) والمأمون (ت 218). . . . . . فالشعوب ما وراء النهر (الفارسية

(1) أول من بنى (مستشفى) (والشيء الغريب أن رواد الثقافة السُنيّة عندما يذكروا خبر المستشفى يذكروه بالاسم الفارسي فيقولون بأنهم أنشاوا (بمارستانا) وبدون ذكر أن ترجمة بيمارستان هي (مستشفى) في العراق، كما أنهم أول من فتح التُرع والسدود الخاصة بمنع الفيضانات بالإضافة إلى الجانب الإقتصادي وغيره. كما أنهم أشادوا الأديرة والمعابد لغير المسلمين من المسيحيين واليهود والصابئة، كما أقاموا نظام المعونات الإجتماعية (Social Assistante) وصرفوا أموال الدولة على الفقراء بشكل مبرمج قريب إلى النظام في الغرب.

والديلم وغيرها) شعوب عاطفيّة رومانسيّة تميل إلى حب الفن والأدب والشعر والموسيقى، فعندما سمعوا بمأساة الحسين وعُمقها في الوجدان العربي والإنساني لم يتوان عضد الدولة (ت 372) في أن يُقيم احتفالاً على الحسين لا لأنه إمام شيعي، بل لأنه حفيد الرّسول أولاً ولأنه يمثل قيمة الوجدان الإنساني.

كما لا بد لنا ونحن في هذه العُجالة أن نُشير إلى ظاهرة ثقافية أخرى مهمة بل جديرة بالدراسة تلك هي أن وصول البويهيين إلى الحُكُم في العراق كان سلميّاً، ولم يكن من خلال حرب أو قتل أو تهميش، بل جاء بطريقة تغيير أبيض أبعد شبح القتل والاقتتال، وقد استقبلهم الخليفة العباسي المستكفي (ت 334) خير استقبال. . . .

هنا نلاحظ بأنهم لم يقتلوا الأتراك الذين كانوا مسيطرين على البلاط وعلى الجيش وإنّما أصدروا أمر العفو عنهم أو الرحيل، وقد رحل القسم منهم إلى الموصل وبقيّ الكثير ضمن تشكليه الدولة، كما أن عضد الدولة عندما قرر فتح الموصل لم يتوجه إلى قتال بل دخل في صلح مع ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل وكذلك مع عمران بن شاهين (ت 369) الذي ثار عليه فلم يدخل معه في قتال بل أنه صالحه، وهكذا كان البويهيون أول دولة تمتلك قدراً من التسامح والتغيير السلمي وصلت إلى الحُكُم منذ سنة 11 هجرية. . . . بالتأكيد هذا الشيء كان أمراً مناقضاً لتوجه أسس الثقافة السُنيّة وهذا هو السبب الرئيسي الذي نُفسر به شدة حملات التشويه لهذه الفترة من حياة الدولة.

وتعتبر أحداث الدولة البويهية أول انعطاف في تحدي الثقافة السُنيّة (السياسية)، مع الصعوبة في الفصل ما بين السمة السياسيّة والسمة الفكريّة في تلك الثقافة لأنهما متلابستان إلى الدرجة التي يصعب فصلهما كما هو

الأوكسجين إلى الهايدروجين في جزيئة الماء. . . . . وكانت جهة الخطورة محصورة في تحويل مشاعر الثقافة الشيعيّة إلى أمر شعبي بدلاً من أن يكون محصوراً في طبقة مُحدّدة في شخصيات فكريّة أو علميّة أو ثورية. . . . . وكان لهذا الانعطاف أن تفاجأ أقطاب الثقافة السُنيّة بأن التشيّع قد انتشر في العراق وصارت بغداد بلد شيعي. هذا في الوقت الذي نهى البويهيون عن تغيير في تركيبة الدولة العباسيّة الدينيّة فأبقوا أهم مركزين في الدولة وهما الخليفة والمُفتي العام (رئيس السلطة التشريعية) بيد السُنّة لا خوفاً من التغيير، بل هو تفهّم ثقافي لواقع الثقافة السُنيّة وتأصّلها في الجهاز السياسي للدولة والذي لم ير البويهيون بأنهم معنيون في شكل الحُكُم أكثر من اهتمامهم بواقع الخدمات وتسيير شؤون المجتمع.

كما نشطت في زمن البويهيين الحركة الثقافيّة السُنيّة بشكل لا مثيل له[1] وانتشرت الكتب والحركة الفكريّة العلميّة لا في مجال الأدب فحسب وإنّما في مجال الطب والجغرافيا والفلك والشعر وبقيّة العلوم. . . . . . أما الشيعة فإنهم على مستوى العلماء والفقهاء الذين كانوا ممثلين آنذاك بشخصيات كبرى وضخمة من المعتبرين من الرعيل الأول الذي كتب الفقه والتاريخ وعلم الكلام مثل العلامة الطوسي (ت 460/ 1039 م) والرضيّ (ت 406/ 985 م)، والمرتضى (ت 436/ 1015 م)، وسالار حمزة الديلمي (ت 463/ 1042 م)، والفارابي (ت 339/ 918 م)، وابن حبّان (ت 354/ 965 م)، والمُفيد (ت 413/ 1022 م)، وابن سينا (ت 427/ 1007 م). . الخ ومئات من الأسماء التي من الصعب تسطيرها في هذا الكتاب[2] وتقريباً

(1) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج 5، ص456. المصدر السابق.

(2) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني. دار الأضواء، بيروت. 1990، كذلك: المرجعية الدينيّة العليا، للقزويني، المصدر السابق.

معظم الفقهاء الشيعة الكبار الذين أرسوا دعائم الثقافة الشيعية.....

كما ظهر هنالك الكثير من علماء الثقافة السُنيّة الذين كانوا يخفون ميولهم الثقافيّة الشيعيّة قد نزلوا إلى ساحة العمل بصورتهم التي يحملونها أصلاً وهو التوجه الثقافي الشيعي مع بقاء التزامهم بتوجههم المذهبي السني مثل الحاكم الحسكاني (ت 470/ 1078 م). ومحمد بن همام الاسكافي (ت 336/ 1052 م) وأبو الفرج الأصفهاني (ت 356/ 935 م) أو القاضي النعماني (ت 363/ 974 م)، وابن النديم (ت 380/ 959 م).

كانت هذه الفترة هي من أغزر فترات التأريخ لخمسة قرون، بل منذ أن انطلق الوحي في التبشير بالإسلام حيث بدأ التحدي الفكري وجهاً لوجه فيما بين الثقافتين المتنافستين، وكانت مظاهر المنافسة هو الفكر والعلم والحجة والبحث، وهو الجو الذي تنمو فيه ثقافات الفكر وتنحسر في المقابل ثقافات العنف والاضطهاد، فخلال هذه الفترة القصيرة من عمر الزمن 120 سنة تحوّل معظم المجتمع العراقي والمجتمع الإيراني إلى التزام ثقافة التشيّع بشكلها الواضح، وليس من قبيل المخفي أن نستشف قدر الغيض الذي أصاب أقطاب الثقافة السُنيّة (السياسية) من جرّاء انتعاش (التقارب الثقافي)، وتوجّه المجتمع بطوائفه إلى تحمّل الآخر، نتلمّس ذلك من خلال الكُتُب التي صدرت في ذلك الوقت وطبيعة الهجوم على الشيعة من أمثال مؤلفات الخطيب البغدادي (ت 463/ 1042 م) في كتابه الكبير تأريخ بغداد وغيره.

ومع أن الظرف كان مناسباً لإيجاد نقاط الاقتراب ما بين الثقافتين وفتح صفحة جديدة أمام المخاطر التي تُهدّد الثقافة الإسلاميّة بما هي عامة، ولكن الأمر هو ثقافة والثقافة لا يمكن لها أن تتبدّل ما لم يتم رفع مستوى المجتمع إلى الدرجة التي يكون فيه قادراً فكرياً على تغيير السلوك وتغيير

التوجهات وهو في الواقع يحتاج إلى أجيال ولكن البداية دوماً مهمة وضرورية. . . . . . .

فمن الصعوبة الاعتقاد بأن شخصيات الثقافة السُنيّة ينطلقون في معاداتهم للشيعة من منطلق الواجب الديني، لا أعتقد ذلك ويشاركني فيه كُلّ المطّلعين على ثقافات الأديان باعتبار أن الدين أمر ذاتي تابع إلى نفس الفرد وليس هنالك من سبب في فرضه على الفرد، فالدعوة إلى الدين أمر مشابه إلى تسويق أية فكرة أو بضاعة أو رأي ليس للطرف المُسوّق أن يفرض بضاعته الفكريّة على الآخرين.

ولا يمكن أن يتم استعمال القوة في عالم الأفكار ما لم تكن هنالك ثقافة عُنف مندمجة مع أفكار تلك الثقافة لأن الله سوف لن يحاسب ذلك الداعية المُتفاني في رفض الآخرين عن تقبّل فكرته، وإنّما المُحاسَب هو ذات الفرد الذي رفض فكرة الدين، وهنا نرى بغرابة بأن كلّ الداعين إلى ثقافة التسنّن بدلاً من أن يُظهروا بضاعتهم باعتبارها ثقافة فإنهم يُغلّفونها بالدين وكأن الدعوة هي دعوة دينيّة أخروية.

مقاتل ثقافة التسنّن كانت قد تبلورت في التالي:

- انكشاف لواقع الثقافة بما قد بُنيّت عليه بعد أن زال عامل الخوف والاضطهاد فظهر ضُعفها في قُدُراتها الفكريّة والكلامية، وهذا ما دفع أقطاب تلك الثقافة إلى اتخاذ الفكر الحنبلي سياجاً لها باعتبار أن الحنابلة ذو تشريع سلفي هذا بالإضافة إلى ظهور شخصيات متطرفة.
- ضُعف السند للثقافة السُنيّة وهي الدولة (العباسيّة) وانحدارها عسكريا وفكرياً.
- تبرعمات متنوعة للدولة كلها تقريباً لم تكن بعيدة عن الثقافة السنية،

بل توجهات تبدو شيعيّة مع ابتعادها لحد ما عن التشيّع الإمامي الإثني عشري.

- تأصّل الجانب السياسي في الثقافة السُنيّة بصورة أكثر من ذي قبل على حساب الفكر وظهور فكر التطرف الديني وتسميّة الشيعة (بالروافض) وبشكل علني.
- الالتفاف بصورة أكثر حول فكرة الخلافة العباسيّة وتبرير واقع الخلفاء.
- توجّه الحُكّام الجُدد إلى قدرات الشخصيات الشيعيّة أكثر مما هو لدى ما كان قائماً في زمن السيطرة السياسيّة للدولة العباسية.
- انحسار القدرات الأدبية الشعريّة والروائيّة وتوجّه روادها إلى الثقافة الشيعية.
- تحول الثقافة السُنيّة من الهجوم إلى الدفاع فيما يتعلق بالجانب الفكري.

أما الثقافة الشيعيّة فإنها واجهت التالي:

- أول ظهور لها بقدراتها الواقعيّة بما عليها أن تتحدى بعد إزالة عامل الإضطهاد وسيادتها للساحة الفكريّة والعلمية.
- مواجهة الانفتاح الشعبي الذي لم تتهيأ له فخسرت مواقع كثيرة.
- إلصاق كلّ الحركات الشيعيّة التي انطلقت آنذاك بالتشيع الإثنى عشري (السائد) مثل القرامطة والفاطميين.
- انطلاق الفكر الإرهابي من الحركات التي تبرعمت من الاسماعيليّة كالقرامطة والنزاريين وغيرهم.
- غياب القيادة الموحّدة للمسيرة الشيعية.

كانت الفكرة منذ البداية هو أن تتحول تلك الكيانات إلى ما يشبه فكرة القسطنطينية[1] التي انفصلت عن الدولة الرومانية في القرن الثالث الميلادي والتي كانت هي الدولة التي أقرّت المسيحية كدين رسمي لها من قبل قسطنطين عام 322 ميلادية مع احتفاظ بغداد بواقعها العباسي الذي له ظروفه كما هي روما التي بقيت ببقاء المنافسة لها القسطنطينية. فكانت الدول التي بنت كياناتها في هذه الفترة لم تر من ضير في أن تكون هنالك مؤسستان إسلاميتان كبريتان في المنطقة، ولكن ذلك لا يتوافق مع ثقافة المؤسسة الحاكمة وهي ثقافة التسنّن التي كانت تتحكم بالخلافة العباسيّة التي كانت تدّعي الملكية على الجميع وهي صفة الشمولية على ضوء المفهوم البدوي القديم في الحيازة[2]، فالمفاهيم التي سادت الثقافة السُنيّة

= بجلوس رجل على تخت السلطنة ثم البحث عن رمز أيوبي يشارك أيبك الحُكُم إسمياً فيهدأ خاطر الأيوبيين ويرضوا عن الوضع الجديد. تزوجت (شجر الدر) من (أيبك) وتنازلت له عن العرش بعد أن حكمت مصر ثمانين يوماً . نصب أيبك سلطانا وأتخذ لقب (الملك المعز) وفي محاولة لإرضاء الأيوبيين والخليفة العباسي قام المماليك بإحضار طفلاً أيوبياً في السادسة من عمره وقيل نحو العاشرة من عمره وسلطنوه باسم (الملك الأشرف) مظفر الدين موسى وأعلن أيبك أنه ليس سوى نائباً للخليفة العباسي وأن مصر لا تزال تابعاً للخلافة العباسيّة كما كانت من قبل.

(1) كان تتويج البابا (ليون الثالث) لشارلمان إمبراطوراً سنة 800 م 180 هجرية (زمن المأمون) عملاً يفتقر إلى الشرعية من الناحية القانونية، وحده إمبراطور الروم الشرقي هو من يُتوج أي أحد يناظره في الغرب، لذلك نظرت القسطنطينية بعين الشك لذلك الفعل.

(2) فقد حاولت روما القديمة أن تُعيد مجدها فصارت الدولة الرومانية المقدسة (أي ما يعادل الدولة العباسية) في القرون الوسطى في عام 350 هجرية يعادل 692 م. أي تقريباً في نفس زمن بداية انهيار العباسيين في زمن المتقي بالله وفي زمن عصر الغيبة الصغرى وذلك بعد أن تآخت تلك الدولة مع البابوية الدينيّة الكاثوليكية (بما يشابه السُنّة في الإسلام) وصارت تحت سلطتها وهي التي تمنحها الشرعيّة في الحُكُم كما هو منح الجانب الديني للثقافة السُنيّة إلى الدولة شرعيتها مع أن الشرعيّة هنا في الدولة العباسيّة لم تتم من خلال إقرار أي جهة دينيّة مؤسسة كانت أم شخصية، باعتبار أن الدولة تستمد شرعيتها من النسب لآل الرسول وليس =

هو أن الأرض تابعة في حكمها إلى الدولة (الاسلامية) وليس من حق أحد أن يُقيم كيان ما لم يُشاور تلك الدولة وأن يُقدم لها الولاء إما من خلال الجزيّة أو الدخول إلى دين الدولة (الإسلام) وإذا امتنع ذلك فالحرب.

هذا المفهوم يكاد أن يكون مادة ثابتة في الثقافة السنية، فكل دولة في العالم عليها أن تختار ما بين الاحتمالات الثلاث. وهذا تماماً ما عانت منه الدولة الفاطمية والدول الأخرى في تعاملها مع الدولة العباسيّة الممثلة لثقافة التسنن. مع أن الفاطميين كانوا لا يرون هنالك من حاجة إلى الدخول في حرب مع تلك الدولة ولا محاولة إزالتها كما تفكر هي، فهي كما يقال كانت تدعو باسم الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي في ذات الوقت[1] بعكس ما كانت تعمله الخلافة العباسية.

= من قبل الشخصيات الدينيّة أو أئمة المذاهب، أي أن الدين والدولة كانتا في صراع فيما بينهما لحل سؤال من يمنح من. . . . . ؟ لقد كان أول أمبراطور (خليفة) توّجه البابا هو يوحنا الثاني عشر كان (أوتو الأول) ليكون امبراطوراً على كلّ أوروبا تقريباً ما عدا فرنسا. أُلغِيَ لقب الإمبراطور (الروماني) على يد إمبراطور آخر هو (نابليون الأول) إمبراطور فرنسا الذي فرض على فرانسيس الثاني هابسبورغ أن يأخذ لقب (إمبراطور النمسا) (مناطقياً) الأكثر انسجاماً مع المناطق التي كان يحكمها فعلاً. وتم حل الإمبراطورية الرومانية المقدسة رسمياً في سنة 1806 أي 1220 هجرية والتي كانت تعتبر بدايات توجه العالم المسيحي الغربي والذي أزالت منه صفة (الدين) في احتلال مناطق العالم الإسلامي الذي كان في ذلك الوقت يرزخ تحت حكم ثقافة سُنيّة أخرى كما سنأتي بالكلام عنها وهي الدولة العثمانية.

(1) الدعوة من على المنابر في صلوات الجمعة وفي الخطب إجراء قديم اتبعته الدولة الأمويّة أولاً كمفهوم من مفاهيم إشاعة الخوف فيما بين الشعوب التي كانت بعيدة عن المركز وذلك لإقرار عامل السيطرة على تلك البقعة مع أنها لا تُمثّل من شيء إلاّ القول لا أكثر، ولكنه يعني في الثقافة السُنيّة هو الولاء للشعائر ولتبعيّة الدولة إلى ذلك الخليفة. وهو أمر استمر عليه الحكام العرب منذ ذلك الوقت في أن يتم الدعاء إلى الخليفة أو الرئيس أو الملك من على منابر الجمعة وإلى الآن حتى وإن كان الحاكم ذلك سيفاً من الظلم والقتل على شعبه.

قراءة الأحداث بالتواريخ (جدول رقم 14): بداية كتابة تأريخ المدرسة الشيعية ثم الصراع الثقافي مع النظير الثقافي وهي الثقافة السنية. كما تبدو الفترة هذه التي ظهرت فيها التحزبات الفكرية والثورية السياسيّة والفكرية.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
سيطرة الدولة البويهية على بغداد	332	شيعة إسماعيلية
وفاة أبو طاهر القرمطي	332	اسماعيلي مؤسس القرامطة
وفاة المتقي العباسي الخليفة	333	دخل البويهيون بغداد
وفاة محمد بن همام الاسكافي	336	شيعيا فيلسوفا
القرامطة رد الحجر الأسود إلى مكة	339	بعد أن سرقوه
وفاة الفارابي	339	لدى الحمدانيين
وفاة محمد القائم بأمر الله الفاطمي مصر	345	مصر
وفاة علي بن الحسين المسعودي	346	مؤلف كتاب مروج الذهب
وفاة الخصيبي	346	باطني تلميذ النصيري
وفاة أبو إسحاق النوبختي	350	عالم كبير إمامي
الامبراطوية الرومانية المقدسة بدايتها	350	بعد أن صارت مسيحية
وفاة ابن حبان	354	مؤلف كتاب المجروحين
وفاة أبو الفرج الأصفهاني	356	مقاتل الطالبيين
وفاة الجنبلاني الحصيني	358	نصيري العقيدة
انتقل الفاطميين من تونس إلى مصر	358	على يد المعز لدين الله
نهاية الدولة الإخشيدية مصر	358	سقطت على يد الفاطميين
بناء الأزهر من قبل الشيعة	359	المعتز بالله
وفاة أبو حنيفة المغربي	363	قاضي الدولة الفاطمية
وفاة عمران بن شاهين	369	مؤسس دولة شيعية في الكوت
عضد الدولة بن بابويه ينهي القرامطة	375	في معركة كبرى
دولة آل حمدان الموصل	380	الموصل وحلب
وفاة ابن النديم	380	كتاب الفهرست
وفاة الصاحب بن عباد	385	رئيس وزراء إمامي

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة أَبُو عَبْدِ اللهِ العُكْبَرِيُّ الحَنْبَلِيُّ، ابْنُ بَطَّةَ	387	مصنف كتاب الإبانة الكبرى
وفاة ابن الجنيد القمي	388	واضع علم العقيدة الشيعية
وفاة القاضي النعماني	389	تحول من الشافعية إلى الأمامية
وفاة الحسين البغدادي بن الحجاج	391	شاعر إمامي
بداية الحمدانيون حلب	394	اسماعيلية
وفاة أبو احمد الحسين ابن الطاهر	400	أب الشريف الرضي
وفاة الباقلاني	403	شيخ الاشاعرة في بغداد
وفاة الشريف الرضي	406	زعيم الطالبيين
بنو مزيد	407	أسسوا دولة
وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمي	411	أقوى حاكم فاطمي
وفاة الشيخ المفيد	413	مؤسس علم الكلام الامامي
وفاة المسيحي المؤرخ	420	المؤرخ
انتهاء الدولة الأمويّة في الأندلس	422	انتهت
وفاة ابن سينا	428	فيلسوف إمامي
وفاة المرتضى	436	منظر علم الكلام
فتنة السنة والشيعة في بغداد	441	أثارها السلاجقة
وضع حي على خير العمل في بغداد	444	كشعار طائفي
انتهت الدولة البويهية وبدأ السلاجقة	447	على يد السلاجقة
وفاة الماوردي	450	كتاب الأحكام السلطانية
وفاة النجاشي	450	مؤلف كتاب رجال النجاشي
الدولة الصليحية الاسماعيليّة في اليمن بدايتها	455	أسسها علي بن محمد الصليحي
وفاة ابن حزم الأندلسي	456	جمهرة انساب العرب
الطوسي العلامة	460	هاجر إلى النجف
وفاة الداماد	461	عالم إمامي
وفاة الخطيب البغدادي	463	مؤلف كتاب تاريخ بغداد
وفاة عبد البر القرطبي	463	الاستيعاب

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة حمزة الديلمي سالار	463	عالم إمامي
وفاة القائم بأمر الله العباسي	467	راسل السلاجقة
وفاة الحاكم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني	470	صاحب كتاب شواهد التنزيل
وفاة الجويني إمام الحرمين	478	مؤلف كتاب غياث الأمم
وفاة أحمد بن محمّد بن خالد البرقي	480	إمامي صاحب كتاب رجال البرقي
مقتل نظام الملك علي يد الإسماعيلية	485	مؤلف كتاب سياسة نامة
وفاة بدر الدين الجمالي	487	جدد ضريح الحسين بعسقلان
نقل رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة	491	الجمالي الفاطمي
احتلال الفرنج للقدس	492	بعد خيانة القادة
الدولة المزيدية بدايتها	494	شيعية في الحلة
مدينة الحلة بنيت في	495	بناها سيف الدولة صدقة بن بهاء المزيدي
الدولة العيونية في البحرين بدايتها	502	بقيت 160 سنة طردوا القرامطة
وفاة أبو حامد الغزالي	505	في طوس
وفاة الزمخشري	528	متشيع صاحب كتاب الكشاف
دولة الصليحيون	534	إسماعيلية في اليمن
المرابطون	541	المغرب دولة زيدية
المناداة بحي على خير العمل في بغداد	543	بادرة طائفية
حظر المناداة بحي على خير العمل نور الدين زنكي حلب	543	مبادرة طائفية
وفاة ابن عربي	543	الفيلسوف
وفاة الشهرستاني	548	صاحب كتاب الملل والنحل
الدولة المزيدية سقوطها	558	شيعية عربية
صلاح الدين يسقط الفاطميين ويعيدها إلى العباسيين	566	آخر الخلفاء العاضد لدين الله
وفاة ابن عساكر الحافظ	571	صاحب كتاب تأريخ دمشق

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة القطب الراوندي	573	صاحب كتاب المعجزات
وفاة المازندراني رشيد	588	كتاب مناقب آل أبي طالب
وفاة أبن شهراشوب	588	كتاب معالم العلماء
الدولة الأيوبية انهارت وموت صلاح الدين	588	على يد المماليك
السلجوقية نهايتها في بغداد	590	على يد المغول
زوال الدولة الفاطمية	592	على يد صلاح الدين
وفاة ابن الجوزي	597	حنفي صاحب كتاب المنتظم
وفاة ابن إدريس الحلي	598	مجدد في زمانه
وفاة الفخر الرازي	604	روى آية الولاية
الموحدين في الأندلس	608	من المغرب
الناصر لدين الله العباسي	622	ساند الأمامية
وفاة ابن الاثير	630	صاحب كتاب أسد الغابة
وفاة المستنصر بالله العباسي	640	شيعي التوجه بنى المستنصرية
وفاة ابن الصلاح الشهرزوري	643	أفتى بحرمة الفلسفة
محمد بكتاش تولد	646	مؤسس البكداشية في تركيا
دولة المماليك مصر ابتدأت	647	مصر
بداية الدولة الخوارزمية	652	إيران
وفاة سبط ابن الجوزي	654	صاحب كتاب تذكرة الخواص
المستعصم بالله العباسي استسلم لهولاكو	656	في زمن المحقق الحلي
سقوط بغداد	656	على يد هولاكو
الدولة الايلخانية بدايتها	656	في العراق

جدول رقم (١٤)

الحقبة الخامسة عشر: من عام سقوط بغداد 656/1258 م إلى نهاية الخلافة العباسيّة في مصر 909/ 1519 م.

كما شاهدنا في الفصل السابق هنالك تداخل كبير فيما بين العصور والأحداث بالشكل الذي قد يُشوش القارئ لحد ما في سلسلة التتابع وهذا أمر لاحظته مع نفسي وأنا اكتب هذه الفترات التي تحمل الكثير من الغرابة في القدرة على تفسير الوقائع الثقافيّة ما لم أكن امتلك الحرية في الحركة إلى جميع الجهات، كاللاعب الذي يُحاول التقدم إلى الهدف فعليه أن يتراجع أحيانا في تكتيك من أجل تحقيق الإنجاز، ولذلك فإني استميح القارئ عذراً على ذلك لما له من ضرورة لتقريب المعنى الذي أريد أن أنقله إليه.

من المهم إدراك حقيقة مهمة في هذا الفصل قبل البدء في الغوص في أعماق الأحداث تلك الحقيقة هو أن التطور لثقافة معينة في حيّز تأريخي معين ليس بالضرورة أن ترتبط نتائجه بنوعيّة اقترابها من السلطة، أي الوصول إلى امتلاك الدولة من قبل تلك الثقافات. . . فهنالك خطأ لاحظته لدى معظم الكُتّاب والمحللين التاريخيين والسياسيين وهو ربط قدرة التطور في الثقافة الشيعيّة بمسافة اقترابها من جهاز الحكم. . . . ومع أن هذا التحليل قد يحمل جزءَ من عوامل الصحة، ولكنه ليس هو التعليل الكامل الذي يمكن لنا تفسير نهضة الثقافة الشيعيّة في تلك الفترة بالذات، بل أن التفسير الواقعي هو أن الثقافة الشيعيّة لا تنمو إلّا بأجواء الحرية والانفتاح، وهذا هو السر في التطور، وليس وصولها إلى تحقيق الحُكُم أو الدولة، فلذلك فكلما تحرك الفكر الثقافي الشيعي إلى الإمام فإن عامل الحرية الفكريّة هو التعليل العلمي لا اقتراب الحكام من الشخصيات الشيعيّة.

وهذا ينطبق على كلّ الدول التي توالت على حكم العالم الإسلامي، ومن أهمهم هي فترة المماليك التي نهضت خلالها الثقافة الشيعيّة نهضة كبرى، مع أن المماليك هم أناس غرباء عن الثقافة الشيعية، بل غرباء عن كلّ ما يتعلق بالحالة الإسلامية، في الوقت الذي ترفض الثقافة الشيعيّة كلّ المبادئ التي أقيمت عليه فكرة المماليك وطريقة زرعهم في جسم العالم الإسلامي.

من هم المماليك: (Mercenaries) أو (المرتزقة الرسميون) بالتأكيد يحاول الكثير من المؤرخين العرب والمسلمين أن يمروا بمرحلة المملوكية التي اجتاحت العالم الإسلامي مرور الكرام وكأن الأمر ليس له من تأثير على مجرى العوامل الثقافية، مع أن الواقع يصدح بعكس ذلك، حيث تُعتبر فترة المماليك الفترة المهمة في عامل تغيير ثقافة الواقع الإسلامي والواقع العربي لأنها عبارة عن فترة غريبة لم يكن لها مثيل في دول العالم الشرقي والغربي على حد علمي.

فالمماليك عبارة عن أناس تمت سرقتهم أو شراؤهم أو حيازتهم من قبل الدولة أو من قبل شخصيات وسطية (Agents) من مناطق غالباً يسود فيها الجنس الأبيض على شعوبها وهي المناطق التي تقع في آسيا الوسطى مثل أرمينيا وجورجيا وكازاخستان والشيشان وما إلى ذلك، وكانت تلك المناطق في ذلك الوقت عبارة عن شعوب في غاية التأخّر من الناحية الاقتصادية والعلمية والإدارية، كانوا قبائل ليس لهم من سلطة مركزية أو حكم جامع ويُسمون أحيانا بالديلم أو بالترك في أحيان أخرى، وقد تمّ ذلك في العصور الأولى التي وطأت أقدام الغزاة المسلمين تلك الأرض ابتداء من زمن سقوط الدولة الفارسية على يد الخليفة الفاروق (ت 23) حيث كانت تلك العمليات غير منظمة، بل كانت تُجرى بشكل إما غزوات سريعة

من قبل الحاكم للمناطق القريبة أو من قبل متخصصين في جلب العبيد كما كان يفعل عبد الله بن جدعان (ت 1) في العصر ما قبل الإسلام. . . . بمرور الوقت صار هنالك منافسة في لون بشرة العبد الذي يملكه الشخص بحيث صار الطلب على العبيد البيض هو التوجه الرئيسي، أما الرقيق الأسود فهو في متناول المسلمين آنذاك من مناطق أفريقيا وخصوصاً شرقها.

تكاثر عدد العبيد البيض في بلاط الخلفاء بشكل واضح وصارت هنالك حوادث كثيرة في علاقة أولئك العبيد بنساء القصر[1] مما فرض على السلطة

---

(1) دلت الإحصائيات العالمية بأن غريزة إشباع الميل الجنسي لدى المرأة عمليّة في غاية الصعوبة في ضبطها ما لم يتم معالجتها بالطريق الطبيعي الذي أقرّته الشرائع السماوية والتقارير العلمية، فالعرب قبلا والى الآن تعتقد بأن المرأة هي عامل سلبي في علاقة الجسد، مع أن العلم الحديث أثبت بأنها عملية بايولوجية معقدة لها شروطها كما هو الواقع الغريزي لدى الذكر من قبيل الهرمونات والإفرازات وطبيعة الميل وغيرها. وهذه النظرة الخاطئة لحاجة المرأة الغريزيّة أدّت إلى نتائج وخيمة في ردود الفعل في نوعية إشباع ميل الفطرة لدى النساء اللاتي حُرمنّ منها، فالخليفة آنذاك كان له عدد غير مُحدود من الزوجات والسراري ومُلك اليمين والعبيد وغيرها. فهو ليس له من قدرة بايولوجية في أن يُحقق ما تتطلبه حقوق الزوجية في إشباع الجانب الغريزي، وبذلك يحدث في جو الحرمان هذا الكثير من التجاوزات من قبل الإناث من أجل تحقيق ذلك. . . . وقد توصل العرب في تلك الفترة أي قبل الإسلام وبعده إلى ممارسة عملية الإخصاء (Castration) للعبيد في بلاط السلطان، والمخصي هو الشخص الذي ليس له ميل جنسي إلى الأنثى باعتبار أن الجنس هو عبارة عن تحفيز هرمون (Testesteron) الذي تفرزه الخصية، بينما ليس هنالك بالمثل عضو يفرز عامل التحفيز لدى الأنثى، بل تشترك الكثير من الغدد الصماء في إفراز ذات الهرمون لتحقيق الرغبة بعملية معقدة يكون عامل الوقت حاسماً فيها. في الوقت الذي يرى العلماء المتخصصون أن ضغط تلك الرغبة على الأنثى وبمرور الزمن يدفعها إلى سلوك طرق كثيرة جداً قد لا تخطر على بال إنسان الكثير منها ينتابها سلوك العنف والقتل والاغتيالات بغض النظر إلى الموقع الاجتماعي الذي يحيط بالمرأة في تلك الظروف، وأمامنا مشاهد كثيرة أهمها هو قصة زليخا في القران وقصة ديانا الأميرة في بريطانيا وقصص ليس لها عد في تصفحنا للتأريخ القديم والحديث.

الإقدام على عمليّة الإخصاء، وهو أسلوب قديم كانت بعض الأمم تستعمله مع انه محرم في الإسلام مع اختلاف في الرأي[1]. ولكن للإخصاء تبعاته الكثيرة السلبية لأنه يحوّل الإنسان من شخصية معينة إلى شخصية أخرى كما تتحول قنينة العصير مثلا من عصير البرتقال إلى عصير العنب أو الخمر مثلا، كما أن له تأثير على الميول الإنسانية وقدرات العنف والقتل التي يتمتع بها ذلك المخصي.

ازدادت عملية احتواء طبقة العبيد البيض من قبل الخلفاء، مع أن إبن عبد الرب في (الاستيعاب) يقول بأن معاوية بن أبي سفيان (ت 61) هو أول خليفة انتدب الخصيان إلى بلاطه، مع أننا نخالفه في ذلك ونعتقد بأن معاوية هو أول خليفة امتلك الشجاعة في تبني تلك الظاهرة بصورة رسمية. وقد وصل أوجها في زمن المأمون (ت 218) والمعتصم (ت 227) فصار لهم واقع مفروض على الخليفة وعلى نساء القصر وعلى الوزراء والحاشية والمقربين ورجال الدين ضمن نطاق محدود يتم بسريّة كبرى.

---

(1) من كتاب (البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المتخرجة، محمد بن أحمد ابن رشد أبو الوليد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988) قال فيه: (وسئل مالك عن شراء الخصيان، فقال: أما الرجل يشتري لنفسه الخصي والاثنين، فلا أرى بذلك بأسا، وأما أن ينفق لهم فلا أحبه، قد رغب فيهم الملوك، وأكثر الناس منهم. قيل لمالك: أفتكره أن يقف الرجل المسلم على الرومي، فيقول: أخص هذا. . .؟ فقال: وما بأس هذا. . .؟ قيل: إنهم يقولون: إذا قلت هذا ذهبوا بهم فخصوهم، قال: هم أعلم بهذا منك. قال محمد بن رشد: قوله أن ينفق لهم معناه يشتريهم للتجارة، ويتخذهم متجراً، وهذا مثل ما في سماع أشهب، من كتاب جامع البيوع. قوله فيه ترك التجارة في الخصيان أحب إلي. وأما تحريمه فلا، قيل له: لأن شراءهم قوة على خصائهم، قال: نعم، وذلك بيّن على ما قاله، ولم ير شراء الرجل الواحد والاثنين مما ينفقهم، ويكون قوة على خصائهم، أي سبباً للإكثار من ذلك؛ لأنه قد علم أنه لا يشتريهم ويتخذهم إلا القليل من الناس، فإذا كان القليل من الناس لا يشتري منهم إلا الواحد والاثنين لم يكن ذلك تنفيقاً لهم، وقد كان لمالك خصي، ولعمر بن عبد العزيز، وبالله التوفيق).

ثم تطورت الأمور من الذكور إلى الإناث البيض فتحولت الحالة إلى ظاهرة متأصّلة من الصعوبة التحكم فيها أو منعها أو التخلص منها. وكان كما ذكرت في السابق بأنها ظاهرة موجودة في المجتمع المكي قبل الإسلام[1] كما كانت إحدى أهم الأسباب للغزوات هو الحصول على المزيد من الرقيق البيض لبيوت عليّة القوم وكبارهم. . . . تحول العبيد البيض بمرور الوقت إلى قوة داخلية كبرى في الجيش في بطانة الخلفاء وسيطروا على مجريات الحروب كما سيطر (الإنكشارية البكداش) و(القزلباشية الفرس) على العثمانيين والإيرانيين فيما بعد.

وفي نهاية العصور العباسيّة وخصوصاً بعد زمن المتوكل انحسر توجه الناس إلى مساندة الدولة في الخروج إلى الغزوات أو الحروب بسبب فقدان شرعية الحُكُم في نفوسهم، مع أن الدولة آنذاك كانت تبذل أموالاً طائلة للجنود، ولكن العرب خصوصاً من العراقيين والمصريين والحجازيين واليمنيين كانوا قد توقفوا عن عملية الذهاب إلى الحروب التي ظهرت بأنها حروب غير شرعيّة أقلها هو الثأر وتثبيت الحُكُم والصراع على الرئاسة. . . وفي هذه الحالة التجأت الدولة العباسيّة إلى طريقة (المرتزقة) في الاستعانة بهم في الحروب بعد تكوين هيئات خاصة يُديرها أمير الحرب الذي كان يسمى (الديودار) في البلاط.

استفحلت الحالة في مصر بعد أن رفض المجتمع المصري الخليط ما بين اللونين الأبيض والأسود من أن يستخدمهم الخلفاء في هذا الأمر ولذلك كانوا من أوائل من ثار على الخلفاء[2] بسبب سوء المعاملة التي

(1) أمية هو عبد رومي (تركي) أبيض بعدها تبناه عبد شمس بن قصي.

(2) الثورة على عثمان أول من قادها المصريون، وقد أمّر عليهم معاوية فيما بعد سفاح معروف اسمه معاوية بن خديج، وكذلك تحرك المصريون ضد معاوية وعلى بقيّة الخلفاء إلى أن تحوّلت مصر إلى أرض ينمو فيها فكر الثورة.

عوملوا بها فكانوا أرض خصبة لثقافة أخرى وهذا ما مكّن الفاطميون من أن يستغلوا هذه الفرصة للانقضاض على الحُكُم وانتزاعه من العباسيين. . . . ولكن بسقوط الخلافة الفاطمية استفحل صلاح الدين الأيوبي (ت 589) بالأمر وقوّى نفسه بأعداد غفيرة من المرتزقه المماليك بعد أن رفض المجتمع المصري مساندة الأيوبيين، كما هو موقف الشاميين معهم في الشام في مسعاهم إلى إعادة العباسيين إلى الحُكُم والتعاون مع الصليبيين ثم منع العمل في الأزهر.

لم تمض فترة قصيرة على ذلك حتى انقضّ المماليك الأقوياء الذين كانوا يُمثلون عينّة ضخمة من أعمدة الحُكُم وتمكنوا من السيطرة على الحُكُم الإسلامي وكان أولهم هو قطز (ت 658/ 1260 م) وبيبرس (ت 676/ 1277 م) وكان أول ما قاموا به هو تعيين شخص انتحلوه بأنه من سلالة بني العباس لكي يُنصّب حاكماً وذلك لكي يستظلوا بالشرعية التي سيضيفها هذا المنتحل على المماليك[1].

الجذور الثقافيّة لظاهرة المماليك: تسير الثقافات ضمن نهج تعليلي سببي كما هي الظواهر الطبيعية كأن تكون الحرارة سبباً للنار أو البكتيريا سبباَ للمرض أو غيرها من السنن الطبيعية التي تزخر بها الحياة. . . . وظاهرة شراء البشر واستخدامهم بالطريقة التي تمت في موضوع المماليك

(1) وتم بالفعل ذلك بعد مسرحية من الصعوبة تصديقها إذ اكتشف أحد المنتحلين اللعبة (أبو القاسم أحمد) فأسرع إلى مصر لكي ينتزع اسم الخليفة (المستنصر بالله) فلم يكن من المنتحل الأول (أبو العباس احمد) إلاّ أن ذهب إلى دمشق وهنالك نودي باسمه خليفة من قبل شمس الدين أقوش المنشق عن بيبرس، وبعد تتويج الأول وتسليط بيبرس شرعاً زوده بالمال لكي يحارب المغول في العراق فقتلوه في (هيت) بطريقة سريعة جداً، فذهب بيرس إلى الأول (أبو العباس أحمد) فجاء به وأعلنه خليفة إسلامي بنفس الأسم (المستنصر بالله).

بالتأكيد ظاهرة ليس لها من علاقة بالجانب الفكري للإسلام ولا تعاليمه، وليست مما يتقبله واقع النظم والقوانين الحالية التي تحكم الشعوب، كما أنها لم تكن قد مارستها سلطات من ذي قبل مع مواطنين آخرين، في الوقت الذي يقترب الفهم الموسع للمماليك مع فكرة العبودية والرق التي تحوّلت إلى فكرة مرفوضة منذ عهد بعيد لدى أمم الأرض. . . . فهي قضيّة تُعتبر في غاية الابتعاد عن الإنسانية وعن المُثُل وعن فطرة الإنسان. . . . . فقد مارستها ثقافة قريش بشكل واسع ولكن على مستوى العبيد حيث كانت هذه التجارة رابحة جداً وكان أثرى شخصية في مكة هو عبد الله بن جدعان تاجر العبيد.

بعد الرسالة لم يُحرّم الإسلام عملية الاتجار بالبشر بل حاول تحديدها ولكنها في الواقع انتشرت بصورة وعنوان آخر أوسع مما كان قبل الإسلام بسبب توسع الأرض وزيادة عدد القادمين الجدد وكثرة الغزوات. الظاهرة التي لا تتآلف مع الواقع العربي هو عامل النَسَب الذي يغيب لدى المماليك بحيث لا يُعرف المملوك من هو أبواه، بل يعيش فقط على شكل أجير يتفنن في الصنعة المنوطة به وهي الحرب أو القتل والقتال. . . وهكذا شخصيات تصبح عديمة الضمير والإحساس الإنساني لا يمتلك وجدان أو مشاعر باعتباره شخص فاقد العائلة وفاقد الأب والتربية، كذلك فهو حانق على المجتمع الذي سلبه حقه من الأبوة والانتساب. . . . .

إن معظم المماليك من الغلمان ومن الصبيان ذو أصول بعيدة في عاداتها عن الواقع العربي الشرقي في كلّ ما يتعلق بالآداب أو العلاقة النَسَبية وهي الظاهرة التي وجدت لها محلاً خصباً في ظهور شخصيات مجرمة سفاكة للدماء فيما بين تلك الفئة من مقطوعي النسب.

الثقافة السُنيّة لم تر من ضير فيما تراه شرعاً أو عُرفاً في تقبّل هذه

الظاهرة في طبيعة ارتباطها بالهدف الكبير وهو هدف الدولة والقوة، وهذه الفئة تمتلك من القدرات ما تحقق ذلك من خلال الحرب والقتل وسفك الدماء بطريقة لا يشعر بها المملوك بأنها مخالفة للذوق أو كما يقال بدم بارد (Cold Blood) كما أنها ظاهرة مرتبطة بالحكام من الذين يمثلون الثقافة السُنيّة بما فها من تبعات فكرية وذوقية. . . . . . .

وهنا من الممكن أن نرى بأن تلك الثقافة التي برزت فيها الشخصيات القرشيّة التي كانت ترى في النَسَب بأنه تجارة، قد دخلت في سبات في عصر قصير إلى أن استفحلت بشكل كبير فيما بعد في بداية العصر الأموي وصارت شيئاً متعارفاً عليه في كلّ الدول التي حكمت باسم تلك الثقافة، وهي الراشدية والأموية والعباسية والعثمانية.

والشيء الملاحظ في ظاهرة المماليك التي استفحلت في مصر والتي يرجع المؤرخون سببها إلى الدولة الأيوبيّة، لم تكن في الواقع بسبب الحاجة إلى المماليك كما هي ظاهرة حاجة الخلفاء العباسيين أو غيرهم، فقد أوغل الأيوبيون في انتشار تلك الظاهرة وفسح لها مجال التناسل بعد أن سُمح لهم بالاتصال بالمجتمع المصري الذي كان في ذلك الوقت مجتمعاً تسود فيه الثقافة الشيعية، وكانت الشعائر من المظاهر التي يُمكن للإنسان أن يلحظها في عاشوراء أو غيرها من الأشهر.

ولكن صلاح الدين الأيوبي كان قد حلف في أن يمنع الشيعة من التناسل فحبس الرجال والنساء كلّ في مكان، كما أنه قرر أن يستبدلهم بالمماليك بطريقة يتمكن من خلالها في أن يمنع المد الشيعي الذي كانت مصر ملتزمة به من الاستمرار[1]. وهنا يمكن لنا أن نلحظ بأن الظاهرة

(1) راجع كتاب: (الشيعة والحاكمون، لمحمد جواد مغنية، ص 91، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2000). كما أنه لمن المناسب أن نذكر حادثة رأس الحسين في القاهرة بعد نقله من كربلاء =

المملوكيّة قد استُخدمت سياسياً وطائفياً بعد أن كانت إفرازاً من إفرازات الثقافة السُنيّة[1].

كما علينا أن نلحظ كذلك ما دمنا في سياق هذا الحديث بأن شروط الخليفة في الثقافة السُنيّة تتضمن ثلاث نقاط كما نأخذها من الإمام الغزالي (ت 505/ 1111 م)[2]:

- القوة والمنعة.
- التولية أي الوراثة.
- والتفويض (أهل الحل والعقد حتى وإن كان واحد)[3].

= إلى الكوفة، ثم الشام ثم عسقلان والقاهرة واختلاف المؤرخين والمحققين في المكان الذي دفن فيه في نهاية المطاف، ورأى الأكثرية منهم في أنه نقل على عهد الفاطميين من عسقلان إلى القاهرة حيث ووري التراب في محله الحالي في القاهرة، وهنا نكتفي برأي السيد حسن الأمين، المحقق الكبير الذي كتب المقال ونشرته مجلة (العربي) الصادرة في الكويت، بعددها (155) المؤرخ شعبان 1391 هـ حيث قال السيد الأمين ما نصه: (لقد دفن سليمان بن عبد الملك (ت 96) الأموي الرأس في مقابر المسلمين، ولكن ليس في دمشق بل في مدينة عسقلان بفلسطين لأنه حدس بأن سيكون لمدفن الرأس شأن يوماً ما، فلم يشاء أن يكون في دمشق، فأبعده إلى عسقلان وفي العام 548 نقل الفاطميون في زمن الحافظ لدين الله الفاطمي الرأس من مدفنه في عسقلان إلى مكانه الحالي في القاهرة).

(1) مع الاختلاف في التشبيه استخدم صدام حسين في أعوام الثمانينيات أعداد ضخمة من العرب خصوصاً المصريين في جلبهم إلى العراق مع عروض التجنيس من أجل تغيير التركيبة الديموغرافية لنسبة السُنّة إلى الشيعة في التركيبة العراقية وهي قضيّة بالتأكيد لم تكن من عنديات الرجل ذاته، وإنّما هو رأي تبنّته أعمدة الثقافة السُنيّة في العالم وقدمّته رأياً عملياً إلى صدام لتطبيقه لإخراجه من ورطة تفاقم المعارضة الشعبية في الداخل.

(2) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي الطوسي، مطبعة السعادة، مصر، 1327.

(3) أنظر كذلك مجلة الاجتهاد العدد الثالث ربيع 1989، دوروتيا كرافويسكي - السلطة والشرعية ص 121 وأنظر أيضاً: أبي الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، وكذلك ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، والسياسة الشرعيّة في إصلاح الراعي والرعية، وابن جماعة - تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام وغيرهم.

وليس هنالك من شرط في صحة النسب أو فيما يتعلق بغيرها من الشروط التي تُميّز الحاكم مثل علمه وإيمانه وتقواه وغيرها. ورأي الثقافة السُنيّة هذا لا ينطبق فقط على الحاكم وقائد الدولة، بل كذلك على إمام الجماعة وغيرها من المراكز المهمة للدولة. . . . . وهي كما أرى تُعتبر من المُعضلات الكبرى التي تُلزم أئمة تلك الثقافة مراجعتها فقهياً لاستخراج صيغ أخرى أقرب إلى الواقع باعتبار أن هذا النوع من الانفتاح في التشريع سوف يترك الباب واسعاً أمام وصول حُكّام قتلة ومجرمين كما هو موضوع المماليك الذين نحن بصدد الحديث عنهم.

وأمام ظاهرة المماليك وخطرها الذي ساد العالم الإسلامي والذي اتخذته الثقافة السُنيّة نموذجاً آخراً من نماذج الحكام الذين يجب طاعتهم تعمّقت في مفاهيم الأمّة ظاهرة وصول حكام تغيب في سلوكهم مشاعر المسلم، ولم نجد في ذلك المجال من انبرى من علماء الثقافة السُنيّة ممن قال بخطأ الممارسة، بينما بالمقابل بادرت الكثير من الأمم إلى تقييم تأريخها ثم محاسبة قوادها، كما قررت فرنسا مثلاً تقديم نابليون إلى المحكمة أو قيصر روما، أو في الزمن الحديث نيكسون أو كلينتون[1].

فقد سنت الثقافة القرشيّة القديمة منهجاً للحكم يُمكن إدراك ملامحه البعيدة في الوصول إلى ثقافات عنف وإرهاب والذي بدأ يكبُر بالتدريج

(1) رؤوساء عالميون قُدّموا إلى المحكمة: يوليا تيموشينكو رئيسة وزراء أوكرانيا السابقة، سوهارتو الرئيس الأندونيسى، شون دوهوان رئيس كوريا الجنوبية، جوزيف سترادا رئيس الفلبين الأسبق، نيكولاى تشاوشيسكو الرومانى الأسبق، سلوبودان ميلوسوفيتش الرئيس اليوغوسلافى السابق، بينوشيه الرئيس التشيلي، ألبرتو فوجيمورى رئيس بيرو، مانويل نورييغا الرئيس البنمي، منجستو هايلا ميريام الرئيس الأثيوبي، موسى تراورى رئيس مالي، زين العابدين بن علي الرئيس التونسي، حسني مبارك الرئيس المصري، محمد خونا ولد هيدالة الرئيس الموريتاني.

ويجتاز حدود الجزيرة العربية إلى العراق والشام ومصر. . . . فقد تحوّلت في عهد المماليك ظاهرة مقطوعي النسب والخصيان وغيرهم إلى ظاهرة عادية في حياة الناس، كما تحوّلت ظاهرة الشذوذ الجنسي في العالم الغربي إلى قضيّة تحميها الدولة. فقد انتشر المماليك في كلّ أقطار العالم الإسلامي وأصبحوا سلعة مُهمّة بيد الحُكّام أو من يمتلك القدرة في السيطرة على الدولة كما هم المرتزقة الذين كانوا يجتاحون حدود الدول الأوروبية والتي تستعملهم دول النزاع في الهجوم أحدهم على الآخر[1].

حكم المماليك العراق من عام 1749 إلى عام 1831 حوالي 82 عام بعد أن حكم 12 باشا ثم أرسل لهم العثمانيون فرقة كوماندوس ألبانيّة خاصة إلى بغداد يقودها علي رضا فدبّر لهم مكيدة وذبحهم عن بكرة أبيهم بعد أن دعاهم إلى احتفال خاص[2] كما هو أمر مذابح المماليك على يد

(1) استخدمت بلاد فارس واليونان وروما في الأزمنة القديمة المرتزقة وشاع استخدامهم خلال الفترة من القرن الثاني عشر حتى القرن السادس عشر الميلاديين، فقد استأجر كثير من الحكام آنذاك جنوداً محترفين مدربين لحماية دولهم. كما أن بعض الحكام ربحوا أموالاً بتأجير جيوشهم لدول أخرى للعمل مرتزقة. . . . . . استأجرت بريطانيا أثناء الثورة الأمريكية (1775 - 1783) جنودا ألمانيين لمحاربة السكان الأمريكيين. ومن جهة أخرى كان الأبطال العسكريون مثل كاسيمير بولاسكي البولندي وبارون فون شتوبن البروسي. الذين ساعدا السكان الأمريكيين مرتزقة أيضاً. قلل ظهور الجيوش الوطنية إلى درجة كبيرة من الحاجة إلى المرتزقة. . . ففي بعض الأحيان ينقلبون المرتزقة على أسيادهم طمعاً في الدولة ويسيطرون عليها. . . . . . المرتزقة السويسريون كانوا عبارة عن جنود معروفون بخدمتهم في الجيوش الأجنبيّة وخصوصاً جيوش ملوك فرنسا خلال الفترة الحديثة المُبكّرة من التاريخ الأوروبي من العصور الوسطى وحتى عصر التنوير الأوروبي. في مسرحية هاملت من تأليف ويليام شكسبير، في الفصل الرابع، المشهد الخامس سمى المرتزقة السويسريين "Switzers".

(2) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج 1، الدكتور علي الوردي - ص 290، المصدر السابق.

محمد علي باشا. . . . . . أما في مصر والشام فحكموا من 1250 إلى 1517 م، أي 144 سنة و29 حاكماً. كما حكم المماليك في الهند حوالي 90 سنة، كما استعمل نابليون فرقة خاصة مملوكيّة في عملياته العسكرية. وربما لا تخلو بقعة من المسلمين إلا ودخلتها فكرة المماليك.

أهم الدول التي سادت الفترة التأريخية تلك مع انعكاساتها على الثقافتين:

الدولة الإيلخانية[1]: بدأت منذ سقوط الدولة العباسيّة 656 إلى عام 734 وقد امتدت والتحقت بالدولة المغوليّة التي كانت في إيران تحت هذا الإسم. وهي الدولة التي انتدبت إلى العراق الشخصيات المذكورة الخمسة التي حكمت العراق بقيادة العلامة الجويني (ت 675/ 1276 م)، أهم انعكاساتها على الثقافتين الشيعيّة والسنية هو ما يلي:

- أول دولة في تأريخ العراق يتم انتخاب مجموعة لحكمها بدلاً من أن يكون ديكتاتور واحد، وقد تمّ انتخاب المجموعة من قبل أهالي بغداد.
- انتعشت الثقافة الشيعيّة بشكل لا مثيل له وبرز في فترتها ظهور مدرسة الحلة الشهيرة، المحقق الحلي (ت 676/ 1277 م)، ابن طاووس (ت 678/ 1273 م)، وقبلهم نصير الدين الطوسي (ت 672/ 1273 م)، العلامة الحلي (ت 726/ 1325 م)، وهؤلاء

(1) من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الإيلخانيين. عبد الباسط مصطفى الرفاعي. مجلة سامراء، مجلد 8، العدد 30، السنة الثامنة 2013. جامعة سامراء العراق. ممكن مشاهدة المقال على الموقع التالي:
http//:www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=47374.

يُعتبرون في مسار الثقافة الشيعيّة بأنهم يُمثلون الخط الثاني مقارنة بالشيخ الصدوق (ت 381/ 960 م) المفيد (ت 413/ 1022 م) والمرتضى (ت 436/ 1015 م) والرضي (ت 406/ 985 م)، والطوسي أبو الحسن (ت 460/ 1039 م) وغيرهم.

- تحوّل إيران إلى المذهب الشيعي بعد أن تشيّع خدابندة (ت 716/ 1316 م) ابن حفيد هولاكو بعد أن كان مسيحياً ثم سنيّاً ثم أخيراً تشيّع على يد العلامة الحُلي، مع العلم أن السلطة الدينيّة الشيعيّة في الحلة (الحوزة) لم تعتبر إيران دولة إسلامية.
- ازدادت بالمقابل ظاهرة التشدّد والتعصب وبداية عصر السلفيّة الدينيّة الحنبليّة ومن أبرز وجوههم: الحافظ إبن عساكر (ت 723/ 1175 م)، وشيخ الإسلام بن تيمية (ت 728/ 1327 م)، الحافظ إبن جماعة (ت 733/ 1333 م)، والذهبي (ت 748/ 1347 م) وابن القيم الجوزية (ت 752/ 1292 م).، ثم أبو الفداء إبن كُثير (ت 774/ 1301 م)، وكلهم في الشام....... بينما لم تشهد المنطقة في العراق مثل هذا التشدّد وإنّما تأثّر الكثير من علماء المذهب السني بالثقافة الشيعية. مثل إبراهيم بن محمّد الحمويني الشافعي الذي سموه (بالرافضي) (ت 722/ 1322 م) صاحب كتاب فرائد السبطين، وكذلك ابن طباطبا الطقطقي (ت 723/ 1302 م) صاحب كتاب الآداب السلطانية، الكنجي الشافعي أبو عبد الله (ت 659/ 1237 م) صاحب كتاب (كفاية الطالب في أنساب أبي طالب). وقد أصدر ابن تيميّة كتابه المشهور (منهاج السنة النبوية) رداً على كُتُب العلامة الحلي (منهاج الكرامة في باب

الإمامة)[1] وهو من الكُتُب المثيرة للجدل والتي على أساسها بدأت أولى أفكار التطرف في مفاهيم السلفيّة في الإسلام.

- تم التخلّص من الصليبيين نهائياً في هذا العصر بعد أن رفض المغول الدخول معهم في حلف مشترك ضد المسلمين من خلال تأثير نصير الدين الطوسي على هولاكو بذلك.
- في القاهرة مات أو قُتل ثلاث خلفاء في (المزرعة العباسيّة الهجينة) هم المستنصر والحاكم والمستكفي.
- بداية تأسيس الجيش الإنكشاري البكداشي (العثماني) في تركيا على يد اورخان غازي عام 725/ 1324 م والابتداء بسرقة الأطفال من البلدان والدول الأخرى باعتباره جهاد ضد الكفر وهو امتداد لفكرة السراري والعبيد والإماء (البدوية) القرشيّة باعتبار أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يُساند هذه الفكرة. وخصوصاً فرع الثقافة السُنيّة ولذلك انتمى الأتراك إلى المذهب الحنفي (الوحيد الذي لا يحصر الخلافة بيد القرشي).

الدولة الجلائرية: من عام 753/ 1334 م إلى 813/ 1432 م: وهي دولة فرع من الإيلخان مع الاختلاف فيما بينهم في الانتساب المذهبي لحد ما. . . . . أشاعت هذه الدولة جو من التحمل والانفتاح الفكري وكانوا من الشيعة مذهباً حيث أن الكثير من المغول تحوّل إلى التشيّع أكثر من انتمائهم إلى التسنن. وقد كانت عاصمتهم إيران تبريز. وأهم ميزات هذا العصر:

(1) كتبه العلامة الحلي إلى السلطان خدابندة وهو كتاب استدلالي من الجوانب النقليّة والعقليّة التي بمقتضاها تُعتبر الإمامة من أصول العقيدة. أما الكتاب الثاني للعلامة والذي قدّمه إلى خدابندة فهو (نهج الحق وكشف الصدق) وأيضاً يُعتبر من أمهات كُتب الاستدلال على فكرة الإمامة في المذهب الشيعي.

- بداية الإنقسام المغولي حسب تأثّرهم بالمذهبين الشيعي والسني.
- لم تعترف مدرسة الحلة الفكريّة (الحوزة) بإسلامية دولتهم.
- تعمّق التطرف الديني في الثقافة السُنيّة خصوصاً بعدما مات أو قتل في فترة قياسية خلفاء المزرعة العباسيّة الهجينية: المستكفي الثاني (ت 736/ 1340 م)، الواثق الثاني (ت 740/ 1341 م)، الحاكم الثاني (ت 751/ 1352 م)، المعتضد الثاني (ت 761/ 1362 م)، المتوكل الأول (ت 776/ 1377 م)، المستعصم الثاني (ت 776/ 1377 م)، المتوكل الثاني (ت 782/ 1380 م)، الواثق الثالث (ت 785/ 1386 م)، المستعصم الثاني (ت 788/ 1386 م)، المستعين الثاني (ت 813/ 1414 م)، المعتضد الثالث (ت 840/ 1441 م) وهؤلاء معظمهم قتلهم المماليك بشكل أو بآخر.
- كرد فعل للتطرف السني تمّ قتل محمد بن مكي العاملي صاحب كتاب (اللمعة الدمشقية) في سنة 786/ 1383 م بفتوى من القاضي برهان الدين المكي وعبّاد بن جماعة. . . . . قُتل بالسيف ثم صلب ثم رجم وأحرق بدمشق بعدما سُجن سنة كاملة في قلعة الشام عندما كان المماليك يحكمون في الشام.
- بغض النظر عن واقع المغرب العربي فإن الثقافة الشيعيّة قد سادت فكر المؤلفين كإبن خلدون وغيره[1].
- انتشار القوة الجديدة للدولة العثمانية بملوكها (أورخان غازي، بايزيد الأول، مراد الأول، محمد الأول جلبي) ولكن تيمورلنك

(1) علي الوردي، مقدمة ابن خلدون. المصدر السابق.

اجتاح الدولة. في الوقت الذي كانت الثقافة السُنيّة تبحث عن قيادة جديدة إما من بين الأتراك أو المغول، مع أن أساس الثقافة التي بنى العثمانيون عليها دولتهم وجيشهم هي ثقافة شيعية علويّة (نسبة إلى علي)[1].

- مجيء تيمورلنك في سنة تقريباً 1400 ميلادية واحتلاله بغداد ثلاث مرات، ونصّب عليها والياً مسعود السربداري فطرده المغول الإيلخانيين من ذرية هولاكو، وفي الثالثة نصّب عليها والياً ابنه شاه رُخّ بن تيمور، فلجأ الإيلخانيون إلى الأتراك والمصريين فساعدوهم فاسترجعوا بغداد وطردوا شاه رُخّ، فغضب تيمور لذلك وعاد من دمشق واحتل بغداد ثم احتل تركيا وأسر ملكها ثم ذهب منها إلى

(1) كانت الشخصية التي وصلت من إيران هو خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري (ت 738/ 1225م)، المولود في نيسابور سنة 646، ويدّعي (خنكار) هذا لأنه من أولاد إبراهيم المجاب (المدفون في الكاظمية) بن موسى الكاظم (ت 183/ 799م) سابع الأئمة، وسكن في جنوب أنقرة في نفس اسم القرية (بكتاش) فزار السلطان أورخان هذه الشخصية الدينيّة الشيعيّة الثقافة التي كانت تحمل علم ذو الفقار ويدعو إلى آل البيت، فاقنع المتصوف ولي الرئيس أورخان في أن يستعين بنيّة الطريقة البكداشية من خلال استعمال سيف علي وإرجاع حق آل البيت، فقبل بذلك الخليفة وعلى أثرها سُميّ الجيش بالتركية (الجيش الجديد) (يني جري) ووضع في كلّ كتيبة مُمّثل للطريقة البكداشية ليقوم بمراسيم الاتصال الروحي الذي اعتُمد على حب آل البيت وعلى قوة علي. . . . والطريقة البكداشية تؤمن بأربعة حقائق، ثلاث منها مأخوذ من الثقافة الشيعيّة وهي الإيمان بالأئمة الإثنا عشر، المهدي، التولي والتبرؤ، وحقيقة واحدة من المذهب السني وهو فكرة الخلفاء الثلاث. وهنا مما يجذب نظرنا هو الحقيقة السُنيّة التي هي أصل التشيّع أو أصل التسنّن وهي الفكرة الفاصلة ما بين العقيدتين ولكن رأي الشيخ كما يقول عنه مريديه بأنه كان في حالة (التقيّة) لتجنب القتل ولنشر مبادئ آل البيت وإقامة دولة تُرجع ما أخذ منهم، وهو ذات مبدأ العباسيين في بداية دعوتهم (أنظر كتاب الرسالة الأحمدية في الطريقة البكتاشية، احمد دده، ص 15 القاهرة، 1959). كذلك (علي الوردي، لمحات اجتماعية، الجزء 1، المصدر السابق).

سمرقند ولم يُرتّب وضع بغداد ولا تركيا بل انشغل بمشروع غزو الصين ومات في أول مسيره إليها عام 808/ 1405 م.

دولة الخروف الأسود[1]: ابتدأت مع عام 831/ 1432 م إلى عام 867/ 1467 م وهم أتراك قبائل غزو ليس لهم من صلة في الثقافات ولا في الواقع العراقي بشيء وكانت فترتهم من الفترات التي انتعشت الحركات الفكريّة في العراق وفي المنطقة عموماً بسبب توجههم إلى الحرب في مناطق أفغانستان وإيران وكردستان بدلاً من اضطهاد الشعب العراقي أو الشعب الإيراني. . . من أهم الأحداث فيها:

- انتهاء الخلافة العباسيّة (الشكليّة) في مصر بعد موت ثلاثة من المزرعة الهجينة وهم (المعتضد الثالث (ت 840/ 1441 م)، المستكفي الثالث (ت 850/ 1451 م)، القائم الثاني (ت 854/ 1451).
- فتح القسطنطينية ونهاية الدولة البيزنطينية عام 852/ 1453 م.
- ظهور جديد لعلماء التطرف للثقافة السُنيّة والعمل على خلق كيان آخر له مقومات القوة مع مقتل شخصيات علميّة لها وزن[2].
- التوجه نحو الاعتدال عند علماء الثقافة الشيعية.

الدولة المُشعشعية: العربية في البصرة والأهواز. . . . وهي أول دولة عربية تُقام في المنطقة بدأت من عام 835/ 1436 م إلى أن أزيلت عام

---

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Kara_Koyunlu.

(2) كإبن السكاك المكانسي (ت 818/ 1415م) الصديق الحميم وربما معلم ابن خلدون صاحب المقدمة، وصاحب كتاب (نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام). راجع الموقع التالي في ترجمته:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Abu_Yahya_ibn_al-Sakkak.

1146/ 1724 م على يد القاجاريين والعثمانيين معاً. وهي دولة لها مميزاتها الخاصة التي انطلقت من ظرف خاص كان يحيط بالمنطقة انطلاقاً من حالة الإهمال العربية وكذلك الابتعاد عن تبنّي ثقافة مناهضة للدولة، ومع أن البعض من المُحللين يعتقد بأن الحركة كانت كرد فعل لحدثين مهمّين هما ثورات الفقراء التي استمرت بشكل متقطع منذ انتهاء ثورة صاحب الزنج (علي بن محمد من نسل علي بن أبي طالب)[1] في عام 270/ 849 م (وهي أطول ثورة في تأريخ العباسيين) وحركة القرامطة 502/ 1109 م وكلتا الثورتان كانتا عبارة عن ثورات شعبية وليست ايديولوجية وكلتاهما مالتا إلى تبني ثقافة التشيّع (زيدية أو اسماعيلية) كمسيرة معارضة إلى الحكم.

هذه الدولة لم تدخل بغداد بل بقيت في إطار الأهواز والبصرة وبعض مناطق جنوب العراق. . . . . الشيء المُميّز لهذه الدولة مع أنها شيعية المذهب ولكنها سُنيّة الثقافة وخصوصاً فيما يتعلق بموضوع مسيرة الحكم، فقد دخلت في حرب طاحنة مع الصفويين الشيعة إلى جنب مراد الرابع العثماني عام 1045/ 1635 م هجرية عندما احتل العراق، كما أنهم وقّعوا معاهدة مع البرتغاليين كذلك[2].

دولة الخروف الأبيض[3]: بدأت بانهيار الدولة الأولى الخروف الأسود عام 867/ 1467 م وبقيت إلى عام 907/ 1508 م، لم تختلف عن أختها في حروبها الداخلية وصراعها مع القبائل التركيّة التي كانت تجول في المنطقة، وقد تبنّوا كما ذكرت الإسلام لهم ديناً بالشكل الذي يفهمونه. . . . . تتميز فترة هذه الدولة بما يلي:

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Zanj_Rebellion.
(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Musha%27sha%27iyyah.
(3) http//:en.wikipedia.org/wiki/Aq_Qoyunlu.

- انتشار الثقافة الشيعية بين العوام.
- ضُعف القدرة على الإنتاج الشيعي العلمي بسبب سيطرة العقل الجمعي الشيعي.
- استمرار النتاج السُني المتعصب ضد التشيّع كما هو في كتابات ابن تغري (ت 874/ 1470 م) وأبن حجر العسقلاني (ت 852/ 1449 م).
- النهاية الرسمية للحكم الهجين العباسي بعد أن بقي 777 في غرفة التهجين والعناية المركّزة إلى أن قرر الأطباء بأنه لمن المُجدي أن يتم خلق كيان آخر وذلك في سنة 909 هجرية المصادف 1519 ميلادية بعد استهلاك الهُجناء الثلاث الآخرين وهم: المستنجد الثاني (ت 878/ 1479 م)، المتوكل الثاني (ت 896/ 1497)، المستمسك الثاني (ت 907/ 1517 م) والله المستعان.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (15): تعاظم الصراع الثقافي واختلاف الأدوار ما بين الثقافات ثم انحسار وتمدد الثقافات إحداهما على حساب الأخرى. ثم نهاية دولة مريضة وبداية كائن جديد هو العثمانيين.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
عين جالوت معركة	658	هزيمة المغول
وفاة الكنجي أبو عبد الله	659	سني شافعي روى آية الولاية
وفاة ابن طاووس	664	صاحب فتوى الكافر والمسلم
بداية دولة الموحدون	667	زيدية المذهب المغرب
وفاة نصير الدين الطوسي	672	منقذ العراق من الذبح
وفاة المحقق الحلي	676	مجدد
وفاة ابن خلكان	816	مؤرخ وفيات الأعيان
الصليبيين القضاء عليهم نهائيا	688	من الشرق
وفاة ابن القيم الجوزية	691	عالم سلفي
غازان المغولي تحول إلى التشيّع من المسيحية	693	تحول من المسيحية إلى الشيعة
تأسيس الدولة العثمانية	698	بدايتها
وفاة ابن طبا طبا الطقطقي	701	شيعي الثقافة صاحب كتاب الفخري
وفاة خدابندة حاكم إيران	716	كان مسيحيا ثم سنياً ثم شيعياً
وفاة إبراهيم بن محمّد الحمويني الشافعي الرافضي	722	فرائد السمطين
وفاة العلامة الحلي	726	مجدد ومغير إيران إلى التشيع
وفاة عثمان الأول بن ارطغرل	726	أول خليفة
وفاة أبن تيمية	728	أب السلفية
وفاة ابن جماعة	733	عالم سلفي كبير
نهاية الايلخانية وبداية الجلائرية	735	في العراق وإيران
وفاة الذهبي	748	صاحب كتاب ميزان الاعتدال
وفاة اورخان غازي	761	أب العثمانيين

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة ابن كثير أبو الفداء	778	شافعي
مقتل البالوش	785	معركة الشهداء النبطية
مقتل الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي	786	الحاكم بيدمر الخوارزمي
وفاة ابن خلدون	804	صاحب المقدمة
إيران التيمورية نهايتها على يد الخروف الأسود	804	بداية الدولة
اجتياح تيمولنك تركيا	804	اسروا بايزيد الأول الخليفة
استحداث منصب شيخ الإسلام	824	خطوة لحفظ الثقافة السنيّة
الجلائرية نهايتها وبداية الخروف الأسود	831	عاصمتها تبريز
الدولة المشعشعية بدايتها	835	عربية في الأهواز
وفاة المقريزي المصري	844	سيد المؤرخين المصريين
وفاة ابن حجر	852	ناصبي التوجه
فتح القسطنطينية	857	على يد محمد الفاتح
دولة الخروف الأسود نهايتها وبداية الأبيض	867	عاصمتها تبريز
وفاة ابن تغري	874	مؤرخ من المماليك
دولة الخروف الأبيض نهايتها	907	على يد الصفويين
الخلافة العباسيّة نهايتها في مصر	909	777 سنة من ضمنها مصر

جدول رقم (١٥)

الحُقبة السادسة عشر: الدولة الصفوية في العراق 910/1501 م إلى عام 1149/ 1736 م (الدخول الأول):

وهم إيرانيون مُختلفون في دوافعهم عن الأتراك الذي سبقوهم في الدولتين السابقين، حيث كان سبب توجُههم إلى العراق (الدخول الأول) هو الواقع الديني لمزارات الشيعة، مع أن ذلك لم يكن يحمل كلّ الأسباب، وإنّما كان السبب الرئيسي هو السيطرة وتوسيع النفوذ، ولكن الفرق ما بين العثمانيين وبين الصفويين هو أن الصفويين اعتنقوا المذهب الشيعي بعد أن تحوّلت إيران رسمياً على يد خدابندة (ت 715/ 1316 م) إلى المذهب الشيعي كما هو مذهب الأتراك الرسمي الحنفية. مع الإقرار بأنّ تحوّل خدابندة إلى التشيّع كانت دوافعه مختلفة كُليّاً عن دوافع الأسرة الصفوية التي انطلقت في صراعها مع الآخرين من نظرية الحُكُم وليس من نظرية (الأحقيّة) في الفكر كما كان عليه خدابندة.

أصل الصفويين هو التصوف[1] وليس الشكل المذهبي المعروف، فهو

(1) ليس هنالك صوفيّة في المذهب الشيعي كما هو في المذاهب الأخرى السُنيّة، ولكن الصوفيّة كلهم في العالم السني يعتبرون بأن تصوّفهم كانت أصوله منطلقة من ثقافة شيعية تنبع من شخصية علي وآل البيت، ولذلك فإن الصوفيّة هم في الأصل شيعيو الثقافة سنيّو المذهب. . . . . فالإيرانيون عندما انتقلوا إلى المذهب الشيعي فإنهم نقلوا ذات الممارسات الصوفية السُنيّة إلى التشيع . . . . وبما أن عقيدة الشيعة ليس لها أية مراسيم صوفيّة فصار من الممكن أن تتشبّه حاجة التصوف من خلال تحوير ما تملكه عمليّة التصوف إلى ممارسات شيعية من خلال إظهار الشعائر التي تخص الأئمة وخصوصاً الإمام علي والإمام الحسين في الوقت الذي لم يكن العرب في العراق خصوصاً على علم بنوعيّة وطريقة ممارسات تلك الشعائر، وهنا أضيفت إلى الشعائر الشيعيّة التي كانت محصورة في الفهم العربي للتفاعل مع الحدث الخاص بالإمام إلى طابع صوفي مع أنها ليست كذلك، هذا مع إدراكنا ما للشعب =

طريقة وليس مذهب. أما في زمن إسماعيل الكبير (ت 923/ 1524 م) فإن الثقافة الشيعيّة قد واجهت مشاكل كبرى أمام إخوانهم من أبناء السنة (الأتراك) تمثّلت بتسلط الجانب السياسي.

وهنا لا بأس أن نُشير إلى أن حوادث هذه الفترة كما نعتقد بأنها كانت أساس تأجيج الصراع مع السنة والتي أهمها هي:

- ابتكار سب الخلفاء كما كان سب علي في زمن الأمويين وهي بادرة لم يُمارسها أي من علماء الثقافة الشيعيّة لا قبل هذا التأريخ ولا بعده.
- فرض المذهب الشيعي على الشعب الإيراني لأسباب صوفيّة وسياسية وليس لأسباب فكريّة عقائديّة. . . ويبدو أن السبب في ذلك هو رد الفعل على مذبحة سليم الأول (ت 926/ 1520 م) السلطان العثماني بقتل أربعين ألف شيعي في عام 919/ 1514 هجرية بعد أن حصل على فتوى بقتلهم في تركيا معظمهم من القزلباش[1].
- مُضايقة علماء الشيعة[2] في الحصول على شرعية الحُكُم كما هو

= الإيراني من قدرة كُبرى تفوق العرب فيما يتعلق بالجانب الرومانسي والجانب الوجداني في طريقة عرضهم لتلك المفاهيم.

(1) Edward S. Creasy. History of the Ottoman from the beginning of their empire to the present time. Also see: http//:en.wikipedia.org/wiki/Selim_I.

(2) هرب أب الشيخ البهائي (ت 984) العلامة الكبير محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي من إيران الصفوية بعد أن اعترض على طريقة السلطة في تعيين العلماء (المشيّخة) في الدولة. كما رفض النظام آنذاك السماح لابنه العلامة البهائي (ت 1030/ 1621م) في مغادرة إيران، فبقي فيها إلى أن توفى الشاه طهماسب (ت 975/ 1567م) عندها غادر الشيخ البهائي إيران إلى مناطق متعددة في العالم الإسلامي. كذلك كشفت التقارير بأن الصفويين كانوا قد اغتالوا الشيخ العلامة الكركي (ت 940/ 1508م) أثناء نفيه إلى النجف.

حاصل في الثقافة السُنيّة وفقه مدرسة (الخلافة)[1].

- إعلان إسماعيل الكبير (ت 923/ 1524 م) نفسه حامياً للشيعة في العالم، كما أعلن سليم الأول (ت 926/ 1520 م) الشيء ذاته عن السنة في تركيا[2].

من المهم الاعتراف بأن الدولة الصفويّة لم تُمثل مرآة الثقافة الشيعيّة، وعلى المؤرخين الشيعة أن يواجهوا هذه الحقيقة بكل شجاعة، فثقافتهم في الواقع كانت تُمثل الثقافة السُنيّة أكثر منها الثقافة الشيعيّة فيما يتعلق بموضوع الحُكُم وموضوع السيطرة والعصبية والميل إلى التزوير واستعمال التأريخ غير الدقيق في سبيل تحقيق أهداف السياسة الدينيّة. . . . . كما أن هذه الدولة قد تحالفت بشكل مشابه تماماً لما أقدمت عليه الثقافة السُنيّة مع (الكارتيل)[3] الديني الشيعي في سبيل إضافة الشرعيّة على الحكم. . . . . .

ولو تعمقنا بشكل كبير وبعين التجرّد لم نر من فرق بين التوجهين وكأنهما وجهان لعُملةٍ واحدة، كمن يخلق هجينين من ذات الخلية مع

(1) لا تعترف أدبيّات الفقه الشيعي بأية دولة إسلامية إلاّ بحضور المعصوم. وهو أساس رئيسي في الخلاف ما بين المدرستين السُنيّة والشيعيّة. فلم يتمكن الصفويين من انتزاع شرعيّة الحُكُم حتى زوال دولتهم، وهو أمر انطبق على كلّ الدول شيعيّة كانت أم سُنيّة وعلى مدى تأريخ تكوين دول الإسلام منذ قيام أول دولة في أيام السقيفة والى الوقت الحالي من القرن الواحد والعشرين. . . . . نعم هنالك من يُفتي بالشرعيّة لهذه الدولة أو لتلك ولكن لم يتم أن أصدر المرجع الأعلى للطائفة الشيعيّة ذلك لا قولاً ولا كتابةً.

(2) لمحات من تأريخ العراق، د. علي الوردي ج1. المصدر السابق.

(3) كارتل: Cartel: مصطلح مشتق من كلمة كارتا (Charta) اللاتينية التي تعني ميثاق. والكارتل هو الحلف الاحتكاري الذي يتم بين عدة منشآت يظل بعضها مستقلاً عن بعض رغم وجود اتفاق يلزمها جميعاً بالعمل على تحديد أو إزالة المنافسة فيما بينها. ويختلف الكارتل عن التروست (Trust) الذي هو عبارة عن مجموعة منشآت تخضع لإدارة موحدة.

اختلاف في عدد الجينات المُلازمة إلى صفة من الصفات التي يُراد فيها أن تكون سائدة.

الشيعة عموماً لا يستحسنون هذا الكلام ويرونه بأنه يقدح في أجزاء من تأريخهم، ولكنني أراه مع تعاطفي لكل من يُعارضني في ذلك بأن تلك الفترة من التأريخ هي عبارة عن رد فعل للكثير مما تراكم في ماضي الصراع المذهبي بين الطائفتين في الوقت الذي لا أبخس لهم منطلق ذلك القدح في كلامي هذا الذي يُعتبر أحيانا بأنه نوع من العقلانيّة المثاليّة والتي غالباً ما تكون تلك المثاليّة بعيدة عن مسيرة الأحداث والوقائع.

إننا بعد أن دخلنا في الألفية الثالثة من عصر عالم التكنولوجيا فإنه قد آن الأوان أن يتفهم أحدنا الآخر، فعلى المهتمين بالمذهب وبالثقافة الشيعيّة أن يعترفوا بنكسات التأريخ وهفوات بعض انفعالات كُتّابهم ومؤرخيهم، كما هو الذات نفسه ينطبق على الجانب السُني الذي عليه أن يعترف بكبوات التأريخ وطريقة التعامل مع الفواصل الفكريّة التي تفصل كلتي الثقافتين وأن يتوجهوا إلى قدرة العلم في حل أزمات العلاقة الثقافيّة والفكرية واعتماد التوثيق والحس الإنساني في نفي ما من شأنه أن يؤصّل جانب الصراع المذهبي مع أهمية إبقاء الصراع الفكري والثقافي على أوجه بأدوات ثقافية فكريّة علميّة وفي ساحات بحثيّة تنطلق من مفاهيم متطلبات حاجة المسلم في هذا العصر وفي العصور القادمة.

أبداً لا أستبعد أن نرى ذلك مُتحقّقاً في التأريخ القريب لما للتجارب الأخرى التي مر بها الإنسان من قُدرة على تحقيق الهدف الذي نتكلم عنه. . . . . فقد تمكّنت الثقافة الكاثوليكية (السنيّة) والبروتستانتية (الشيعيّة) من إذابة جليد الماضي أو نار الحرب التي دامت ربما لأكثر من عشرة قرون

وخصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك عصر الأرثوذوكس في مُسلسل العُنف الذي ساد العالم والذي انتهى إلى الدرجة التي يتعلم كلّ من ماضيه في أن يُدرك استحالة اقتلاع ثقافةٍ ما من الوجود مهما حاول الطرف المعادي، ومهما شحذ أسلحته الفتّاكة في قتل الإنسان وقتل إبداعاته. . . فالثقافة متجذّرة في الأصلاب ليس لبشر من قدرة على الفوز بذلك الاستئصال الفكري.

الحروب التي دارت على مبدأ المفهوم الطائفي كثيرة جداً راح في طريقها الملايين من البشر منذ يوم السقيفة 11 هجرية في الوقت الذي كان الإنسان لا يملك سلاح الفتك الشامل (Mass Destruction) أي لحين عصر بداية القرن العشرين، بعد ذلك التأريخ امتلك أمراء الطائفيّة أسلحة لها القدرة على الفتك بملايين الناس بلحظات إما بالسلاح البيولوجي أو الكيمياوي أو النووي وهذه الأسلحة لو تمّ استعمالها فهي لا تعرف الشيعي من السني، بل أنها عمياء جامدة تقتُل وتفتُك بالكل[1] وليس هنالك من غالب ولا مغلوب، وهو الدرس الذي تعلّمته المسيحية واليهودية من صراع المذاهب على مدى عشرة قرون إلى أن توصلت إلى السلاح العظيم الذي تعيش به أجيال أمتهم بكرامة ذلك هو سلام تفهّم أحدهم إلى الآخر[2].

---

(1) ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 104].

(2) بعد قنبلة هيروشيما في عام 1945 أدرك العالم بأن الإنسان يمتلك قدرة في إفناء الآخر بحماقة ثواني من عقل شخصيّة براغماتية. . . . . فلدى دول العالم اليوم من الأسلحة ما تفوق أن تُدمّر كُلّ بني الإنسان بأقل من ساعة، بل لمائة جيل من أجيال الخلق الحالي. وعندما أدرك الإنسان ذلك أدرك في ذات الوقت بأن ذلك الذي يملك هذا السلاح فإنه غيرُ مُستثنى من مسيرة الفناء. . . . . وهنا جلس عُتاة المذهبيين والدينيين والطامحين إلى القوة وأدركوا بأن سلاح العيش بكرامة هو أن أعترف بك وأن تعترف بي وأن مقولة (الفرقة الناجيّة) أو ما شابه من مصطلحات عربية كانت شرقية أم غربية مسيحية كاثوليكية هي محض خيال، وأن إبادة ثقافة أو مذهب أو دين أو اعتقاد أمر مستحيل.

لم يستجب إلى الصفويين عقول وعلماء الثقافة الشيعيّة الكبار ذو البعد العلمي والثقافي والإنساني مثل الشهيد الثاني (ت 965/ 1568 م)[1]، كما تصدى فقهياً وبشكل جريء وشجاع إلى أدبيّات الإسلام الشيعي السياسي عُلماء أجلاء من الطائفة الإماميّة ربما أشهرهم هو العلامة الكبير إبراهيم القطيفي النجفي (ت 950/ 1529 م) الذي أنبرى إلى الكركي (ت 940/ 1508 م) (الشيعي السياسي، أول شيخ إسلام لدى الصفويين بل لدى التأريخ الشيعي السياسي) بصورة استدلاليّة[2]، وهنا نرى بأن علماء الشيعة انقسموا إلى قسمين قسم منهم التزم الثقافة الشيعيّة وأهم من يمثلهم القطيفي، وقسم آخر توجه إلى الجانب المذهبي وهم الكركي الذي تمّ قتله كما ذكرنا (ت 940/ 1508 م)[3]، كذلك قتل

(1) هو زين الدين الجبعي العاملي إمام الطائفة الشيعيّة بلا منازع ومرجعها رفض دعوة الصفويين له في أن يكون رأس حربة طائفيّة ضد أخوته في الدين (السُنة)، أو أن يُوجّه علمه باتجاه الإسلام السياسي، ولكنه دفع ثمن موقفه في قتله واحتزاز رأسه وتقديمه هدية إلى حامي الطائفة (السُنيّة) التي دافع هو عنها وهو السلطان العثماني سليمان القانوني (ت 974/ 1566م). ونكاد نجد الشيء ذاته في طبيعة مقتل الشهيد محمد باقر الصدر عام 1980 بعد أن رفض أن يحقق للسلطة في بغداد حلم توجيه علمه إلى ما يستلزمه الإسلام السياسي في العراق في زمن كان الإسلام السياسي هو السيف الفعال في صراع دول المنطقة مع الاختلاف في طبيعة الموقفين ما بين الجبعي والصدر.

(2) كتب القطيفي رداً على الكركي رسالة سماها (السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج (أسم كتاب الكركي)) وفي الكتاب خمسة رسائل مهمة: رسالة تمنع الصفويين من استعمال الأموال، ورسالة في ذم أتباع السلطان، ورسالة في حرمة كتمان العلم (أي السكوت عن رفض الصفويين)، ورسالة في الحيل الشرعية، ورسالة في مدح طالب العلم (أي ذم الوشاية إن حدثت لدى الصفويين).

(3) هنالك البعض ممن يؤكد بأن الكركي فيما بعد فترة من إدراكه الواقع السياسي تراجع عن الكثير من رؤاه السياسيّة ثم تمكن من الإفلات من قبضة الصفويين ونزح إلى العراق فلاحقوه هنالك وقتلوه بالسم، كما قتل فيما بعد شاه إيران محمد رضا بهلوي (ت 1979) السيد مصطفى =

العلامة السيد حسن المجتهد عام 1001[1].

كما قاطعت حوزة النجف ثم حوزة الشام أو جبل عامل التوجه الطائفي للدولة الصفوية[2]. وهو ربما أول شرخ في مسيرة التركيبة الفكريّة لمدرسة التشيّع العلميّة التي كانت آنذاك تمثلها الحلة في العراق من جانب، ومقابلها قم من الجانب الآخر ولنقل مدرسة أصفهان والتي صار لكل منهما منهجه الخاص في النظر إلى موضوع التفريق ما بين (السياسة) و(العلم). فصارت مدرسة العراق فيما بعد هي المدرسة التي تمكّنت من أن تعيش كممثلة رئيسية لمسيرة التشيع، وهي المدرسة التي تُمثل (الثقافة الشيعية) ومدرسة إيران (المذهبيّة) التي تُعتبر أقل درجة مما لدى مدرسة النجف[3] حتى بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران عام 1979 وهو أمر يُعتبر في منتهى الأهمية والتطور الحيادي لدى مُنظّري التشيّع من الطرفين: السياسيين

= الخميني سنة 1976 في النجف بعد عملية اغتيال ناجحة بسبب ثورية والدة الإمام الخميني (ت 1988).

(1) تمّ قتله بالسم من قبل الشاه إسماعيل الثاني، وتذكر الروايات بأنه مات مخنوقاً. أنظر كتاب روضات الجنات، ج2، ص 322.

(2) المقدس الاردبيلي فقيه النجف (ت 993/ 1585م)، الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (ت 1011/ 1593م)، كذلك محمد بن علي نور الدين العاملي الجبعي (ت 1009/ 1591م) وقد وقف العالمان الأخيران وقفة متشنجة جداً من الحُكُم الصفوي (التشيع السياسي) بحيث أنهما رفضا زيارة الأماكن المقدسة في إيران لكي لا يريان الشاه أو يزورهما أو ما إلى ذلك.

(3) ليس هنالك من اعتراف في علميّة عالم نحرير في الطائفة الشيعيّة ما لم يكن قد درس أو استقى علومه من النجف مهما كان مستوى علمه ومكان دراسته، ولقد حاول النظام في العراق ما بين عام 1974 وإلى عام 2003 أن يُجفّف منبع النجف بشكل أو بآخر وتمكن من قتل تقريباً أكثر من ستة مراجع نجفيين، ولكن بقي أسم النجف هو النجم اللامع في سماء العلم الديني في بقاع العالم (المرجعية الدينيّة العليا عند الشيعة الإمامية، جودت القزويني، المصدر السابق).

والثقافيين، وهو أمر يحتاج إلى بحث مُفصّل في مستقبل الحوار الفكري ما بين الثقافتين.

حصيلة الفترة الصفويّة ثقافياً نُلخصها بعُجالة كالتالي:

- محاولة ربط التشيّع بالقومية الفارسية كما ربط العثمانيون التسنّن بهم.
- بداية تُراث شيعي مذهبي واسع.
- ظهور أول ما يمكن تسميته بالتشيّع السياسي على مستوى الدولة وكذلك منصب شيخ الإسلام المشابه لما تحويه ثقافة التسنن.
- أقسى فترة صراع طائفي على الإطلاق ما بين المذهبين والثقافتين.
- تراجع في الثقافة الشيعيّة بلحاظ اقترابها من مفاهيم الثقافة السُنيّة بما يتعلق بموضوع الدولة والحكم.
- عدم قُدرة الصفويين من تطويع مدرسة التشيّع الفكريّة باتجاه التسييس كما هو حال تمكن العثمانيين من مدرسة التسنن الفكرية. . . . فقد واجهت مدرسة النجف الصفويين ربما بصورة أشد ما واجهت الدول السُنيّة كالسلاجقة والعثمانيين.
- كثرة فتاوى التكفير والقتل السُنيّة ضد الشيعة، مع عدمها من قبل الشيعة.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (16): بداية النهضة الغربية الدينية في زمن صراع العثمانيين وتوسعهم في الوقت الذي كانت الطائفيّة تتعالى على أشدها في المنطقة الإسلامية.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
وفاة السيوطي	911	مؤرخ اشعري شافعي
وفاة زوينجلي هولدريتش	912	مفكر غربي من رواد النهضة
موقعة جالديران	913	بين سليم وإسماعيل
إسماعيل الصفوي شاه الكبير دخول بغداد	914	بداية الدولة الصفوية في العراق
دولة المماليك البحرية مصر حكمت من	916	حكمت 144 سنة 29 سلطان
الدولة العثمانية ادعت أنها تمثل الخلافة الإسلامية	916	سلم لهم السيف
المتوكل على الله الثالث العباسي مصر	916	سلم الخلافة للعثمانيين
دولة هرمز	919	سيطرت على الخليج
لطفي باشا الصدر الأعظم	919	كتاب يشخص مشاكل الدولة العثمانية
معركة مرج دابق	922	انتصر العثمانيين على المماليك
رأس الرجاء الصالح	923	غيّر ميزان القوى
ذو الفقار كردي طرد الصفويين	923	بعد موت إسماعيل الصفوي
العثمانيين دخول القاهرة والسيطرة على الخلافة	923	محمد المتوكل على الله
سليم الأول حكمه من	926	ارتكب مذبحة قتل أربعين ألف شيعي
وفاة مارتن لوثر	927	المجدد المسيحي الكبير
الدولة الصفوية في العراق نهايتها	940	أخرجهم العثمانيين
وفاة الكركي علي بن الحسين	940	أول شيخ إسلام عند الشيعة
سليمان القانوني دخل بغداد	943	بعد انتهائه من معارك تبريز

جدول رقم (١٦)

الحقبة السابعة عشر: بداية العثمانيين في العراق[1]:

بعد اندحار الإيرانيين في معركة جالديران 913/ 1532 م أمام العثمانيين ودخولهم بغداد في عام 941/ 1534 م وبعد أن تمكنوا من السيطرة على القاهرة في عام 922/ 1516 م وذلك بعد القضاء على المماليك وعلى بقايا الجسد الميت (بايولوجياً) الدولة العباسية. صار أمام العثمانيين فراغ فكري تشريعي تمكنوا بعدها من أن يكتشفوا أحد (الهُجناء) العباسيين (المتوكل على الله) باعتبار أن العباسيين هم مَن مَنَحهم الخالق حق امتلاك الأرض ودماء الناس. المُهم وجدوا (الهجين) في القاهرة وجاءوا به إلى اسطنبول فتنازل إلى العثمانيين فتحوّلت الدولة إلى دولة شرعية إسلامية ترتبط بدولة الرّسول وبالأمر الإلهي..!!!!.

دخل العثمانيون العراق بقيادة سليمان القانوني (ت 947/ 1543 م) أي بعد قرنين من تأسيس الدولة العثمانية، وكانت تلك الشخصيّة عاقلة ذو بُعد في نظرته إلى الواقع العراقي بعد أن أدرك جيداً واقع الثقافتين السُنيّة والشيعيّة وأدرك في مسعاه تفرّع الفكر الصوفي البكداشي من التشيّع فكراً فكان له أن يزور مُلهم ذلك الفكر وهو علي (ت 41) في النجف فزاره وهو حافي القدمين[2]، مع أن القانوني قد ارتكبت في زمانه عدة مجازر (Ethnic Cleansing) ضد الشيعة بعد أن أفتى أبو السعود (ت 973) مفتي إسطنبول

(1) الدولة العثمانية حكمت من 699/ 1300 م إلى 1343/ 1924م. 600 سنة تقريباً. وقد تولى العرش ثمانية وثلاثون سلطاناً عثمانياً أولهم عثمان المؤسس الأول للدولة، وحكم 27 عاماً من 1299 - 1326 وآخرهم وحيد الدين وحكم أربع سنوات 1918 - 1922.

(2) بنى الجدار حول مدينة القدس عام 1536. وببناءه تمكن من توفير حماية للمدينة، وبذلك اجتذب اليهود للاستقرار فيها.

اعتبار الشيعة كفاراً يجوز قتلهم وتحت غطاء الفتوى أزهقت أرواح عشرات الألوف في مناطق الشيعة في الأناضول وبلاد الشام وغيرها[1]. كما قام مفتي السلطان سليم الأول (ت 919/ 1520 م) الشيخ نوح الحنفي بإصدار فتوى بتكفير الشيعة ووجوب قتلهم، فراح ضحيتها عشرات الآلاف من الشيعة[2].

نفس الشيء ممكن تسجيله هنا في مذبحة الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد العاملي الجبعي المعروف بـ (الشهيد الثاني) (ت 965/ 1568 م)[3]، وكان ممن حظي بصلات وثيقة بالسلطان

---

(1) الاجتهاد، عدد 2 شتاء 1989 (ريتشارد رب). الشريعة والقانون في العصر العثماني ص169. مأخوذ من مجلة الواحة عدد 4، الشيعة والدولة العثمانية. مفاعلات المذهب، المؤسسة الدينيّة، والمصلحة، فؤاد إبراهيم، مجلة الواحة عدد 4.
http//:195.173.191.171/issue4/is04sb.21htm.

(2) محمد جواد مغنية - الشيعة والحاكمون، ص 195. المصدر السابق.

(3) تماماً مثلماً حدث قبل ذلك لشخصية كبرى وعالم متبحر هو المصلح التشيكي المشهور (جان هوس) وكان راهباً مشهوراً بإخلاصه وتقواه واستقامته، كما كان يحتل أرفع المناصب الأكاديمية بصفته عميداً لجامعة براغ في بداية القرن الخامس عشر. ولكنهم (الكاثوليك) اتهموه بأنه كان يدّعي أن الكنيسة خرجت عن مبادئ الدين، وأنه ادعى أن بعض القساوسة والمطارنة انحرفوا عن واجبهم الحقيقي واهتمامهم بمصالحهم الشخصيّة واستغلالهم المادي للناس البسطاء. وعندئذ قامت الكنيسة الكاثوليكية بتكفيره بتهمة الزندقة، وعلى الرغم من أنهم أعطوه الأمان بعد أن استدعوه للمحاكمة إلاّ أنهم غدروا به فاعتقلوه وألقوه طعمة للنيران في نفس اليوم، أي بتاريخ 817 هجرية/ 6 يوليو من عام 1415. وقد يمكن لنا من مقارنة تأريخ المذابح المذهبية التي كانت تجرى في العالم المسيحي والمسلم لوجدنا بأن المسلمين السُنّة (المذهبيين) كانوا يُمارسون الشيء ذاته مع الشيعة في فارق زمني بسيط وهو قرن ونصف كفارق زمني مثل مذبحة (St. Bartholomew's Day massacre) (سانت بارثليمي) التي وقعت في عام 971/ 1572 م في فرنسا انتقاماً من البروتستانت أي تقريبا خمسة عشر سنة من مذابح الشيعة على يد سليم الأول، راجع:
http//:en.wikipedia.org/wiki/St._Bartholomew%2ñs_Day_massacre.

العثماني سليمان القانوني وقد التقى به في عاصمته، وطلب منه التدريس في المدارس العثمانية[1]. هذا مع ارتكاب مجازر كثيرة مُتنوعة ليس لنا التطرق إليها في هذه الصفحات والتي من الممكن أن نستخلص منها العبرة الثقافيّة التي تقول بأن التمذهب كان مطيّة لتحقيق السياسة وطموح الشخصيات السُنيّة وهي التي بدورها تمكّنت من تسخير الدولة العثمانية في تنفيذ مخطط التخلص من الشيعة من خلال قتلهم بسيف القوة. . . . فالعثمانيون ليسوا القوم الذين يحملون بُعداً طائفياً أو توجّهاً مذهبياً فهم سلاطين قوة وسيطرة شأنهم كشأن المغول وبقيّة القبائل الجيرمانية أو قبائل الهون الأوروبية التي لم يكن لهم من هدف إلّا السيطرة والشرعية.

وهنا تدخّل الجانب السني في تحقيق الهدفين للأتراك من خلال التخلّص من المنافس الشيعي (الفكري) الذي بدأ يطغى على مسيرة العالم

(1) وقصة مقتله كما تُروى أن قاضي صيدا (معروف الشامي) كتب إلى السلطان سليمان أنه قد وجد بلاد الشام رجل مبدع خارج عن المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان في طلب الشيخ وقال له: أئتني به حياً حتى أجمع بينه وبين علماء بلادي فيبحثوا معه ويطّلعوا على مذهبه ويخبروني فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي. فجاء الرجل فأُخبر أن الشيخ العاملي متوجه إلى مكة فذهب في طلبه، فاجتمع به في طريقه إلى مكة، فطلب الشيخ منه أن يُمهله حتى يؤدي مناسك الحج ثم يمضي معه، ولما فرغ من الحج، سافر معه، ولما وصل إلى تركيا رآه رجل فسأله عن الشيخ فقال: هذا رجل من علماء الشيعة فقتله اعتقاداً بأن ذلك سيكون قربة إلى السلطان ورضا منه، وقد أنكر السلطان ذلك أشد الإنكار، وقال له: أمرتك أن تأتيني به حياً فقتلته وقد سعى عبد الرحيم العباس (الذي كان الشهيد الثاني قرأ عليه في سفره إلى استانبول) في قتل الرجل فقتله السلطان. (محسن الأمين - أعيان الشيعة، المجلد السابع ص 157، 27. دار التعارف، بيروت، 1986). ومع انه لمن الصعب اعتبار أن قصة مقتل شخصية كبرى في العالم الإسلامي كانت كما رويت بهذه البساطة، ولذلك يُشكك الكثير من الباحثين في دقتها وأن الرواية هي جزء من الحقيقة. . . . . . فقد جاءت الأخبار من بعض المصادر تقول بأن التجمع المذهبي السني (الثقافي) الذي كان قد مَدّ تأثيره إلى اسطنبول كان قد خطط ووشى إلى ارتكاب هذه المجزرة بصورة تبدو وكأنها قضيّة بين سلطة وعالم. وليس بين ثقافة متشددة وانفتاح فكري.

الإسلامي وهو شبيه بما حدث في العالم المسيحي عندما ظهرت فكرة الإصلاح الديني في أوروبا على يد مارتن لوثر في عام 916/ 1517 م. والتي كانت ثقافة مشابهة إلى (ثقافة التشيع) مع الاختلاف في تفاصيل كلتي الديانتين والتي على ضوئها تعاونت الكنيسة الكاثوليكية (الثقافة السنية) مع السلطات (الدولة العثمانية) في ارتكاب مذابح كبرى كانت أهمها هو مذابح (محاكم التفتيش) في أوروبا وهي المحاكم (الثورية) التي أنشأت بالأصل ضد المنحرفين أخلاقياً، ولكن قدرات وأتباع المذهب الكاثوليكي تمكنوا من تحوير تلك المحاكم رداً على انتشار المذهب الإصلاحي الذي سُميّ تجاوزاً من قبل الكاثوليك (الغالبية) الدينيّة المتحالفة مع السلطة الحاكمة بأنهم (معارضون) (رافضة) (بروتستانت) (زندقة) (هراطقة). فارتُكبت مجازر مروعة كبرى باسم الدين والكنيسة أي بالمعنى المقابل (الثقافة السنية) ضد الإصلاحيين البروتستانت (الشيعة).

وقد تمكن قادة الفكر السني الحنفي والشافعي[1] من التأثير على السلاطين العثمانيين الذين كانوا كما ذكرت بالأصل ذوي توجه (صوفي شيعي) إلى اعتبار التشيّع خطراً على الدولة مما يوجب التخلص منهم بإشارة أو فتوى شرعيّة من علماء تلك الثقافة. . . . . فكما كانت أسبانيا في القرن

---

(1) المؤسسة الدينية في زمن العثمانيين كانت لها وضعها الخاص المرتبط بالمصالح الذاتيّة وهي معزولة لحد ما عن سلطات الدولة، كما هي فكرة (الإنكشارية)، وقد هاجر الكثير من علماء الفقه السُني من مصر ودمشق والعراق وبقيّة المناطق الإسلاميّة الأخرى لكي يُنشئوا (كارتيل) ديني قوي يُقدّم للسلطة العثمانية حاجتها من الفتاوى التي تُبيح لهم التخلص من الآخرين سواء أكانوا في الداخل أو في الخارج كما حدث في زمن السلطان محمود الثاني (ت 1245/ 1839م) عندما أصدر علماء الأحناف فتوى في إباحة قتل الجنود الإنكشارية فراح ضحية تلك الحادثة التي تُسمّى في التأريخ (الواقعة الخيرية) آلاف من الجنود الأتراك في مذابح كبرى معروفة. (الاجتهاد عدد 3، ربيع 1989 خالد زيادة - دور فئة الكُتاب والإداريين في علمنة الدولة العثمانية ص 162 نقلاً عن مجلة الواحة، المصدر السابق).

السادس عشر الميلادي في نفس فترة تصاعد الحس الطائفي في المنطقة الإسلاميّة كما في اسطنبول وإيران كانت أوروبا تُمثل التوجه المذهبي الكاثوليكي. مع اختلاف أن العالم الكاثوليكي كان يتمتع كما هو التمذهب السني بسلطة كبرى وهي الدولة العثمانية، وقد أجريت في ذات الوقت المذابح الطائفيّة من قبل الطائفيين حسب مواقعهم ضد المخالفين لهم في الانتماء(1).

فلم يكن تحت سلطة الصفويين من السنة إلّا القليل منهم في العراق والتي منعت الطائفة الشيعيّة الصفويين من إلحاق الأذى بهم كما هو موقف الشيعة من اليهود في عام 1948 عندما استعر ما يسمى ظاهرة (الفرهود)، بينما كان الشيعة في مصر وسوريا والعراق وتركيا يُمثلون نسبة كبرى بل رئيسية في الموصل وحلب ودمشق ومصر والعراق والخليج وشمال أفريقيا.

(1) كانت أسبانيا نموذجاً لدولة دينيّة سُلطوية، فهي تتحكم وتعيّن الكنيسة فيها الملوك والأباطرة الذين يحكمون بحاكمية تُسمّى (ظل الله في الأرض) أو قانون (الحق الإلهى)... وللقضاء على ما سموه وقتها بالفساد (المعارضة) تمّ إجبار البروتستانتية والمسلمين واليهود على اعتناق المسيحية، وكان (توماس توركومادا) وهو رجل دين منتسب للمسيحية يرأس هيئة التفتيش للبحث عن هؤلاء المعارضين فيقوم بوعظهم وتعذيبهم وقتلهم إن لم يعودوا إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية، وكان يُسمى (بالمفتش العظيم) أو (جراند إنكويستر)، وكان يعدم واحداً على الأقل من كلّ عشرة أشخاص يمثلون أمام محكمته، ولكن حتى هذا الحل لم ينجح كلياً في حل المشكلة الإسلاميّة في أسبانيا فكان أن لجأوا إلى الطرد الجماعي.... ففي عام 1609-1610 ميلادية تمّ طرد ما لا يقل عن (275000) شخص إلى البلدان الإسلاميّة المجاورة كالمغرب وتونس والجزائر بل وبعض البلدان المسيحية الأخرى.... وهكذا تمّ حل المشكلة عن طريق الاستئصال الراديكالي كما هو الأسلوب الذي استعمله سليم الأول بعد معركة جالديران في تهجير ربع مليون إيراني إلى أراضي أخرى داخل المناطق التي تُسيطر عليها تركيا. وربما ليس ببعيد أن نجد عمليات الأنفال التي أقدم عليها الرئيس العراقي صدام حسين في عام 1989 فيما يسمى (الأنفال) في تهجير أكثر من ثمانمائة ألف كردي إلى مناطق أخرى في العراق.

وهنا تمكن التسنن الثقافي من إقناع السلطان العثماني سليم الأول إلى اعتبار التشيّع بما يُسمى الأقليات غير الإسلاميّة كما هم الدروز والمسيح واليهود والاسماعيلية والعلويون والتعامل معهم على أنهم غرباء عن الإسلام[1]. كما قسم العثمانيون المواطنين العراقيين إلى صنفين، وكذلك توزيع الأراضي وغيرها هذا بالإضافة إلى مذابح كبرى قام بها العثمانيون كمذبحة كربلاء[2] ومذبحة الحلة[3] ومذبحة جبل عامل[4] ومذبحة دمشق التي توجهت بالأصل إلى الشيعة بشكل يُمكن لنا أن نُسميها مذابح جماعية (Ethnic Cleansing).....

ولم يقتصر الأمر على الشيعة فحسب بل شمل تقريباً كُلّ الأقليات العرقية مثل الأرمن التي تمت إبادتهم بين عامي 1894 إلى عام 1896 كذلك في أعوام أخرى مثل 1916 بعد الحرب العالمية الأولى، وكذلك شمل التطهير العرقي كلّ الطوائف بعموميتها مسلم أو غير مسلم مثل

(1) حسن العلوي: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي. دار الزوراء، لندن. 1988.

(2) قام بها العثمانيون ضد ثورة أهالي كربلاء في عام 1241/ 1826 م في زمن داوود باشا. كما ارتكب نجيب باشا مع أهالي المدينة مجزرة مُروّعة في عام 1258/ 1842 م، وقُتل فيها 24 ألف مواطن كما هُدم ضريح العباس. أنظر (علي الوردي، لمحات اجتماعية، الجزء الثاني، المصدر السابق).

(3) قام العثمانيون بارتكاب المجزرة بعد أن ثار أهالي الحلة في سنة 1241/ 1826م.

(4) تكونت ثلاث إمارات شيعية هي: إمارة بني مرداس 1021 - 1028، وإمارة أبو طالب بني عمر 1070 - 1108، وإمارة عين الدولة ابن أبي عقيل 1085 - 1124، وعملياً فان الوجود الشيعي كان متواصلاً على رغم اختلاف العهود وعلى رغم الانحسار الجغرافي لهم خلال فترات الاضطهاد، ففي حكم المماليك على سبيل المثال شهدت الطائفة مذابح متكررة جعلت شيعة منطقتي عكار وكسروان يتحولون إلى السنة بأعداد كبيرة، كما هبت انتفاضات الشيعة جبل عامل ضد حملة إبراهيم باشا بين 1788 و1840، وبعد مذابح 1860 شهدت قوانين الإصلاح العثماني أول اعتراف ضمني بالشخصية القانونية للطائفة الشيعيّة («أمل» و«حزب الله» في حلبة المجابهات المحلية والاقليمية، توفيق المديني. دار الأهالي - دمشق، 1999).

الآشوريين/ السريان/ الكلدان واليونان النبطيين وغيرهم حيث استعمل معهم سياسة التطهير لا فقط في تركيا، بل في الأجزاء التي تقع تحت السيطرة العثمانية ذات الثقافة الشمولية (التوليتورية) التي تُعتبر أمراً ملازماً لثقافة التسنّن التي استندت على فكرة الحيازة للكل ومنع الآخرين من المشاركة في الموارد سواء أكان عُشباً أم تجارة أم حُكماً أم ديناً، حيث انتقلت الثقافة البدويّة منذ العصور التي ابتدأت بها قريش ثم سلطات الدولة الراشدية وبعدها الأمويّة ثم العباسيّة ثم إلى أن وصلت إلى العثمانية. . . . . . .

فليس هنالك من سبب في أننا نتوقف لكي نتعرف على وحدة الثقافة لكل تلك المسيرة التي تتشابه في الكثير من الصفات الاجتماعية والفكرية وطريقة النظر إلى المجتمع بعموميّته. مع أنه وللإنصاف فإننا لا يمكن لنا أن نُحمّل العثمانيين بالكامل مسؤولية هذه المذابح الكبرى التي ربما تُعتبر من أكبر مذابح التأريخ على الإطلاق التي لا توازيها لا مذابح الهولوكوست، ولا مذابح أي شعب من الشعوب أو دولة من الدول إلا اللهم الحرب العالمية الثانية التي لم تكن موجهة أصلاً إلى عرق أو مجموعة أو قومية ولذلك فليس من الواقعية أن تقارن هذه بهذه.

بل أننا عندما نتعامل مع سؤال من يتحمل وزر المذابح (تأريخياً). . . ؟ فإننا لا يُمكن أن نُخطئ في القول بأن الثقافة التي التزمت بها الدولة العثمانية، وهي ثقافة التسنّن هي المسؤولة تأريخياً وفكرياً وخصوصاً أعمدة تلك الثقافة من الطائفيين المذهبيين ربما بُحسن نيّة أو قلة معرفة، أو ربما نتيجة ردود أفعال، أو يُحتمل بأنها كانت بدافع إيديولوجي إسلامي كما هو الفكر الذي التزمت به الكثير من الحركات السياسيّة المُتطرفة الإسلاميّة التي تعمل اليوم على الساحة والتي تُصارع المجتمع في فرض رأيها عليه من خلال استعمال أسلوب القوة أو تبعاتها[1].

(1) رضوان السيد: تأملات في العلاقة بين السياسة والشريعة في التجربة الإسلاميّة الوسيطة. =

فقد كانت الدولة العثمانية أسيرة لفترة طويلة من الوقت لمقولات وأدبيات ثقافة التسنّن والتي سيطرت على تلك الثقافة شخصيات إسلامية سُنيّة من علماء ومفكرين وتأريخيين بعضهم انتجته ظروف الصراع في البلدان العربية وخصوصاً الشاميين منهم كإبن تيمية وابن حجر وابن جماعة ومئات من الأسماء الأخرى الذين سافروا إلى اسطنبول لكي يُهيئوا الجو ثانية إلى ثقافة التسنّن التي دخلت غرفة الإنعاش منذ عصر المتوكل (ت 247) وبقيت تحت رحمة ضربات سُنّة التأريخ والتي فتحت باباً واسعاً لإنتاج مجموعة من (الهُجناء) والتفرعات المتبرعمة من تلك الثقافة والتي كانت أشد انتقاماً ليس على الشيعة فحسب بل على كلّ الآخرين الذي يعتقدون بفكرة مجتمع السلم والأفكار المنطلقة من الثقافة الإسلاميّة بكليتها وتنوعاتها.

كان الهدف الرئيسي من تلك الثقافة هو منع توفير جو أو فكرة التعايش وقتل أي احتمال لتقارب فكري أو عقائدي مع أي من الأفكار سواء أكانت دينيّة أو غير دينيّة والتي ليس بالضرورة أن تكون على نقيض مع أفكار الثقافة السنية، بل كل فكر أو منهج يدعو إلى الحرية الفكريّة والشخصيّة والتسامح ومعرفة الآخر، لأن الانفتاح والاطلاع ومعرفة تقارب الشعوب والمجتمعات سيخلق في كيان المجتمع العثماني ميلاً إلى معارضة أفكار التسنّن الثقافي التي بُنيّت خلال قرون من الزمن على ثوابت الإقصاء. . . . . .

وهنا قدمت تلك الأفكار إلى العثمانيين (الشرعية) على طبق من ذهب،

= انظره على الموقع:
http//:www.ridwanalsayyid’com/cms/assets/pdf/89bfe0576bbd45988d77b31c591b8931.pdf.

فوضعت لها القوانين والنظم والدساتير الدينيّة حتى دفعت بها في أن تتحول إلى ثقافة لا تختلف بالشيء الكثير عن ثقافة سلفييها من الدول التي حكمت العالم واقتربت بشكل كبير من ثقافة القتل والإبادة التي جاءت بها العقليّة الكاثوليكية السياسيّة التي دمرت العالم المسيحي وأوروبا[1].

هذه الفئة من رُوّاد وزعماء تلك الثقافة هم الشخصيات التي تتحمل مقتل الملايين من البشر من الشيعة[2] ومن الأرمن[3] ومن الشعوب الأخرى

(1) الصراع على الإسلام، الأصوليّة والإصلاح والسياسات الدولية: رضوان السيد. دار الكتاب العربي، 2004.

(2) بدأت أمم الأرض تعود إلى الوراء لكي تعدّ عدد ضحاياها فيما واجهته من مذابح على مدى التأريخ مستعينين بآليات علميّة وبحثية مثل علم الانثروبولوجي وعلم الآثار اركيولوجي وعلم المعرفة ابستمولوجي وعلم الإجتماع سوسيولوجي وعلم الدولة وبقيّة ما اكتشفته علوم البشر وهذا أدّى إلى أن تبتدأ تلك الأمم بتدوين ضحاياها لكي يتم الاعتراف بها كما هي مذابح الهولوكوست، والأرمن، والأنفال، ومذابح راوندا، ومذابح البوسنة. . الخ. . . . الشيعة في العالم لم يبادروا إلى هذا الجانب، بل أنهم تركوا التأريخ واستعانوا بعالم الآخرة لحل مشاكلهم كجزء من الارتباط بعالم الغيب الذي يعتقدون بأن العدل الإلهي سيتحقق يوماً على الأرض قبل تحقيقه في يوم القيامة، وهو ما يُسمى في أدبيّات التشيّع (عصر المهدي) الذي تتبلور رسالته ليس في الانتقام من المسبب، بل في توثيق ما اقترفته أيدي الإنسان تجاه أخيه الإنسان، وهي إلتفاتة مهمة جداً لتربية نفسية الناس نحو الشعور بالأمان وبالاعتراف كلّ أمام الآخر في طريق بناء مستقبل جديد مبني على قاعدة أن الإنسان يُخطأ وكفارة خطأه هو ندمه وطلب المغفرة من بارئه ومن الضحايا أو ذويهم. . . . ويُعتقد كرقم عام بأن عدد من قُتل من الشيعة في الدولة العثمانية فقط لا يقل عن أربعة ملايين شيعي، أما إذا أردنا أن نبدأ العد منذ بدايات أيام السقيفة فإن الرقم سيتضاعف عشرات المرات بشكل مخيف نُحاول تجنب ذكره لأنه أمر يتفاعل مع العواطف وليس مع العقل، فلازال الشيعة والى العصر الحديث أمامهم متسعاً من الوقت في العمل جديّاً على تناسي الجانب الانفعالي في نظرتهم إلى الحياة وتبنّي أسلوب الحكمة والتسامح وحب الآخرين (إدفع بالتي هي أحسن، وإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

(3) يقدر حسب مصادر الأمم المتحدة بأن عدد من أبيدوا من الأرمن هم مليون ونصف، راجع=

كالمجريين والبوسنيين والشعوب الأوروبية، وكذلك شعوب لبنان ومصر وبقيّة كلّ الأمم التي سُفك دمها بأيدي أناس اعتقدوا مع أنفسهم بأنهم امتلكوا الحقيقة المطلقة في التشريع وفي منح صلاحية القوة لإبادة الإنسان.

في هذه الفترة انكفأت الثقافة الشيعيّة أيما انكفاء ورأت ذاتها بأنها الطائفة المقصودة بالإبادة على يد منظّري ثقافة التسنّن من الطائفيين والإيديولوجيين ممن تتلّمذ على يد المشروع القرشي البدوي المتعصب من خلال ثقافة مفصولة تماماً عن ثقافة الإسلام وما جاء به الرسول. . . . .

فقد حاولت الثقافة الشيعيّة أن تمتص روح العداء من خلال مد يد الحب إلى إخوانهم في الدين وخصوصاً علماء العراق عندما منع الشيعة الدولة الصفوية من الدخول إلى بغداد بعد أن خرج علماؤها معارضين بقيادة الشيخ موسى كاشف الغطاء (ت 1244/ 1863 م) بعد أن كان الفاعل في عقد اتفاقية أرضروم الأولى عام 1221/ 1823 م بين الطرفين.

كذلك توجّه الشيعة في العراق والخليج وفي مناطق لبنان وسوريا واليمن إلى تجاوز الخلافات وبناء علاقات حميمة مع الأتراك لأنهم كانوا على علم بأن المسألة ليست متعلقة بالترك لأنهم قوم أقرب إلى الثقافة الشيعيّة باعتبارهم (متصوفون بكداش)، ولكن الطرف الآخر (ثقافة التسنن) له قدرة على الخداع السياسي والتحريف وتزوير التأريخ ونقل الأحاديث الخاطئة والمحاربة بسيف العصبية لا بسيف العقل، فتوجه بعض علماء الشيعة إلى تُركيا لتوضيح موقفهم إلى السلاطين العثمانيين وكان من أبرزهم هو الشهيد الثاني (ت 965/ 1557 م) الذي التقى بالخليفة سليمان القانوني

= مصدر:

Armenian genocide, Ugur [mit] ngör. http//:www.niod.nl/sites/niod.nl/files/Armenian%20genocide.

حيث وجد فيه الشخصية التي لم يتوقع أن يجدها لما تمتلك من بُعُد إنساني ومن الفضائل والعلم والتقوى فطلب منه أن يكون في بطانته، ولكن البطانة لدى الثقافة الشيعيّة خط أحمر لأنه طريقة إلى تسلّط الإنسان على دماء الآخرين، وهذا هو من اختصاص المعصوم فقط، فطلب منه بدلاً من ذلك أن يقوم بالتدريس في اسطنبول، ولكنه اغتيل بالحادثة المعروفة كما اغتيل الكثير ممن حاول أن ينقل إلى العثمانيين الموقف الواقعي من وجهة نظر الثقافة الشيعية. . . . وفي كلّ مرة كان الكارتيل الضخم للثقافة السُنيّة يقف في طريق تحقيق فكرة التقارب[1].

يتميز هذا الدور ثقافياً بـ:

- تعملق أسلوب القوة في الصراع الفكري ما بين الثقافتين.
- التخلص من جذور الفكر الشيعي من خلال التخلص من الفكر (البكداشي الصوفي) الذي يميل إلى التشيع.

سيطرة التيار السني المسيس على قرارات السياسة العثمانية وتمكنه من السيطرة على الجيش أيضاً.

- القيام بمذابح كبرى جماعية بتبرير ديني من قبل الثقافة السُنيّة المسيطرة على القرار العثماني مثل مذابح الانكشارية ومذابح الشيعة ومذابح الأرمن وغيرها.
- ضعف واضح في كلتي الدولتين الطائفيتين على مستوى الإدارة.

(1) كل الحكام على الإطلاق منذ الأيام الأولى من العهود الإسلاميّة كانوا يرون في الشخصية العلميّة الشيعيّة نموذج إسلامي فريد، فقد روت كلّ التجارب التي التقى حاكم مع شخصية من الثقافة الشيعيّة بأن الناتج كان خيراً للأمة أو تحولاً كبيرا باتجاه مسيرة خدمة الإنسان كما هو لقاء العلامة الحلي مع خدابندة، والرضا مع المأمون وجمال الدين الأفغاني مع عبد الحميد وغيرها.

● مقتل أكبر شخصية علميّة شيعية بتحريض من متنفذي الثقافة السُنيّة بعد أن لمست إحتمال انتقالها إلى اسطنبول ثم التأثير على الحُكُم العثماني وهو الشهيد الثاني.

● انتشار الرعب والاضطهاد المذهبي والثقافي في العالم المسيحي كذلك من خلال تشكيل محاكم التفتيش (Inquisition) في عام 1478 ميلادية في زمن محمد الفاتح (ت 886/ 1481 م).

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (17): الصراع الثقافي بين الصفويين والعثمانيين، وبين التشيع السياسي والتشيع الثقافي.

الحادثة	هجرية	الملاحظات
موقعة موهاك تحرير المجر	947	من العثمانيين
وفاة ابراهيم القطيفي	950	عارض الكركي فقهياً
حصار فينا	950	من قبل العثمانيين
ايران المحرباتية	958	بعد سقوط الصفويين
الدولة العثمانية في العراق بدايتها	941	دخول العثمانيين بغداد
حرق كوبرناكيس	942	احرقته الكنيسة
مقتل الشهيد الثاني زين الدين الجبعي	965	رفض دعوة الشاه في الذهاب إلى ايران
وفاة جون كالفن	945	مجدد في المسيحية
وفاة المتقي الهندي	975	مؤرخ كبير
مذبحة سان بارثليمو فرنسا	971	مذبح البورستانت في فرنسا
ابوالسعود شيخ الاسلام في استنبول	982	اصدر فتوى قتل الشيعة
وفاة نور الدين التستري	1019	بشكل وحشي من قبل اعداء الشيعة
وفاة الشخ البهائي	1030	مجدد في الاسلام
وفاة محمد امين الاستربادي	1033	المؤسس للأخبارية
وفاة مراد الرابع	1021	غزا العراق وانتصر على الايرانيين
وفاة صدر المتألهين	1050	مؤسس الفلسفة عند الشيعة

جدول رقم (١٧)

الحقبة الثامنة عشر: الدخول الصفوي الثاني من عام 1033 هجرية/ 1603م حتى عهد المماليك 1157/ 1753 م.

ثقافياً تُعتبر هذه الفترة من أخصب الفترات التي رسمت خطاً للصراع ما بين الثقافتين مع أنه كان يتّسم بالطائفيّة الضيّقة، ولكن التوجّه الطائفي فكر تشمله الثقافة وهو يصبغ ثقافة البلاد بنوع خاص كما هو أمر واقع الحرية التي تُضيف على مسيرة الثقافات أدباً ومسيرةً ولوناً مختلفاً عن لون الحالة الديكتاتورية.

فقد كان صراع الدولتين الكبيرتين إيران وتركيا على أشُدّهُ، وكان العراق هو ضحيّة ذلك الصراع، حيث كانت كلتي القوتين تطمح في الوصول إلى ما بعد العراق وهو الخليج حيث يقبع البرتغاليون وبقيّة من هم أقرب أو أبعد إلى فكر كلتي الدولتين كالوهابيين الذين بدأت قوتهم في الظهور، فمن الطبيعي أن تستعمل كلتا الدولتان قوتهما ومُخططاتهما السياسيّة في كسب العراق إلى صفهما، وربما كانت أسهل ما يمكن استخدامه هو منطق الطائفيّة الفعال، المنطق المحرّك للشعوب خصوصاً الشعوب غير الحضاريّة وغير المتعلّمة، فجاء الشاه عباس (ت 1028/ 1629 م) إلى العراق وهو يحمل مشروع آملاً من عُلماء الطائفة الشيعيّة في أن يتقبلوه بالورود والرياحين، ولكن ذلك لم يتم، بل كان تعاملهم معه عن بعد كما تعاملوا مع السابقين سليمان القانوني التركي، أو المغول أو غيرهم. وقد أغاض هذا الأمر السلطان الإيراني وهذا ما دفعه إلى اللعب على تحريك القوى السياسيّة بورقة الطائفيّة، وفعلاً تمّ تحريكها ولكن فقط على المستوى الشعبي وليس على المستوى الفكري ما بين العلماء[1].

(1) هنالك الكثير مما قيل عن مُبادرة الشاه عباس إلى تهديم الضرائح السُنيّة أو غيرها مثل مرقد =

بمعنى آخر كان الصراع صراعاً سياسياً مُتلبساً بلباس الطائفيّة، وهو مجال نستفيد منه في بحثنا هنا باعتبار أن الثقافة هي (سلوك) الأفكار سواء أكانت سياسيّة أم طائفيّة، ولا يعنينا هنا كثيراً فيما لو كان أصل الصراع طائفياً أم سياسياً بقدر دقتنا في التحليل فيما يرتبط بعموم الثقافة. . . .

إنّ قمة المواجهة الفكريّة الثقافيّة كانت ليس فقط بسبب احتلال دولة عربية من قبل دولة غير عربية، بل أن أصل المشكلة الكبرى التي جعلت هذه الفترة من أخصب فترات الصراع الثقافي هو بروز علمين كبيرين ربما الأبرز في مسيرة وممن أرّخ فكرياً وثقافيّاً للثقافة الشيعيّة وهما:

- الشيخ البهائي (ت 1030/ 1621 م) وعطاؤه.
- والشيخ المجلسي (ت 1111/ 1698 م) وكتابه.

أين تكمُن مشكلة الثقافة السُنيّة من العالم الأول البهائي ولماذا صبّت تلك الثقافة جام غضبها ليس فقط على القطر (إيران)، بل على الحُكُم (الصفوي) وعلى الحاكم (عباس) وعلى العلامة الكبير الفيلسوف البهائي الذي كان الأول في الخروج عن مبادئ وأسس النظرية المُلازمة للثقافة الأشعرية السُنيّة وهي (نظرية المعرفة) والتي كانت تُمثل النقلة العظمى في

= أبو حنيفة النعمان في الاعظمية ببغداد أو غيره، ولكن ذلك يبدو أنها مقولات سوّقها المتحمسون من القوميين العرب وليسوا الطائفيين بسبب تعارض أفكارهم مع كلتي القوميّتين الأتراك والإيرانيين، هذا في الوقت الذي لا نُنْكر بأن الغوغاء من كلي المذهبين قد فعلت فعلها في إثارة الواقع الشعبي الطائفي. ويبدو بأن المؤرخ الكبير العلامة الوردي قد ذهب نفس مذهبهم في كتابه القيّم (اللمحات) وكذلك المؤرخ القومي العراقي عباس العزاوي في كتابه (العراق بين احتلالين الجزء 4)، أو ربما كذلك الأستاذ الصحفي حسن العلوي في كتابيه (الشيعة والدولة القومية) و(التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي). ونحن هنا لا نعارض رأي أي من تلك البحوث ولكننا في ذات الوقت نرى بأن مصدرها كان واحداً وهو ما يلقي بظل التضعيف في أصل الحادثة.

التفكير البشري لما فيها من أبعاد دينيّة وأبعاد انسانيّة عميقة. وهي أول نظرية دينية - دنيويّة تناقش فكرة (المعرفة) (ابستمولوجي) في العالم، مع أننا ربما لكي لا نبخس حق الشخصيّة التي سبقته وهو الجاحظ (ت 255/ 868 م)[1] ولكنّ الفرق فيما بين هذا وذاك هو أن الثاني (شرّع) نظريته باعتباره مرجع و(شيخ الإسلام) أي (مرجع) (Legislator) في عُرف مصطلح اليوم.

ما هي نظريّة العلامة البهائي...؟ وما خطورتها على الثقافة السُنيّة...؟.. كانت كالتالي:

أن المُكلّف (المواطن) إذا بَذَلَ جُهدَهُ في الوصول إلى المعلومة (الدينيّة) أو (الفكريّة) أي الوصول إلى الدليل، ثم أخطأ الدليل (بعد الجهد) فهذا لا يُعتبر خلافاً للحق ولا يُعتبر (كافراً) ولا تنطبق عليه صفة (الظلال)، كما أنه بالنتيجة لا يدخل النار[2].

هذه النظرية هي القنبلة الكبرى والنقيض للثقافة السُنيّة بمجملها بل في صلب عقيدتها، وهي الفكرة المركزيّة التي بنت أسُسها وكيانها ودُولها على فكرة (وجوب) (قتل) و(استرقاق) (الكافر)، ووجوب الالتزام بمسيرة (الفرقة الناجيّة) التي أسست على مبادئ سيرة الشيخين وتحوّلت إلى عقيدة (أشعرية) لا يمكن المس فيها أو مناقشتها لأنها من صنف (المُقدسات)

(1) رأي الجاحظ قريب من رأي البهائي في قوله بأن الإنسان الذي ينمو في محيط إجتماعي معين لنفترض كافراً وتأثّر بذلك المحيط أي صار كافراً فهل يُحاسبه الله على كُفره..؟ فيُجيب الجاحظ بأن عدل الله يمنع تجريمُهُ بعد محاسبته يوم القيامة. أنظر: (منطق نظرية ابن خلدون، المصدر السابق، الوردي).

(2) فلاسفة الشيعة، عبد الله نعمة، ص 406. دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

(المعصومة) التي لا يمكن للعقل الإنساني أن يمتلك القدرة ليس فقط إلى مناقشتها بل إلى معرفتها أو الاقتراب من تفاصيلها.

و هذه النظرية هي أول نظرية على الإطلاق في التأريخ الإسلامي منذ اليوم الأول لمبعث الرسول الأكرم تفتح المجال للأفكار الأخرى في كسب شرعيّتها من خلال روح التسامح وروح العقليّة الإنسانية التي تتطور وبمرور الوقت حسب الواقع الاجتماعي والفكري الذي يمر به الإنسان في حياته وفي ممارساته وفي طبيعة معيشته.

كانت هذه النظرية الجزء الفعّال والكاسح للثقافة السُنيّة التي تختلف تماماً عنها فيما يتعلق بالحرية الدينيّة وتحديدها فقط بمقولات المسيرة التي وصلت إلى المسلمين والتي كُتبت في (الصحاح) وفي (عصمة الصحابة) وغيرها. . . . كما أنها ستكون النظرية التي ستتمكن في أن تسود بها الثقافة الشيعيّة أمم الأرض لما لها من بُعد وجداني وتسامحي وعقلي. ولذلك فأننا نرى بأن قمة الغضب قد صدر من قبل الحكام العثمانيين الذين كانت تمتلئ السجون بمعارضي دولتهم كما كانت تُباح الأمم من قبلهم بسبب مخالفتهم لما يعتقدون به من التوجه الفكري والعقيدي.

فالحروب التي كانت تدور في طول الخلافة وعرضها وتدمير الأمم والمدن كلها كانت تندرج تحت نظرية الثقافة السُنيّة التي تُعطي الشرعيّة لكل ذلك، بل أن تلك الثقافة تمنح القتلة درجة عند الله يوم القيامة، فالقتل في العُرف الثقافي السياسي والثقافي السني إذن يخلف المرتكب الثواب الكبير والأجر العظيم لأنه تخلّص من أعداء الله وأعداء الدين كما تراها ثقافة التسنن، وهي ذات الفكرة التي يُقاتل بها الإرهابيون الجُدد في القرن الواحد والعشرين في عمليّاتهم الانتحارية وفي طبيعة الذبح الذي يُمارسونه للمخالف لأفكارهم.

ولو سُمح لأفكار البهائي في نظريته المهمة تلك أن تسود العالم الإسلامي منذ ذلك التأريخ أي قبل ألف عام تقريباً لما عاش العالم في هذا القرن في حالة من الرعب والإرهاب، رعب سيطرة قوى التسنّن الثقافي على بلدان العالم.

أما العلم الثاني المجلسي فقد كانت مشكلة الثقافة السُنيّة معه قد انعكست على كل الدولة (إيران)، بل النظام (الصفوي) وهو إصداره لكتاب (بحار الأنوار) الكتاب الأول في نوعيّة الموسوعة التي اتصف بها في أجزائه الخمسة والعشرين (بداية إصداره) والذي يحوي (كل) أحاديث الشيعة. . . . أي بمعنى آخر كان هذا الكتاب أول كتاب ضمّ كل التُراث الشيعي (الغث والسمين) وتركه إلى الباحثين والعلماء لكي تنتقي منه ما تثبت أسانيده ورواياته. . . . وهو أول مشروع شيعي على الإطلاق الذي اعتبرته الثقافة السُنيّة منافساً كبيراً إلى مشروع (الصحاح)، مع أن البعض من الشيعة لا يعتبر الكتب الأربعة[1] هي الصحاح، بل ليس للشيعة مفهوم وجود شيء من العلم يُمثّل (نهاية بل كل الحقيقة) إلّا كلام الله.

وهنا نرى بأن هجوم الثقافة السُنيّة على إيران وعلى المجلسي وعلى الصفويين كان منطلقاً من خشيّة بناء مسيرة ثقافيّة كبرى شيعيّة سواء أكانت

(1) الكتب الأربعة هي الكافي للكليني، والتهذيب للصدوق، والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه للطوسي وهي ليست صحاح بالمعنى المعروف عن الصحاح في الثقافة السُنيّة، بل هي الكتب التي صدرت في وضع أسس المذهب الشيعي الروائيّة، نعم هنالك فئة من الاثنى عشرية تعتبر الكافي من الصحاح وهم الإخباريون والذين لا يُمثلون من جسم الاثنى عشرية إلا أقل من 3% على أكثر التقادير (الرقم غير موثّق مجرد تخمين)، مع أن الجسم الكبير للشيعة ولحد عصر الوحيد البهبهاني (ت 1260/ 1791م) كان الإخباريون يُمثلون القطاع الشعبي الكبير للشيعة.
ويمكن في ذلك مراجعة كتب الشيخ الإسترابادي (ت 1033/ 1623م) وكذلك موقع:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Akhbari/.

سياسيّة أم دوليّة أم مسيرة فكريّة، وهذا بالتأكيد مجال لصراع كبير وبعيد الغور على التسنّن سواء أكان مذهباً أم ثقافةً فكان عليه أن يقف في وجهه بكل ما أوتيّ من قوة وسطوة. . . .

هذا من جانب، من الجانب الآخر كان كتاب (البحار) يحوي كلُ ما من شأنه أن يؤصّل الجانب الروائي للإماميّة والذي اعتبرته الثقافة السُنيّة بأنه موجّه لها بالذات باعتبار أن تلك الثقافة تعتبر أي رأي مخالف لتوجهاته الدينيّة يرمي إلى تناولها مباشرة وليس باعتبار تلك الآراء هي آراء ثقافات أخرى ليس بالضرورة أن تكون قد وضعت من أجل محاربة الآخرين من المدارس أو المذاهب الفكرية.

فكتاب (البحار) احتوى على كل ما يمكن أن تحويه أحاديث سواء أكان فيها استفزاز للفكر السني أو مخالف ثبوتياً أو روائياً أو غيرها، ولذلك استفاقت الثقافة السُنيّة في ذلك العصر وفي تلك الفترة أمام ضعف قدراتها في جانب الحديث والرواية والجانب العقلي والكلامي أمام عملقة الثقافة الشيعيّة التي قدّمت الكثير من ذلك الفكر، هذا في الوقت الذي ساد التشيّع ربما كل الأقطار الإسلاميّة وأصبح التسنّن مطلوب منه أن يوضّح للشعوب الإسلاميّة الجواب على الكثير من إشكالات المسائل التي ابتُليّ بها المجتمع مثل نوعيّة الحُكُم ومنها شكل الحاكم ومنها مسؤولية الحاكم ومنها علاقة الرواية وسندها إلى الرسول. . الخ.

كما أن هنالك قضيّة لابأس في تناولها في هذا الصدد هو أن التأريخ الحقيقي الموثّق الذي كان له وجود فعلي ومن الممكن متابعة أحداثه هو منذ بداية القرن العاشر الهجري أي فترة وصول الصفويين إلى الحُكُم في إيران، وهذا معناه أن الجانب التوثيقي وجانب التأليف والنشر والإعلان ومواجهة الثقافات صار حقيقة واقعة في ذلك الزمن، فكلما سبق هذا العصر هو علم حدسي أو علم لو ثبتت وثاقته فإن تلك الوثاقة لم تتأتّ من الجانب الفعلي

المرئي أو الملموس، وإنّما جاء التوثيق من خلال كثرة الرواة على صحة الرواية أو الخبر. . . . وهذا المنهج مهما كان دقيقاً فإنه في المنطوق العلمي الاستدلالي لا يُعتبر حُجّة عقليّة مكتملة أو معرفة دامغة كما هي معارف العلم البحثي التجريبي أو علم الرؤية أو علم الحس. . . . هذا التطور في منهجيّة المعلومة لم تتمكن الثقافة السُنيّة من أن تتماشى مع معطياتها بسبب ضبابيّة السند الذي تمتلكه مصادر تلك الثقافة.

أما الشيعة فإن رواياتهم صادرة من مصدر واحد فقط وهم الأئمة الإثنا عشر والنبي فقط أولئك الذين لم يشهد في تأريخ مسيرتهم خلال 329 سنة بأن هنالك تناقض في رواياتهم أو قدح في شخصياتهم وعلى كل مستويات الأمّة وبشتى طوائفهم وتنوعاتهم.

هذه النقلة التاريخية جاءت مصادفة في زمن صراع الصفويين مع العثمانيين مضافاً إلى ذلك ظهور المكائن الطباعيّة[1] التي كان (البحار) أول كتاب يطبع في تلك المطبعة، والغريب في ذلك بأن لغة الكتاب الأصليّة لم تكن الفارسية كما هو شأن كل تآليف المجلسي، وإنّما كان باللغة العربيّة وهي لغة التأليف الأصليّة. . . وقد انتشر الكتاب بصورة كبيرة وصار حدثاً كبيراً في عالم العلوم النقليّة مما اعتبرته ثقافة التسنّن بأنه تحدي كبير لأسس تلك الثقافة مما خلق في العالم الإسلامي جواً من التوجه إلى الصراع الطائفي والصراع المذهبي والتي كانت السياسة هي الأداة التي يتحرك بهما كلا الاتجاهان.

---

(1) أول مطبعة تركية جاءت في عام 1150هجرية/ 1729م. وكما يبدو أن إيران كانت قد سبقت تركيا في الطباعة كما تُسمّى طباعة الحجر وذلك في عام 1720 ثم حلب في عام 1727. مع أن هنالك روايات تقول بأن أول مطبعة إيرانية هي في سنة 1833 وهي رواية لا تتفق مع حالة التأليف في إيران.

والشيء المفاجئ هو أن الكتاب قد تمّ ترجمته إلى التركيّة وشاع في تركيا التي وكما نعلم بأن الفكر الشيعي أمر متأصل في ثقافة العثمانيين وخصوصاً وأن الانكشارية هم فرقة بكداشية لا تختلف كثيراً عن أفكار التشيع، هذا أولاً، أما ثانياً فإن العلاقة الصفويّة الصوفيّة[1] بالبكداشية كانت كبيرة إلى الدرجة التي تُظهر بأنّ الحاج محمد بكداش ولي الذي كان الأب الروحي إلى أورخان المؤسس قد توجّه له وطلب منه المساعدة في إنشاء الجيش الانكشاري الذي اتخذ سيف علي (ت 41) ذو الفقار شعاراً له[2]. . . ويبدو كذلك بأن كلتي الطريقتين كانتا تتكلم التركيّة وكانت صلة القربى كبيرة بدرجة أنها تتشابه في الكثير من الأفكار والتوجهات.

هذا التقارب الكبير أدّى خلال فترة قصيرة إلى طغيان القدرة الثقافيّة الصوفيّة والثقافيّة والمذهبيّة إلى انهيار كبير في داخل التركيبة العثمانية وخصوصاً الانكشاريين وزعماء الجيش[3] ففقدوا الحماس في هدف الدولة

---

(1) الصفويين يعودون إلى السيد صفي الدين الأردبيلي (ت 735/ 1334 م) وهو رجل صاحب طريقة كما هي طرق الصوفية لدى المذاهب الاسلامية. . . يرجع نسبه إلى الإمام الكاظم عن طريق ابنه القاسم المدفون في الحلة الهاشميات الآن، مع أن الصوفيّة ليس لها من وجود لدى الشيعة ولكن هنالك ما يشبه ذلك من خلال ما تُسمّى بظاهرة (الخانقاه) وهي تكايا كانت موجودة في مساجد إيران مشابهة لتكايا تعليم الأولاد في جوامع العراق أو في مصر والتي بدأت فيها هذا النوع من تقديم العلم الديني إلى المجتمع. أنتشرت هذه الطريقة في كل أنحاء العالم الإسلامي وكان السيد الرفاعي أحد مريدي الاردبيلي. وقد التحق بأبنائه ولعله حفيده السيد حيدر (ت 894/ 1488م) الشاه إسماعيل الكبير وصار من مريديه، ثم بعدها تحرك إلى ديار بكر والى مناطق واسعة من الأناضول. مع أن البحاثة الكبير الوردي (ت 1995) يرى بأن الطريقتين اللتين سيطرتا على إيران وتركيا كانتا ذو منبع واحد وأن الشيخ البكداشي كان من تمّ إرسالُهُ إلى تركيا لتهيئة الأجواء إلى قيام حكم في تركيا وفي إيران. (لمحات اجتماعية، ج 1، المصدر السابق).

(2) الرسالة الأحمدية. أحمد سري دده بابا. المصدر السابق.

(3) البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصري. ص 47. بيروت، 1960.

التي كانت مختلفة عنها مما هي عليه في البداية، فقتلوا السلطان عثمان الثاني (ت 1003/ 1622 م) ثم جاءوا بفتى عمره 12 سنة ونصّبوه وهو مراد الرابع (ت 1021/ 1640 م) الذي مات (بالإدمان) وعمره 28 سنة، فتوجه إلى بغداد في عام 1624 وفي عام 1630 تمّ استرجاع العاصمة العراقية من أيدي الإيرانيين باندحار شاه عباس الصفوي. . . .

مراد الرابع نفسه اشترك في حصار دام أربعين يوماً على أسوار بغداد حتى مات في تلك الحادثة آلاف من الناس، ثم قتل مراد عشرون ألف من الايرانيين، كما قتل ثلاثمائة زائر من الشيوخ كانوا في طريقهم إلى زيارة المراقد الدينيّة الشيعيّة، وقتل أيضاً ألف أسير[1]. وهذا هو الدخول العثماني الثاني ثم غادرها في عام 1639.

لم تستثن سُنّة مسيرة الثقافات الدولة الصفوية من أن ينالها قانونها الصارم بعد أن عجز في نصحها فقهاء الثقافة الشيعيّة من تحويلها إلى مسيرة فكريّة بعيدة عن الخلط السياسي والالتزام بفكرة (دولة العدالة) التي تُعتبر البديل لدولة (المعصوم). ولكن الإصرار من قبل قادتها في الاستمرار بمفاهيم القوة والسيطرة والعصبية (ثقافة التسنن) التي هي ذاتها ما يتحلى بها العثمانيون كان الرد الفعلي على رفض ذلك النصح. . . .

فكلا القطران قررا أن يكون الحُكُم والقوة والسيطرة أي السياسة هي أدوات ثقافة الدولة وليس الفكر، فانهار كلاهما بشكل سريع وتحوّلت كياناتهما إلى دول مريضة، فهذه إيران تحوّلت إلى أكلة لقبائل الأفغان، فقد هاجمها مير محمود في سنة 1135/ 1722 م وأسقط أصفهان وذبح

(1) أربعة قرون من تأريخ العراق، لونكريك ستيفان هنسلي، ترجمة جعفر الخياط. بغداد 1962.

الصفويين في عام 1725 في حادثة غريبة من نوعيتها في الوحشية[1] بعد أن حصل على فتاوى من قبل شيوخ الإسلام في اسطنبول بذبح الشيعة[2].

ولم تتوقف فتاوى الذبح على حالها هكذا فقد استصعب حسن باشا (ت 1779) والي العراق أنه لم يكن المبادر لاحتلال وقتل شيعة إيران، فقرّر أن يحصل على فتاوى إضافيّة من شيوخ الإسلام في اسطنبول يتمكن بها من احتلال إيران وقتل الشيعة هنالك، وبالفعل حصل على مبتغاه وتم إصدار الفتوى من قبل المفتي العثماني الشيخ عبد الله[3].

هنا نقف أمام ظاهرة غريبة في عالم الثقافات التي تُبنى على أسس مختلطة أو تركيبة غير متجانسة كما هو حالة استعمال الفكر الديني أو الفكر الإنساني النقي في سبيل تحقيق هدف ذاتي سياسي وهو أسلوب ينافي طبيعة مسار عمل الثقافات وعمل سُنّة التأريخ، ومثلُه كمثل زراعة عضو (Craft) غير متجانس في جسم الإنسان حيث يستجيب الجسم بعمليّة رفض مُدمّرة ليس لذلك العضو المزروع بالذات، وإنّما لكل الجسم لأن العضو ليس من

(1) حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، عبد الرحمن السويدي، تحقيق صفاء خلوصي. الجزء الأول، بغداد. 1962.

(2) The fall of The Safavi Dynasty. Laurence Lockhart. Canbridge University. 1958.

(3) نص الفتوى: لما كان الروافض المقيمون في إيران منذ عهد إسماعيل الصفوي قد عاثوا في الأرض الفساد وأعلنوا سب الصحابة الكرام أبا بكر وعمر وعثمان وكفّروهم باستثناء علي وقذفوا الصديقة عائشة وابتعثوا مذاهب الزندقة ممن سبقوهم وتأولوا الآيات القرآنية بحس ميولهم وقاموا بمقاتلة من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة وأباحوا نساءهم وفعلوا غير ذلك من الأعمال المنكرة فإن بلادهم تُعتبر ديار حرب وتُطبّق عليهم أحكام الشريعة فيما يختص بالمرتدين وتجب محاربتهم وتطهير البلاد منهم. (أنظر كتاب دوحة الوزراء. رسول كركوكلي. ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت).

جنس وتركيبة الجسم ولذلك فإن رد الفعل رد عنيف بعد مدة من الزمن وليس آنياً.

فاستعمال أو تجيير المُثُل العليا كالدين والأخلاق والفكر العلمي والإنساني في سبيل تحقيق أهداف سياسيّة مُشابه لحد ما إلى مثالنا السابق.... فقد يمكن لنا أن نرى بعد مدة زمنيّة غير مُحدّدة قد تطول قرون بأن رد فعل رفض ذلك الفكر يكون من خلال إسقاط كامل المشروع كما حدث مع الصفويين الذين حاولوا تسخير المذهب (الفكر المثالي) لتحقيق الهدف السياسي الذي ترمي إليه الدولة فسقط بفترة قياسيّة وكان السقوط مريعاً.....

وقد نجد ذلك قد انطبق أيضا على واقع الدولة العثمانية، ولكن بفترة أطول مع سقوط أكثر دراميّة وأكثر عُنفاً فتحولت تلك الدولة العالميّة إلى واقع محصور بعد أن حُدّدت باتفاقيات مُذلّة وهي تشاهد جسدها يُقطّع أمام أعينها وبشكل فيه الكثير من الذلة والضعف بعد أن تصارع الكل وأكلت الدولة أبناءها وذابت كما تذوب حبة الملح في كف المحيط.

فقد بنت الدولة العثمانية كيانها على واقع الطائفيّة وبشكل فيه الكثير من الابتعاد عن مُثُل القيم والمبادئ الإسلامية، وهذا لم يكن إلّا باندفاع من علماء ومشايخ الإسلام (الكارتيل) من المتسننين السياسيين من متخصصي إصدار الفتاوى....

ونشاهد الشيء ذاته في الدولة الصفويّة التي اعتبرت أول تجربة في التأريخ الشيعي الاثني عشري في تبني مشروع دولة، فقد استُعملت نفس أدوات (ثقافة التسنن) في طريقة إدارة الدولة (طمع وجشع الإنسان واندفاعه إلى حب السلطة والقوة) بما يخص توجّه الدين والمذهب نحو تحقيق الهدف السياسي....

وهنا يمكن لنا في أن نقول بأن الصفويين كانوا (سنيو الثقافة) وليس (شيعيو الثقافة) بينما كان خلفهم (الشاه نادر الإفشاري) (ت 1160/ 1747م) الذي سيطر على إيران ووصل إلى العراق مرتين قد قرر منذ البداية فصل المذهب عن السياسة والحكم ولذلك أعطى للمذهب دوره وللسياسة دورها، ولم نر بأنه استعمل سلاح الفتاوى في سبيل النيل من عدوه السُني وهي الدولة العثمانية، بل أنه مارس عملية صراع القوة وقد خسر أكثر من مرة في ذلك الصراع ولم يستعمل سلاح الدين أو المذهب في سبيل تحقيق الهدف السياسي، فقد رفع منصب (شيخ الإسلام) من نظام الدولة، وكذلك رفع كل علاقة مذهبيّة مع الدولة. . . كما كان من المبادرين إلى فكرة (مؤتمر النجف) الذي حاول من خلاله أن يوحّد المذهبين في إطار الإسلام، وكان يقول بأن الإسلام قوة كبرى على الدولتين إيران وتركيا أن تتّحدا في سبيل تحقيق الهدف البعيد.

وكما كان هنالك حاشية سوء في الدولة الصفويّة وهم الذين وقفوا أمام مشروع نادر شاه عندما قدّمه إلى الدولة العثمانية كذلك علماء السُنّة ومن المنتفعين في الدولة العثمانية من بطانة السلطان عملوا جاهدين وبطرق غاية في الدهاء على إجهاض المشروع العالمي في فصل السياسة عن الدين[1].

تتميز هذه الفترة من التأريخ بثوابت ثقافيّة ممكن تلخيصها ب:

- تحوّل الدولة الصفوية إلى كيان هزيل بعد أن فُقد مفعول (الطائفيّة) دوره في أوساط الشعب الإيراني ثم سقوطها على يد القبائل الأفغانية.
- زيادة فتاوى إبادة الشيعة من قبل علماء الثقافة السُنيّة المسيّسين.

(1) A History of Persia. Percy Sykes. V 1. London 1958.

○ الصراع على العراق ما بين الدولتين هو صراع سياسي ولكنه محدد بإطار مذهبي.

○ لم يتشكّل العراق آنذاك كدولة أو كمجتمع، بل كان تابعاً إلى كلتي الثقافتين.

○ أفاق الصفويون على خطأ منحاهم في تسييس التشيّع أي تسييس الدين.

○ الدعوة إلى توحيد الطائفتين، وكان المبادرين هم الشيعة وليس السُنّة كما كان مؤتمر النجف.

○ ظهور التصوف بمعناه الواضح في كلتي الطائفتين.

○ كتابة أكبر موسوعة روائيّة شيعيّة وهي بحار الأنوار.

○ سيطرة الكارتيل الديني المسيّس على مسيرة الدولة العثمانية.

○ بداية الفكر الإخباري الشيعي وهو رد فعل للحالة السياسيّة المعقّدة.

○ ظهور شخصيات عُلمائيّة في الوسط الشيعي كالعلامة البهائي وتمكنه من إثراء الفكر الديني الإمامي العقلي.

الفراغ الثقافي: أما الوضع الفكري لكلتي الدولتين فقد كان مزرياً، فقد سيطر على الدولة الصفوية بعد موت شاه عباس ملوك مارسوا ذات الثقافة التي كانت سائدة في نهاية الدولة العباسيّة من سيطرة الكارتيل الديني المتمذهب بالتشيع.... ونفس الشيء تجده في الدولة العثمانية بحيث أن رموز الثقافة السنيّة كانوا ذو نفوذ كبير جداً بعد تحالفوا مع بقايا الانكشارية[1] وهم ممّن

(1) انظر: البلاد العربية، ساطع الحصري، المصدر السابق.

أغرى المماليك في أن يُسيطروا على دول العالم الإسلامي، فتحولت الدولتان اللتان تتصارعان على العراق إلى كيان هزيل جداً فانتشر في العراق كرد فعل لهذه الحالة المد البدوي المتمثل بالعشائر التي كانت تتحيّن الفرصة للانقضاض على الحُكُم وهي قضيّة طبيعية في عداد الصراع ما بين البداوة والحضارة. . . . . فتحالفت قبائل البدو العراقية المُنحدرة من الجزيرة فيما بينها على إسقاط النظام كما هو تحالف عشائر الخزاعل وزبيد وبنو لام وقشعم وعشائر المنتفك وغيرها.

في هذه الفترة بالذات تحرّكت أكبر عشيرتين عربيتين من مناطق الجزيرة وهما شَمّر في بداية الأمر إلى العراق ودخلت في صراع لمدة ربع قرن مع عشيرة الموالي التي هربت أخيراً إلى الحدود السورية، بعدها دخلت قبيلة عنزة وقاتلت شُمّر فهزمتها إلى أعالي الفرات، وبتغيير الواقع السكاني لكلتي المنطقتين الغربية والشمالية في العراق صار هنالك نمط جديد من الحياة بحيث أن الكثير ممن كان في تلك المنطقة اضطر إلى الهجرة جنوباً. . . . .

وهنا نرى بأن الوضع الثقافي العام لسكان العراق قد أصيب بانقلاب من جرّاء هذا النوع من التهجير، هذا في الوقت الذي تناوب على العراق أكثر من خمسة وعشرين والياً عُثمانياً حتى جاء حسن باشا المعروف (الذي جلب فرقته المملوكية المتخصصة بالحرب Elite) فواجههم بصورة حازمة ووحشيّة بحيث أنه كان يُوزّع الذهب لكل من يأتيه برأس من رؤوس العشائريين، وعلى ذلك أخرّ هذا الوالي المد العشائري لنصف قرن من الزمن، وهذا معناه تقوية فكرة الدولة المركزية على حساب البداوة والعشائرية.

في تلك الفترة العصيبة من حياة العراقيين والمنطقة أرسل نادر شاه إلى العثمانيين مطالباً إياهم بالاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب خامس في الإسلام، وهي من أولى الخطوات في إيقاف مذابح الصراع المذهبي، فقام

السلطان بعرض الأمر على الكارتيل الديني السني (السياسيين) الذين رفضوه وأخبروه بأن الشيعة كفرة يجوز سبي نسائهم وقتلهم وهي ذات الثقافة التي بُنيّت عليها مُقررات السقيفة منذ سنة 11 هجرية واستمرت على منوالها كل الدول التي سبقت هذه الدولة، هذا في الوقت الذي كان العثمانيون كسلاطين يرون في أن الأمور الدينيّة هي من اختصاص العلماء الذين كانت الثقافة السُنيّة قد تمكّنت من أن تنتزع قدرة تثبيت أركانها في صلب الدولة العثمانية[1]. . . . . .

وهنا وجد نادر شاه الفرصة مناسبة في الدخول إلى العراق في عام 1746 ثم الدخول إلى تركيا عن طريق الموصل انطلاقاً من رفض فكرة التقريب وفكرة الابتعاد عن الصراع المسلح، ولكن معركة الموصل الشهيرة اضطرته إلى عقد الصلح مما أدّى به إلى تحويل وجهة سيره من الشمال إلى الجنوب لعقد ما سُميّ بمؤتمر النجف الشهير في عام 1156/ 1746 م والذي على أثره تمّ الاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب خامس للمسلمين وذلك في زمن محمود خان في سنة 1747 م[2].

فالسياسة هنا هي المتحكُمة في الدين وليس العكس، فالقوة التي أبداها نادر شاه كانت هي التي فرضت على الجانبين الانصياع إلى فكرة رفض تكفير الآخر. في الوقت الذي كان الخليفة العثماني من الخلفاء المتنورين الذين فتحوا باب الدولة على الغرب وعلى تقبّل الآخر. ولقد كانت تلك

(1) رضوان السيد: تأملات في العلاقة بين السياسة والشريعة في التجربة الإسلاميّة الوسيطة. المصدر السابق.

(2) لقد تمّ اغتيال ممثل الشيعة في مؤتمر النجف نصر الله الحائري بعد أن ذهب إلى أداء فريضة الحج ومن هنالك اعتُقل وسُلّم إلى العثمانيين الذين قتلوه، أو أرسلوه إلى حاكم دمشق لشنقه كما تشير إلى ذلك بعض المصادر مثل السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة.

الفرصة عظمى للإسلام لو تمّ تحقيق تبعات المؤتمر، ولكن الشيء الذي أريد الإشارة إليه هو أن (الثقافة) السُنيّة الموجودة دوماً بشخصيات متخفيّة (بالمذهب) السُني ضمن تركيبة الخلافة قد مارست دورها في منع أية خطوة تقوم بها الدولة باتجاه أن تتحول مسيرتها إلى مسيرة فكريّة علمانيّة أو تسامحيّة بلحاظ أن التسامح وقبول الآخر ودراسة التوجهات الدينيّة غير التمذهب السُنّي سيؤدي بالتالي إلى إضعاف القُدرة الفكريّة التي يتمتع بها الفكر السُنّي من ناحية الرواية ومن ناحية السند أو كذلك من الناحية العقيدية، وهذا بالتأكيد مُخالف لطموحات الشخصيات التي تتربع على العرش الديني في تلك الدول ومنها الدولة العثمانية[1] . . . . . .

ففي البعض من كتب الفقه السُني هنالك تحريم في البقاء في الدولة المُتسامحة كما سأل الفقيه المغربي أبو العباس الونشريسي فيما إذا أن يمتلك ذلك الحق، كما أن التشريع الثقافي السُنّي يُحرّم كل عمليّة اتصال بأي مصدر آخر من مصادر المعرفة غير المصادر المعروفة لديهم[2].

---

(1) هذا الشيء ممكن أم نلحظه ليس فقط في الدولة العثمانية، وإنّما في ربما كل دول العالم، حيث يُزيّن علماء السلطان ظاهرة التخلص من الآخرين من خلال تخويف الدولة من خطر تلك الجماعات أو الأفكار. . . . ولا نستثني في ذلك كل دول المنطقة الإسلاميّة التي تكوّنت ما بعد الحرب العالمية الثانية والى حين سبتمبر 11، 2001 التي مارست فيها (الثقافة السُنيّة) ذات الأسلوب في تخويف الغرب من الجماعات الشيعيّة أو التي تحمل الثقافة الشيعيّة مما حدى بالعالم الغربي في أن يقف موقفاً سلبياً من كل الثقافات التي تتصل بالتشيع (ثقافة) و(فكراً) و(عقيدة) إلى أن استبان فيما بعد ذلك التأريخ بأن علماء وأعمدة الثقافة السُنيّة قد خدعوا الغرب، بل خدعوا الشعوب بكذبة التخويف من ثقافة أو فكر التشيّع وبذلك تجد كل أدبيّات الغرب هي منقولة عن أدبيّات ما كتبته ثقافة التسنّن في مسعاهم لمنع تلك الثقافة من أن تسود الشعوب.

(2) منقول عن كتاب أين الخطأ، برنارد لويس ومأخوذ من مجلة (Institute of Muslim Minority Affairs, vol. 13:1 January 1992).

وبعد مرور 3 أشهر على تحقيق أول خطوة تاريخية في التقريب بين المذاهب اغتيل نادر شاه في إيران بعدها توالى على حكم إيران ستة من أحفاده وانتهى عهده بوصول القاجاريين إلى حكم إيران في شيراز بعد أن ماتت فكرة التقريب[1]، بل صارت وتحوّلت إلى عنف طائفي بين أتباع نادر شاه السُنّة من الأصل التركي الأوزباكستاني وبين المجتمع الإيراني الشيعي انتهى بسيطرة القاجاريين في عام 1750 ليحكم نيابة عن إسماعيل الصفوي الثالث الذي كان مسجوناً آنذاك. وقد عادت بعودة القاجاريين الذين حكموا إيران إلى حين الحرب العالمية الأولى كل الطقوس التي كان الصفويون يمارسونها فيما يتعلق بالمناسبات التي ترفع من وتيرة العالم السُني باتجاه الطائفيّة بغض النظر عن صحة أو خطأ هذا الطرف أو ذاك.

فقد تحول الصراع بين الثقافتين من حرب سيف إلى حرب إعلام خصوصاً بعد دخول المطابع إلى كلتي الدولتين، فكُتبت في هذه الفترة أي في منتصف القرن التاسع عشر ما بعد 1840 م الكثير من المؤلفات وأنشأت المدارس الطائفيّة الفكريّة الكبرى وتأسست على ضوء المواجهة مؤسسات كبرى. . . . ففي خلال ما بعد مؤتمر النجف استعرت الطائفيّة بصورة أكثر من ذي قبل بحيث تحوّلت إلى ظاهرة مُشابهة لظاهرة (الإرهاب) الذي اندلع في منتصف التسعينيات 1995 بعد أن توفرت فرصة ثمينة في توجه العالم إلى التقارب والتآخي وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة التي استعرت ما بين الجبارين منذ عام 1945 والى حين سقوط العملاق الشرقي في عام 1991.

---

(1) لا تقتصر فكرة السيطرة الدينيّة على ثقافة التسنّن فحسب، بل أنه قانون عام يسري على كل ثقافات الدين، لأن الدين وسيلة مُهمة من وسائل النفوذ والقوة والسيطرة، فمزاحمة مناطق النفوذ في سلطات الدولة أمر لا تتسامح به أعمدة ثقافات الدين المذهبيين السياسيين.

كان ظهور الطائفيّة قد تطور بشكل مختلف في الوسط العربي وخصوصاً العراق والجزيرة وسوريا وهو التوجه الذي تبنّى أسلوب العنف غير الحكومي (العصابات) أو التشكيلات الدينيّة فكانت طلائعها هو فكرة السلفيّة الوهابيّة التي ابتدأها محمد بن عبد الوهاب في سنة 1745 إلى أن قويّ بشكل فعال في سنة 1790 وخصوصاً بعد أن احتل عبد العزيز بن سعود الكبير الإحساء والقطيف الشيعيتين في عام 1796.

ومن نافلة القول الإشارة إلى تتابع مُسلسل أسلوب العنف والعصابات التي تنطلق في الوسط الإسلامي والتي غالباً ما تراها تنبلج بعد كل محاولة تقريبيّة أو نهضة فكريّة أو دينيّة أو اجتماعية، أو في فترة ميل الأمم الإسلاميّة في التوجه إلى واقعها الاجتماعي بدلاً من التقوقع حول المقولات الدينيّة أو الشخصيات الثيولوجية أو الحكام الدينيين أو ما شابه، عندها تنطلق من هنا ومن هناك حركات طابعها عنف ولكن ظاهرها هو التديّن والعودة إلى الدين[1].

(1) تأسست أول جمعية للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة في القاهرة سنة 1947، في عام 1948 تمّ اغتيال البنا ذو التوجه المعتدل الأخواني فتحولت منذ ذلك الوقت حركة الأخوان إلى حركة دينيّة سياسية بعد أن كانت في عهد البنا دينيّة بحتة ذلك مما فتح الباب إلى دخول الفكر الوهابي إلى تنظيم الجماعة، ثم وبتقدم الزمن تحوّلت إلى حركة تُفرّخ العنف. وقد تجد ذات الظاهرة في العراق بعدما تمكن الشهيد الصدر من أن يتكلم في فكره ومؤلفاته وطرحه الفكر الديني بصيغة العموميّة للمسلمين وليس للشيعة، فردّت عليه المؤسسات السُنيّة المتسيسة والكارتيل بعامل العنف من خلال الفكر الوهابي إلى العراق والمنطقة عموماً. وربما لا نستثني من ذلك أية حركة عُنف حدثت على ساحة الواقع الإسلامي فإنه ليس لنا من صعوبة في التنبّه إلى ذلك إذا عُدنا إلى الوراء في عامل الزمن وأدركنا بأن العُنف يسبقه حركة نهضة فكرية.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (18): عصر التغيرات في العالم وظهور فلسفات الإنسان ومحاولة الشعوب في البحث عن هويتها الثقافية. في الوقت الذي بدأت كلي الدولتين الصفوية والعثمانية بالانحسار مقابل قوة التجمعات الفئوية والعشائرية.

الحدث	ميلادية	الملاحظات
الدولة الصفوية دخول العراق ثانية	1623	بعد انتصارهم على العثمانيين
وفاة بيكون	1626	فيلسوف غربي كبير
حرب الفرس والأتراك	1627	انتهت
معاهدة قصر شيرين	1639	وضع العراق تحت السيطرة العثمانية
احتلال البحرين من قبل شاه عباس	1640	بقيت 180 سنة تحت حكم إيران
وفاة صفي الدين الصفوي	1642	مؤسس الدولة الصفوية
وفاة غاليلو	1642	حوكم من قبل الكنيسة
البندقية نصرهم على العثمانيين	1645	انهيار العثمانيين
وفاة ديكارت	1650	مؤسس النهضة
حرب النمسا الثانية	1683	فشل احتلال النمسا من قبل العثمانيين
وفاة الحر العاملي محمد بن الحسن	1692	كتاب وسائل الشيعة
وفاة المجلسي	1698	صاحب البحار
وفاة فولتير	1711	مؤسس الثورة الفرنسية
مهاجمة إيران من قبل مير محمود الأفغاني	1722	بداية انهيار الصفويين
الدولة الصفوية انهيارها في إيران	1722	على يد القبائل الأفغانية
الدولة المشعشعية نهايتها على يد نادر شاه	1724	الدولة العربية في المنطقة
وفاة نيوتن	1727	العالم الكبير المكتشف
أول مطبعة تركية	1729	إبراهيم متفرقة
إيران انتصارها نهائيا على الأتراك	1730	طردهم من إيران
نادر شاه زار النجف مؤتمر النجف	1743	التصالح بين الشيعة والسنة
وفاة بيركلي	1753	فيلسوف كبير مثالي
وفاة مونتسيكيو	1755	فيلسوف الثورة الفرنسية

جدول رقم (١٨)

الحقبة التاسعة عشر: الدولة المملوكية في العراق 1159/ 1749 م إلى عام 1246/1831 م

تقريباً أقل من قرن، وهي الدولة التي وضعت أسس العصابات المتنافسة فيما بينها وبين العشائر، فالوالي المملوكي يستمد قوته من الإنكشاريّة[1] (غير المتسيسين) ومن العصابة المُدرّبة على القتل (Elite) التي يصطحبها معه عندما يأتي إلى العراق[2]. وقد سبّبت هذه الحالة انتشار

---

(1) هم مليشيا لهم نظامهم الخاص مفصول عن جيش الدولة يتم الحصول على أفرادها من خلال سرقة الأولاد من عوائلهم من المناطق التي يتم الاستيلاء عليها أو ممن يتبرع لأبناءه في سبيل الوطن، ثم يتم تربيتهم على صنعة القتال فقط لا غير ويكون أبوهم هو السلطان وليس أبوهم الحقيقي، كما لا يسمح لهم بالزواج إلا في وقت متأخر بعد التقاعد أو الإصابة بعاهة، وهؤلاء لا ينحصر عملهم في الجيش فقط، بل في جميع مرافق الدولة المُهمّة والحساسة وفي المخابرات. كان يؤخذ من كل خمسة أفراد من العائلة المسيحية فرد واحد للالتحاق بهذا التشكيل. ويبقى أفراد هذه المليشيات في ثكناتهم التي هي مدينة مكتملة معزولون عن المجتمع..... تمّ ربط الانكشارية بالطريقة البكداشية في سبيل إثارة روح الحماس والقتال والولاء للدولة... رئيس الانكشارية شخصية مهمة للدولة ربما الشخص الثالث في مراتب القوة.... وربما لا تُستثنى دولة من الدول التي حكمها الإسلام السياسي من وجود هذه الظاهرة التي غالبا ما تكون على صلة قويّة بالمؤسسة الدينيّة التي تعشش في بلاط السلطان وهي قوة الجانب الديني السياسي (ثقافة التسنن)، وهذا الشيء تجده في المغرب تحت أسم (عبيد البخاري)، وفي زمن محمد علي باشا مصر، وفي العراق في زمن سليمان باشا وهكذا، ولا تخلو دولة عربية اليوم (غير ديمقراطية) من وجود هكذا تشكيل في مؤسسة الدولة وهي قوة كبرى مهامها هو الحفاظ على سيطرة الجانب الديني لشخصيات (ثقافة التسنن) على قرار الدولة. أنظر للتفصيل: http//:en.wikipedia.org/wiki/Janissaries.

(2) كان هنالك دائرة في بغداد متخصصة بجلب الغلمان البيض من مناطق القفقاس أو غيرها في الوقت الذي كان الغلمان يُباعون هنالك في سوق خاص في تبليس عاصمة جيورجيا وكذلك كل جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق كالشيشان وأرمينيا وغيرها. وهذه الفكرة ليست بالجديدة في عالم السيطرة وإنّما كانت مستوحاة من البدو الذين كان عبيدهم يُمثلون الطبقة =

ظاهرة العصابات في العراق حيث صار لكل محلة من عصابة خاصة بها، وبقيت ربما إلى زمن مُتأخر إلى الستينيات من القرن الماضي[1].

= الرئيسية في انجاز مهام العشيرة، ولكن كان العبيد آنذاك ذو لون أسود. . . . في زمن معاوية (ت 61) توجه الحكام إلى صوب الدول ذو السُحنة البيضاء كأرض الروم تركيا الآن وبقيّة المناطق المجاورة لجلب الغلمان للقتال وللجنس الشاذ (Homosexuality) وكذلك كانت الفتيات الجميلات للتسري و(لملك اليمين). وقد انتشرت الظاهرة كواقع عام في زمن المأمون (ت 218) وأخيه المعتصم (ت 227). فكان الخلفاء والحاشية القريبة من الخليفة والطبقات الدينيّة في البلاط يموتون بطريقة غامضة وهو احتمال إما أن تكون الأمراض الجنسية الخطيرة قد انتشرت فيما بينهم أو بسبب قتلهم من قبل تلك الإماء أو الخصيان بسب التنافس أو التحاسد أو غيرها وهي ظواهر ربما تراها تنتشر في كل بقعة من بقاع العالم عندما يُشاع الجنس وتنتشر بتلك الصورة من الإباحية سواء أكانت في بلاط الملوك أو في الوضع العادي. . . . . ففي زمن المماليك انتشرت ظاهرة اللواط في الواقع العراقي من جرّاء انتشار هؤلاء الصبيان ما بين الطبقات الاجتماعية والذين كانت لهم حُظوة كبرى لدى المراكز الحكوميّة المملوكيّة، فتحول المُخنثون إلى طبقة مهمة بسبب قُدرة التأثير التي يمتلكونها في أوساط المماليك، كما هي ظاهرة الدعارة المقنّنة التي انتشرت في ذات الوقت ما بين الأوساط الحكومية. أنظر كتب علي الوردي في كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد 1965 ص 233، كما أنظر التقرير التالي:
http//:www.unodc.org/documents/data-and-analysis/Crime-statistics/International_Statistics_on_Crime_and_Justice.pdf.

(1) من الأمور التي تُشاع في الوسط العراقي بأن صدام حسين الرئيس العراقي السابق كان يرأس عصابة في محلة الفضل اسمها (قُنيّ) وقد سمى إبناه (عدي وقصي) جرياً على عادة العراقيين في التفاخر بالقوة، وكانت العصابة تتكون من شقاوات محلة (الفضل) المشهورة بكثرة العاطلين عن العمل ومن القتلة وقُطّاع الطرق، ومنهم جبار الكردي وصباح مرزة وغيرهم. فقد تحوّلت الدولة إلى قوة تديرها عصابة الحاكم ذاته وهي قوة الدولة البعثيّة بمؤسساتها من المخابرات والأمن والاستخبارات وغيرها من الأجهزة الكبرى التي كانت تقوم بمقام العصابات تلك. وقد بقيت تلك الحالة إلى حين ضُعف النظام ما بعد حرب الخليج الثانية حرب الكويت عام 1991 عندها تكاثرت العصابات بصورة كبيرة ولكن في هذه الحالة كانت مادتها هم عشائر الجنوب العراقي أي الشيعة المُهمّشين من العاطلين عن العمل ومن الطبقات غير المثقفة من الذين انخرطوا في أجهزة القمع العراقية، وهؤلاء كانوا منذ مجيء البعث إلى =

وأول شخصية مملوكيّة كبيرة مؤثرة في الوسط العراقي في البداية كان هو سُليمان باشا المُسمّى في اللهجة العراقية (أبو ليلة) (من الليل) وقد حكم بغداد 13 سنة وتزوجته (عادلة خاتون) (هنالك جامع في قلب بغداد باسمها) بعد أن كان يعمل مملوكاً لزوجها، ويقال بأنها قتلته لتتزوج سليمان (أبو ليلة) فكانت تُعامل سليمان الرجل القاسي المتوحش معاملة العبيد في البيت وكانت هي الحاكمة الفعليّة في الحكم، رئيس ديوانها كان رئيس الخصيتان وهي دائرة كبيرة تتكون من المماليك الذين يتم إخصاؤهم لكي يتمكنوا من الدخول على الحريم بدون توفّر عنصر الإثارة الجنسيّة تجاه نساء السلطان أو يستثيروا بهم[1] . . . . .

استورد هذا الحاكم عدداً كبيراً من الغلمان الذين كانوا يقودون العراق إدارياً في الوقت الذي كان الشعب يخشى جانبه، بل كانوا يرون فيه الشخصية القويّة التي يجب أن تقف عندها المواجهات. وعند موته جيء بفرمان من اسطنبول بتعيين (علي باشا) حاكم البصرة وهو ليس مملوكيّاً فدبرت له عادلة خاتون وزوج أختها عمر باشا (المملوكي) مؤامرة كبرى في إشاعة بأنه شيعي وأن الشيعة ليسوا ممن يَسمح لهم دينهم في الحُكُم فقتلوه ولم يخبروا اسطنبول بذلك ثم تولى عمر باشا الحُكُم بعده[2].

= الحُكُم في عام 1968 قد مد لهم النظام يد العون في العمل في أجهزة الجيش والمخابرات والأمن وبمراكز الحزب التنفيذيّة وبقيّة الفرق التي تعمل على حماية الرئيس كفدائيي صدام وجيش القدس وغيرها، وسنتكلم فيما بعد عن هذه الظاهرة عندما نصل إلى موضع البحث في التسلسل التأريخي.

(1) راجع مذكرات كارستن نيبور (بالألمانية: Carsten Niebuhr) مستكشف ورياضي وعالم خرائط ألماني) في كتابه (رحلة نيبور إلى العراق) ترجمة سعاد العمري، بغداد، 1954.

(2) كان أول من مدحه من العلماء بقصيدة هو الشيخ عبد الرحمن السويدي الشخصية السُنيّة التي كانت تُمثّل السُنّة في مؤتمر النجف. وكذلك سليمان الشاوي (شيخ مشايخ العبيد).

كان لواقع المماليك وسيطرتهم على الحُكُم أثر كبير على مسيرة العراقيين حيث وجدت العشائر بأن سيطرة المماليك ما هي إلا سيطرة عشائريّة ليس إلّا، فبدأوا بالعمل على الثورة ضدها لانتزاع الحُكُم منهم وخصوصاً عمر باشا الرجل الذي كان ألعوبة بيد عادلة خاتون حتى إذا ما اجتاح الطاعون بغداد ضعُفت السلطة المركزيّة فاستولت العشائر على بغداد، وما أن انجلى الطاعون حتى عاد ثانية عمر باشا ولكنه حورب هذه المرة من قبل الإيرانيين والأكراد حيث لم يستمر طويلاً بعد أن هاجمه حاكم ديار بكر فانتزع الحُكُم منه وقطع رأسه وأهداه إلى اسطنبول[1]. . . . . . .

في تلك الفترة سقطت البصرة بيد الإيرانيين ولكنهم لم يقتلوا حاكمها سليمان باشا (الثاني) بل أكرموه في شيراز، وبعد انسحابهم أعادوه إلى مركزه وبقيّ شخصيّة مهمة في تأريخ العراق وحكم 22 سنة، وكانت تلك الشخصية هي التي أدارت مُسلسل الصراع مع الوهابيين بعد أن استفحل أمرهم بشكل كبير. . . . . ثارت في زمنه العشائر فواجهها بشجاعة كبيرة وخصوصاً مع سليمان الشاوي شيخ عشائر العبيد، وثويني شيخ المنتفق وتغيرت الصورة بشكل سريع بعد اغتيال الأخير من قبل عبد أسود وهو في طريقه إلى قتال الوهابيين.

---

(1) قطع الرؤوس ظاهرة ارتبطت بما يُسمى بالفتح الإسلامي، والتي أخيراً تحوّلت إلى عملية تقرّب إلى فلسفة الحُكُم وفلسفة الدولة التي كانت تحكم وهي الدولة السياسيّة السُنيّة (مدرسة الخلافة)، وبقيت هذه الظاهرة حتى وقت متأخر في زمن المماليك والأتراك فكانت الرؤوس عندما تُقطع تُهدى إلى الخليفة في اسطنبول، ولم يكن علماء الدولة آنذاك يرون في ذلك مما هو مخالف للإسلام بل كانوا يُشجّعون عليها خصوصاً مع الفئات التي تختلف معهم فكرياً أو مذهبياً، ويمكن لنا أن نعتبر تلك الظاهرة منحىً ثقافياً ارتبط مع مدرسة التسنن. وليس أدل على ذلك من استمرارها إلى حين القرن الواحد والعشرين في حرب العصابات المتشددة الإسلاميّة (الإسلام السياسي السُني) في التخلص من أعدائها بل في أوساط الحكومات التي غيّرت الاسم إلى ما أسمته بعمليات (الإعدام) في تنفيذ الحُكُم في حالة الاختلاف الفكري أو السياسي.

وصل في ذلك الوقت الوهابيون إلى كربلاء يوم 22 نيسان 1802 فسلبوها وقتلوا فيها مقتلة عظيمة، ثم توجهوا إلى النجف ولكن النجفيين وقفوا لهم بالمرصاد فردوهم على أعقابهم فلم يكن منهم إلّا أن قاموا بغزو مكة والمدينة فاستولوا عليها وسرقوا كل مجوهراتها وباعوها في الأسواق. . . . وهذه هي أيضاً ظاهرة أخرى مرتبطة بثقافة البداوة التي انتقلت تدريجياً إلى الواقع الإسلامي الحاكم، مع أن الحُكّام كانوا يعتبرونها من الظواهر المرتبطة بالدين عندما يُريدون الانتقام من المقابل (أنظر فتاوى علماء السنة منهم المفتي الشيخ عبد الله في الفصل السابق).

استمرت في زمن المماليك ظاهرة الغزو ما بين الأطراف بأجمعها وخصوصا العشائر التي كانت تعتبر المماليك غُرباء عن الوطن كما في نفس الوقت ترى بأن فكرة الدولة المركزية مُخالفة لسياسة البداوة التي تعتمد على القوة وعلى الغزو. . . . . حتى وصل الأمر إلى داوود باشا[1] (ت 1268/ 1847 م) الشخصية المعروفة في العراق الذي كان أول من أدخل فكرة التغريب في التكنولوجيا وخصوصا في الجيش وفي الاتصالات والنقل والري. أما الوالي الذي سبقه وهو سعيد باشا أخ زوجته فقد كان ذو ميول جنسية شاذة[2] وهو هنا مشابه في طريقة إدارته إلى الدولة إلى محمد علي باشا مصر، وهما كانا في وقت واحد يحكمان العراق ومصر.

(1) شخصية مُثيرة للجدل سُرق وهو ابن 13 سنة من أبويه من جيورجيا تبليس، واشتراه مصطفى بك الربيعي ثم باعه إلى الوالي سليمان باشا الكبير الذي زوجه ابنته ثم تدرّج إلى أن صار قائداً للعراق. في جيورجيا أمه كانت حيّة في ذلك الوقت وكان كلما بنى مسجداً في بغداد بنت هي كنيسة في جيورجيا، وكانت تقول بأن ذلك هو غفران لذنوب ابنها.

(2) لقد ذكر لنا التأريخ بأنه هام عشقاً بشاب وسيم من لبنان من بلدة (بعقلين) اسمه حمادي العلوجي يُسمونه البغداديون (أبو عقلين) وصار ذلك الشاب المُخنث هو السلطان الفعلي. وقد قتل داوود باشا سعيد باشا وقطع رأسه وأهداه إلى الأستانة كما قتل البغداديون المخنث فيما بعد.

استعرت في اسطنبول ظاهرة التجديد والحداثة والتي سُميّت (التغريب) التي قادها سليم الثالث والتي على أثرها تمّ قتله علي أيدي الانكشارية العثمانيين (كان في أثنائها يعزف على آلة Reed Flute المزمار)[1] وجاءوا بعده بمحمود الثاني (الشخص الوحيد المتبقي من آل عثمان) خليفة وكان هذا متنوراً يرافقه رئيس وزرائه عليمدار مصطفى باشا[2] ولكن التكتل الديني وبطانة السلطان (ثقافة التسنن) تمكنوا من إقناع الانكشاريين والجيش من قتله بعد ثلاثة أشهر، وقد تراجع على أثرها السلطان من الاستمرار في ظاهرة تحديث الدولة وانتظر حوالي خمسة عشر سنة إلى أن حانت الفرصة في التخلّص من الانكشارية[3] وانتهى أمرهم من خلال التحلّل من فكرة

---

(1) من أهم علامات جرائم القتل التي تُخطط لها شخصيات (الثقافة السُنيّة المتسيسين) هو إظهار علائم الحزن على القتيل بطريقة تُبعد الشُبهة في تورطهم في ذلك، كما في نفس الوقت يضعون سيناريو تراجيدي يُظهر القتيل وكأنه بريء مثل سيناريو بأن القرآن كان بين يديه، أو أنه كان نائم مع زوجته أو أنه كان يلعب بالمزمار وذلك لإضافة صفة البراءة على شخصيته من أجل تحميل المنفذين للقتل في المستقبل فيما لو انتفضوا على مُحركيهم في اتهامهم بذلك، هذا بالإضافة إلى أنهم يبكونه ويمشون في جنازته، وقد تجد ذلك أمراً مشابهاً بل مشتركاً في كل عمليات القتل التي مورست من قبل أعمدة الثقافة السُنيّة مثل الخليفة عثمان وسعد بن عبادة والمقداد بن الأسود، والوليد بن خالد بن الوليد وغيرهم كثيرون. . . انظر أيضاً في بداية الكتاب أسماء الضحايا في التأريخ الإسلامي القديم.

(2) عليمدار مصطفى باشا ذو أصل أوكراني قاد جيش إحتلال البوسنة والبلقان ثم اليونان. في زمنه 1809 كُتب أول دستور في تأريخ الدولة الإسلاميّة الذي بموجبه حُدّدت سلطة الدولة.

(3) الانكشارية هي سلطة الجيش الذي كان يعيش خارج معادلة السياسة، يقود هذا الجيش فئتين وهما الطرق الصوفية (البكداشية) وعلماء السلطان، فكانت مصالح العلماء مع القوة خصوصاً إذا مال السلطان إلى التحلّل من الالتزام بمصالح الطبقة الدينية، أو فيما لو فكر في التوجه إلى فكرة التوحيد مع المذاهب الإسلاميّة أو التجديد أو غيرها مما يُقلل من سطوة العلماء فإنهم عندئذٍ يلتزمون جانب الجيش في الانقضاض على السلطان وكأنهم في موقع ما يُسمى بيضة القبان. وقد بقيت حالة الصراع ما بين الجيش وبين الحكومة باقية لوقت متأخر من العصر =

التأسيس وهم (البكداش) الصوفيّة، فاستدعى محمود الثاني العلماء وحصل منهم على فتوى بكفر البكداشية وبذلك تمّ التخلص منهم وذبحهم بطريقة غاية في الوحشية في عام 1241/ 1826 م.

وهنا نحن أمام ظاهرة ثقافية في تُغيّر الفتاوى تبعاً لواقع القوة وليس لطبيعة السلطان، وهي مُبرّرة في التفكير السياسي السُني باعتبار أن الشرعيّة تُكتسب فقط من (القوة) والخليفة هو من يمتلك القوة وليس من يمتلك شروط الخلافة والقيادة. . . . . . هذه الظاهرة لم تجدها في الفكر الشيعي ولا في ثقافته إلا اللهم في فترة من فترات بداية الدولة الصفويّة التي كانت تلتزم (ثقافة التسنن) في الحُكُم و(ثقافة التشيع) في المجتمع. أما لو عدنا إلى أصل فكرة الخلافة أو القيادة فإننا سنجد البون الواسع فيما بين الثقافتين السُنيّة والشيعيّة[1].

وبذبح الانشكارية في تركيا تمّ التخلص أيضا من المماليك ومن الانكشارية في بغداد بمذبحة كبرى لم يشهدها التأريخ، كما تمّ ذبح البكداشيين كذلك. ثم وفي تلك الفترة عادت الخلافة العثمانية برموزها لتحكم ليس من خلال سلطة وسطية وإنّما بصورة مباشرة.

= الحديث حيث قاد الجيش التركي في القرن الماضي عمليات كثيرة من الانقلابات ضد الحكومات تلك التي لا تتوافق مع توجهات القيادة العسكرية إلى أن تمّ أخيراً وفي أواخر زمن رجب طيب أرودوغان أن تُسحب من الجيش الصلاحية الكبرى في السيطرة على قرار الحكومة.

(1) عندما دخل البريطانيون (غير المسلمين) العراق في عام 1921 وأرادوا بناء مؤسسات الدولة لم يترددوا في الاستعانة بنفس رموز (ثقافة التسنن) التي كانت جزء من نظام الدولة العثمانية (الإسلامية)، وهذا أمر تمكّن البريطانيون من معرفته بسبب أن أصول الخلافة في (الثقافة السنية) هو القوة والسلطة وهو الذي يكسب الشرعيّة في الطاعة، بينما عانى البريطانيون الكثير في تعاملهم مع (الثقافة الشيعية) بسبب امتلاكهم مقاييس أخرى للحكم والحاكم. (انظر حسن العلوي، المصدر السابق، الشيعة والدولة القومية).

الظواهر الثقافيّة كانت كالتالي:

- سيطرة أجنبية (المماليك) تمتلك قوة وتخطيط تمكّنت من تأخير ثقافة تطوير الشعب لقرون من الزمن.
- ظهور قدرات الجانب القبلي العشائري العربي النازح من الجزيرة وهي القبائل ذات الثقافة البدويّة السُنيّة.
- تلويث أخلاق المجتمع العراقي بمرض العصابات ومرض الشذوذ الجنسي وكذلك التسري والخصيان والدعارة.
- بداية تشيّع القبائل العربية التي سكنت العراق وانحسار التسنّن من الجنوب.
- حدوث مذابح كبرى في الوسط العراقي وصار العنف سمة ملازمة لمسيرة الدولة والشعب.
- ظهور أول تهديد عالمي للثقافة السُنيّة وهو الحداثة والانفتاح ووصول قيم ثقافة قدرات الإنسان إلى الوسط العثماني والذي على أساسه تصدّع حاجز ثقافة التسنّن من أن تمنع الدول من التفاعل مع الأمم الأخرى.
- فتح باب الطباعة واكتشاف وسائل الإعلام تهديد آخر كبير إلى الثقافة السنية.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (19): توجه الشعوب إلى التحرر من سيطرة الثقافات الدينية، ثم اشتداد الصراع ما بين فكر الدولة وفكر البداوة. في الغرب نرى بأن فكر الشخصيات الثقافيّة قد بدأت آثار ثماره تؤتى. تعملق الروس وزيادة طمعهم بالمنطقة الإسلاميّة جنباً إلى جنب البريطانيين بل كل الأوروبيين.

الحادثة	ميلادية	ملاحظات
وفاة يوسف البحراني	1741	عالم إخباري كبير
نادر شاه وبداية الدولة الإفشارية	1747	مقتله
المماليك في العراق بدايتهم	1749	تحت الحُكُم العثماني
وفاة ديفيد هيوم	1776	فيلسوف غربي كبير
وفاة جان جاك روسو	1778	الفيلسوف الكبير
وفاة الوحيد البهبهاني	1791	حارب الإخبارية والتصوف
وفاة محمد بن عبد الوهاب	1792	مؤسس الوهابية
الدولة القاجارية في إيران بدايتها	1796	دولة كبرى
حملة نابليون على مصر	1798	أول دخول غربي
أول استعمار أوربي لمناطق المسلمين	1798	هولندا والبرتغال
وفاة عبد العزيز محمد بن سعود	1803	جد آل سعود
الصرب وثورتهم ضد الأتراك	1804	الأتراك واجهوهم بقساوة
وفاة عمانوئيل كانت	1804	المفكر الكبير
الإمبراطورية الرومانية المقدسة نهايتها	1806	وبداية عصر النهضة
حرب روسيا وتركيا	1812	لمنع الدستور
وفاة جعفر كاشف الغطاء	1813	دافع عن النجف ضد الوهابيين
وفاة ميرزا محمد الإخباري	1816	قتل وانتهت الإخبارية
معاهدة ارض روم الأولى	1823	إعطاء المحمرة إلى إيران
الانكشارية التخلص منهم	1826	على يد محمود الثاني
ثورة الحلة ضد الأتراك	1826	قتل الآلاف من الشيعة

الحادثة	ميلادية	ملاحظات
وفاة الاحسائي أحمد	1826	مؤسس الشيخية
ثورة كربلاء ضد العثمانيين	1826	في زمن داوود باشا قتل الآلاف
استقلال اليونان عن الدولة العثمانية	1827	بداية التشظي
إيران تنازلت عن باكو وكاراباخ	1828	بقيت أرمينيا إلى روسيا
وفاة هيغل	1831	الفيلسوف الجدلي
وفاة محمود الثاني	1839	تخلص من الانكشارية
الدولة العثمانية في العراق الأخيرة بعد المماليك	1847	بعد سقوط المماليك
وفاة جارلس دكنز	1870	الكاتب البريطاني
الثورة الثانية لكربلاء ضد العثمانيين. نجيب باشا	1878	مقتل 24 ألف شيعي
احتلال روسيا لإيران	1911	في زمن ناصر الدين شاه

جدول رقم (١٩)

الحقبة العشرون: الدولة العثمانية 1268/ 1847 م إلى 1313/ 1914 م:

هذه الفترة هي ربما الفترة التي كانت أهميتها كبيرة لمستقبل الصراع ما بين الثقافتين خصوصاً وأن الصراع تحول إلى أشكال أخرى من خلال توسّع المعرفة ووسائل الإعلام وصدور الصحف والكتب والمجلات. . . . وكان أول من فتح باب فكرة توزيع السلطات هو عزمي أفندي الذي كان سفيراً لتركيا في فرنسا والذي عاش أحداث الثورة الفرنسية، والذي من خلال ذلك نقل مفاهيم نوعيّة السلطات التشريعية[1]، فللمرة الأولى يكتب لطفي باشا عن فكرة (الرئيس والبرلمان) وأن الرئيس شخصية مسؤولة أمام سلطة أخرى، بمعنى آخر كان ذلك أول مسمار في نعش (نظرية الخلافة) التي تسير عليها الدولة العثمانية وكذلك الدول التي سبقتها لأكثر من اثني عشر قرناً من الزمن.

كما كتب في ذلك صادق رفعت باشا في عام 1809 أول اقتراح قُدم إلى السلطة العثمانية في تنظيم وتوزيع السلطات، وكان صادق باشا[2] هو سفير تركيا لدى فيينا وصديق الأمير مترنيخ مستشار النمسا (ت 1859) وهو أول شخصية أوروبية وضعت سياسة التوازن في أوروبا بعد نابليون.

عندها تحركت ثقافة الجماهير في تركيا وخصوصاً المثقفين ليكوّنوا أول تجمع دستوري وهو (تركيا الفتاة) وهو أمر مقتبس من الوضع الإيطالي في إحياء فكرة الدستور، ولكن السلطة العثمانية بقيادة علماء ثقافة التسنّن

(1) Cited in Ahmad Jevder Pasha, Tarib, Vol. VI. PP 394-401. English Translation in By B. Lewis (The Impact of French Revolution on Turkey, Journal of World History. Vol I,1953.

(2) Sadik Rifat Pasha, Muntebabat-I Asrar (Istanbul: n.d.). P. 4, Another version in Abdulrrahman Seref, Tarib Musabebeleri (Istanbul: 1340\1922.

أقنعت السلطان بأن هؤلاء روافض وغربيون ويهود وأنهم يُريدون السوء بالدولة الإسلاميّة مما دعاه إلى نفيهم، وفي عام 1876 رجعوا واقنعوا السلطان عبد الحميد الثاني (ت 1918) بكتابة دستور يتكون من مجلس شيوخ وأعضاؤه مُعيّنون ثم نُواب ينتخبهم الشعب وهو مشابه للدستور البلجيكي في ذلك الوقت.

وهنا تحوّلت الصراعات الثقافيّة إلى صراع يبدو للعامة بأنه صراع الحديث مع القديم، أما الواقع فإنه التنافس بين الثقافة السُنيّة التي حكمت تركيا منذ بدايتها والتي كانت تُصرّ على إبقاء كل القوة بيد شخصية الخليفة (مدرسة الخلافة)، وبين الثقافة الشيعيّة التي كانت ترى بأن الأمر (شورى) أي أن ينتخب الشعب ممثليه (مدرسة الشورى الإمامية). . . . . .

فكان في الجانب الأول هم كل علماء السُنّة في بلاط الخليفة بالإضافة إلى المفتى وشيخ الإسلام وأئمة الجوامع والوعاظ، بل معظم الكارتيل السني في الدولة العثمانية، خلفهم يقف معظم جماهير الشعب التركي الفقير وذلك برفع لافتة (لا لبيع تركيا إلى الغرب). أما البقيّة من دُعاة الدستور والإصلاحيين فإنهم قُدُرات علميّة مُثقفة درست معظمها واطلعت على الغرب بالإضافة إلى التيار الشعبي العام المتأثر بثقافة التشيّع المنفتحة[1].

التسنّن الثقافي يمتلك حساسيّة مُطلقة من مبدأي (الحرية الفكرية) و(الحرية السياسية) وذلك من خلال الاعتقاد بأنه مدخل من مداخل انهيار

(1) ينضوي تحت ذات المفهوم الشعوب المتأثرة بالثقافة الفرنسية كشمال أفريقيا. . . . فكل الدول التي تأثرت بالثقافة الفرنسية وبثورتها كان لها نصيب من الثورة في عام 2011 أي الربيع العربي (بتوفر حد من الديمقراطية) وهذا شيء فيه ربما الكثير من الغرابة خصوصاً عندما نجد بأن تونس كانت أول دولة عربية تكتب دستور لها في عام 1861، بعدها مصر في عام 1866.

السيطرة السُنيّة السياسيّة على قرار الدولة عموماً، وهو أمر لا يخلو من الواقعيّة. . . . فقد قاوم علماء السُنّة العثمانيين بشكل كبير إدخال أول مطبعة إلى الدولة العثمانية وأفتوا بحليتها في عام 1727 م بعد أن قاومها العلماء مقابل الرأي الحكومي ولم يوافق الكارتيل الديني على ذلك إلا بعد نصف قرن من الصراع الدائم على شرط أن تُوضع تحت وصايتهم وبشكل مُشدّد، وكانت حُجتهم هي طبع آيات مُحرّفة من القرآن. وعلى ضوء ذلك كان لقرار الدستور الذي أعلنه عبد الحميد الثاني[1] الذي أثار حنق علماء التسنّن في العالم الإسلامي قاطبةً والتي على أثرها كان لهم موقف رد فعل في الوقوف تجاهه. . . . . . .

فالانكشاريون في ذلك الوقت كانوا قد صاروا في خبر كان بعد أن تمكن منهم جده محمود الثاني في واقعة (الخيرية)[2] عام 1826 وهم الذين كانوا ذراع تلك الطبقة الدينيّة المتسيّسة في الوقت الذي توجه الجيش النظامي إلى الحرفيّة في العمل العسكري مع عدم حنقه على الطبقة الدينيّة التي كانت تُدير البلاط العثماني. . . . .

(1) الخليفة الثاني بعد المائة، والرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادس والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة أعلن 1294 / 1877 أثناء خطبته في افتتاح أول برلمان يعرفه العالم الإسلامي منذ يوم السقيفة 11 هجرية 632 م وأشار إلى أسباب انحطاط الدولة وتأخّرها وألقى باللوم على (ثقافة الدين) التي كان العثمانيين يلتزمون بها، كما أكد على أهم مفهومين وهما: نشر التعليم والمساواة بين الجميع والعدل في الأحكام. وهو مخالف تماماً لما تؤمن به (ثقافة التسنن) بل أدبيّات (الثقافة الأشعرية) التي ترى بقتل الآخرين المخالفين أي (الكفرة).

(2) انظر إلى اسم المذبحة الرهيبة التي أطلق عليها اسم إسلامي (الخيرية) وقارنها بمذابح مشابهة حدثت في القرن العشرين باسم قرآني هو (الأنفال) في العراق على يد صدام حسين بعد أن أباد في تلك العملية أكثر من مائة ألف كردي وأزال تقريباً ألفا قرية كرديّة. أنظر الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Al-Anfal_Campaign.

فلم يبق أمام أعمدة ثقافة التسنّن من بطانة الدولة من القوى المتنفذة إلّا في الجماهير المضطهدة التي تسكن في أوروبا الشرقية أي بلغاريا وإقليم البلقان بحجة توجه الدولة العثمانية إلى التغريب واحتمال بيعهم إلى الغرب وقتلهم فيما بعد بسبب مساندتهم المسلمين العثمانيين. . ولذلك ثار البلقان في صربيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك على العثمانيين. . . . .

هذا في نفس الوقت فقد كان شيوخ الإسلام منهم حسن فهمي أفندي على صلة وثيقة بالسفير الروسي والتي أدت تلك العلاقات بعد افتضاحها إلى أن يثور عليه الشعب التركي، فخرجت أثناء توليه منصب المشيخة مظاهرة كبرى أرادت قتله فهرب ثم عين السلطان عبد العزيز شخصية لا تقل سوءاً عن الأول وهو خير الدين أفندي الذي بقي على صلة وثيقة مع الروس أيضاً[1]. . . . .

في هذه الأثناء دخلت النمسا وروسيا في حرب تمكّنت الدولة الأخيرة من انتزاع المناطق الارثوذوكسية من العثمانيين، ولكن السلطان عبد الحميد وقف موقفاً شجاعاً ولم يسقط بل أوقف الدستور إلى أن انتهت الحرب بتوقيع معاهدة سان ستيفان ثم مؤتمر برلين في عام 1887 حتى قبيل عزل عبد الحميد في عام 1909 تمّ عقد البرلمان بعد 32 سنة وذلك في عام 1908.

---

(1) الروس في ذلك الوقت وقبل اندلاع الثورة البلشفية عام 1917 كانوا من الشعوب الارثوذوكس التي تعيش في صراع دائم مع المسلمين بسبب التداخل ما بين الشعبين، كما أن احتلال عاصمتهم القسطنطينية من قبل الأتراك كان له أثراً فعّالاً في روح العداء إلى المسلمين. . . . . هذا الموقف ومواقف أخرى خططت فيه روسيا من أجل تحطيم الدولة العثمانية داخلياً باستعمال العامل الديني وذلك بفتح قنوات مع المؤسسات الدينيّة المتنفذة الذين كانوا يشاركون الروس في مستقبل خروج تركيا من قبضة تلك الثقافة، وهذا الموقف لم يقتصر على تركيا فحسب وإنّما كان في إيران كذلك وبقيّة الدول المحيطة التي كانت تُدين بالإسلام.

وهنا نجد بأن فكرة إثارة إقليم البلقان على الدولة العثمانية من قبل الجانب الديني الذي كان لا يمتلك من قوة فعليّة داخلية في ذلك الوقت مما وجد نفسه في موقع التعاون (التآمر) مع الروس (الطامحين) قد انعكس سلباً ليس فقط على الدولة (الإسلامية) بل على ذات الثقافة (السنيّة) فخسرت الدولة معظم وجودها في أوروبا، بل أن ما كانت تخشاه تلك الثقافة قد توسّع بشكل كبير وأصبح مستقبل (الثقافة السُنيّة) في مهب الريح خصوصاً بعد أن تبنى فكرة (الدستورية) الشيعة الإيرانيون والعراقيون مع اختلاف جوهري بين الثقافتين فيما يتعلق بهذا الأمر وهو تبني الشيعة من المراجع للدستور وليس الشعب فقط، وهي خطوة مهمة جداً بل أساسيّة في مسلسل الصراع. . . . وهذا يعني بأن بوصلة الانفتاح الفكري والحرية السياسيّة سيمتلكه (الشيعة) سواء (بثقافتها) أو (مذهبها). . . . . .

وقد سُميّت هذه الحركة آنذاك بمصطلح (المشروطة والمستبدة) والتي استعرت في زمن الشاه القاجاري ناصر الدين شاه الذي اغتيل في عام 1898[1] وخلفه ابنه مظفر الدين شاه، ولكنه لم يستمر بعد أن تكوّن

(1) تيار المشروطة، أي الدستورية، وتيار المستبدة، أو الحُكُم المطلق. استمرت من عام 1905 إلى عام 1911 ارتبط الأول باسم الشيخ محمد حسين النائيني (ت 1936)، والثاني باسم محمد فضل الله نوري، وضع العلامة النايني أفكاره في كتابه «تنبيه الأمّة وتنزيه الملة»، فكرته أن كل نُظم الحُكُم غير شرعية في عهد الغيبة (حسب منطوق علم الكلام الشيعي)، غير أن الشكل الدستوري أنسب من الحُكُم المُستبد على قاعدة مصلحة المجتمع. ويرى أيضاً أن من حق الأمّة أن تتولى سد مناطق الفراغ في التشريع، أما خصمه فضل الله نوري (المستبدة)، فيُحاجّ بأن السلطة سلطتان، سلطة الحُكُم للتنفيذ، وسلطة الإمام (الغائب) للتشريع، معطياً الحق للأولى في الوجود، ما دام كلاهما واجباً. . . وعارض نوري حق البرلمان في التشريع على قاعدة أن التشريع لله وحده، كما رفض دخول غير المسلمين (الذميين) في البرلمان، وأخيراً عارض فكرة الانتخاب كنوع من التوكيل، وأفتى بعدم جوازها. . . . الثورة =

البرلمان في تشرين أول 1906 وأصبح أمراً واجباً في المصطلح الشيعي بعد أن سانده معظم (علماء) الطائفة الشيعيّة الذين كانوا آنذاك في النجف حاضرة العالم الإسلامي[1]، بينما وقف ضده قلّة منهم السيد كاظم اليزدي (ت 1340/ 1919) في النجف أما في إيران فكان القتيل هو السيد النوري (ت 1906).

فالثقافة الشيعيّة تتميز بأن رجال الدين هم مع الشعب وأن قراراتهم مرتبطة بالحالة الاجتماعية، بينما نرى العكس في الثقافة السُنيّة التي تسير قراراتهم مع توجهات القوة والسلطة. . . . . فقد ابتدأت الحركة التغييرية في إيران من قبل الشعب من خلال حادثة معروفة[2]، أما في تركيا فإن قادة التغيير كانوا نُخبة أو عيّنة من المثقفين ممّن دَرَس في الغرب وتأثّروا بالثورة

= الدستورية أعدمت نوري، ومضت إلى إيجاد حل خاص للعلاقة بين الدنيوي والديني. فأقرت مبدأ أن يختار البرلمان خمسة فقهاء من بين عشرين فقيهاً تُرشّحهم المراجع الدينيّة ابتغاء تقديم النصح والمشورة لمجلس الأمة.

(1) مرزا حسين الخليلي (ت 1326/ 1908 م)، النايني (ت 1356/ 1936 م)، الشيخ محمد كاظم الخراساني الآخوند (ت 1329/ 1911 م)، والسيد إسماعيل الصدر كربلاء (ت 1338/ 1919 م)، والشيخ محمد تقي الشيرازي سامراء (ت 1337/ 1920 م)، والشيخ عبد الله المازندراني (ت 1330/ 1923 م)، الخالصي (ت 1334/ 1922) هذا في العراق، أما في إيران فكان العالمان الكبيران اللذان رفعا لواء الدعوة إلى الدستور هما السيد محمد الطباطبائي، والسيد عبد الله البهبهاني تبعهم الشخصية الكبرى المعروفة فيما بعد وهو جمال الدين الأفغاني (آغا سيد جمال الدين) (ت 1897).

(2) حاولت الحكومة الإيرانية معاقبة بعض المُخالفين بتعزيرهم في ضرب الأرجل (الفلقة)، ولكن أولئك الأفراد التجأوا إلى الجامع لحمايتهم فوقف معهم الشعب وكذلك إمام الجامع الطباطبائي، وعندما جاءت المخابرات لاعتقال الطباطبائي ثار الشعب وخصوصاً البازار وانتقلت الثورة إلى العلماء ليس في إيران فحسب وإنّما في كل العالم الشيعي وخصوصاً النجف حيث تصدّى للشاه علماء كبار لمساندة مطالب الشعب التي تحوّلت من أن تكون محصورة في هؤلاء المطلوبين إلى المطالبة بتغيير الدستور وتحديد صلاحية الشاه.

الفرنسية، حيث وقف علماء الثقافة السُنيّة موقفاً معادياً لهم ولأفكارهم من خلال إصدار الفتاوى وتكفيرهم خوفاً من احتمال فُقدانهم للقوة التي اكتسبوها من اعتمادهم على قوة الدولة.....

فالثقافة السُنيّة قوتها ليست ذاتيّة ولا ترتبط بمفاهيم الدين، بل أنها مُكتسبة من قوى الدولة، وهو ما يترك في مسيرتها شعور (بعدم الأمان) والخوف من أي تغيير مستقبلي ترميه الجماهير، لأنّ الحُكُم السياسي مُتغيّر بطبيعة شخصياته ومصالحه..... فقد بدأت الخُطط المعارضة لفكرة الدستور من قبل الكارتيل الديني العثماني بإعلان آني أسموه (الجمعية المحمدية)[1] التي شكلها الكارتيل المتسنن السياسي لمقاومة فكرة الدستور[2].

ولو عدنا إلى كلي الحدثين في إيران وفي تركيا لوجدنا بأن الجهة التي كانت تقف على النقيض من الدستور هم (الروس) من جهة حيث احتلوا تبريز كذلك البعض ممن يحمل (ثقافة التسنن)، كذلك في تركيا كانت الجهة المتضررة هي التي رفعت شعار المعارضة وهم المتسننون السياسيون

(1) دوما العنف هو البديل الذي تُقدّمه الثقافة السُنيّة لكل تغيير إجتماعي أو إصلاحي سواء أكان ذلك التغيير جاء من قبل الدولة أو من قبل المجتمع، باعتبار أن العنف يُلغي الفكر ويُحوّل المفاهيم إلى واقع (تعصبي) وهو ما يوفّر الأرضية لتلك الثقافة من إشغال المجتمع ثم يأسه من التغيير والتجديد والعودة بدلها إلى الواقع الذي كان سائداً فيما قبل حركة التصحيح.... وقد لا يُستثنى من ذلك أي حركة أو تغيير حدث في القرون الماضية أو القرن الحالي، وأمامنا ظاهرة الربيع العربي وأحداث العراق والشيشان والبوسنة وسوريا وبقيّة الدول والذي تمكّنت الثقافة السُنيّة فيه أن تقدّم الإرهاب والعنف كمفهوم بديل للتغيير.

(2) تمكّنت هذه الجمعية من تدبير إنقلاب مضاد كما يسمى على السلطان وبما أسموه واقعة 31 آذار التي هاجمت فيه الناس سرايا الحكومة متهمينها بأنها صارت لعبة بيد الماسونية فحدثت مذابح كبرى أدت إلى عزل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في نيسان 26 عام 1909.

يقودهم شيوخ الإسلام وهؤلاء كانوا على صلة قريبة جداً بالروس مع أن البعض كان يرى بأن الغزو الروسي للبلقان كان بتدبير مع شيوخ الإسلام[1] وخصوصا حسن فهمي أفندي.

أما السلطان عبد الحميد الثاني فإنه كان ذي توجه معتدل وقد اكتشف منذ بداية تسلّمه منصبه (بقي 33 سنة في الخلافة) بأن نظام الثقافة السُنيّة قد أضرّ بتركيا وأن عليه أن يحفظ الدولة بما يتمكن، فقد كان هنالك احتمال أن تزول كل تركيا بعد أن أصبحت كياناً مريضاً مشلولاً لا قدرة لها على رد الاعتداء، فكانت بريطانيا والنمسا وروسيا ودول البلقان تعدُّ العُدّة لأخذ الثأر من الأتراك لما سببته لهم من مآسٍ ومذابح. . . . .

فقد لا نستغرب في أن نجد أدبيّات الثقافة السُنيّة عندما تصف السلطان عبد الحميد فإنها تضع على شخصيته الكثير من الغموض والاتهامات إلى

---

(1) شيخ الإسلام هو أكبر شخصية إسلامية رسمية وكانت درجته لا تختلف في قدرته عن قوة السلطان ورئيس الوزراء، وقد توالى على هذا المنصب في الدولة العثمانية منذ تأسيسها إلى حين سقوطها 175 شيخاً. كان شيخ الإسلام يعمل في الخفاء على حفظ العلاقة ما بين ثقافة التسنّن وبين الدولة وترجمتها إلى حاجة الدولة إلى المفهوم الديني الذي يخدم توجهات الدولة. فقد يقيم شيخ الإسلام علاقات وطيدة مع دول عديدة من أجل خلق حالة من التوازن مع قوة السلطنة. فهناك من الروايات تشير إلى أن شيخ الإسلام في زمن عبد الحميد الثاني خير الدين أفندي الذي جاء خلفاً لفهمي أفندي بعد أن اتُهم بالتعاون مع الروس في أحداث احتلال روسيا لتركيا جاء كرد فعل على تبني السلطان فكرة (الدستور) والبرلمان الذي لم يبق إلاّ تسعة أشهر فدخل الروس إلى تركيا ووصلوا على بعد 50 كم من الأستانة. كان انزعاج شيوخ الثقافة السُنيّة متأتٍ من اعتبار البرلمان والدستور هو بديل للمنصب الديني (بتفرعاته) الذي تلتزم به الدولة. . . . ومن الغرابة أن نجد الروس وفي هذه الفترة بالذات قد لعبوا نفس الدور في إيران كما في تركيا من أجل منع تحقيق خطوة تحقيق الدستور والتي على ضوئها تأخّر تطبيقها فترة ليست بالقصيرة إلى أن حدثت مذابح كبرى تمكن الشعب بعدها من تحقيقها. (تتابع الأحداث تجدها في كتاب الوردي اللمحات، المصدر السابق).

الدرجة التي يرى البعض فيه بأنه مولود غير شرعي من أم شركسية ولأب أرمني (بدروس) هرب بعد أن حملت أمه، كل ذلك بسبب أنه كان ينظر إلى تركيا أولاً والى مستقبلها بعين الواقعية، فقد اكتشف أهمية التحلل من تأثير رجال الدين الذي أحاطوا به[1] واستعملوا قوة الدولة من أجل استثمارها في الصراع ما بين القوى الدينيّة وكذلك الحرب المذهبيّة، فقد قرّب السلطان في أيامه الأخيرة شخصية بديلة لمجموعة التسنّن السياسي وهو جمال الدين الأفغاني (ت 1315/ 1897 م) وهذا ما أثار حفيظة سلاطين ثقافة التسنّن في تقريبه لشخصية شيعية[2] وكانت الخشية أن تتكرر قصة تشيّع الشعب الإيراني على يد السلطان المغولي خدابندة (ت 715/ 1316 م) بعد أن تأثّر بالعلامة الحلي (ت 726/ 1305 م) في طريقة تعاطيه مع الفكر الإسلامي.

ويبدو أن عبد الحميد كان من السياسيين المتمرسين الذين اطّلعوا على مسيرة الواقع العالمي ودور الدين المسيحي في تقويض الدول والصراع مع الشعب، كذلك اكتشف بأن فكرة فصل الدين عن السياسيّة كما هي في العالم المسيحي هو الحل البديل فقط لإنقاذ الدولة العثمانية، ولكنه كان

---

(1) كما هو حال التوصل من قبل الرؤوساء الأمريكان منذ فترة ريتشارد نيكسون (ت 1994) والى حين رئاسة جورج بوش الابن وكذلك من جاء بعده بأن القرار الأمريكي مُسيّطر عليه من قبل مراكز القوى اليهودية الصهيونية المتسيسة.

(2) فوشيّ عليه لدى عبد الحميد الثاني كل من شيخ الإسلام آنذاك حسن فهمي أفندي (ت 1876)، وأبو الهدى الصيادي (ت 1909) فيما بعد وتمكن الأخير من أن يقتله بحادثة على يد طبيب عراقي اسمه (جارح) غدراً، مع أن التقارير تشير إلى أن القاتل كان السلطان نفسه وهذا غير صحيح بل أن القتلة كانوا قادة ثقافة التسنن السياسيّة المسيطرين والمنتفعين من واقع القوة التي توفّرها لهم السلطة، كما قتلوا الشهيد الثاني (ت 665/ 1557م) فيما قبل بعدما وجد فيه السلطان القانوني بأنه أجدر من يمكن الاعتماد عليه. أنظر الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Jamal_ad-Din_al-Afghani.

يواجه كل ما كان يخطط له من قبل علماء الدين في تركيا بحرمة كل تلك الخطوات في الوقت الذي كان الرأي العام (الإعلام Media) بيد القوى الدينيّة المُتنفّذة، فقد أشيع بأن عبد الحميد ذو أصول مجهولة أو يهودية ثم قام التيار الديني بإحداث فجوة كبرى فيما بينه وبين رئيس وزرائه مدحت باشا بعد أن قرر مدح الأخير على حساب الانتقاص من الخليفة، وهنا أقدم الخليفة على تقريب الصوفيين وهم بقايا الطريقة الانكشارية وقد أدّى صراع النفوذ ذلك إلى مقتل مدحت باشا بطريقة غامضة[1].

---

(1) مدحت باشا رجل ذو توجّه حداثي وهو سيد التغيير في ذلك الوقت، كما هو الخليفة ولكن الأقطاب الدينيين (الثقافة السُنيّة) وجدوا انه لمن المهم إفناءهما وقتلهما معاً، وفعلاً تمّ ذلك من خلال إغراء مدحت باشا في قيادة محاولة إنقلاب كانوا قد وعدوه بأنهم سوف يساندونه، ولكن بمجرد أن استعرت حتى تبيّن السلطان الأمر فقرر اعتقال مدحت باشا بتُهمة إغتيال عمه عبد العزيز، ثم قُدّم إلى المحكمة وصدر عليه حكم بالإعدام ولم تتحرك الطبقة الدينيّة بأي خطوة تجاه إنقاذ رقبته كما كانت قد وعدت بها، فتدخل السفير الإيراني محسن خان لدى الخليفة لتخليص مدحت باشا بعد أن أقنع الدول الغربية أن تقف معه لأن السفير الإيراني كان قد اطلع على مُخطط الكارتيل الديني بصورة أو بأخرى عندما حاولوا ضمّه إلى المخطط، ففاتح محسن خان السلطان ولكن السلطان كان قد وصل إلى قناعة كبرى بأن مدحت باشا صار جزء مهم من البطانة الدينيّة وأن كليهما يُخطط لقتله فنفاه ثم أرسله إلى الطائف السعودية بعد أن طمأنته مشيخة الإسلام بأنه سيكون في مأمن عندما يكون في السعودية، ولكن ما أن حلّ هنالك حتى تمّ اغتياله هنالك في عام 1883. ولكي تواصل الطبقة الدينيّة المتنفذة عملها ومخططها في التخلص من ثان عمد من أعمدة التجديد لف رأس مدحت باشا في علبة كُتب عليها لوحة فنيّة من اليابان مُرسلة إلى السلطان، وبمجرد أن فتحها حتى بان له رأس مدحت باشا عدو الأمس وكان إلى جنب الرأس ورقة مكتوب عليها لا تنتظر يومك. . . . اهتز السلطان عبد الحميد لهذه الواقعة وأدرك مُتأخراً بأن بطانة الدين كانوا قد خططوا للتخلص من كليهما وأنه لم يستمع إلى نصيحة محسن خان عندما كلمه في مخطط تلك البطانة فقرر مواصلة التخلص من الطبقة الدينيّة التي تُحيط به وهي الطبقة المستترة التي من الصعوبة تبيّن شخصيّاتها، ولكن تلك الطبقة افتعلت له حوادث الأرمن بطريقة استفزازية مما حدى بالجيش إلى ارتكاب مذابح كبرى في الوقت الذي كانت الطبقة الدينيّة تحثّ الجيش على إنقاذ سُمعة الدين في التخلص من =

ما هي حصيلة الصراع... ثقافياً:

- من أخصب فترات التأريخ طُراً بعد حدث يوم السقيفة 11 هجرية بلحاظ صراع الثقافتين، فلقد كانت بداية نهاية النتيجة لمادة الصراع.
- خسارة كبرى للفكر الإسلامي كرسول سماوي إلى البشر في أن يهتدوا وأن يكتشفوا قدراتهم في علاقتهم مع الإنسان ومع السماء.
- انحسار فكري واضح في أدبيّات ثقافة التسنّن بعد أن أظهرت تجربة إثنا عشر قرناً من الزمن بأن النتيجة لم تتوافق مع التوقعات، بل ظهرت بأن الدين سار بنفس اتجاه مواد ثقافة قريش في القوة والاستيلاء وقتل الإنسان.

= الأرمن وذلك في سنة 1896، ولكن المذبحة تمت بطريقة أثارت دول العالم الغربي على شناعة ووحشية الأتراك في الوقت الذي تملّص علماء الدولة من ممارسات الحكومة التركية وأعلنت بأن السلطان هو من ارتكب المذبحة.... وهنا لم يكن من عبد الحميد إلاّ أن ردّ على الكارتيل الديني بخطوات مُهمة في سبيل رفع مستوى فكر المجتمع بدلاً من التوجه إلى عدو متخفي يعشش في كل مراكز القوة، فأعلن مبادرته إلى إنشاء الجامعة الإسلاميّة العالمية وهي خطوة أثارت حنق الطبقة الدينيّة ولكنه استمر في إصلاحاته وانتهى من بناء سكة الحديد المشهورة بين دمشق والمدينة، كما طمأن العالم المسيحي بأنه ليس من نوع السلاطين الذين يكنّون العداء للغرب فاستقبل في اسطنبول غليوم الثاني ملك ألمانيا وزوجته وتوجهوا بعدها إلى القدس لإقرار عالميّة الإسلام وتسامحه في الوقت الذي شنّت عليه دعايات التعصب الديني جام غضبها خصوصاً بعد أن قبّل غليوم الثاني خد السلطان..... ويقال بأن شيخ الإسلام أبو الهدى الصيادي كان الطابور الخامس الذي يدفع السلطان عبد الحميد باتجاه الخطوات التي كان الكارتيل الديني يُخططها بعد أن وثق به السلطان وجعله من المقربين، وقد لعب الصيادي دوراً كبيراً في إثارة النعرات الطائفيّة في مصر وفي العراق وغيرها بعد أن تمكن من أن يمد آل سعود بالقوة سراً في محاربة التجديد وكذلك الأمر مع الشيخ محمود شكري الآلوسي في العراق وطالب النقيب البصرة وإبراهيم الراوي بغداد.

- إنحسار عام في نفوس الناس عن الاعتقاد بما يحمله دُعاة التسنّن السياسي، بل كل الدعاة الإسلاميين سُنّة كانوا أم شيعة.
- مقتل عدد من السلاطين بتُهم متعددة ثم إزاحة الكثير منهم لمعارضتهم فكر متنفذي ارستقراطية الدين (ثقافة التسنن)، كما دخلت الدول الإسلاميّة في حروب راح ضحيتها ملايين من المسلمين من أجل الحفاظ على مراكز النفوذ الديني أو تحقيق العصبيّة الطائفيّة.
- سيادة الثقافة الغربية وتمكنها من الخيار الإسلامي بعد أن تحوّلت إلى قدرة (ثقافية) وليست (دينية).
- تفويت فرصة التفوق الثقافي الإسلامي على ثقافات الأمم الأخرى من جرّاء صراع الثقافتين.
- تحوّل كبير باتجاه العنف المُخطط المُستتر وكذلك الاتصالات مع دول العالم من أجل وضوح حقيقة ثقافة التسنن.
- انحسار التضييق الإعلامي بعد ظهور وسائل الإعلام والمطابع وانكشاف الوزن الحقيقي للثقافة السُنيّة.
- استقرار شكل الثقافة الشيعيّة بجوانبها الأدبية والسياسية وظهور الثقافة على شكل دولة هي إيران بعد أن تركت الجانب المذهبي للتشيع والتزمت جانب الثقافة الشيعيّة لحد ما.
- بدء عمليات التخطيط المخفي السري ضد من يسير بطريق التغيير والحداثة.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم 20: توجه الفكر العالمي إلى مفاهيم الحرية والانعتاق، بداية تأثير أفكار الثورة الفرنسية واقترابها من أفكار ثقافة التشيع.

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
وفاة إبراهيم باشا	1848	غزا الحجاز
وفاة محمد علي باشا	1849	حاكم مصر
مقتل قرة العين	1852	المرأة الإيرانية الشيخية
وفاة مرتضى الأنصاري	1864	مجدد إمامي
مقتل ابراهام لنكولن	1865	محرر العبيد
وفاة القندوزي الحنفي الرافضي	1877	مؤلف كتاب ينابيع المودة
أول برلمان تركي	1878	بقي 30 يوما فقط في زمن عبد الحميد
وفاة غاليباردي	1882	محرر إيطاليا
وفاة ماركس	1883	صاحب كتاب رأس المال
وفاة عبد القادر الجزائري	1883	الثائر الجزائري
صادق المخزومي العاملي	1885	أول من خفف الأجواء في مدح العثمانيين
وفاة محمد حسن الشيرازي	1894	صاحب ثورة التنباك
وفاة محمد باقر الخونساري	1895	صاحب المشروطة
مقتل ناصر الدين شاه القاجاري	1896	أغتيل، أراد أن يضم هرات إلى إيران
اغتيال جمال الدين الأفغاني	1897	يُعتقد اغتاله الصيادي
وفاة بسمارك	1898	الألماني
وفاة الكواكبي عبد الرحمن	1902	المجدد
وفاة هرتزل	1904	مفكر الصهيونية
وفاة محمد عبدة	1905	المجدد
المشروطة والمستبدة	1906	الحركة الدستورية في العراق وإيران
وفاة مصطفى كامل	1908	الزعيم الوطني المصري
أعيد البرلمان التركي ثانية والى الآن	1909	بعد 30 سنة في زمن آخر خليفة
وفاة الآخوند	1911	قاد تحرير إيران من الروس
الدولة العثمانية في العراق نهايتها	1914	في ثورة الجنوب
الحرب العالمية الأولى	1914	تركيا خسرت أراضيها

جدول رقم (٢٠)

الحقبة الواحدة والعشرون: الحرب العالمية الأولى..... 1914 إلى بداية الحرب العالمية الثانية 1939

من الصعوبة الإلمام بكل أحداث تلك الفترة التي تلت عزل عبد الحميد عن الخلافة ووصول محمد الخامس (رشاد) ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى التي كانت النتيجة الحتمية لواقع ثقافة مهلهلة سيطرت على عقول المجتمع الإسلامي بل مجتمعات تُمثل أكثر من نصف العالم آنذاك من خلال دولة سُميّت (إسلامية) وبثقافة سُميّت (سنية) وبشخصيات سُموا (شيوخ الإسلام) وبشعب تمّ تسطيحه فكرياً ودينياً مع تفشي الأميّة والجهل والفقر وانعدام الصحة وافتقاد مقومات حق المواطن. . . . . .

فمهما قيل ومهما كُتب عن رخاء الدول الإسلاميّة فيما يتعلق بحق المواطن أو بانتشار التحضر فهو كلام هراء لا يمكن لنا أن نستوعبه أو أن نُصدّقه، فقد كتب التأريخ السلطة ذاتها أو وعّاظ السلطة أو ممن هم من المنتفعين من استمرار ذلك الكيان السياسي. . . الثقافة السُنيّة كانت هي (المحمل) أو القاعدة التي بُنيّت الدول عليها بما تحمله كلمة الثقافة من تفرعات إيديولوجية ودينية واجتماعية وسياسية[1].

---

(1) ومع الأسف فإنه لمن المحزن أن نجد حتى في الوقت الحالي من الألفية الثالثة وفي العقد الثالث من الزمن ونحن نُطالع المواقع الالكترونية أو الكُتُب التي تصدر أو الأدبيّات بأن هنالك أكثر من إطار يرمي إلى تزييغ وانحراف المعلومات بما يخدم مفاهيم ضيّقة جداً كالطائفية والعصبية. فقد كان الأجدر ونحن نتجاوز عصر التكنولوجيا أن نواجه تأريخنا وأن لا نكذب لا على أنفسنا ولا على شعوبنا في مجريات ذلك التأريخ. . . . فخداع الأمّة والجماهير هو بمثابة تجمّع لسيل من الغضب يتنامى في مخزن التأريخ إلى اليوم الذي ينفجر بعنف كبير كما هو واقع الربيع العربي الذي انفجر بتلك الشدة في عام 2011 وهي الصورة إلي رأينا منها فقط القليل مما من المفترض أن يكون، بقيّ الكثير الذي ينتظر الفرصة المناسبة للانفجار والتحدي.

فالحرب العالمية الأولى التي اشتركت فيها تركيا إلى جانب الألمان كانت نتيجة وليست مُبادرة أو مشروع، فقد كانت في ذلك الوقت حدث متّصل بالتاريخ الذي كما ذكرت صنعته وهندسته ثقافة التسنّن التي ابتدأت به أفكار السقيفة والتي كانت الحلقة التي ربطت ثقافة البداوة بالفكر الإسلامي، وكان كمن يُهجّن خلية تمتلك عدداً من الكروموسومات مع خلية أخرى تملك عدداً مختلفاً من الكروموسومات فيكون الناتج (الهجين) شيئاً غريباً عن واقع الحياة لا يتلاءم مع مجرياتها ولا مع قوانينها، بل يتحول وبمرور الوقت إلى خطر على المجتمع لأنه غريب عن تركيبته وقوانينه. . . . هذه الغرابة في المسيرة لهذا الهجين أنتج مآسٍ وكوارث كبرى على حياة المجتمعات خصوصاً تلك التي تعجز عن إدراك خطورة ذلك (الهجين) على مستقبلها، وهكذا سارت الأمور في المجتمعات التي اعتنقت الإسلام وكان لها أن تدخل في حرب شعواء كبرى سحقت كل آمال معتنقي فكر الإسلام وتحوّل المسلمون إلى شعوب مهلهلة ضعيفة فقيرة بكل شيء من السياسة إلى العلم إلى الفكر وهكذا.

فكان قرار تركيا في الدخول في حرب أمراً أكاد أقول عنه بأنه كان طبيعياً ولو لم تدخلها - فرضاً - فإنها كانت ستتحول إلى لُقمة سائغة لبقيّة الأمم. . . . والثقافة السُنيّة هي من هيّأت المجتمع والجو العام لهذه الحرب، وهي من أقام هكذا مجتمع حرب تنخُرُ به الأمراض والعُقد والجهل، مجتمع بعيد ليس فقط عن فهم الأرض بل عن فهم السماء وخالقها وأوامره. . . . .

فقد أفتى شيوخ الإسلام بوجوب الدفاع عن الإسلام (دفاع) وأصدروا ثلاث فتاوى حشّدوا فيها المسلمين وكانوا آنذاك ربما نصف مليار ليدافعوا عن دولة بائسة كانت تسرق منهم أرزاقهم وأموالهم بحجة الجهاد عن

الإسلام[1]. فقتلوا من الناس مقتلة عظيمة وأباحوا شعوباً بأكملها بحجة رفضهم التطوع إلى الحرب.

لم يكن من خيار أمام شيوخ الإسلام (خيري أفندي، وعلي حيدر أفندي) تبعهم معظم أقطاب ثقافة التسنّن إلّا أن ترى في هذه الفرصة الذهبية أمراً مُهماً بعد أن وصلت قدرة تلك الثقافة إلى واقع بائس، فما كان عليها إلّا أن تُعيد أوراق اللعبة من جديد من خلال حرب مدمرة كبيرة تُصيب المجتمع بيأس عارم مما يحدوها إلى التماس النجاة من الدين، عندها سيكون لذات شيوخ الإسلام الذين أعلنوا الحرب في توجيه الجماهير إلى ما يريدونه من وضع المجتمع على سكة ذات الثقافة التي وضعوها منذ أيام السقيفة.

ولكي يُعمّقوا فكرة العودة إلى ذات الثقافة ثانية فإنهم يتنادون بإلقاء تبعات الهزائم على ترك الدين، فالجماهير بما هي بسيطة في غياب الثقافة وانتشار الأمية فإنهم بالتأكيد سيشترون كل تلك الأقاويل فتخرج أعمدة التسنّن منتصرة بالحالتين في حالة الهزيمة وفي حالة وجود السلطة. . . . . . ولو تابعنا مقولات الإسلاميين السياسيين منذ ربما دعوات ابن تيمية (ت 728/ 1327 م) والى العصر الحالي مروراً بكل من نادى بمقولات الإسلام السياسي من التكفير والهجرة إلى الإخوان إلى الطالبان إلى القاعدة إلى كل تفرعات الإسلام السياسي السني والشيعي فإنهم يتفقون على نفس المقولة في حالتي الخسارة والربح مع غياب الربح دوماً تلك هي: أن السبب هو ابتعادنا عن السُنّة النبوية والدين الإسلامي والقرآن. . . . ولازالت والى اليوم ترى ذات المعزوفة هنا وهناك يلوكها أعمدة تلك الثقافة وبشكل اجتراري.

(1) عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، المصدر السابق.

لم يستجب إلى فتاوى شيوخ الإسلام القابعين في اسطنبول إلا الشيعة في العراق، وهم من أكثر الأمم الذين أوقع بهم سيف الثقافة السُنيّة قتلاً، فقادوا ثورة كبرى وذلك في عام 1915[1]. أما بقيّة العالم الإسلامي فإن العثمانيين قاموا بسرقة شبابهم في حملات مُنظمة بعد أن نصبوا مشانق في كل مدينة لإعدام من يتخلف عن الالتحاق بالحرب. . . . . وهنا بات الأمر واضحاً في طريقة التعاطي التي مارستها ثقافة التسنّن ومدرسة الخلافة في دفع الناس إلى القتال. . . .

لقد انقسم أعمدة ثقافة التسنّن إلى قسمين قسم يُشجع الدولة العثمانية إلى الدخول في الحرب، وقسم آخر يُغازل دول التحالف وخصوصاً بريطانيا وروسيا مطالبينها في مساعدتهم للتخلص من ظلم العثمانيين، حتى تورطت تركيا تماماً في الحرب بعد أن تمّ التخطيط للقيام باعتداءات على سفن روسيا وبريطانيا بشكل أظهر رئيس الوزراء (أنور باشا) ووزير الحربيّة وبقيّة المسؤولين عن الدولة وكذلك الخليفة بأنهم ليس لهم علم عن من كان وراء الاعتداء على السفن التابعة إلى روسيا وبريطانيا.

---

(1) قاد التصدي للبريطانيين في عام 1915 الذين دخلوا العراق محتلين من جبهة البصرة فكان الشيعة يقودهم مراجعهم الدينيين مثل محمد سعيد الحبوبي جنباً إلى جنب مع قتلتهم العثمانيين والتقوا بالانكليز في مدينة (الشعيبة)، وهنالك وبسبب سوء وضعف العثمانيين في التجهيز هربوا وتركوا العشائر الشيعيّة تقاتل لوحدها، وهنا خسرت العشائر واستعدوا لهم في جبهة الكوت لمواجهة أخرى ولكن القائد التركي سليمان عسكري بيك انتحر فما كان من العراقيين الشيعة إلاّ أن اعتبروا هذا التصرف بأنه نوع من الجُبُن عليهم أن يغسلوه بقتل الجبان، فهاجموا عندها الحامية التركية في النجف وطردوا الأتراك. وتسمى هذه الواقعة في التأريخ معركة (المشاحيف) أو معركة هور (أبو عرّان). حيث كانت النجف أول مدينة عربية تتحرر من سلطة الأتراك. راجع:
http//:www.alhassanain.com/arabic/magazin/iman/iman_7_10_3/27.html.

وفي أول اجتماع للقادة الأتراك مع الخليفة استقال أربعة وزراء وهنا أعلنت دول الحُلفاء الحرب رسمياً على تركيا فشتتوها بطريقة غاية في السُخرية حتى وضعت الحرب أوزارها فلم يكن من القائد الجديد أتاتورك (ت 1938) إلّا أن اعترف بأن هزيمة تركيا كانت بسبب الواقع الديني المسيطر على تركيا (ثقافة التسنن) بكامل تشكيلاته، فقرّر في ذات اللحظة التنازل عن كل ما تمّ احتلاله إلى الحلفاء ثم إلغاء الخلافة الإسلاميّة وغيرها مما يتعلق بالدين. شاركه في ذلك كل رجال تركيا المخلصين بعد أن ظهر جليّاً بأن دخول تركيا الحرب التي لم تكن لها فيها من ناقة ولا جمل كان بسبب الواقع الديني الذي تقوده مشيخة ثقافة التسنن.

بخسارة تركيا في الحرب خرج المسلمون أذلاء بين أمم العالم فتحولوا إلى شعوب ضعيفة تفتقر إلى أبسط متطلبات الحياة، في الوقت الذي خرجت بقيّة الدول منتصرة في تشكيل أمم جديدة في أوروبا بعد أن أوقفت الحرب من خلال اندلاع ثورتين داخليتين هما الثورة البلشفية عام 1917 وثورة نوفمبر في ألمانيا عام 1918 فما كان من دول المحور إلّا أن تفككت وذابت أربعة إمبراطوريات هي المجرية النمساوية والروسية والألمانية والعثمانية.

سيطرت دول الحلفاء المنتصرة على الدول الإسلاميّة فجاء أعمدة ثقافة التسنّن ذاتهم ليكونوا القادة والرؤساء لتلك الدول ويعود العلماء والمشيخة وكل من كان سابقاً مع الدولة العثمانية إلى منصبهم السابق ولكن في دول ضعيفة مجزّءة مستعمرة من قبل الغربيين، في الوقت الذي كان الغربيون على معرفة متكاملة بواقع الثقافة السُنيّة التي تميل إلى القوة باعتبار أن الشرعيّة مرتبطة بعامل القوة والسيطرة والعصبية البدويّة فتحولت دول الإسلام إلى واقع مُتأخر ضعيف وهو كما ذكرت ليس بالأمر المُستغرب في مسيرة التأريخ، فالثقافات غالباً ما تتصارع على الساحة إلى أن تصل إلى النقطة

التي تنفذ فيها الثقافة الفارغة قدراتها في المواصلة والاستمرار فتكون هنالك ثلاث احتمالات مواجهة لتلك الأمّة أو لتلك الثقافة وهي:

- إما أن يُسيطر عليها مُجرموها[1].
- أو أن تموت بسبب ضعف العلاقة ما بين الإنسان وأخيه الإنسان مما يسبب في استفحال غضب الطبيعة من مرض أو طوفان[2] أو غيرها.
- أو أن تتحول إلى أكلةٌ للأمم الأخرى[3].

أو ربما أن اضمحلال الثقافة وموت الأمّة يتدرّج حسب النقاط الثلاث وهذا ما أراه طبيعيّاً في شكل الإنذار التاريخي لتلك الأمة. . . . . فقد سيطر المجرمون على مسيرة المسلمين فكان معظم الرؤساء والخلفاء أناس سفاكون للدماء قتلة متوحشون منذ بداية عهد ثقافة التسنّن التي بدأت ما بعد السقيفة بعد تداخلها مع الثقافة البدوية، فكان رد السُنّة التأريخية أن دُمّرت الشعوب من خلال الأميّة والجهل والمرض وتأخر المعرفة، بعدها تمكّنت منهم الأمم الأخرى فاستعمرتهم وحولتهم إلى عبيد لهم في شكل التبعية.

فقد بقيت ألغاز الحرب العالمية الأولى ودخول تركيا فيها أمراً محيراً جداً للكثير من المحلّلين السياسيين والتاريخيين حيث أن الأمر لم يكن يهم لا من قريب ولا من بعيد، فقد اغتال شاب (كافريلو برينسب) 19 سنة في

---

(1) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123].

(2) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

(3) ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4].

سراييفو (صربيا) الواقعة تحت حكم مملكة النمسا وولي العهد (فرانس فرديناند)[1] برصاصتين أدت إلى أن تتحالف روسيا (باعتبارها ارثوذوكسية المذهب كما هم الصرب) مع بريطانيا وفرنسا ضد النمسا (المستعمِرة) فعندها عاونت الأخيرة ألمانيا في الوقت الذي لم تكن الدولة العثمانية لها من وجود في كل تلك الدول بعد انحسارها التام في القرن السابع عشر.

والشيء الغريب أن روسيا كانت اللاعب الكبير والأساسي في جرّ تركيا إلى الحرب طمعاً في مناطقها بينما كانت الدولة الأخيرة تلفظ أنفاسها في الهزال والضعف. كان ذلك الموقف بعد أن وجدت ثقافة التسنّن بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من مأزق تخليّ الدولة العثمانية عن تلك الثقافة واستبدالها بدستور وبرلمان.

فقد كانت الخيارات التي أمام ثقافة التسنّن في أعقاب الحرب العالمية الأولى هي:

- انهيار الدولة بالكامل وتحميل الجانب الديني المُتمثل بثقافة التسنّن (مفتى الإسلام) ومؤسساتها مأساة الانهيار.

---

(1) من الصعوبة استيعاب قصة مقتل ولي عهد النمسا من قبل تخطيط شخص بهذا العمر كما هي قصة مقتل الرئيس الأمريكي كيندي في عام 1964 من قبل (أوزوالد). مع أن البعض من المقالات تُشير إلى أن القاتل كان ينتمي إلى مؤسسة معارضة لحكم النمسا، ولكن مهما قيل عن كل ذلك فإن السر الكبير يبقى يبحث عن إجابة شافيّة. . . فمن الأمور التي نشرتها بعض المصادر الأجنبية هو أن أب القاتل كان يعمل عند إقطاعي مسلم في البوسنة وإنه كان يدفع له أكثر من ثُلث حاصله وإن سبب ثوريّة الإبن ضد النمسا هو فكرة الاستعمار، هذه المعلومة لم أجدها في المصادر العربية التي كتبتها شخصيات التسنّن السياسي التي تنقل قصة حياة القاتل، بل أنها موجودة فقط في المصادر الأجنبية، وهذه الألغاز عندما تجتمع فإنها تُثير أكثر من علامة استفهام على مجرى الأحداث والتي تحتاج إلى تتبّع وتمحيص. أنظر:
Schlesser, Steven: The soldier, the Builders & Diplomat. Cune Press, Seattle, USA. 2005.

- أو أن تقفز إلى الساحة القوة الكبرى المجاورة وهي القوة الإيرانية (الشيعية) المنافسة لها.
- أو أن تتحرك دول العالم الغربي في تمزيق الدولة العثمانية بالطريقة التي يُمكن للقوى المُتسننة من أن تُعيد حسابات السيطرة والتحالفات معها ثانية.
- أو إعادة قوة الدولة ثانية من خلال المؤسسات العثمانية الثقافيّة (الغربية) الجديدة التي بدأت تُزيح الدين وشكله وثقافته عن مسيرة الدولة.
- أو انقلاب عسكري يقوده الجيش وصراع أهلي في حرب داخلية.

بالتأكيد كان خيار العقلاء كما يقولون هو التعامل مع الغربيين روسيا وبريطانيا وفرنسا (الخيار الثالث) كمخرج للأزمة التي وصلت إليها ثقافة التسنّن بعد أن أدرك أطراف الدولة مدى عُمق التأثير الذي أحدثته ثقافة التسنن التي كانت تنتشر في كل أقطار البلدان الإسلاميّة مستخدمة الجانب الديني في فرض الأمر الواقع، وتوجيه الأمور نحو أدبيّات تلك الثقافة وهي السيطرة والقوة والحكم. . . . .

فقد كان خيار التعامل مع الأجانب حل مهم بل وحيد أمام ثقافة التسنّن بعد أن بان جليّاً بأن الشعوب الإسلاميّة بدأت تُدرك مدى خطورة أدبيّات تلك الثقافة على الدولة، فقد أشار السلطان عبد الحميد الثاني وكذلك من قبله بضرورة التخلص من تلك الثقافة ومن قادتها وأدواتها بعد أن أدركوا بأن مآسي الدولة وطريقة إداراتها وصراعاتها كان نابعاً من قُدرات المتنفذين السياسيين الدينيين الذين تمكنوا من إقناع السلاطين السابقين وخصوصاً محمود الثاني (ت 1220/ 1839 م) من التخلص من الانكشارية لكي

تضعف الدولة ويصفي الجو إلى القوة الوحيدة المتنفذة وهي القوة الثقافيّة السياسيّة السُنيّة الدينية.

وهكذا تمّ رسم سيناريو مُبررات شن الحرب على الدولة العثمانية من قبل روسيا وبريطانيا بحادثة الهجوم على الدوريات العسكرية البحرية التابعة لكلا الدولتين إلى أن فُرضّ على الدولة العجوز أن تنحاز إلى إمبراطورية النمسا عدوتها اللدودة وإلى ألمانيا صديقتها العاقلة بعد أن بان لأمم أوروبا بأن التركة العثمانية هي الطُعُم المقصود والمهم لها في استمرار سيطرتها على العالم خصوصاً بعد أن أدركت بأن الثقافة السُنيّة وأدبياتها لا تُمانع من أن تُهئ الأرضيّة الفكريّة والفلسفية لشكل السيطرة تلك باعتبار أن فلسفة تلك الثقافة هو عامل (القوة) و(الدولة) وليس عامل الدين أو الإيديولوجيا. . .

وهنا أصبح الطريق مُمهداً وبشكل واضح أمام تلك الدول في إعلان الحرب على الدولة العثمانية في الوقت الذي كانت أعمدة (التسنّن الثقافي) تعمل عملها من داخل الدولة في إثارة الرأي الوطني باتجاه التهيئة للحرب ورفع شعارات محاربة الكفرة والصليبيين الذين يُريدون السوء بالإسلام.

كان الناتج في الحرب العالمية الأولى نقطتان مهمتان وهما معاهدة (سايكس بيكو 1916)[1] و(وعد بلفور 1917)[2] فكانت الأولى قد قسمت المناطق الإسلاميّة بالطريقة التي تضمن استمرار السيادة الغربية مع الاحتفاظ بقُدرُات ثقافة التسنّن في شكل الحُكُم للبلدان التابعة إلى بريطانيا وروسيا وفرنسا. والثانية هي تقديم وطن قومي إلى اليهود في فلسطين. . . .

الشريف حسين (ت 1931) كان من الرافضين لحالة الاتفاق مع

(1) https//:en.wikipedia.org/wiki/Sykes%E2%80%93icot_Agreement.
(2) https//:en.wikipedia.org/wiki/Balfour_Declaration.

الغربيين بريطانيا وفرنسا في استعمال الدين باتجاه السيطرة والحكم ولذلك فإنّ الدول الغربية عجّلت في نفيه ثم قتله وكذلك طرده من الحجاز على يد القادم الجديد المُمثل الرسمي لثقافة التسنّن وهم آل سعود الذين كانوا على توافق مع نظرية الغرب في تقاسم الأرض الإسلاميّة ما بين سيادة (الثقافة السنية) في الحُكُم وقوة الغرب في تثبيت البلد. وهو الخط الجديد الذي ظهر ما بعد الحرب العالمية الأولى في التعامل مع مستجدات التغيير العالمي بغيّة إبقاء قوة الثقافة السُنيّة مستمرة في الدول العربية الجديدة.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (21): ما بعد الحرب العالمية الأولى تبين الانحسار الكبير للتوجهات الدينية الثقافيّة على مستوى التسنن وظهور التيارات الدستورية الثقافيّة على مستوى التشيع. كما يبين الأحداث المدلهمة التي واجهت المجتمع العربي.

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
ثورة الشعيبة العراق	1914	ضد البريطانيين
سايس بيكو	1913	لتقسم الهلال الخصيب
ثورة النجف	1918	ضد البريطانيين
وفاة عبد الحميد الثاني	1918	عزل بسبب الدستور
وفاة محمد الخامس	1918	آخر خليفة عثماني
وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني	1918	قائد المشروطة
معاهدة مودرس	1918	استسلام الدولة العثمانية للحلفاء
إعلان الحرب بين الحجاز والعثمانيين	1919	على يد الشريف حسين
وفاة كاظم اليزدي	1919	قائد المستبدة
وفاة إسماعيل الصدر الكبير	1919	جد آل الصدر
ثورة العشرين في العراق	1920	ثار الشعب ضد البريطانيين
وفاة فتح الله الأصفهاني	1920	قائد المشروطة
وفاة محمد تقي الشيرازي	1920	قائد ثورة العشرين

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
معاهدة سيفر	1920	استقلال كردستان
قرار الانتداب	1922	من قبل عصبة الأمم المتحدة
وفاة جمال باشا السفاح	1922	أعدم ضباط في سوريا
وفاة محمد الخالصي الأب	1922	قائد الثورة في العشرين
الهجوم الوهابي على النجف	1922	لتهديم القبر
نهاية الدولة العثمانية	1923	بإعلان علمانيتها
معاهدة لوزارن	1923	تثبيت حدود تركيا الحالية
وفاة محمود شكري الالوسي	1924	كبير سلفيي العراق
وفاة لينين	1924	مؤسس الشيوعية
نهاية القاجاريين وابتداء االبهلويين	1925	في حكم إيران
مؤتمر علماء بغداد	1926	لإعادة الوحدة الإسلامية
وفاة سعد زغلول	1927	قائد مصري
وفاة الشريف حسين بن علي	1931	نفاه البريطانيون
وفاة محمد سعيد الحبوبي	1933	قائد الثورة ضد دخول البريطانيين
وفاة رشيد رضا	1935	قائد النهضة المصرية
وفاة بافلوف	1936	العالم الروسي
وفاة النايني	1936	واضع أول نظرية سياسية
استقلال لبنان	1943	عن فرنسا
وفاة محمد جعفر أبو التمن	1945	زعيم عراقي كبير
انتحار هتلر ادولف	1945	الزعيم الألماني
استقلال سوريا	1946	عن فرنسا
استقلال الأردن	1946	عن بريطانيا

جدول رقم (٢١)

الحقبة الثانية والعشرون: الحرب العالمية الثانية 1939 إلى احداث سبتمبر 2001.

بنت معظم أمم الأرض وثقافاتها بقدرات علميّة وفكريّة مبتعدين عن ثقافة الدين المُسيّس فتحولت الأمم التي تحاربت وتقاتلت بعد الحرب العالمية الأولى إلى أصدقاء بل إلى كيان موحد، كذلك تبعتها دول العالم غير الإسلاميّة إلى أن دخل العالم في حرب عالميّة ثانية عام 1945 وكانت في الحقيقة مرتبطة بالحرب العالمية الأولى باعتبار أنّ الحرب الأولى في الواقع لم يكن فيها اعتراف بانتصار، وإنّما كانت هنالك ثورات شعبية داخلية فرضت واقعها على ذات الدولة لكي تنسحب من الحرب ما عدا الدولة العثمانية التي دخلت حرباً فعليّة وزجت بالملايين من المسلمين في محرقتها وكانت الخاسر الأكبر فيها، في الوقت الذي لم تشعر قيادات الثقافة السُنيّة بمرارة الخسارة وإنّما كانت تُلقي باللوم على الظروف وعلى الوضع مع اطمئنان لديها في قُدرتها على استعادة مركزها مع أي نظام سياسي قادم. . . فالدين التبريري أمر مهم لكل نظام سياسي قائم في تلك الفترة من الزمن إلى أن تبدّلت الصورة الآن فيما بعد تأريخ أحداث سبتمبر 2001 وبعد أن ساد شيء من الوعي في صفوف الشعوب.

جاءت الحرب العالمية الثانية على خلفيّة توزيع التركة للدول الخاسرة وخصوصا الدولة العثمانية التي كانت ألمانيا ترى فيها بأن ذلك الإرث يجب أن يكون من حصتها وعلى ضوء ذلك غزت ألمانيا بولونيا وفرنسا لاستعادة ما خسرته في الحرب الأولى[1] وقتل في تلك الحرب ما يقارب مائة مليون

(1) خسرت ألمانيا 12.5% من مساحتها و12% من سكانها، وحوالي 15% من إنتاجها الزراعي و10% من صناعتها و74% من إنتاجها من خام الحديد، والتزمت على أن لا يزيد الجيش الألماني على مئة ألف جندي، ودفع تعويضات كبيرة للحلفاء.

إنسان، فالحرب الثانية كانت نتيجة للحرب الأولى. ولكن الدول الإسلاميّة لم تشترك في هذه الحرب ما عدا العراق الذي انقسم ما بين المُعسكرين. أما تركيا فإنها كانت لاتزال في ذلك الوقت تلعق جراحاتها بعد أن قررت ترك ثقافة التسنّن والتوجه إلى الواقع العلماني في فصل الدين عن السياسة.

أما الدول العربية والإسلامية فقد قبعت تحت الحُكُم الغربي (وهذه سُنّة التاريخ) تنتظر من يتفضل عليها بمكّرُمة أو مساعدة. . .، وهنا لنا أن نعيش الحدث في الفرق بين الثقافة المتأصّلة الذاتيّة التي كانت الدول الغربية تتبناها كألمانيا والمجر والنمسا (أي الخاسرة) فإنها وخلال أقل من ربع قرن على الهزيمة وإذا بها دول كبرى قوية تمكّنت من استعادة مركزها الثقافي والسياسي، بينما من الطرف الآخر الدول الإسلاميّة ذات الثقافة الضعيفة المصطنعة (ثقافة التسنن) قد تحوّلت إلى دول أتعس مما كانت قبلاً. خصوصاً تلك التي أصرّت على فكرة الاستمرار في تبنيها لثقافة التسنّن ورفض الاعتراف بخوائها مثل العراق والسعودية وسوريا واليمن ودول الخليج وكذلك بنسبة أقل دول شمال أفريقيا ولبنان، أما إيران فإنها سلكت مسلكاً مشابهاً جداً إلى الواقع التركي في التوجّه إلى تبني ثقافة بعيدة عن سياسة التسنّن السياسي الثقافي مع أنها ليست سُنيّة المذهب.

بعد الحرب الثانية خرجت الدول المنتصرة لكي تزداد تأصلاً فيما يختص بقُدراتها في تقنين استعمارها لدول العالم الضعيف (كل الدول الإسلاميّة التي كانت تحت سيطرة العثمانيين) والتي تُمثل أضعف دول العالم قبلاً والى الآن وآخرها في مُسلسل التنمية والمعرفة. فتوجهت الدول الكبرى إلى خلق ثقافة جديدة ولّدتها الحرب الثانية وذلك من خلال فلسفة (القنبلة الذريّة) التي فرضت على كل الأقوياء في العالم في أن يضعوا القوة إلى جانب مع إمكانية الاحتفاظ بها ولكن ليس استعمالها لأنها قوة مُدمّرة

تقتل الكل[1] فما كان على العالم إلّا أن يسلُك طريق ما يُسمى (الحرب الباردة) التي تشتعل في مناطق العالم بأسلحة بدائيّة (مقارنة) يقودها دُعاة ثقافات قديمة تؤمن بالعنف (كثقافة التسنن) و(الثقافة اللاتينية القديمة) في أمريكا الجنوبية و(ثقافة الارثوذوكس) القديمة في أوروبا الشرقية، وبقايا (ثقافة الهون الكونفوشية) في الهند الصينية.

وكان كل من السادة الكبار (الأقوياء) أصحاب المشروع وخصوصاً مخططي الثقافة الغربية الأمريكية بالذات ليسوا بمستعجلين باتجاه إنهاء الحرب الباردة التي سقط في خلالها ربما ملايين من الضحايا إما على شكل صراع مُسلّح أو ثورات داخلية أو حروب محدودة[2] وذلك لأن الحرب هي ظاهرة مرتبطة بالثقافة الوطنية، ومادامت تلك الثقافة نافذة في عقول المجتمع أو الشعوب فإنه لمن الصعوبة في أن يتم إقناعها في التخلي عن تلك الإفرازات الثقافيّة (الحروب) مادامت الأمّة ترى في الحرب مفخرةً لها وطريق من طُرق تحقيق الطموحات الذاتية أو الإيديولوجية.

فقد أقرت (الثقافة السنية) في عمق أدبياتها وفي نظرتها إلى الحياة بأن الحرب هي عز الإنسان، وقوة الفكرة، وشموخ الشخصية، وبدونها فإن الشعوب تكون بحكم الميّتة أو الذليلة، كما تُقر تلك الثقافة في أهمية الاستعداد للحرب وتحويل المجتمع إلى مجتمع مواجهة من أجل نيل القوة التي تعتمد عليها شرعيّة السُلطة وهي قضيّة جوهرية وأساسية في مسيرة الثقافة السُنيّة بل هي من صلب أدبياتها وتشريعاتها[3].

---

(1) قنبلة هيروشيما هي فقط (700) غرام أكرر (غرام) من اليورانيوم 235 وصلت درجة حرارة التفجير إلى 3900 درجة مئوية.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/List_of_modern_conflicts_in_the_Middle_East.

(3) نظام الحُكُم في الإسلام، شمس الدين. المصدر السابق.

وتسقط الثقافة الشرقية الاثوذوكسية بسقوط الإتحاد السوفيتي في عام 1991 وتزول بزوالها الحرب الباردة ويتحوّل العالم إلى سيادة ثقافة موحدة، وهي ثقافة العالم الغربي الليبرالي المسيحي إلى كيان عام ساد المجتمعات من حيث اتساعه وخبرته في التعامل مع روح الحرية الفكريّة والشخصية مع التوجه إلى فكرة (العولمة) التي ترى في أهمية انتقال قدرات الطبيعة والإنسان إلى كل مخلوق على الأرض شعباً كان أم فرداً أم مؤسسة أم حكومة، بمعنى آخر هو أن (العولمة) نظام التوزيع المتساوي لقدرات الطبيعة وقدرات العقل الإنساني بكافة مساحاته وتطبيقاته[1].

هذه الفترة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945 وإلى حين بداية الربيع العربي في عام 2011 لنا أن نضع فواصل اصطناعية زمنية وذلك لتسهيل متابعة الأحداث وربط مفرداتها:

- مفصل إعلان الأمم المتحدة في إزالة آثار الاستعمار (القرار 1514 عام 1960)، في ذلك الوقت كان ثلث سكان العالم (750 مليون نسمة) تحت الاستعمار.
- مفصل بداية الثورات الشعبية الإيديولوجية 1979.
- مفصل سقوط الإتحاد السوفيتي 1991.
- مفصل أحداث سبتمبر 11، 2001.
- مفصل دخول العراق 2003.
- مفصل ثورات الربيع العربي 2011.
- المفصل الحالي. . . . . .

(1) نهاية التأريخ والإنسان الأخير، فوكوياما فرانسيس، مركز الإنماء القومي. 1993. وكذلك أنظر الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Globalization.

لا يمكن لنا في هذا الكتاب أن نُغطّي كل حدث ثقافي أو فكري يخص موضوع كتابنا لأنها أحداث موسّعة ومفصّلة ومتداخلة من الصعب جداً تسطيرها والإلمام بها في وريقات، ونأمل في المستقبل أن نُوفّق إلى كتابة دراسات عن كل مفصل من المفاصل في كتاب مستقل. هذا في الوقت الذي سنحاول جُهدنا في تغطيّة ما نتمكن منه أن ننقل إلى القارئ ما من شأنه إدراك المغزى في حركة كل حدث خلال تلك الفترة من التأريخ.

فكرة الاستعمار قضيّة مُرتبطة بواقع فكر الثقافة السُنيّة وذلك انطلاقاً من مفهوم وجوب سيادة المسلم على غير المسلم في كل ما يتعلق بحياته ودمه. ولا يُمكننا هنا أن نُحيط بكل أدبيّات وتشريعات ثقافة التسنّن في تطبيقها لمفاهيم (الكافر) ومفاهيم (الملكيّة) و(الجهاد) و(القتل) ومفاهيم (الذمي) إلّا من خلال مفهوم الاستعمار الذي تفرضه تلك الثقافة على الشعوب الأخرى التي ترى وجوب إذلالها أو تبعيّتها أو تعبيدها لرموز فكر التسنّن الثقافي المتمثل بالقوة أو بما يسمى (الدولة الإسلامية)، وهو أمر يكاد لا يختلف أي فقيه سني على وجوبه. . . . . . . وعليه فإن الثقافة القرشيّة قد مارست الاستعمار بالصورة التي مارستها الدول الاستعمارية، بل أشد وطأة من خلال الذل والقتل واستعمال حق التمليك لكل ما تمتلكه الشعوب من نساء أو من موارد أو أموال، فكان الرد الغربي مشابه لما مارسته الدولة العثمانية والدول التي سبقتها.

وأرى بأن فكرة الاستعمار منبعها هو الثقافة البدويّة التي كانت الأساس التي انطلق منها حُكّام المسلمين في فرض سيطرتهم على الأمم بعد أن تحوّلت فكرة الغزو إلى فكرة تُمكن الحكام من وضع تشريع لها باسم نشر الإسلام. . . . وهكذا تستمر الحالة في منع الشعوب من أن تقود نفسها وأن تفكر بقدراتها ومعارفها ورجالها وأن تستمر ربما لأكثر من إثنا عشر قرناً من

الزمن حتى سقط ذلك الفكر بسقوط الدولة العثمانية فكان ذلك اليوم يوم حزن لا بسبب سقوط الدولة وإنّما بسبب ظهور الدوافع الحقيقية التي كانت مخفيّة لثقافة التسنّن خلال تلك القرون بعد أن كان من الصعب استيعاب واقع دورها وعمق فلسفتها في تغيير مسيرة الشعوب وخصوصاً الشعب التركي الذي بدوره استيقظ على عالم بعيد جداً عن أسس الإنسانية بعد أن لعبت الدولة القوية في أوروبا وفي العالم دوراً غير مشرف في صراع الأمم وإذلالها.

فقد حاولت ثقافة التسنّن أن تُعيد عصر القوة الذي فقدته بسقوط الدولة العثمانية من خلال إقامة كيانات أخرى مشابهة لها كالكيان الوهابي، وكذلك محاولة استثمار وضع مصر ومحمد علي باشا ثم كيانات هنا وهناك علّها تتمكن من استعادة موقفها. . . . . . ولكن تُغيّر الزمن ودخول القوى العظمى وإلغاء قوانين الرق وقوانين حرية الحاكم في تقرير مصير شعبه، وإنشاء الأمم المتحدة وانتشار الصحافة والطباعة والتكنولوجيا، كل ذلك حال دون تحقّق إعادة مفهوم الخلافة التي كانت ثقافة التسنّن تسعى إليها جاهدة. . . . . عندها توجهت تلك الثقافة إلى طريق آخر رأته الطريق الذي يضمن لها في أن تصل إلى مُبتغاها التوسعي والسيطرة على الأمم ذلك هو خلق هوة واسعة ما بين فكر الحداثة (الغربي) وبين فكر الإسلام واتهام الغرب بكُفره وبعداوته إلى الإسلام وتوجهه إلى محاربة الدين من خلال الفساد والحرب وغيرها، هذا في الوقت الذي أخطأ فيه الغرب الخطأ القاتل وهو السماح لدولة إسرائيل بأن تُقام على أرض عربية مُقدسة حيث لم يعتقد الغرب في ذلك الوقت بأن قيام هذه الدولة سيخلق مشكلة كبرى وعميقة في الواقع العالمي والعربي.

كان الغرب يعتقد بأن المسلمين ومن خلال تأريخهم ربما القرون

العشرة المنصرمة لم يكونوا ليتحسسوا من الديانة اليهودية فهما تتشابهان مع الفكرة الإسلاميّة لحد كبير في الكثير من الأدبيّات والأصول، وكان يرى بأن قيام كيان يهودي في فلسطين سوف لا يُثير حفيظة المسلمين باعتبارهم أولاً أولاد عمومة، كما أن طبيعة الديانة اليهوديّة ليست بالديانّة التوسعيّة التي تُثير حفيظة المسلمين في المزاحمة، في الوقت الذي كان الغرب يعيش قمة الكراهيّة ضد اليهود لما لذلك من عُمق عقائدي مابين المسيحيين واليهود، وفي نفس الوقت كان قادة الغرب يرون بأن اليهود في وجودهم في فلسطين سوف يُقلّل من مشاكل الصراع الديني داخل أوروبا مما يساعد على إفساح المجال في إشعار اليهود بالأمان في تلك البقعة.

ولكن الشيء الذي حدث هو أن الثقافة السُنيّة قد استعملت ظاهرة هجرة اليهود كذريعة نزلت عليها من السماء لكي تستعملها لإثارة حفيظة المسلمين، فاستنفرت الحكومات العربية للدخول في حرب عام 1948 بعد أن استثمرت رفع مقولات الحفاظ على بلاد المسلمين والمسجد الأقصى وأن دخول اليهود ثانية هو استمرار للحملات الصليبية التي كانت تُشنّ من قبل الغربيين..... هذا في الوقت الذي كانت كل بلاد المسلمين قد سقطت وتم الاستيلاء عليها من قبل الأمم الأخرى المسيحية الغربية أو غيرها...... أما الدول التي تمّ تحريرها فقد بقيت أيضا تحت الحُكُم الغربي بطريقة ما يحكُمُها شخص مولود من أب عربي أو أب مسلم لا غير.... فتحولت هنا القضيّة اليهوديّة الفلسطينية إلى شعار مهم تُصاول به ثقافة التسنّن بشكل ناجح ومؤثّر على العالم الإسلامي كله.. فبقيت الدول العربية في حالة حرب منذ عام 1948 إلى حين الوقت الحالي وهو الجو المناسب والخصب لإثارة وتسويق أفكار الثقافة السنية، ثقافة الغزو والحرب والسيطرة والابتعاد عن مفاهيم الحضارة والعلم والمعرفة، وهي

الأجواء المناقضة لقيّم التقدم والتحضر والمدنيّة. . . . . بمعنى آخر كانت الثقافة السُنيّة ترى في قيّم التقدم بأنها نقيض لما وفّرت لها القضية الفلسطينية من أجواء خصبة من أجل إشاعة مفاهيم استمرار السيطرة والقوة والحيازة باسم الدين تلك. فقد كانت مفاهيم الانفتاح وظروف الاستقرار السياسي والاجتماعي عاملاً مهماً من عوامل توجه الشعوب الإسلاميّة إلى معرفة حقيقة ودوافع ثقافة التسنن التي ترمي بالأساس إلى دوام السيطرة. . . وهنا نرى المعادلة العكسية التي تسير متوازية في مسيرة شعوبنا العربية هو أن ضمور ثقافة التسنّن بازدياد عامل الوعي والانفتاح والمعرفة. وهذا ما دفع الشعوب المسلمة إلى ترك الالتزام بثقافة التسنّن والبحث عن ثقافة أخرى تُشبع فيه صفة العقلانيّة العلميّة والتوثيق.

من جهة أخرى أشاعت الثقافة تلك بأن اليهود قتلة وهذا ما سوف يقومون به من قبيل ارتكاب مذابح ضد المسلمين، مع اعترافنا بوجود تطرف لدى اليهود في قتل المسلمين أو الفلسطينيين، وقد أدّت كل تلك الشائعات إلى حدوث أزمة مُزمنة لدى كل الدول العربية وهي موضوع اللاجئين الفلسطينيين التي بقيت موضوع إثارة ونزاع مستمر على مدى العقود المنصرمة منذ تأسيس الدولة العبرية.

وهكذا تحوّلت القضية الفلسطينية إلى مقياس للوطنيّة توصم بها الأمم والشخصيات وتدور في فلكها صيحات الحرب والقتال، كذلك استعرت قضيّة أفغانستان في نهاية السبعينيات (بعد سبعة أشهر من الثورة الإسلاميّة في إيران) وبعد أن تم وضع مخطط الدخول السوفيتي من قبل شخصيات سُنيّة الثقافة من أجل إشغال المسلمين بحروب وصراعات مستمرة مع أمم الأرض الأخرى بغية إبعاد المسلمين عن تفهّم حقيقة المبادئ التي بُنيت عليها الثقافة السنية، فتحول البلد إلى بؤرة للصراع امتدت تقريباً وإلى الآن

لأكثر من 35 سنة من التأريخ.... وهكذا نجد الأمر مُكرراً على شكل صراعات وحروب في كل البلدان العربية كلما خبا واحد منها استعر الآخر تقوده أعمدة ثقافة التسنّن من أجل توفير جو من العنف والحرب والاقتتال وهو الجو الذي يُبعد المسلم أو المواطن عن التفكير بصورة هادئة عن أسس الفكر الذي وصل إليهم من ثقافات التسنّن ومن أدبياتها.

و تسقط الدول العربية في حرب الأيام الستة في عام 1967 وهو ما هيأ الجو المُنعش إلى نمو ثقافة الدين السياسي كما اعتقدت الشعوب الإسلاميّة بعد أن فقدت أملها في التوجه القومي أو بقيّة التوجهات الوضعيّة كالقوميّة واليساريّة..... وفي هذه الفترة كانت الأحزاب والمنظمات السياسيّة الإسلاميّة قد انتشرت في طول البلاد وعرضها وهي متهيئة إلى جو مناسب من الحرب ومن أجواء الغزو ما بين الدول.

بقيت سنين السبعينيات جافّة من حرب إلّا حربي تشرين في 1973 مع إسرائيل والحرب الأهلية اللبنانية في عام 1975 اللتان رفعت من رصيد أجواء العنف والحرب خصوصاً بعد أن انتهت الأولى بالتدخل الأمريكي الذي لم يكن بالنسبة إلى ثقافة التسنّن له من حساب مادام ذلك التوجه يخدم هدف توفر جو عنف وقتال، في الوقت الذي كانت المنطقة تمتلك قدرات ديكتاتورية قلّ نظيرها في كل بلدان العالم وهو التعويض المتبادل عن حالة الحرب، لأن الحرب والديكتاتورية هما كفتي الميزان اللتان توفران للثقافة السُنيّة الجو الخصب في السيطرة لتلك الثقافة.

ولكن الشيء المفاجئ والمنعطف الكبير الذي واجهته ثقافة التسنّن منذ ما يقارب نصف قرن هو انطلاق ثورة دينيّة قادها الأعداء اللدودين لهم وهم حاملي الثقافة الشيعية، تلك الثقافة التي تقف على طرفي نقيض من حسابات التسنّن الثقافي وهي التي صارعت بحزم وقوة منذ كما ذكرنا عصر

السقيفة 11 هجرية والى حين سقوط الدولة العثمانية وقدّمت في سبيل تحقيق إبادة تلك الثقافة ملايين من البشر، وإذا بالتأريخ يتحدّى العالم ويقود ثورة عملاقة لم يدّع قادتها شيعيّتها (الثقافية)، بل أدّعى شيعيتها الفكريّة (الروائيّة) وهو فرق كبير ما بين المصطلحين.

وهنا ارتفع لون التحذير من البرتقالي إلى الأحمر في كل العوالم الإسلاميّة وصار من المهم التصدي إلى تلك الثورة وإجهاضها وتوجيه التُهم لها إما من خلال تجريمها ووحشيتها أو من خلال تكفير مبادئ المذهب، أو من خلال دعايات كبرى لم تصمد طويلاً خصوصاً وأن الإيرانيين معروفون بطول النفس للمواجهة مع الأعداء. . . . . وأخيراً وفّرت الثقافة إلى أجواء حرب من خلال إقناع دول المنطقة التي تحكمها العقليّة الثقافيّة السُنيّة إلى شن حرب على إيران استمرت ثمان سنوات إلى أن توقفت في عام 1988 حيث خرجت إيران بقوة أكبر أكثر مما كانت عليه من قبلها مع احتفاظها باحترام الأعراف والقوانين الدوليّة التي أقرّتها الأمم المتحدة في الوقت الذي تحوّلت فيما بعد إلى قوة نووية كبرى في العقد الثاني من الألفيّة الثانيّة لها تأثير فكري وثقافي على أمم الأرض، والتي على أثرها صار خيار توقيع اتفاقية دولية مع الغرب أمراً له أكثر من دلالة.

فلم يكن تأييد ثقافة التسنّن السياسي لصدام منطلقه التقارب العقائدي لأن صدام رجل علماني مُغالٍ في تطرّفه باتجاه رفض الدين، ولكنه حقق أكبر طموح لتلك الثقافة بعد أن اشترك في وحدة الهدف وهي الحرب والعنف، فوقفت الثقافة السُنيّة بل ساندته بصورة مستمرة حتى زمن دخول الكويت. . . . وقد تجد ذات الموقف ولكن بالصورة المعاكسة في حرب تلك الثقافة ضد سوريا في مواجهته إلى الغرب، وهذا مؤشر واضح على أن تلك الثقافة تسير بالاتجاه الذي يضمن تأجيج حالة الحرب والعنف التي

ليس بالضرورة أن تكون الجهة التي تُساندها جهة شيعيّة أو سُنيّة أو علمانيّة أو كافرة فهذا ليس هو المقياس، بل أن المقياس هو إشغال المنطقة بحرب أو بعنف مستمر له تأثير طويل الأمد على الشعوب التي تسير بطريق الاقتناع بوجوب بقاء شكل الحُكُم الذي تختاره ثقافة التسنّن في تركيبته التي تسيطر عليه أسس الثقافة البدويّة التي سارت عليه لقرون، والتي تمكّنت من أن تحكم سيطرتها على العالم الإسلامي. . . . .

وهنا لا بأس بالإعادة في توصيف معاداة الثقافة السُنيّة إلى الثقافة الشيعيّة التي ليس بالضرورة أن يكون منطلقها متأتٍ من الاختلاف الديني الايديولوجي، وإنّما بسبب الاختلاف في نظرة كلتي الثقافتين إلى مبادئ الثقافة السلميّة بكل أبعادها وخصوصاً فيما يتعلق بالحرية الفكريّة أو الاعتقادية ورفض التسلط واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

فكان المفصل الثاني الخطير الذي واجهته ثقافة التسنين هو انتقال المسلمين إلى مرحلة الانتفاض على الحكام أو على الثقافة الدينيّة[1] التي تُسوّغ لأولئك الحكام استمرار السيطرة على الشعوب. . . . . . ومع أن إيران هو بلد شيعي وهو البلد الوحيد في العالم الذي يضم أغلبية شيعية، فإن ثقافة التسنّن وجدت في فكر الطائفيّة سلاح فعّال باتجاه عزل الثورة الإسلاميّة عن الشعوب الإسلاميّة خصوصاً العربية منها. وتشويه طريقة رفض العنف التي اتبعها الشعب الإيراني وقادته الدينيون لإسقاط أعتى إمبراطورية في العالم الثالث. . . . . وهنا أيضاً لنا أن نُعيد ما أشرنا له سابقاً مع الاعتذار للقارئ بالقول أن السبب لذلك كان ثقافيّاً وليس طائفيّاً. . . . فلم تكن الحرب

(1) ربما كانت أخطر الفصول التأريخية القديمة هو فصل الثورة على عثمان في عام 36 هجرية ومقتله من قبل الناس العوام وليس من قبل السلطة أو العدو السياسي أو الاغتيال أو السجن أو الحرب.

الطائفيّة ضد التشيّع وفي إيران منبعه عقائديّاً، وإنّما كان ثقافياً استُعملت فيه أدوات الطائفية. . . فكان هنالك في سوريا وأحداث حماة[1] ما ولّد بؤرة لعنوان طائفي كان يتوجب حضوره من أجل تحشيد العالم السني ضد الشيعة الإيرانيين والسعي إلى عنونة ثورتهم بالهدف الطائفي وليس بالهدف السلمي وبالتحديد مفهوم الثورة السلميّة على الحاكم.

وعندما فشلت الشعارات الطائفيّة في تحقيق هدفها كان هنالك خيار إقناع صدام بأن يقود حرباً محدودة يُسيطر فيها على إقليم عربي وهو خوزستان تابع إلى إيران ثم إبقاء هذا الإقليم بؤرة لنزاع مستمر لإشغال الثورة المناهضة وتشويه صورة فكر الثورة الإسلاميّة الإيرانية التي كانت ترمي إلى دفع شعوب المنطقة للثورة باستعمال الطريق السلمي في التغيير. . . . .

وبفشل هدف الحرب وعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين بعد أن قُتل تقريباً مليوني إنسان كانت حرب الكويت في عام 1990 هي المحطة الأخرى التي في الواقع كانت ترمي إلى ذات المفهوم وهو إيقاف تأثير الثورة الإسلاميّة وفكر الشعوب في التغيير السلمي من خلال إشغال المنطقة بحرب وعنف تكون نتائجه سلبيّة على عقل المواطن العربي في قدرته على التمييز بين الحركات الجماهيرية الوطنيّة السلميّة وبين حركات العُنف والإرهاب ثم تركه في حالة من الضعف الفكري في قدرته على تفهّم معاني الانتفاض على الحكام.

إننا نعترف بأنه لمن الصعوبة أن نُقدّم للقارئ وثيقة علميّة دقيقة على مساهمة ثقافة التسنّن في إثارة تلك الحروب والتحضير لنشوبها ما بين الأطراف. . . . بالتأكيد إننا لا نمتلك ذلك ولا يملكها أحد في العالم،

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/1982_Hama_Massacre.

وليس لنا من قدرة على تقديم الوثائق الخاصة على ألسنة من هيأ لتلك الحرب وصمّم مسارها كما هي مسيرة التوثيق العلمي لبحث طبي أو هندسي (طبيعي) باعتبار أن الحادثة الاجتماعية هي عبارة عن ظاهرة غير تجريبيّة يصنعها الناس ويوّثقها التاريخيون ويتناقلها الرواة الموثوقون[1].

ثمة شيء لابأس بذكره هنا قبل أن نتعداه وهو أن التأريخ العربي والإسلامي لم يكتبه إلّا السلطة أو من تستأجرهم الحكومات، وهذا بالتأكيد لا يُمثل عيّنة حقيقيّة يمكن الاستناد عليها كمادة بحثيّة أو علميّة، وبذلك فإننا نعيش وعندما نُريد دراسة الواقع التأريخي في الدولة العثمانية فإنه لمن المستحيل أن نجد ما يمكن الركون إليه كمصدر للبناء عليه في تحليل الفترات التاريخية[2]. هذا إذا أضفنا إلى كل ذلك طبيعة المجتمعات العربية

(1) ولكن الفرق الجوهري والذي يمكن لنا من أن نستبين وثاقة الحادثة التأريخية أو الاجتماعية هو المسيرة التأريخية وانعكاسات أو إسقاطات ذلك الفعل (المخرجات). . . . فليس من الغرابة في أن نعترف بأن الثقافة الأمويّة هي ثقافة بدوية، ولا من الصعب في أن نقول بأن العلم في الدول الثلاث الكبرى كان من جُهد الأجانب غير العرب، أو أن نقول بأن الدافع لقتل آل الرسول هو السلطة، أو أن نشير إلى أن الصراع الديني في أوروبا هو الذي نقل أوروبا إلى الدرجة العلميّة المتقدمة، أو أن ديكارت (ت 1650) كان هو أب العلم والبحث.

(2) كمثال بسيط على ما ذكرناه تواً وربما هو المثال الذي كان أكثرنا قد عايشه بلحاظ أعمارنا الحالية هو أن حزب البعث أو صدام حكم من عام 1968 إلى عام 1999 أو 2003 على الروايتين فإننا لم نجد بأن هنالك من قدّم دراسة مُفصلة تأريخيّة عن تلك الحقبة من الزمن، بل لم يبادر أي من المهتمين بالشأن السياسي أو الاجتماعي مع قلّتهم إلى تناول تلك الفترة المهمة في تأريخ المنطقة والعالم. . . . نعم هنالك دراسات أقرب ما يمكن تسميتها دراسة مأجورة قام بها هذا أو ذاك رغبة في مال أو طمع في جاه. . . . وكذلك تجد الشيء ذاته ربما ينطبق على سوريا منذ عصر الأسد الأب من 1971 إلى 2000، وكذلك في السعودية والخليج عموماً وكذلك اليمن مع استثناء مصر ولبنان لحد ما، وهذا هو قمة الفقر والوعي الاجتماعي الذي تمر به المجتمعات العربية.

التي تكره القراءة أو البحث أو تتبّع الحادثة. . . وقد يمكن لنا في هذا السياق مراجعة تقرير التنمية البشرية التي أصدرته الأمم المتحدة في بداية الألفية الثالثة الذي ذكرناه في موقع آخر من الكتاب.

كل ذلك فرض علينا عندما نناقش ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو دينيّة فإننا نصطدم بواقع غياب المعلومة وغياب المصادر مما يضطرنا في الغوص بعمق في جزئيات الحدث من أجل أن نتلمس رابط أو مؤشر يدلنا على مسيرة تلك الحادثة، كمن يبحث في أفريقيا في الكاميرون مثلاً عن أحجار من الألماس في حقل شاسع مساحته آلاف الكيلومترات. فإذا وجدت المعلومة وتمكنّا من أن نجد صلتها اللابحثية التاريخية فإننا نُقدمها إلى القارئ بما هي من أجل أن يتم تكملة المعلومات الأخرى اللازمة من قبل باحثين آخرين لهم قدرة أكبر من قدرتنا وأوسع من ثقافتنا وهذا ما نأمله في هدفنا من كتابة مادة هذا الكتاب.

ليس لنا في أن نقول باستقلالية وحضاريّة الثورة الإسلاميّة في إيران أو عدم طائفيتها بالمعنى العام المكتمل، وإنّما نُشير إلى أن الثورة بما هي عامة كانت ثورة (ثقافية) وليست طائفيّة مع عدم استبعادنا لتأثيرات الطائفيّة والدينية والقومية وغيرها من العوامل التي يُلصقها بها أعداؤها من منتمي (ثقافة التسنن). . . . فالثقافة كما عرّفناها في السابق هي (سلوك) كل تراث الأمّة من الدين والجمال والطائفيّة والقوميّة والنفسيّة والعقليّة والتاريخية، هذه اجتمعت بطريقة غاية في التعقيد لكي تُقدم ثورة بوصلتها (ثقافيّة)، وربما من أهم أدلة (ثقافيّة) تلك الثورة هو الاستمرار في صعود مستواها على النطاق الاجتماعي والسياسي، وكذلك على مستوى العلم والبحث وغيرها وهو أمر لا يمكن أن يكون ناتجاً لها لولا إلزاميّة (ثقافتها). . . . .

فالثورات الطائفيّة والقوميّة والفئويّة عبارة عن فقاعة تنفجر ليس

بالضرورة خلال سنة أو قرن أو قرنين وإنّما خلال فترة غير مُحدّدة، وبانفجارها تُحطّم بذلك أمم بكاملها من تلك التي كانت تعيش في ظل تلك الثورة من (قادتها) وليس بشعوبها. . . . ولنا هنا أن نلحظ واقع الدول العربية خصوصاً تلك التي كانت تعيش على مدى قرون الحُكُم الإسلامي أي منذ أيام السقيفة وإلى حين سقوط الدولة العثمانية، وهي العراق والسعودية وسوريا والأردن وفلسطين واليمن والخليج فإنها تحطّمت اجتماعيا وفكرياً وعلى مستوى القدرة في مواكبة دول العالم المتقدم[1].

وقد نجد الشيء ذاته قد انطبق على تركيا بعد أن انتقلت القدرة بيد الشعب مع أن الاختلاف ما بين القطرين هو أن تركيا قد تمّ تحديثها خلال القرن ما قبل السقوط في الحرب العالمية الأولى هذا بالإضافة إلى مساهمة الغرب في رفع مستوى تركيا بالصورة التي تُجنّبها التفكير بالعودة إلى واقع سيطرة الثقافة السنية السابق، مع الإشارة إلى النقطة المُهمة وهو طلاقها للثقافة السُنيّة تماماً وقطع كل العلاقات معها، هذا في الوقت الذي بقيّ الشعب مُلتزماً بالإسلام ممارسة وديناً وعبادة وبشكل يمكن أن يُقال بأنه يحق لكل مسلم أن يفتخر بإنجازها وتقديمها وخدمتها إلى المسلمين في العالم[2]. . . . . فتركيا وبقدر أهميتها للثقافة السُنيّة فإنها في ذات الوقت خاصرة مؤلمة لمسيرة تلك الثقافة مع مراهنتها على انتظار الفرصة المناسبة

(1) انظر إلى إحصائيات دول العالم مقارنة بالدول العربية على مواقع الانترنيت فيما يتعلق بالفقر والتقدم الفكري والتعليمي والتكنولوجي والصحي ستجد بأن الدول العربية خصوصاً التي ذكرتها تواً دوماً تقع في قعر دول العالم حتى الإفريقية منها. من تلك المواقع هو الموقع التالي: http//:www.nationmaster.com.

(2) هذا بغض النظر عن موافقتنا أو عدمها من المواقف السياسيّة والطائفية أحياناً التي تقفها تركيا تجاه الآخرين من الدول المجاورة.

لخلق حالة فوضى عارمة في داخل الدولة بحجة العودة إلى الإسلام، وهذا يعني العودة إلى الثقافة السُنيّة[1].

فليس من قبيل الاستغراب أن نجد بأن المعاداة العربية لإيران التي تقودها قدرات ثقافة التسنّن هو ربما أعمق صراع شهدته المنطقة حينما استُخدمت كل أنواع المواجهة الإعلامية والتسليحية وغيرها من وسائل تقودها السعودية، وهو الحدث المهم الذي سبّبّ وانعكس على واقع التطورات السورية وواقع الإرهاب في المنطقة والذي سنتطرق إليه فيما بعد. . . . . .

فقد كانت الثورة الإسلاميّة في إيران الشرارة التي نقلت التجربة الحيّة إلى الشعوب في إعادة ثقتها بثقافتها وقدراتها بالتخلي عن موروث (ثقافة مدرسة الخلافة) (السُنيّة) التي كانت هي النظرية الوحيدة التي سطّرها المسلمون علماءاً كانوا أم مفكرين أم أحزاباً والتي حكمت دول المنطقة لأكثر من أربعة عشر قرناً، وهي التي تمتلك أصول وجذور البداوة القرشيّة التي بُنيت عليها دولهم بالشكل المُحسّن بعد خلطها بمفاهيم ابتدعوها وسموها (سُنّة) أو ما شابه.

هذه المفصليّة الجديدة التي انطلقت في عام 1979 فبراير كانت مؤشراً كبيراً استعد لها العالم السني (الثقافي) بقدراته وأمواله، وعلى ضوئها قادت تلك الثقافة من خلال رموزها المتنفذين على الأقل ثلاث حروب كبرى هي

(1) الأوروبيون حساسون جداً من مقدرات ثقافة التسنّن وعودتها إلى تركيا ثانية، وهم على اطلاع مستمر في محاولات تلك الثقافة في اختراق الدولة والسيطرة على المجتمع وخصوصاً من قبل السعودية العربية ودول الخليج ومصر سابقاً قبل التغيير، أما الآن فإن الأوروبيين ينتظرون حدثاً كبيراً ينفجر في تركيا كاختبار لطريقة تعامل القادة الأتراك مع ذلك الحدث (عصابات داعش) وفيما إذا كان ذلك مرتبط بخلفيّات ثقافة التسنّن أم لا.

1980، 1990، 2003 بالإضافة إلى حروب منتشرة صغيرة هنا وهنالك مثل أحداث الجزائر في عام 1992 وأحداث مصر 1981 وأحداث لبنان منذ 1982 وأحداث اليمن 1994، وأحداث أفغانستان من عام 1979 إلى 1989 وهكذا.

وبتقدم الزمن وتمكّن عقل الإنسان من أن يحتوي خلافاته ونزاعاته سقط العالم الشرقي الذي تقوده روسيا بعد أن فقد مُبرّر وجوده، وكان مبرر الوجود ذلك هو سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان من خلال تحديد حركته وحريته في الاعتقاد وفي التوجه الشخصي[1]. . . . . فلئن كانت نظرية (ثقافة التسنن) ترى بأن الحق الإلهي هو مَن يمنح القادة الدينيين تحديد حرية الإنسان في التفكير وفي العمل وفي الثقافة، فإن الثقافة السوفيتية كانت تمارس تماماً ذات الثقافة في التسلّط مع الاختلاف في التسمية التي تُروجها هذه الثقافة إلى الحتميّة التاريخية بينما الثقافة الأولى هي حتميّة (الفرقة الناجية).

ثقافياً سقوط الاتحاد السوفيتي وجدار برلين مؤشر خطير لفكر الثقافة السُنيّة الذي ينبئ بأن الإنسان في مسيرة تطور باتجاه الانعتاق من كل الأغلال التي وضعها الإنسان - مسلماً كان أم غير مسلم - لأخيه الإنسان من أجل إدامة السيطرة واستغلال العقل الإنساني لخدمة مطامع شخصية أو إيديولوجية. . . . صحيح أن الثقافة السُنيّة وجدت في سقوط الاتحاد السوفيتي أملاً لها في أن تتمكن من أن تحل محله في العالم من خلال ذر

(1) مع أن الفكر الاشتراكي والنظرية اللينينية التي قادت ثورة 1917 لم تكن تحوي أدبياتها مواد سلب حرية الإنسان وتعبيده إلى الدولة الشموليّة (التوليتورية)، بل أن أصل النظام الاشتراكي هو انتزاع فائض القيمة وتوزيعها إلى طبقة (البروليتاريا) أي الفقراء أو عوام الناس. ولكن السياسة ونزوع العقل البشري إلى نظرية (حب إساءة السلطة) هي التي دفعت القادة السوفيت إلى ممارسة سلب حريات الناس بالشكل الذي عشناه في منتصف القرن الماضي.

بذور ذات الثقافة (السيطرة) مع الاختلاف في جذور اتصال هذه الثقافة بجهة السماء كما تراها هي وكما هي أدبياتها وتجربتها في العالم. ولكنها في ذات الوقت كانت ترى في نفسها عجزاً كبيراً في تسويق ذات المفاهيم التي استعملتها في العصور التي سبقت هذا العصر بما يتعلق بصفات الحاكم وشكل الخلافة وشكل استعباد الأمم الأخرى وما إلى ذلك من أدبيّات لا تتوافق مع منطوق الفكر الإنساني. . . . . . كما في نفس الوقت لم تتمكن هذه الثقافة من أن تضع كل تلك الأدبيّات في إطار جديد مختلف عن الإطار الذي وضعتها لهم (الصحاح) أو الشخصيات (المقدسة Infallible) لأن الحديث عن تغيير في تلك المفاهيم معناه سقوط مفهوم (الصحاح)، بل كل إطار الثقافة السُنيّة التي بنت كامل فلسفتها على ذلك المفهوم.

ولكن الثقافة السُنيّة لم تنتقل إلى التحدي والى مقاومة التغيّرات التي طرأت على الأمم والعالم خوفاً من حدوث تصدّع أكبر في كيانها فكان عليها لكي تبقى مسيطرة على واقع الحياة أن تفكر في أن ترمي بورقة جديدة مختلفة عن ورقة أدبيّات الثقافة السُنيّة التي حكمت بها قرون من الزمن، فكانت تلك الورقة هي ورقة (السلفيّة) التي في الواقع لم تكن جديدة على الواقع العالمي، فهي فكرة استعملتها ربما كل أفكار العالم دينيّة كانت أم قومية أم غيرها. . . . . . مع أن البعض يعود بفكرة السلفيّة إلى ابن القيّم الجوزية (ت 691/ 1292 م) وتلميذه أبن تيمية (ت 728/ 1327 م) والذي حوّل فكرهما محمد بن عبد الوهاب (ت 1213/ 1729 م) فيما بعد وبالاتفاق مع آل سعود إلى فقه خاص تسير عليه الدولة السعودية منذ تأسيسها في القرن الثامن عشر الميلادي. . . . . . . تبنى الفكر السلفي شخصيات كبرى كانوا من أعمدة بطانة الخلافة الدينيّة لدى العثمانيين وأهمهم هو أبو الهدى الصيادي (ت 1909).

لم تجد تلك الورقة الرابحة المهمة من صعوبة في غزو عقول المجتمع الإسلامي الذي يعيش في مرارة قاتلة بسبب التأخّر الحضاري والاجتماعي للشعوب العربية وحالة الفقر وضعف الدولة وتناحر الفرق الإسلاميّة فيما بينها حتى تولّدت الفكرة مجدداً لدى شخصيات إخوانيّة كانت داخل السجن في مصر فكوّنت تجمعات سُميّت بأسماء متعددة أهمها هو (التكفير والهجرة) والتي تستمد مبادءها من فكرة السلفيّة مع إضافة مبدأ آخر هو الفكر (الخارجي) في التعامل مع الشعوب فيما يخص تعريف الكافر والمسلم وتشريع قتله وما إلى ذلك من أدبيّات مُعقدة لا مجال للخوض فيها هنا . . . . . . تبنى مبدأ السلفيّة السعودية رائدة الثقافة السُنيّة منذ تأسيسها وأمدّتها بالمال والقوة والسلطة حتى صارت سمة الشباب أي مودة التدين، حيث حققت هذه الفكرة عدة نتائج مهمة على واقع المسلمين أهمها:

- إزالة عقدة الشعور بالذنب من قبل المسلمين تجاه ما خسره ويخسرونه في هذا الوقت.
- مضاعفة حالة الحقد على الآخرين وخصوصا (الشيعة) بسبب عملهم على حرف الرسالة الإسلامية.
- الالتزام بتعاليم ليس لهم أن يتبيّنوا عقلانيّتها وارتباطها بالإسلام أو بالسيرة النبوية لأن العنوان أكبر من أن يناقشها عقل الشاب العادي.
- بث الأمل في نفوس المتّبعين بعودة القوة الإسلاميّة ثانية من خلال تحطيم الحضارات القائمة كما حطم المسلمون في السابق حضارتي الفرس والرومان.
- تبني فكرة (القرابين) كغسل لذنوب المسلمين من خلال سياسة القتل والعنف.

أعلن قادة العالم الغربي في خضم سقوط المعسكر الشرقي بأن التهديد القادم الذي يواجهه العالم هو أكبر مما كان في زمن السوفييت ذلك ما أسموه (التطرف الإسلامي)، وهذا في الواقع تنبؤ حضاري ثقافي مهم ممّا يدلّ على قدرة مراكز الدراسات الغربية على مواكبة أحداث العالم حضارياً. . . . . منبع ذلك التخوف هو الفراغ العقائدي الكبير الذي يعيشه مليار وربع مسلم على وجه الأرض في الوقت الذي تغيب أمام أنظارهم آمال مليء ذلك الفراغ مما يخلق لدى الإنسان شعور عام بإحباط تجاه مستقبله ومستقبل أجياله وعائلته خصوصاً في ظل أنظمة تُعتبر الأعتى في العالم بل في تأريخ الإنسانية في وحشية التعامل مع الشعوب[1]. . . . أضف إلى ذلك الواقع الاقتصادي والتعليمي المتردي وتحطّم البُنيّة الاجتماعية التي تربط المجتمع وأبناءه بعضهم بالبعض الآخر مع عوامل كثيرة جداً لا مجال للإسهاب فيها هنا.

إن قدرة الشعب على خلق ثقافة جامعة أمر يحتمل تخريجات مُتعدّدة بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية، صحة أو خطأ تلك التخريجات، فالثقافة لا تُقرّر صحة أو خطأ الأسلوب، قُربها أو بُعدها من مبادئ الإنسان. . بل هي عبارة عن مُحصّلة لواقع ليس للثقافة أن تقول بصحة أو خطأ أي من مفرداتها. . . . . نعم من الممكن للشخصية الاجتماعية أو الدينيّة أن تُشخّص الخطأ في مسيرة الثقافة انطلاقاً من التخصص الذي يحمله، فليس من الصحيح أن نقول بأن هذه الثقافة هي ثقافة خاطئة أو صحيحة، بل نقول بأن المفردة الدينيّة في تلك الثقافة خاطئة، وهكذا.

كانت الشعوب الإسلاميّة العربية خصوصاً قبل سقوط الاتحاد السوفيتي تعيش ثقافة السلطة، وهي ثقافة مهمة في خلق كيان أو إطار يعيش المجتمع

(1) http//:www.amnesty.org.

في داخله بغض النظر عن المشروعية من عدمها. فكانت كل الأنظمة هي أنظمة قمعيّة شموليّة مادتها السجون والمخابرات وسيفها الظلم والقتل والتهميش[1]، فطريقة فكر العربي واستجابته لأحداث الحياة أمر تابع إلى ذلك الإطار، وبناءاً على ذلك صارت معظم مفاهيم المجتمع والدين والجمال والعلاقات الأسريّة والصناعة والزراعة والبحث العلمي تستقي مفاهيمها من ذلك الإطار إطار القمع......

فقد كانت تلك الأنظمة أو ثقافة النظام الشموليّة ترى لها من مبرر لهذا النوع من مخالفة قوانين الطبيعة في تسليط سيف القوة على الشعب، بلحاظ الخوف من هذا المارد الشرقي أو المارد الغربي.... فقد صرّح أكثر من مرة حسني مبارك عندما وُجّه له سؤال عن حجم القمع في مصر فكان يجيب بأن البديل هو وصول الأصوليين الإسلاميين إلى الحُكُم فهل ذلك يرضيكم. فثقافة القمع والشمولية كانت مستندة في شرعيّتها الوطنيّة والعالميّة على مواد الصراع بين العالمين الكبيرين أمريكا والاتحاد السوفيتي في مبرراته وفي شكل آلياته.

كان سقوط الاتحاد السوفيتي في عام 1991 قد سحب الشرعيّة من تلك الأنظمة للاستمرار في تبني (ثقافة العنف)، فلم يعد هنالك من مُبرّر دولي أو إقليمي في أن تحتفظ دول العالم العربي باجهزتها القمعية، كما ليس هنالك من مبرر للدولة الكبرى التي خرجت ثقافتها منتصرة من حدث السقوط أن تُبقي علاقتها إيجابيّة مع تلك الدول المتسلّطة، لأنها - أي امريكا - جاءت بمفهوم (العولمة) وهذا المفهوم يتنافى كلياً من شموليّة وديكتاتوريّة الدولة أو المجتمع، بل هو البديل الضروري لربط أمم الأرض بعضها مع البعض الآخر باتجاه إشاعة حالة الرخاء بين بني البشر.

---

(1) أنظر تقارير المنظمة الدولية للسجين السياسي.

في هذه الفترة بالضبط وبعد توالي سقوط دول الاتحاد السوفيتي حتى عام 1996 وبعد أن أعلن رسمياً موت المارد الشرقي وسقوط رمزه (غورباتشوف) ظهر العملاق الإرهابي السلفي الإسلامي على ساحة الحياة بشكله الواضح وبرموزه وشخصياته. . . . . كما تمّ نشر آدابه وفلسفته بين الأمم، كما أقيمت الكيانات السياسيّة السلفيّة على شكل أحزاب أو تنظيمات، ثم قيام دول وكيانات كما هو في أفغانستان. . . . .

فقد انتعشت (الثقافة السُنيّة) أيما انتعاش في هذه الفترة بل أنها وجدت بأن الوقت مناسب لتغيير جذري في العالم الإسلامي يتم من خلال خلق كيانات متفرقة تنتمي إلى الدين الأصولي تكون بؤرة إلى صراعات فكريّة ولكنها في ذات الوقت تحمل الشعار الوطني المحلي لتلك الدولة. . . . . فهنالك الكيان الأفغاني السلفي البوشتوي، وهنالك الكيان العراقي السُني العشائري، وهنالك الكيان المصري الإخواني الأفريقي وهكذا في كل دولة من دول العالم ذو الأغلبية الإسلامية.

في تلك الفترة من التأريخ كانت مصطلحات التشدّد والأصولية مرتبطة بالتشيع وليس بالتسنّن بعد أن جهدت القوى السُنيّة على إلصاق تهم الإنحراف والتزمّت على الجهات غير السنيّة. . . . هذا في الوقت الذي كان الغرب لازال يعيش الحساسيّة المُفرطة تجاه إيران بسبب موقفها المعادي للغرب وبسبب امتداد تأثيراتها التي كانت في تلك الأوقات تعيش نشوة النصر. . . . . . فقد كانت عين الغرب وقواه مُنصبّة على التطرف الإيراني الشيعي كما يُسمّونه مع اعتقادهم بأن التطرف السُنّي هو ليس تطرف، وإنّما تُراث أو كما يُسمى في المصطلح الغربي (Conservative)، ولم تتمكن إيران في ذلك الوقت ولا مفكري الشيعة في العالم من تغيير تصورات العالم الغربي حتى انطلقت أحداث سبتمبر 11 من عام 2001 وظهر يومذاك بأن

التطرف في الأصل هو تطرف سُنّي منطلق من أدبيّات (مدرسة الخلافة) (بثقافة سُنيّة) وعقيدة (أشعريّة) أو (خارجيّة) وأن ذلك التطرف هو نتيجة طبيعية لخواء المادة الفكريّة التي كانت تحكم بالحديد والنار منذ أربعة عشر قرناً إلى أن تحوّل العالم إلى مساحة واضحة الألوان فبان التطرف من عدمه من خلال إزالة عوامل الصد والتخفّي التي كانت القوى السُنيّة تمتلكها في خضم هذا الخليط العجيب من الأفكار.

كان تاريخ 11 سبتمبر 2001 بالنسبة إلى أمريكا بمثابة ناقوس الخطر لحضارتها وهو الحدث الذي غيّر مفاهيم مراكز البحث العلمي والاجتماعي الأمريكي باتجاه الواقعية في النتائج، ولولا هذا الحدث لكان هنالك أكثر من احتمال في أن تقود ثقافة التسنّن جيشاً ضخماً من المتزمتين الدينيين على شاكلة غزوات المغول لإسقاط دول وحضارات لا يُستثنى منها دول العالم الغربي[1]، ومع أن هذا القول وفي عام 2001 كان يميل إلى السفسطائية في واقعيّته بلحاظ القدرة التي يمتلكها الغرب في عالم التسليح وعالم المراقبة، ولكن ما أن يدخل عام 2013 وعام 2014 حتى صار الأمر واقعياً بعد أن هاجمت عصابات (داعش) المتشددة ذات الثقافة السُنيّة العراق ولبنان وسوريا وهي تهدد بقيّة أقطار العالم السُنّي الذين لا يمتلكون تلك الثقافة مع التزامهم سُنيّة المذهب.

وبمجرد أن سقطت أبراج مركز التجارة العالمية حتى قَدّمت ثقافة التسنّن تقريرها (المُعلّب) في القول بأن اليهود هم من قادوا عملية ضربة سبتمبر 11 ثم جاءوا بحُجج كثير من هنا ومن هناك أقنعوا العالم الشرقي - أي المسلمين - بأنهم بُراء من ذلك، بل أن اليهود هم من يريد أن يُدخل

(1) برنارد لويس وإدوارد سعيد: الإسلام الأصولي، دار الجيل، بيروت، 1994.

العالم في أتون حرب كبرى وصراعات مستمرة. . . . . . وهي ذات المقولة التي سوّقتها الثقافة السُنيّة فيما قبل ومع كل حادثة من حوادث الصراعات التي تتخفّى ورائها ثقافة التسنّن في الوقت الذي كانت اليهودية المتمثلة بإسرائيل لا تبالي بالتُهمة ولا تُزعج نفسها في الرد عليها لأنها كما يقول المناطقة سالبة بانتفاء الموضوع. . . . . فمادام الهدف الثقافي السُنّي مستمر في تحقيق أهدافه المرحليّة فإنها أي إسرائيل لا تُبالي في الاتهام الذي ليس هنالك في العالم من يتمكن من أن يحصل على أدنى دليل على صحته لأنه أمر لم يحدث[1]. . . . .

في نفس الوقت أشارت التقارير المخابراتية الخاصة بأن السعودية المتمثلة بأقطاب ثقافة التسنّن التي تساندها شخصيات حكوميّة في مستوى متقدم كانت متورطة في تلك الهجمات[2]. فقد أخفت المخابرات الأمريكية 28 صفحة من التقرير الخاص الذي يُبيّن ضلوع السعودية في العملية بصورة مباشرة[3]. ويعتقد الكثير من المطّلعين على تأريخ التسنّن الثقافي بأن الهجمات في سبتمبر كانت رسالة واضحة من قبل أعمدة ثقافة التسنّن إلى الغرب عموماً بقدرة تلك الثقافة على حسم موقف الصراع وتحويل العالم إلى كُرةٍ من نار ما لم يتم إعادة الاعتبار إلى تلك الثقافة في سيطرتها على العالم وخصوصاً العالم العربي ومنع الغرب من التدخل في تغيير الأنظمة.

لم يكن أمام العالم الغربي وهو يعيش بداية حرب شاملة مع عدو قوي متخفٍ يمتلك المال والموقع والسلاح ويمتلك ملايين من البشر المتطرفين

(1) Christopher M. Blanchard, Alfred B. Prados. Saudi Arabia: Terrorist Financing Issues, Updated September 14, 2007. CRS Report for Congress.
(2) http//:www.asecondlookatthesaudis.com/
(3) Why Are 28 Pages about Saudi Involvement in 9/11 Still Secret? http//:truthstreammedia.com/

إلّا أن يُخطط لمستقبله في تجنب غزوات متوحشة مادتها أفواج بشرية تنطلق من هنا ومن هناك لتضرب العالم الغربي بل كل من يقف في طريقها في سبيل تحقيق إعادة القوة لثقافة التسنّن المفقودة والتي كانت تمتلكها ولحين تأريخ 1923......

فالأمة الإسلاميّة أمة جاهلة بعيدة عن المعرفة والعلم والتكنولوجيا، وهي في الوقت نفسه تعيش في واقع بائس فقير تغيب فيه كل مقومات الحياة الكريمة[1]. فقد مارست تلك الثقافة عملية تعبويّة فكريّة وإعلاميّة ودينيّة ضد الآخرين أعدائها ممن يقفون حجر عثرة في طريق تحقيق هدف إعادة سيطرة قوى الثقافة السُنيّة ثانية، وهؤلاء كما تشير إليها أدبيّات تلك الثقافة بأنهم يتمحورون في فريقين وهما الشيعة كثقافة وكفكر وكشعب، ثم العالم الغربي الذي يمتلك القوة العلميّة التسليحية.

فقد أنذرت الثقافة السُنيّة الغرب من مغبّة الاستمرار في مساندته إلى الدول العربية والدول التي كانت تقع تحت الحُكُم الإسلامي ما قبل عام 1923 في أن تنقل المعركة إلى داخل مدن الغرب أمريكا وأوروبا، ولكن الغرب بما يمتلكه من قدرات ومعلومات لا يرى من بُد في أن يتعامل مع الواقع ليس بلحاظ القوة التي تمتلكها ثقافة التسنّن بل بلحاظ الجهل المُطبق الذي تعيشه الجماهير المسلمة..... فقد كان على الغرب أن يُمارس جُهده في التأثير على الحكومات العربية في الدخول في مشروع التحديث الفكري والاجتماعي وعلى المدى الطويل من أجل التخلص من بيئة تفريخ الإرهاب والسلفية اللذين اعتمدا ثقافة التسنّن في طريق المواجهة. ولكن

(1) انظر احصائيات الفقر في العالم على الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_percentage_of_population_living_in_poverty

الحكومات العربية كانت أعجز من ذلك أمام عدو داخلي يعيش بين جلده ولحمه فبقي المشروع الغربي يُراوح هنا وهناك، نجح في البعض وفشل في أكثر الأقطار الإسلامية.

فالجماهير العربية أو الإسلاميّة أصلاً لا ترى من شرعية لحكم عربي أو لسلطة سواء أكانت تلك الجماهير ذات توجه سُني ثقافي أو وطني عريق، بل كانت ترى في تلك الأنظمة بأنها في حالة تحالف مع ثقافة التسنّن الذي يُقدم الطرفين كل للآخر ما يتمكن به من تحقيق أهدافه. وبذلك وأمام هذه الحالة كان لا بد وأن يحدث هنالك من تغيير عالمي لحالة معقّدة جداً وخطرة على مستقبل الناس في الكرة الأرضية[1]. . .

فقد بدأ الكثير من الناس وبعد انطلاق تكنولوجيا التواصل الاجتماعي والانترنيت في التنبّه إلى خطورة أفكار الثقافة السُنيّة والتي ساهمت إيران بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إشاعة هذا المفهوم ليس من خلال مُحاربة الفكر (الأشعري) وإنّما بتقديم البديل (الشيعي) وهو البديل الذي لا يرى في أي إنسان من حق على الآخر مهما امتلك من سلطة أو قوة أو مركز ديني أو سلطوي أو ما إلى ذلك. . . . . . بل أن أموال الناس ودماءهم هي مُلُك الله

(1) مسلمو العالم 2. 1 بليون نسمة، 80% منهم سنة، أي ذو عقيدة إما (أشعرية) أو (معتزلة). ربما 80% منهم (أشعرية). العقيدة تلك ترى وجوب قتل الكافر وليس تأجيله كما هي عقيدة (المرجئة). وتعريف الكافر هو الشخص المُصرّ على ارتكاب الصغيرة، أما مرتكب الكبيرة فهو محكوم عليه سلفاً بالقتل. كما تُقر هذه العقيدة أهمية قيام حكم يستند على شرعية (القوة والاستيلاء) وليس الانتخاب أو القوانين الديمقراطية. . . . . معظم المسلمين لا يعلمون بذلك بسبب جهلهم وضعف مستواهم الفكري، وهذا الإطار الفكري لا يُقدّم إلاّ للشخصيات التي تحتاجها ثقافات التسنّن في الانضمام إلى التشكيلات السلفيّة أو قوى العنف. . . . يعني ذلك بأن مليار مسلم هم مُرشحون في أن يتحولوا إلى مادة جاهزة للعنف والقتل، كما أن كل سكان العالم من غير الأشاعرة هم مرشحون للقتل (الوجوبي) الذي يُثاب عليه من قبل الخالق.

فقط ومن بعده للنبي (المتوفى) ثم إلى (المعصوم) الغائب، وبغياب المعصوم يتوقف القتل تماماً لكل إنسان مهما كان ذلك الإنسان مُوغلاً في القتل لأنها ليست من صلاحية البشر وإنّما صلاحية المعصوم فقط[1].

ولكن الجماهير العربية جماهير مشلولة في طبيعة إدراكها وتفهمها لواقع الدين وواقع المذهب، فقد اعتبر (المذهب) الشيعي مذهب غير إسلامي بل هو صنيعة اليهودي عبد الله بن سبأ[2]، فلم يكن للمسلمين من شجاعة في تبني الفكر الشيعي (ثقافياً) خصوصاً وأن إيران التي ارتبط اسمها طبيعياً

---

(1) بل يذهب بعيداً العلامة البهائي (ت 1030/ 1621م) في القول بأن العقاب الأخروي أيضاً يسقط عن ذلك الإنسان الذي نشأ في بيئة مخالفة للإسلام ولم يُدرك أو يتوصل ما يُمكن أن يرى العكس إما بسبب جهله الفكري أو غيرها، كما كان للجاحظ (ت 255/ 868م) قبلاً نفس الرأي، وهو رأي كل علماء الشيعة الإماميّة تقريباً ولم أرى ما يُخالف ذلك على حد علمي وهو قمة التسامح والتحمل في التعايش بين بني الإنسان.

(2) أدبيّات الثقافة السُنيّة عن الشيعة أدبيّات تكفير وقتل وعزل وانتقام وهي ما تفتأ منذ اليوم الأول لعصر السقيفة 11 هجرية تصبُّ جام غضبها ومحاربتها ضد الشيعة لأن التشيّع يمتلك فكرة مخالفة (ثقافياً) للتسنن، بل أن التشيّع في القرن الرابع الهجري كان قد ساد العالم الإسلامي بعكس ما هو موجود الآن، ولذلك اجتهدت تلك الثقافة على ربط التشيّع باليهود والزندقة (ماني) وغيرها من الأفكار غير الإسلامية. وهنالك الكثير من المصادر الهامّة التي تتكلم عن الفرق الضالة، حيث يبرز كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني (ت 548/ 1127م) في الطليعة في هذا المضمار، ويُعدّ هذا الكتاب انطلاقاً من شموليته وقدمه مصدراً جيداً لدى المحققين والباحثين، هذا بالرغم من تعصّب المؤلف في بحثه موضوع الدراسة. . . . وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب حديث افتراق المسلمين إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وقوله بأنّ أهل السُنّة هم الفرقة الناجية، ومن هنا سعى الشهرستاني وهو يعدّد فِرق الشيعة وتشعّبهم واختلاف مذاهبهم إلى أنّ يثبت بطلان المذهب الشيعي معتبراً فرق: المختارية، الباقرية، الجعفرية، المفضّلة، النعمانية، الهشاميَّة واليونسية فِرقاً شيعيةً وهي فرق وهمية ليس لها وجود تاريخي، بينما ذكر المقريزي في خُططه أنّ فرق الشيعة تناهز الثلاثمائة فرقة، وعندما راح يعدّدها لم يتمكن من تجاوز العشرين فرقة فقط.

بالفكر الشيعي هي دولة تمّ تشويه وجهها (حقاً أو باطلاً) بالكثير من الأقاويل والدعايات بطريقة من الصعوبة على المسلم أن يمتلك كفاية من الشجاعة للجهر بما صدر عنها من مفاهيم متعلقة بالدين أو بالحياة. هذا في الوقت الذي برزت على الساحة الإسلاميّة الكثير من الدراسات ومن البحوث في عدم عقلانيّة التُراث الديني السني (الثقافي) واصطدامه مع العقل الإنساني السوي وهو ما أدّى أخيراً إلى حالة من الانتفاض على مفاهيم الدين الإسلامي وتوجّه المجتمع وفي الخفاء إلى التحلل من الدين سراً من خلال التعمد في مخالفة طريقة تعامل أدبياته مع الحياة، فازداد هنا التناقض وكبُرت الهوة ما بين المفاهيم وبين التطبيق وهذا ما أدّى إلى ظهور الكثير من الأفكار ذات الوجهين بُغيّة من الناس في التخلص من الدين وسلطته[1] بطريقة لا تسمح للمجتمع أن يناله أو يوجه له التهمة في الكفر أو غيرها.

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فإن الدين تحوّل إلى قوة بيد طبقة أو فئة إما حزبية أو جمعيّة سياسيّة ولم يعد للمواطن العادي العربي المسلم من قدرة في الاقتراب منه، وعليه أن يمر من خلال تلك القنوات في الانتماء إلى الدين، وإلّا فإنه سيبقى إنساناً لا يمكن الاعتراف بتديّنه، بل الإشارة له بأنه كافر افتراضاً. هذا في الوقت الذي بدأت المقولات تنتشر هنا وهناك بأن الدين هو الطريق الوحيد فقط لسعادة الوطن ولرخاء الإنسان (الإسلام هو الحل).

كانت ثقافة التسنّن هي من يقود عملية اضطراب المفاهيم وخلطها وذلك انطلاقا من فكرة إبعاد المسلم عن النظر بواقعيّة إلى أدبيّات الثقافة

(1) الدين بالنسبة إلى العرب هو عامل قوة كما هو المال والعشيرة وغيرها، أما الغربي فإن تركه أو تمسكه بالدين لا يفقده ولا يكسبه تلك العوامل، وإنّما تمسكه بالدين نابع من إيمانه بأهميته في رفع مستوى أخلاقة وتفانيه في حُب وخدمة المجتمع.

السُنيّة التي وصلت إليهم، وقد وقفت أمام هذه العملية الخلطيّة شخصيات عديدة معظمها من الأزهر وبعضها من عوام المجتمع ولكن المصريين كانوا هم من قاد عملية توضيح الرؤى، هذا في الوقت الذي كانت الدولة تعيش على تُراث الثقافة السُنيّة التي تبرر لها السلطة والحكم تحت أسماء متعددة.

وبالنظر إلى الواقع في فترات ما بعد هجوم سبتمبر 11 يمكن لنا أن نرى التالي:

- حكومات عربية ديكتاتورية تستظل بأدبيات وتشريعات (ثقافة التسنن) والعكس صحيح، مع إهمال مُتعمد من قبل تلك الحكومات في دراسة تراث تلك الثقافة مُجدّداً وإنقاذ المجتمع من كوارثها.
- جماهير في طريقها إلى الوعي بعد أحداث الثورة الإسلاميّة في إيران وبعد وصول تُراث (ثقافة التشيع) إلى الناس من خلال تكنولوجيا الاتصالات والإعلام.
- ضُعُف ملحوظ فكري وعلمي في تراث (الثقافة السُنّية) وبدء الهجوم عليه من قبل مُثقفي المجتمع.
- تمكّن معظم دول العالم التحرر من الديكتاتورية وإقامة أنظمة اجتماعية انتخبها الشعب. وخصوصاً دول أمريكا اللاتينية ودول أوروبا وآسيا وأفريقيا.
- استمرار القوى الدينيّة في المجتمع (ثقافة التسنن) في الإصرار على ثقافات الماضي ودفع المجتمع إلى تبني مفاهيم البداوة التي أهمها القتل والتكفير وتسفيه أفكار الآخرين.

هذا في الوقت الذي كانت أمريكا ترى أهمية تغيير النظام السعودي

بطريقة ما بسبب دورها الكبير بما يتعلق بواقع الإرهاب ونشر ثقافة التسنّن المتطرفة، ولكن العلاقة التي ربطت أمريكا بالسعودية هي عقبة كبرى رئيسيّة والتي بكسرها ستكون هنالك أكثر من بؤرة إرهابية عالمية لما للسعودية من قدرات هائلة وكبيرة على مستوى النفط وعلى مستوى العلاقات المالية هذا بالإضافة إلى العلاقة مع الكارتيل اليهودي العالمي. . . . .

فصار الرأي الأمريكي هو أن يتم التغيير العربي ابتداءاً من العراق على أن تكون الاستراتيجية النهائية هي السعودية، فبتغيير العراق أو أي قطر عربي باتجاه الديمقراطية فإن ذلك سينعكس إيجابياً على التغيير داخل السعودية[1]. .

فالعراق كان لُقمة سهلة أمام منفذ التغيير إلى الدول العربية ثم التعامل مع أدبيّات ثقافة التسنّن التي باتت تُهدّد العالم[2] من خلال تغيير منتظر لحالة النظام السعودي ربما عن طريق تحلل السعودية من الثقافة المُتحكمة في تركيبته وفي أسس علاقته مع الدول العالمية الأخرى.

دخلت أمريكا العراق في نسيان 2003 فكان ذلك أول عمل (عولمي) باتجاه الاهتمام بسلام العالم ومستقبل إيقاف مساعي ثقافة التسنّن التي تُهدّد العالم اليوم بسلاح الإرهاب الفعّال. . . . . . وبقدر ما كان ذلك الاحتلال مُسراً للثقافة السُنيّة فإنه في الوقت ذاته كان كارثة أخرى مستقبليّة فيما لو تمّ بالفعل إتمام عملية إنشاء دولة ديمقراطية واقعية حقيقية على يد أمريكا، وهذا

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Richard_Perle.

(2) أسلحة الدمار الشامل وقصتها وتعقيداتها ثم غزو العراق كان توجّهاً يرمي في فلسفته إلى تغيير الواقع العربي كلياً من خلال العراق كما هو اعتقاد الإدارة الأمريكية (خطأً) بأنه القطر الذي يمتلك قدراً كبيراً من علماء الفكر وعلماء تغيير المجتمعات، وكان منطلق هذا الاعتقاد متأتٍ من تصورها عن التأريخ القديم لحضارة وادي الرافدين وغيرها.

لو تمّ فإنه سيكون الحدث الأول عالمياً ودينياً في أن يقود الشيعة العراقيون أول مسيرة ديمقراطية في العالم الإسلامي بعد أن كانت إيران الشيعيّة قد قادت أول ثورة شعبية سلميّة إسلامية في التأريخ وتمكنت من أن تُغيّر مفاهيم المسلمين باتجاه الفهم الواقعي لمصطلحات التغيير ومصطلحات الحكم.

قامت الدنيا ولم تقعد بعد نجاح إزاحة صدام وبداية التغيير الديمقراطي في العراق..... منبع رد الفعل ذلك هو ارتباط التغيير بثقافة التشيع، فقد أثيرت حول الشيعة الكثير من الشُبُهات في التعاون مع الغربيين وقوات التحالف في التخلي عن القتال[1] هذا في الوقت الذي لم نر ذلك في موضع تهمة عندما دخلت قوات التحالف إلى جنب الشعب الليبي في إسقاط القذافي وكذلك في سوريا بحيث أن الحكومات العربية كلها كانت تتوسل إلى قوات التحالف في ضرب النظام السوري ودخول القوات البرية إلى سوريا. وهذا مؤشر جليّ على توجه الثقافة السُنيّة ونظرتها إلى التشيّع وثقافته...... وربما كانت أحداث البحرين[2] خير تفسير لفلسفة تلك الثقافة تجاه الثقافات الأخرى التي تُناوئها وخصوصاً في العراق[3]

(1) قادة الجيش العراقي كلهم تقريباً من الطائفة السُنيّة العراقية، أما الضباط الصغار والجنود فهم من الشيعة، فقد قاتل أولئك قوات التحالف لأكثر من عشرة أيام بينما سلّمت المدن السُنيّة نفسها وببساطة إلى الحلفاء. واعتقد أن القتال كان بمناية إثبات وطنية لا غير.

(2) يحوي البحرين على أكبر نسبة من الشيعة مقارنة بالأقطار العربية الأخرى حيث تصل نسبتهم إلى 80% مع أن النظام البحريني حاول ولازال في محاولاته تجنيس العرب والأفارقة والآسيويين مما خلق هوة وشرخ في تركيبة المجتمع البحريني ككل.

(3) كانت تقارير ثقافة التسنّن التي غذّت بها مراكز البحوث الغربية خطأً بأن عدد الشيعة في العراق لا يتجاوز 40% والذي على ضوء ذلك لم يتم منذ عام 1947 عد إحصائي لنفوس العراق. أما ما بعد التغيير في عام 2003 وبعد أن دخل القطر في العمليّة الانتخابية بات من المؤكد بأن عدد سنة العراق هم فقط 17% من النفوس وهي ذات النسبة للقومية الكردية بينما نسبة الشيعة هو 64%.

وسوريا[1] والبحرين ولبنان[2].

فقد أثّرت أحداث العراق على مجمل المنطقة وعادت الثقة إلى الشعوب في إمكانيّة التغيير من خلال الإقتراب في المفاهيم الحضارية، فقد ضعُفت مقولات (الصليبية) و(الصهيونية) و(المسيحية) و(الكفرة) و(الغرب) وما إلى ذلك واقتربت المفاهيم الإنسانية بعضها من البعض الآخر مثل مفهوم (الحرية) و(الديمقراطية) و(فصل السلطات) وغيرها من مفاهيم مُهمة تشترك بها ثقافات الغرب مع ثقافة التشيّع التي ظهر بأن تلك الثقافة لم تكن مُقتصرة على المناطق الشيعيّة أي التي تلتزم شعوبها بالتشيع مذهباً كما هو مُعتقد في السابق، بل اتسعت تلك المفاهيم المُشتركة لتشمل (السُنّة المذهبيين) بشكل أكثر من (الشيعة المذهبيين).

فقد تمّ اكتشاف حقيقة مهمة وجوهرية كانت كامنة لقرون من الزمن كما هي الجوهرة التي تتعمق قيمتها كلما ازداد احتراق عنصر الكاربون في باطنها ووجودها في داخل الأرض. تلك الحقيقة هو أن ثقافة التشيّع

(1) ترى الثقافة السُنيّة بأن النظام السوري هو نظام (شيعي) مع أن ذلك مخالف للواقع كلياً هذا في الوقت الذي ينتمي الرئيس إلى طائفة العلويين أو كما يسمون النصيريين وهي الطائفة التي انفصلت عن التشيّع في القرن الثالث الهجري على يد (محمد بن نصير النميري ت 270) إلى أن تحوّلت إلى حركة باطنيّة مختلفة كلياً عن الشيعة التي لها طريقتها في فهم الدين وفي النظرة إلى الأئمة وغيرها.

(2) نسبة الشيعة في لبنان تحول إلى رقم صعب بعد أن كانوا يمثلون الأقلية ولذلك عُهد إلى الشيعة رئاسة أقل سلطة في الحكومة وهي مجلس النواب، ولكن خلال الفترة منذ حرب 1982 والى الآن تغيّرت التركيبة الديموغرافية في لبنان بعد أن أصبحت نسبة المسيحيين المارونيين يمثلون النسبة الأصغر وصعد الشيعة ليحتلوا المركز الأول في عدد النفوس، هذا في الوقت الذي رفضت الطائفة الشيعيّة أن يُعطى لها مركز رئاسة الجمهورية الذي يتبع الطائفة الأكبر، كما لم تتغير عدد المقاعد البرلمانية التي من المفترض أن يحصل عليها الشيعة بعد التغيير في ديموغرافية القطر.

بمفهومها منتشرة في الكثير من المناطق العربية خصوصاً تلك الأقطار التي عاشت في الماضي مع تجربة شيعيّة ناجحة كمصر مثلا أو اليمن أو تونس، فهذه الأقطار التي ذكرتها كانت تمتلك تجربة تأريخية عميقة مع مفاهيم التشيّع والتي تتبلور كما ذكرتها في نقاط أهمها هو التسامح، وتحمّل الآخر، السلميّة في التغيير، نبذ عوامل البداوة من الغزو والسلطة، حكم اجتماعي مقصده العدالة حتى بدون تحققها، احترام الإنسان، الدين جزء من مسيرة الإنسان وليس كله، تفهّم المعادلات الثلاث (علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، علاقة الإنسان مع الطبيعة، علاقة الإنسان مع السماء). فلولا التدخل الأمريكي إلى العراق لم يكن أمام الشعوب أن تكتشف ثقافتها الكامنة فيها، فهي الشبيهة بعنصر القدرة الذي يكتشفه الإنسان في داخله فقط في حالة التحدي[1].

فقد أخبرنا التأريخ بأن كل الأمم التي تطورت في ثقافتها وفي بناء حاضرها كانت بداية النهوض هو حادثة كبرى مثل إحتلال أو حرب أهلية أو مجاعة عارمة أو ما شابه. فقد انطلقت الأمّة التركيّة لتصل اليوم إلى الدولة رقم 12 في العالم بعد أن كانت رقم 80 عندما واجهت معاهدة روما في أخريات أيامها وبعد أن تمكّنت أمم أخرى من أن تغزوها وخصوصاً روسيا.

كذلك الشيء ذاته تجده في الأمّة الإيرانية التي انطلقت في ثقافتها بعدما احتل الروس شمال بلدهم في عام 1909 ودخلوا تبريز عاصمة إيران آنذاك. هذا الأمر ربما تجده مشتركاً في أمم كثيرة مثل مصر والولايات

(1) The Sunni-Shia Divide. Report from Council on Foreign Relations. http//:www.cfr.org/peace-conflict-and-human-rights/sunni-shia-divide/p33176?cid = ppc-Google-grant-sunni_shia_infoguide&gclid = CNbExKXokMEC FQcewwod-zsApA#!/

المتحدة ذاتها وكذلك دول أوروبا، فالتغيير في القوى الحاكمة أو في نوعيّة الحاكم يفرض على الأمّة أن تبحث في أعماقها عن ثقافة جديدة مختلفة عن الثقافة التي كانت سائدة في العصور السالفة.

أما على مستوى الثقافات البدويّة أو الثقافات التي سادت المنطقة باسم الدول الإسلاميّة فإنها لم تكن تمتلك فهماً وطنياً في تعريفها لمصطلح الأجنبي أو الغازي، بل كانت مقاييسها مرتبطة بالقدرة على التسلط والحكم ومن خلال عقد صفقة تبادل مصلحة بين القوي (الآني) وبين أعمدة أو رموز الثقافة السُنيّة بالطريقة التي تضمن لهم حيّزاً من القوة كما هو الواقع في العهد البويهي والسلجوقي ودول الخروف الأبيض والأسود ثم المماليك إلى زمن العثمانيين. . . . . . .

فالحاكم كان آنذاك يحكم تحت ظل حكومات أجنبية بما هو المصطلح لتعريف الأجنبي في الوقت الذي قبلت ثقافة التسنّن أن تذوب في تركيبة ذلك القوي بطريقة تتقاسم معه السلطة بغض النظر عن طبيعته وشكل الاحتلال الذي تمّ نيله، أو الطريقة التي توصّل إليها بانتزاع السلطة. . . . . . وهذا لا ينطبق فقط على العصور القديمة فيما قبل العثمانيين وإنّما لاحظناه في الأزمنة الحديثة في العراق وفي مصر وسوريا. . . فقد كان أعمدة التسنّن في انحياز تام إلى الدولة العثمانية (الإسلامية)، وما أن دخل البريطانيون (الكفرة) إلى العراق حتى كانت ذات الرموز التي خدمت مع الدولة الأولى مُتصدّرة المشهد السياسي كقادة لا كتابعين. وهو في الحقيقة من أهم الصفات التي تُميّز الثقافة السُنيّة عن الثقافة الشيعيّة. . . . فالأولى شرعيّتها القوة ومن يملك القوة يملك الشرعيّة، بينما لا ترى الثانية من مبرر في ذلك.

فعند دخول الاستعمار في الدول العربية ما بعد الحرب الأولى والثانية

وجدنا بأن الثورات التي اندلعت في البلدان العربيّة كانت ثورات قادتها إما شخصيات (الصوفية) أو شخصيات (الشيعة) أو شخصيات (وطنية). . . . . ولا يتوارد إلى ذهني بأن شخصيات التسنّن السياسي كانوا قد قادوا عملية تحرير لأوطانهم ضد (الأجنبي الكافر الصليبي) أو ما إلى ذلك. فعُمر المختار، وعبد الحميد بن باديس، والسنوسي وعبد القادر الجزائري، وأحمدو بللو ومحمد سعيد الحبوبي وعُرابي ومُكرّم لم يكونوا ذو ثقافة سُنيّة مع انتماء بعضهم إلى التسنّن مذهباً.

بعد فترة سقوط الاتحاد السوفيتي وبداية العولمة توجهت الشعوب العربية والإسلامية في البحث عن ثقافة جديدة قولاً منهم واعتقاداً في استحالة غياب تلك الثقافة من الفكر الإسلامي عموماً أو الفكر الثيولوجي. . . هذا بعد أن أدركوا مآسي الثقافة التي كانوا قد عرفوها خلال العقود المنصرمة وهي الثقافة السُنيّة، فبدأ البحث هنا وهناك بين ثنايا التأريخ وأروقة الفكر، وانبرى لذلك مُفكرون عمالقة كانوا قد وضعوا بعض النقاط على خارطة الوصول إلى الثقافة الجديدة المنقذة، ولكن كما هو معروف فإن سيف التسلط وتهمة التكفير كانت بالمرصاد لكل من يجرؤ على سلوك هذا الطريق. . . . . وكما نعلم بأن الدول العربية بما هي عامة كانت تقع تحت حكم ديكتاتوري أعمى ماعدا مصر نوعاً ما ثم لبنان ثم المغرب، فكان القضاء المصري بالمرصاد لمن يُفكر في سلوك طريق البحث الثقافي بعد أن ينبري له قادة التسنّن الثقافي كما حدث مع المفكر نصر حامد أبو زيد وغيره. أما في لبنان فإن رصاصة صغيرة كافية لإنهاء مسيرة ذلك البحث.

فقد مرّت عملية البحث عن ثقافة جديدة بعدة محطات نلخصها بثلاث:

- محطة التهجم على الواقع (المجهول) بدون التسميات مثل كُتب نقد

الفكر الديني وكانت في بداية السبعينيات وكان يقود الظاهرة القصيمي السعودي (ت 1996) (له 30 مؤلف) والذي تعرّض إلى محاولتي إغتيال. صادق جلال العظم (ت 2007) (له سبعة كتب)، عبد الله العروي (الرافضي) (كما كان يُسمي نفسه) المغربي (له 25 كتاب)[1]، محمد عابد الجابري (ت 2010)، محمد حسين فضل الله (ت 2007). نجيب محفوظ (ت 2006).

- محطة نقد الفكر السني الثقافي بالتسمية مثل أعمال جمال البنا (ت 2013)، جورج طرابيشي، المهدي المنجرة (ت 2014)، حسن الترابي، راشد الغنوشي، عبد الكريم سروش، علي شريعتي (ت 1977)، محمد باقر الصدر (ت 1980)، مصطفى محمود (ت 2009)، مرتضى مطهري (ت 1979)، عبد السلام ياسين (ت 2012)، عدنان إبراهيم، زكريا أوزون.

- محطة المواجهة مع ثقافة التسنّن وإعلان الحرب من الطرف الآخر والتكفير منهم نصر حامد أبو زيد (ت 2010)، (له 20 مؤلف)، فرج فودة اغتيل في 1992 (له 20 كتاب)، أحمد صبحي منصور، خليل عبد الكريم (ت 2003)، السيد القمني، سعد الدين إبراهيم، علي عبد الرزاق (ت 1966)، حسن حنفي، محمد أركون (ت 2010)، محمد شحرور، الدمرداش العقالي، صالح وردان، أحمد عباس صالح (ت 2006)، هاشم صالح، د. حسن شحاتة (ت 2013)،

(1) منهم كذلك ممن سار على نهج التجديد ورفض ثقافة التسنّن هم : سلامة موسى، طه حسين، العقاد، بن باديس، ، علي الوردي، قاسم أمين، محمد الغزالي، مالك بن نبي، محمد رشيد رضا، محمد عبده، الشعراوي، مصطفى مشهور وغيرهم كثيرون.

يوسف زيدان وهنالك تيار واسع جداً وكبير منهم[1] يمكن للقارئ مراجعة أدب الحداثة من خلال مواقع الكترونية كثيرة.

وكانت عملية البحث عن ثقافة جديدة جُهداً لا يختلف عنه في مسيرة اكتشاف دواء جديد لمرض عُضّال كان في السابق يتم مداواته بالأعشاب كالجُذام مثلاً أو شلل الأطفال أو غيره. . . . . وهذا الجهد يتطلب مُستلزمات البحث من المادة الفكريّة ومن الأموال ومن الشخصيات وغيره، وغالباً فإن المحاولة الأولى للاكتشاف كانت نتيجتها الفشل وربما الثانية والثالثة إلى أن تصل مسيرة البحوث إلى جيل آخر غير الجيل الذي بدأه عندئذ تتناسق أفكار العصر الحضاريّة مع طبيعة الاكتشاف فيتمكن عندئذ العقل الإنساني من الخروج بنتيجة الاكتشاف الجديد.

مما لاشك فيه أن معظم الحداثيين الكبار ممن سلكوا طريقة التجديد والبحث عن ثقافة جديدة اصطدموا بواقع مؤلم مما أثار في نفوسهم حنقاً كبيراً وألم داخلي كمن يسافر إلى أقاصي الأرض في البحث عن دواء لمرض وعندما يعجز عن ذلك يجده لدى أخيه الذي امتنع في أن يُقدّمه له لأنه غاضب عليه لسبب شخصي أو دافع أناني. . . . . .

إن الثقافة الشيعيّة موجودة في سلوكيات قادة التشيّع وخصوصاً مسيرة الأئمة ومسيرة الكبار من القادة الذين كان لهم حضور فاعل في مسيرة

(1) سعيد العشماوي، فؤاد زكريا، حسين أمين، نوال السعداوي، لويس عوض، عبد العظيم رمضان، نور فرحات، مكرم محمد أحمد، أحمد بهاء الدين، صلاح حافظ، محمود السعدني، رفعت السعيد، أحمد عبد المعطي حجازي، صافي ناز كاظم، أدونيس، محمد عمارة، محمد مسعد ياقوت، هشام جعيط، أبو الحسن حميد المقدس الغريفي، عبد الجبار الرفاعي، أحمد القبانجي، عبد الجبار جبران، محمد الطاهر بن عاشور، محمد الفاضل بن عاشور، محمد سليم العوا، محمد شحرور، صلاح عيسى. راسم النفيسي.

التأريخ، ولكن الصعب في العملية هو تغييب ذلك الجهد ومنعه من أن يصل إلى يد أولئك الباحثين من خلال الحجر الفكري باستعمال فتاوى التكفير والقتل والتهميش وغيرها.

فالكتاب أو الفكر الشيعي لم يُسمح له بأن ينتقل إلى المسلمين، بل أنّ الثقافة السُنيّة قد حرّمت تناوله أو تداوله أو الحديث فيه أو حتى قراءته من أجل الرد عليه، فكانت التُهمة التي ألصقت بفكر الثقافة الشيعيّة هو أن كل ذلك الفكر هو منطلق من منهج (التقيّة) التي يلتزم بها الشيعة، وهذا معناه بأنه فكر كاذب منبعه التقيّة التي عرّفوها إلى أتباعهم بشكل مُحرّف وهو: (قول شيء واستبطان شيء آخر مخالف له) أي بعبارة أخرى النفاق. . . . . .

فحتى الصحيح من كُتب الشيعة هو نفاق، والحديث معهم هو حديث تقيّة أي كذب ونفاق. هذا بالإضافة إلى روايات كثيرة وأقاويل تصل إلى قصص أغرب من الخيال[1]، وهذا الحشد الكبير من التُهم بدأ منذ عصر السقيفة أي 11 هجرية ولم تتوقف في فترة من الفترات خلال أكثر من أربعة عشر قرناً بل ازداد وتجدّد بشكل أقرب إلى الاكتشافات العلميّة التي يُبدع بها الإنسان في الوصول إلى نتيجة نافعة له. . . . .

وقد تمّ رصد دعاة وشخصيات همها الأول هو تسفيه فكر الثقافة الشيعيّة في أعين جماهير السُنّة لكي يتم منع تداول الفكر وزرع الحساسية

(1) الشيعة لهم ذيول كالحيوانات، الشيعة أولاد زنا، ومن يضع في أذنيه قرط فهو أبن مُتعة، الشيعة يهود متخفين بثياب الإسلام، الشيعة قتلة لا يمكن الإيمان بمصاحبتهم، الشيعة يؤمنون بالزواج من المحارم، الشيعة لا يصومون ولا يصلون وإنّما ذلك رياءاً وتقية، الشيعة يشربون الخمر في السر في بيوتهم، الشيعة فرس من بقايا الدولة الساسانية التي فتحها الخليفة الفاروق، الشيعة يسبون الصحابة، الشيعة يقدحون في شرف عائشة . .الخ من شُبُهات مُثيرة جداً نحاول أن ننأى بأنفسنا عن ذكرها لما لذلك من ألم نفسي للقارئ.

الفكريّة والبيولوجية في أجسامهم تجنباً من الاقتراب من هذا الفكر. . . . .
فقد حَرّمت الثقافة السُنيّة التعلم من الآخرين الذين سمتهم (كفرة) أي كل من لم يتفق مع تلك الثقافة فكراً وعملاً. فلم نر في التأريخ السني والى حين القرن الثامن عشر من بعثات تعليمية قامت بها سلطة الدولة أو علماء التسنّن إلى الغرب أو أية دولة أخرى وذلك بحجة أن هؤلاء كفرة يُحرّم تعلّم علومهم بغية منع الإنسان المسلم في البحث عن أسس تلك الثقافة ومصدريتها وارتباطها الفعلي بالسُنّة النبوية أو بالقرآن.

وهذا يفسر لنا ظاهرة ارتباط العلم والثقافة بجماهير الشيعة منذ القدم. . فعلماء المسلمين الكبار كابن سينا والفارابي وابن حيان وابن منظور والأصمعي وابن النفيس الذي ترجم بصورة سرية الكثير من الكتب في الوقت الذي كانت أعمدة الثقافة السُنيّة ترى في الترجمة كفراً(1).

فقد بادر العالم الفلكي تقي الدين الشامي (ت 1585) إلى إقناع مراد الثالث (ت 1595) ببناء مرصد فلكي وعندما تمّ بناؤه بادر شيخ الإسلام زاده أحمد شمس الدين أفندي (ت 1580) إلى الإفتاء بحرمته بحجة أنه يجلب النحس فسواه بالأرض. وغيرهم كثيرون كانوا شيعة في الانتماء المذهبي. . . كذلك تجد ذلك الانطباق على الشعراء الكبار في التأريخ الإسلامي كالمتنبي وجرير والأخطل والفرزدق وأبو تمام والكميت وغيرهم كثير كل ذلك متأتٍ من فرضيّة ميل الثقافة السُنيّة إلى تسطيح فكر مُتّبعيها لكي لا تظهر خلفيّات ثقافتها وحلقات ارتباطها القرشيّة والبدوية. بينما الشيعة في العموم هم من تبنى نظرية العلم باتساعه، كما فُتح باب الاجتهاد وهو باب مدخل كبير إلى الثراء العلمي والفكري والعقيدي والحضاري.

---

(1) احرق البروتستانت الشخصية العلميّة ميغيل سرفينوس في جنيف عام 1553 م بعد اتهامه بترجمة كتب من اللغات الأخرى. أنظر ترجمته على الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Michael_Servetus.

وثمة شيء متعلق بهذا الأمر في رد التهمة عندما تُوجّه إلى الثقافة السُنيّة وأقطابها في سبب تأخّر المسلمين وخصوصاً العرب منهم، فالرد يأتي جاهزاً منهم هو أن ذلك تابع إلى تركنا لتعاليم ديننا وتعاليم الإسلام الأصيل واتّباعنا الغرب وحضارته وفكره. . . . ويستمر ذلك الشخص في التفصيل في القول بأن السلف من العلماء قد سادوا العالم بسبب التزامهم بتعاليم الدين وبتعاليم سيرة الرسول (ص)، أما نحن فقد سمحنا للزندقة والبدع في أن تحل بين ظهرانينا فكان الجواب هو التأخر.

إنه لمن الواضح لئن كان هذا الأسلوب مؤثر في الوسط العام العربي الذي تنخر فيه الأميّة وتعشش فيه قوى الجهل فإنه لمن الصعب جداً أن تنطلي تلك الأقاويل على المثقفين من العرب أو غير العرب، فقد انفتح العالم في منتصف الستينيات بعضه على البعض وازدادت حركة السفر والاتصال بالشعوب وبالفكر إلى أن جاء عصر التكنولوجيا والذي من خلاله تمكن القارئ العربي في أن يتناول الفكر الشيعي من خلال الكومبيوتر أو أدوات الاتصال الاجتماعي، كما ازدادت حركة الترجمة في أوساط المجتمع العربي في الوقت الذي سافر العرب إلى الغرب للتزود بالعلم الأكاديمي. . كل ذلك ساعد المواطن المسلم على تفهّم فكر التشيّع وثقافته بحيث أن الكتاب الشيعي بعد أن كان مفقوداً في المكتبات العربية بسبب محاربته وحجره من الوصل إلى يد القارئ وإذا به يُفتقد في المكتبات لشدة الطلب عليه بذلك الزخم من التعطّش لمعرفة الثقافة البديلة التي يتوق لها المسلم بعد أن شاهد بأم عينيه المآسي التي آلت إليها ثقافة التسنّن السياسية.

فبعد عام 1979 ثابرت جامعات ومراكز البحث الغربي على معرفة أدب الفكر والثقافة الشيعيّة بعد أن كانت تلك المراكز تستقي مادتها من

أدب (ثقافة التسنن) لأكثر من قرنين من الزمن[1]. فكانت النتائج التي أظهرتها تلك المراكز مخالفة في الكثير مما كان الغربيون يعتقدون به، ولكن ظهور النتائج كان مُتأخّراً من تأريخ سبتمبر 11 عام 2001 بعد أن ضربت ثقافة التسنن حضارة الغرب بضربة موجعة في عقر دارها، وهذا مؤشر واضح ورسالة جليّة إلى الغرب للتوقف عن مسعاه في نشر قيم العولمة والمساواة بين البشر.....

كما انبرى لهذه المهمة شخصيات كبرى بحثية ثقافية مثل إدوارد سعيد (ت 2003) وبرنارد لويس، وفؤاد عجمية (ت 2014)، وفريد زكريا وغيرهم مما خلق حالة مغايّرة إلى الثقافة القديمة التي كانت سائدة في العصور السابقة، وجاءت ضربة سبتمبر التاريخية لكي تفتح الباب إلى المزيد من البحث عن دوافع الثقافة السُنيّة والجواب على الأسئلة التالية:

- أسباب معاداة ثقافة التسنّن للغرب وحضارته.
- أسباب ميل تلك الثقافة إلى استعباد الناس.
- أسباب سعي تلك الثقافة إلى كبت الحريات وقيم الليبرالية كالحرية والديمقراطية.
- أسباب تأخّر الدول التي ترزخ تحت حُكّام تلك الثقافة.
- علاقة تلك الثقافة مع الأفكار الأخرى مثل اليهودية والتشيع.

(1) كان الكتاب الشيعي ممنوع من التداول في كل أقطار العالم العربي، أما في إيران فكان الشاه يحكم بمنطق القوة والدكتاتورية التي لا تسمح لثقافة التشيّع في أن تُكتب آنذاك وهو موقف لا يختلف في شكل سلوكه عن منطق ثقافة التسنن. بل كانت الدولة تُساعد على نشر الكُتُب الصفراء التي يكتبها الشيعة من المتشددين المذهبيين لكي تستعر نار الصراع ما بين الشيعة والسنة.

- منبع أدبيّات تلك الثقافة ومُسبّبات توجهها إلى ضرب الغرب.
- ما علاقة تلك الثقافة بالمفاهيم الإسلاميّة التي جاء بها القرآن.
- نظرة الثقافة السُنيّة إلى مفاهيم الدولة والمجتمع والإنسان.
- شخصيات ثقافة التسنّن وتحديدهم ودراسة جذور وخلفيات تربيتهم.
- البداية التاريخية لثقافة التسنن.
- من يقف خلف تلك الثقافة في العصور المنصرمة ومن يقف إلى جنبها الآن.
- رأي الجماهير المُسلمة من تلك الثقافة وهل هو إيجابي. . ؟.
- دور تلك الثقافة في شكل الحُكُم في البلدان الإسلاميّة والعربية.
- أدبيات تلك الثقافة ومتى كُتبت.
- رأي تلك الثقافة في عقوبات القتل وقطع اليد ورمي الشخص من شاهق وغيرها.
- علاقة التطرف الإسلامي والإرهاب بتلك الثقافة.
- هل التشيّع ظاهرة وفرع من تلك الثقافة أم انه ينتمي إلى فرع آخر. . . ؟
- علاقة التطرف الإسلامي القديم كالقرامطة والحشاشين والإسماعيلية النزارية بالثقافة السُنيّة.
- علاقة إيران ما بعد الثورة عام 1979 بثقافة التسنن.
- هل القاعدة تُمثل الثقافة السُنيّة. . أم الحكام. . ؟ أم السلطات. . ؟

إنه لمن نافلة القول التصريح بأن الدراسات الفكريّة والدينية التي تقوم

بها تلك المراكز لم تكن تناقش هذه التفرعات مع الثقافة السُنيّة فقط، بل أن مجريات البحث العلمي يُلزمها في أن تتناول الشعوب كلها سواء أكانت تلك الشعوب قريبة من السياسة الأمريكية أم بعيدة عنها، فقد تمكّنت تلك المراكز من دراسة الواقع السوفيتي بنوع من التوسع والعلميّة في كل الأقطار التي كانت تقع تحت سيطرتها واستخرجت نتائج قادتها إلى وضع سياسة لإسقاط تلك القوة الهائلة......

الولايات المتحدة والغرب الآن لا يرى من ضرورة في أن يدخل في صراع مع العالم الإسلامي فهو ليس منافس له في الفكرة الثقافيّة، وإنّما العامل الجديد الذي انتاب تلك المراكز هو ظهور فكر جديد لم يكن معروف وخلال لنقل بداية القرن العشرين حتى تأريخ ثورة 1979 ووقوف العالم الإسلامي موقفاً مجابهاً إلى تلك الثورة، عندها بدأت الأسئلة تدور في فلك مراكز البحوث الفكريّة والسياسية إلى أن تمّ معرفة خلفيّات الثقافة السُنيّة التي كانت في الواقع هي المُحرّك للكثير من الحروب والصراعات التي دارت في القرون المنصرمة والتي تتوجه الآن إلى إسقاط الحضارة الأمريكية[1].

في هذه الفترة انتشر الكتاب الشيعي وانتشرت الثقافة الشيعيّة منطلقة ليس من إيران كما يعتقد البعض، وإنّما من الأفكار العربية خصوصاً مصر وهو القطر الذي يحمل عُمقاً مشهوداً في (ثقافة) وليس (مذهب) التشيع. كما أن العراق كذلك لم يكن هو القطر الذي ساهم في تلك الانطلاقة مع أن أكثريته شيعية (مذهبية)، وإنّما كانت الانطلاقة كما أعتقد هو من الأقطار التي تتوفر فيها قدراً من الحرية الفكريّة والشخصية مثل لبنان ومصر وتونس

(1) Robert Satloff. U.S. Policy Toward Islamism: A Theoretical and Operational Overview. council on foreign relations. New York, 200. http//:www.cfr.org/religion/us-policy-toward-islamism-paper-muslim-politics-project/p.8614.

والغرب كله أمريكا وكندا وأوروبا هذا فضلاً عن الجزائر والمغرب. . . . . . فصار الفكر الشيعي فكراً مُتألقاً في أواسط مثقفي شعوب العالم لما يضم بين ثناياه قدرات تسامحيّة في اعتبار بني البشر لهم ذات الموقع في تشريعات المذهب وهو أمر بدا غريباً لأول وهلة باعتبار أن التشيّع يمثل الجهة المتشددة من الفكر الإسلامي كما هم (البروتستانت) بالنسبة إلى المسيحية، ولكن الواقع المسيحي أيضاً يشهد بأن الجهة التي تُمثل موقع التسنّن (الكاثوليك) (Domain) هم الذين أذاقوا الأقلية (Minority) سوء العذاب في القرون الوسطى مع الفرق في أن العالم الكاثوليكي أدرك واقعه قبل فوات الأوان، وقرّر بل فرض عليه أن يكون له موقعه في الحياة من خلال الدين لا من خلال السيطرة والسياسة وهو الأمر الذي لم يتم التوصل إليه لدى أقطاب عالم الثقافة السُنيّة إلى الآن، بل لاتزال تلك الأقطاب ترى بأن السلطة هي قوة وأن القوة هي الجهة التي تُعطي الشرعية، فبفقدان القوة تتحول تلك الثقافة إلى أمر عادي شأنها كشأن أي كيان ديني في العالم، وهذا يعني فقدانه قدرة السيطرة وقدرة التحكم بالبشر وبالموارد وبمستقبل الإنسان على الأرض.

لم يدخل التشيّع في صراع فكري مع التسنّن لأن أقطاب العلم والفقه وعلم الرواية كانوا قد حسموا أمرهم منذ القرن الرابع الهجري وذلك بعد أن تربّع على علم الرواية وعلم الكلام الشريف المرتضي البغدادي (ت 436/ 1015 م)، وكذلك في القرن العاشر الهجري بعد أن تمّ وضع أسس التمذهب، ولكننا هنا لا نحب كما قلنا سابقاً في مناقشة جوانب الفكر المذهبي إلّا بما هو متعلق بالجانب الثقافي لكلتي الجهتين. وإنّما كان الصراع الذي تمّ هو صراع ثقافي وخفي الذي يتناول عقول وقلوب المجتمعات في تغييرها وفي توجهها نحو قطبي الثقافة.

وهنا جاءت اللحظة التاريخية الكبرى في المنطقة العربية لتنطلق أحداث الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين وربما كل الأقطار العربية لتُقدّم دليلاً جلياً على فشل ثقافة الحُكُم (المتسننة) التي كانت استمراراً لحكومات العالم الإسلامي منذ بدايته والى حين آخر دولة تُسمّى باسم الدين وهي العثمانية. ومع أن الصورة التي رويتها لم تكن بهذا النوع من الوضوح ولكن في نفس الوقت لم يكن الربيع العربي دينياً ولا مذهبياً ولا قومياً ولا سياسياً، وإنّما كان خليطاً من كل ذلك يضاف له مواد مصطلح (الثقافة) كالفن والتأريخ والجمال والدين وغيرها من مواد المصطلح.

إنه لمن الواضح أن الربيع العربي لم يكن لنا إلّا أن نصفه (بالظاهرة الثقافية)........ بغير ذلك الوصف نكون قد جانبنا الحقيقة.... فهو ثورة شعب حقيقية لا غبار عليها، حيث لم يكن محركها عرّاب الثورات المناطقيّة وهو الدين أو القومية كلا العاملين لم يكن له من نصيب (أوحد) في الربيع العربي خصوصاً الدين الذي ركب الموجة في مصر فقط، بينما لم يتمكن من ذلك في الأقطار الأخرى التي تحررت خصوصاً تونس...... التيار الديني (السني) استفاد من أحداث الربيع باعتباره القوة المُنظّمة الوحيدة، فكان له من السهل أن يقفز وأن يمسك بزمام المبادرة في الوقت الذي كانت الجماهير عزلاء خرجت بدون تنظيم حزبي أو تشكيل مؤسساتي. ما يدفعنا إلى القول (بشيعيّة ثقافة) الربيع العربي وأكرر (ثقافة التشيع) وليس (مذهب التشيع) هو:

- تحرر الأقطار التي تحمل عمقاً ثقافيّاً شيعياً كمصر وتونس واليمن وليبيا والبحرين[1].

---

(1) ثورات الربيع العربي وعامل ثقافة التشيع، نظرة من الداخل، د. صلاح شبر، دار روافد، بيروت، لبنان، 2015.

- فشل الأقطار التي لا تحمل جذوراً من ثقافة التشيّع كالعراق (مع أنه ذو أكثرية مذهبية) وسوريا والسعودية والأردن والمغرب والجزائر.
- أسلوب السلم في الحركة والابتعاد عن العنف.
- قدرة التحمل لظلم النظام والتعامل معه بروح الصبر.
- أسلوب التسامح والتحمل مع الجميع ممن يحمل الاشتراك في الهدف من الوجودات الفكريّة الأخرى. .
- غياب التركيز على مادة الحكم، بل المطالبة بحق الشعب وليس بالضرورة أن تكون سلطة.
- لم تكن لشخصيات الثقافة السُنيّة الوطنية أي تأثير في شعارات المنتفضين، بل كانت رموز الصبر هي الفاعلة في الشعارات.
- اجتماع كل طاقات الأمّة المتبلورة في مصطلح (الثقافة) بما هي عامة كالموسيقي والفنان والرياضي والسياسي ورجل الدين ورجل الشارع وما إلى ذلك.
- لم تطرح ثقافة الرفض الربيعي شرط استلام الحُكُم وإنّما وضعت شرط غياب ثقافة التسنّن التي أهلكت العباد والبلاد.
- لم تُمارس عنفاً مع ظالميها بل تركتهم يذهبون في أرض الله الواسعة وتركت الآخر تحت رحمة القانون، فهؤلاء ليسوا إلا رموز وليس هم من يُمثل ثقافة التسنّن بعينها.
- قاد الربيع التغييري شباب الجيل الجديد ممن تتلمذ على فكر ثقافة التشيّع المتخفيّة في السلوك والعلم والتكنولوجيا، ولم يقدها شيوخ وأبطال التأريخ السُني المُزور، أو شخصيات الدين والمذهب الشيعي.

الكثير من قادة الشباب الثوار لا يرى من منقصة في انتمائه إلى الثورة

الإسلاميّة الإيرانية سلوكاً كما هو انتماؤه إلى الغرب تكنولوجياً وإلى الأدب العالمي فناً والى الإصرار المحمدي عقيدةً. . . . . .

فقد كانت بحق تلك الثورة هي المُعلّم الأول الذي فتح عين العربي المسلم على قدرة وقوة سلاح لم يتبيّنه تأريخ ولم يتكلم به كتاب ذلك هو الثورة السلميّة ثورة الجسد العاري إلّا من الحق، وهو الشيء الغائب كليّاً عن ثقافة العرب ودول المسلمين كما تُسمى. . . . . لأن ثقافات تلك الدول كانت ثقافة بدويّة تشريعها السرقة ومادتها السلب والنهب والاستعباد. . . . فالعرب لا ترى من ظاهرة تغييريّة إلّا أن يكون إلى جنبها دم مهراق. . . . فالدم يتطابق مع التغيير، بينما الربيع العربي قال لهم أن العقل والهمة والقدرة والتصميم دوماً أقوى من الدم وأصلب من السيف.

فلم يشهد التأريخ الذي قرأوه أو الذي وصل إليهم بأن هنالك ثورات عريقة نالت حقها بأسلوب السلم والتصميم، بل كل الثورات هي دموية يستبيحها الحاكم بوحشية ليُحيلها إلى أشلاء مُمزقة ورؤوس مُقطعة. . . . . . فلم ينقل لنا التأريخ بأن ثورات كربلاء 61 هجرية وفخ 169 هجرية كانتا ثورتان سلميتان، وهما من أكبر مدارس الثورات السلميّة الإنسانية في التأريخ قاطبة. . . ولم يصل إلى مسامعهم بأن ثورة إيران في عام 1979 كانت ترديداً لتأريخ يوم كربلاء عندما كانت الدبابات الإيرانية تسحق المتظاهرين سحقاً في شوارع طهران وتبريز وأصفهان ونداء القتلى يتعالى صبراً يا أبا عبد الله.

صحيح أن التأريخ يسير به الرواة وينقله الإعلام وهو في ذات الوقت عبارة عن قدرة لا يعرف الناس تأثيرها في الدخول إلى عقول المجتمع، فهو كالهواء يدخل رئتي الإنسان فيتحول إلى حياة لكيان العقل بدون أن يستشعر به ذلك الجسد. . . . . كان تأريخ تلك الفترات من الزمن قد وجد طريقه إلى

عقول شباب الثورة بسبب انتشار عالم الانترنيت وعالم المعرفة وتوسع أفق الإنسان باتجاه اقترابه من حُب أخيه الإنسان ورفض استعباده أو التقليل من جنسه أو عرقه أو لُغته أو دينه. إنها ذات مفاهيم الكتب السماوية كلها التي صدعت بها منذ الخليقة.

وتسقط بسقوط أنظمة مصر وتونس وليبيا واليمن واستعصاء البحرين والعراق وسوريا نظرية القُدرة البدويّة القرشيّة الثقافيّة التي تجلس ثقافة التسنّن على عرشها مستفيدة من كل تلك القدرات التي تحكم الإنسان بالحديد والنار والخوف والرعب، وهذا ما فتح على بقايا ثقافة التسنّن أكثر من احتمال في قرب نهايتها. . . . . والأفضل أن أقول بداية نهايتها، لأننا قرّرنا من البداية في هذا الكتاب في القول بأن الثقافة لن تموت وأن الذي يموت هو الإنسان الجسد الذي يتمسك بتلك الثقافة، فمتى ما تولّد جسد آخر فالثقافة لها أن تُعيد قوتها وعنفوانها. . . . .

فثقافة التسنّن في العُرف العالمي وفي حسابات الثقافات لن تموت حتى ولو انكفأ الناس عنها كلياً، وهي تُدرك ذلك وتتحسس مقدار قوتها في مسيرة التأريخ ولكنها لا تصبر على مماشاة سُنّة التأريخ لأن سنة التأريخ قضيّة غير محكومة بالزمن بل بالشروط، وبتوفر الشروط يتوفر الفعل، ولذلك فإن العنف والإرهاب ربما هما الطريق العملي لتفعيل الثقافة باتجاه تحقيق أهداف السيطرة والغلبة والقوة الاستعباد[1].

(1) راجع تفاصيل الربيع العربي وعلاقته بالصراع الثقافي وثورات الربيع العربي، عامل ثقافة التشيع، نظرة من الداخل. صلاح شبر، المصدر السابق.

قراءة الأحداث بالتواريخ جدول رقم (22): بداية التغيير في انحسار ثقافة التسنن واستعار الصراع مابين الأمم التي تطالب باستقلالها عن نظرية الثقافة الدينية السياسية.

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
تهجير القوقاز والشيشان إلى سيبريا	1944	من قبل ستالين
ترومان رئيسا لأمريكا	1945	خلفا لزوفلت
القنبلة الذرية الأولى الولد الصغير	1945	مات 12 الف مباشرة
باكستان تستقل عن الهند	1947	بقيادة محمد علي جناح
مقتل غاندي	1948	محرر الهند
خطة مارشال لإعادة اعمار اوروبا	1948	بعد الحرب
اعلان دولة إسرائيل	1948	من قبل الامم المتحدة
مقتل حسن البنا	1949	مؤسس الاخوان
أول تفجير نووي للاتحاد السوفيتي	1949	بعد حادثة هيروشيما
تأسيس الصين الشعبية	1949	بقيادة ماو
السماح بالآذان في تركيا	1950	لأول مرة
تأميم نفط ايران	1951	مصدق
إستقلال ليبيا	1951	عن ايطاليا
وفاة محسن الامين	1952	مؤلف اعيان الشيعة
ثورة مصر	1952	بقيادة ناصر ونجيب
حل الاخوان	1953	رسمياً
ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة	1953	خلفا لترومان
سقوط مصدق	1953	ورجوع الشاه
بداية الحرب الباردة	1954	انتهت في عام 1991
وفاة اينشتاين	1955	النظرية النسبية
حرب فيتنام	1957	مع الفرنسيين بدايتها
سقوط الملكية في العراق	1958	على يد قاسم
تشكيل جماعة العلماء	1959	أول جمعية شيعية في النجف
السلال يقود انقلاب في اليمن	1962	ضد الزيدية
ازمة الصواريخ الكوبية	1962	كادت ان تودي إلى حرب

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
وفاة عبد الكريم قاسم	1963	أول رئيس عراقي بعد الملكية
ثورة البعثيين الأولى	1963	ضد عبد الكريم قاسم
مقتل حسين الرضوي سلام عادل	1963	سكرتير الحزب الشيوعي العراقي
حزب البعث في العراق يصل إلى السلطة	1963	بالاتفاق مع القوميين
انقلاب قومي على البعثيين في العراق	1963	بقيادة عبد السلام
اغتيال كندي	1963	حدث غامض ولازال
مقتل أديب الشيشكلي	1964	القائد السوري اغتيل في البرازيل
إنعقاد أول قمة عربية	1964	الجامعة العربية
مقتل مالكولم اكس	1965	القائد الامريكي الأسود
تاميم القناة والعدوان الثلاثي	1965	وتدخل امريكا لمنع العدوان
تورط امريكا في فيتنام	1965	امركيا دخلت الحرب
حرب ظفار	1965	في عمان
وفاة سيد قطب	1966	قائد وعالم كبير اعدم
وفاة مصدق محمد	1967	صاحب الثورة ومؤمم النفط
مقتل غيفارا	1967	القائد المعروف
حرب الأيام الستة	1967	مع اسرائيل
ثورة البعث في العراق	1968	بقيادة البكر وصدام
انقلاب القذافي	1968	حتى عام 2011
وفاة الاميني صاحب موسوعة الغدير	1969	العالم الكبير
وفاة ايزنهاور	1969	الرئيس الامريكي
وفاة سوكارنو	1970	الرئيس الاندنوسي
وفاة محسن الحكيم	1970	العالم الكبير العراقي
حافظالاسد يصل إلى السلطة	1970	بانقلاب
وفاة مالك بن نبي	1973	المفكر الجزائري
مقتل سلفادور اليندي	1973	حاكم التشيلي الوطني
وفاة طه حسين	1973	المجدد الكبير المصري
حرب اوكتوبر	1973	بقيادة السادات
فضيحة ووتركيتس	1974	ثم عزل نكسون

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
تركيا تحتل قبرص	1974	و تعلن استقلال جزئها
وفاة اليجا محمد	1975	المسلم الاسود الامريكي
الحرب الاهلية اللبنانية	1975	حادثة عين الرمانة
انتهاء حرب فيتنام	1975	في زمن نكسون
انهيار الثورة الكردية وهروب الاكراد	1975	بعد تواطئ الشاه
اتفاق الجزائر بين ايران والعراق	1975	حول شط العرب
زيارة السادات إلى القدس	1977	بداية عصر السلام
وفاة كاظم شريعة مداري	1978	قاد بداية الثورة في ايران
مغادرة الامام الخميني العراق	1978	إلى باريس
احتلال إسرائيل لجنوب لبنان	1978	في أول مرة
وفاة المودودي	1979	المفكر الباكستاني
علاقات دبلوماسية بين الصين وامريكا	1979	ودخول الصين الأمم المتحدة
معاهدة السلام الإسرائيلية المصرية	1979	كامب ديفيد
تولي صدام السلطة في العراق	1979	بعد انتصار الثورة في ايران
مقتل محمد باقر الصدر	1980	اعدمه صدام
اندلاع الحرب بين العراق وايران	1980	اطول حرب في التأريخ
انفجار السفارة العراقية ببيروت	1981	لم يعرف الفاعل
ريغان يصل إلى السلطة	1981	بعد كارتر
محاولة اغتيال البابا	1981	من قبل المسلم محمد علي
تاسيس مجلس التعاون الخليجي	1981	توحيد الرؤى
اغتيال السادات	1981	المتطرفين الاسلاميين
إسرائيل تقصف المفاعل النووي العراقي	1981	وتغتال علماء الذرة
مقتل البكر	1982	قتله صدام
مجزرة حماه	1982	قادها الاسد ضد الاخوان
حرب لبنان	1982	بدخول اسرائيل
تفجير السفارة الامريكية في الكويت	1983	اعتصام حزب الدعوة العراقي

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
تفجير مقر المارينز والفرنسيين في بيروت	1983	مقتل 241 امريكي
اغتيال امير الكويت	1985	يعتقد صدام كان وراءها
مذبحة ضد الحجاد الايرانيين في السعودية	1987	مقتل 600 حاج
حملة الانفال	1988	جريمة انسانية كبرى
وفاة الخميني	1989	قائد الثورة
زفاة عفلق	1989	مؤسس البعث
سقوط رومانيا	1989	أول دولة في المعسكرالاشتراكي
اطلاق سراح مانديلا	1990	وتوليه الرئاسة
توحيد شطري اليمن	1990	أول محاولة
بدء تدمير المخزون النووي	1990	بين امريكا وروسيا
العراق يغزو الكويت	1990	حرب الخليج الثانية
توحيد المانيا وسقوط جدار برلين	1990	بقيادة شعبية
الكونغرس الامريكي يصوت على حرب العراق	1991	ويعطيه مهله
حرب الخليج الثانية	1991	في فبراير
يلستين رئيس روسيا وسقوطالاتحاد السوفيتي	1991	تفكك إلى 15 جمهورية
الانتفاضة الشعبانية	1991	بعداندخار صدام
سقوط الاتحاد السوفيتي	1991	رسميا
حل جهازالمخابرات السوفيتية	1991	حيد علييف آخر رئيس له
وفاة أبو القاسم الخوئي	1992	قتله صدام
احداث الجزائر	1992	بعد فوز الاسلام السياسي
اغتيال الرئيس الجزائري بوضياف	1992	قتله الاسلاميون
احداث الصين	1992	تينيامين سكوير
إعادة الاعتبار إلى غاليلو	1992	باعتراف الفاتيكان
دخول القوات الامريكية الصومال	1992	تحت قيادة الامم المتحدة
أول عمليات القاعدة في عدن	1992	بضرب الفنادق

الحادثة	ميلادية	الملاحظات
اتفاقية اوسلو	1993	لأنهاء النزاع الفلسطيني الاسرائيلي
بيل كلنتون رئيس لأمريكا	1993	خلفا لبوش الاب
أول انفجار لمركز التجارة العالمي	1993	بقيادة محمد عطا
حملة تشيع في الجزائر	1993	الجزائر تقطع علاقاتها مع ايران
وفاة نيكسون	1994	الرئيس الامريكي
الانتفاضة البحرينية	1994	بدايتها
حرب البوسنة والهرسك	1994	ضد الصرب
الإبادة الجماعية في رواندا	1994	بعد مقتل 800 الف
السلام بين الأردن وإسرائيل	1994	وادي عربة
وفاة علي الوردي	1995	عالم الاجتماع العراقي
وفاة جاك شيراك الرئيس الفرنسي	1995	مثير للجدل
الابتداء بمحرك ياهوو	1995	قفزة تكنولوجية
تفجير مدينة اوكلاهوما	1995	بقيادة ماكفي
مقتل اسحاق رابين	1995	على يد المتشددين اليهود
مذبحة سربنستا	1996	ضد المسلمين
الجيش العراقي يهاجم مدينة اربيل	1996	بعد تعاون البرزاني مع صدام
سيطرة طالبان على افغانستان	1996	بمساعدة باكستان
وفاة عبد الله القصيمي	1996	كاتب سعودي حداثي كبير
مقتل محمد محمد صادق الصدر	1999	قتله صدام
ايهود باراك رئيس وزراء اسرائيل	1999	يصل إلى السلطة
انتفاضة الأقصى	2000	بداية التغيير
وفاة حافظ الاسد	2000	خلفه ابنه بشار
وفاة محمد مهدي شمس الدين	2001	مفكر كبير
بوش الابن رئيس لأمريكا	2001	بدون اصوات اليهود
الهجوم على مركز التجارة العالمي	2001	من قبل المتطرفين الاسلاميين

الفصل الرابع عشر

ما بعد الربيع العربي الشوط ما قبل الأخير

لسنا هنا في سرد هذا الكتاب أن نُشير إلى ما هو صحيح وما هو خطأ، مع أننا ربما نقترب من قول ذلك ولكنه ليس هو أساس توجّهات مؤلفي هذا، بل بالأساس هو دراسة ملاحظة ما تمّ فعلُه على مستوى صراع الثقافتين السُنيّة والشيعيّة بغض النظر عمن هو الصحيح ومن هو الخطأ. وهذا المنهج يقودنا إلى توقعات أو إلى استباق النتائج التأريخية بلحاظ دراسة الماضي، كالباحث الطبي الذي يتوقع أن ينال مسيرة بحثه الوصول إلى اكتشاف الدواء الذي يُعالج المرض المُحدد، مع اعترافنا بأن ذلك ربما لا يرى النور له في أن يتحقق على ضوء المسيرة البحثية التي تلتزم قانون الطبيعة البيولوجيّة والفطرية لخصائص المرض والعلاج.

في عالم الثقافات وصراعها وفي مرحلة انحسار ثقافةٍ ما فإن البعض يرى بأن تلك الثقافة قد ترتكب عملية انتحار من خلال تدمير الجميع بطريقة تأريخية وليس انتقائية، مع أن البعض الآخر لا يرى ذلك، وإنّما يرى بأن الثقافة التي تلفظ أنفاس انهيارها تتّبدل ذاتياً من خلال تحوّلها من شكل إلى شكل آخر، وهي ظاهرة حياتيّة تنطبق على كائنات أو تركيبات بيولوجيّة كثيرة، باعتبار أن الثقافة هي عبارة عن مُكوّن يعيش توازن مع بقيّة مركبات الحياة ومع المجتمعات وتركيبتها، ولذلك تحرُص الطبيعة والتأريخ على عدم اضطراب التركيبة التي ترتبط بها بعلاقات أو مصالح أو توازن. . . . . . .

فعندما ضعفت الثقافة الهيلينيّة في العصور التي سبقت الميلاد فإنها لم تمُت وهي في الواقع باقية إلى الآن ولكن بشكل آخر وعنوان آخر. كذلك الأمر إلى الثقافة الرومانيّة التي تحوّلت إلى الثقافة الليبرالية المسيحية الغربية التي نعيشها الآن وتعيشها الشعوب الغربية والتي كانت في الحقيقة عبارة عن عنوان ثانوي للحضارة أو للثقافة الرومانية. وهكذا بقيّة الثقافات التي في الحياة.

هنالك ثقافات اندثرت بشكل أو بآخر وأعطت محلها إلى ثقافة بديلة قامت بذات الدور الذي كانت تقوم بها الثقافة المُنحسرة مع شرط توفر عناصر ارتباط كثيرة بحيث أن الثقافة الجديدة تحمل محاسن القديمة التي تتوافق مع مسيرة التأريخ كما هي ثقافة البداوة التي اندثرت بقدوم الرسالة فأعطت كامل عوامل حياتها وقوتها إلى سليلتها وهي الثقافة القرشيّة. . . . . وهكذا هي الثقافات في العالم لا تختلف في تبادل أدوارها عما هو قائم في الوضع البيولوجي وذلك من أجل استمرار الحياة.

الانتخاب الطبيعي للثقافة الجديدة سواء أكانت البديلة أو الوريثة للمنتحرة كلتاهما ليس بالضرورة أن تكونا ذا قدرات أخلاقية، فعامل الأخلاق والقيّم هما جزء من المسيرة، أما التركيبة العمومية فهي قدرة الثقافة على الاستمرار في التعايش والموازنة في محيط النمو سواء أكانت بيئة النمو الناتج صحيحة أم خطأً بلحاظ المبادئ التي نعرفها. . . . . . فثقافة البداوة عندما ظهرت من حالة الضياع العربي فيما بعد عصر العرب البائدة لم تكن تحمل ربما بأفضل مما لدى الثقافة التي سبقتها بلحاظ وجود (مبادئ)، وإنّما تتأتّى عناصر البقاء من قدرتها على التوازن مع العناصر أو الثقافات المجاورة لها.

قانون إحلال الثقافات وانتحارها: فلم تكن الثقافة الإسلاميّة التي

غزت الدولة الساسانيّة في زمن الفاروق والتي كانت في ذلك الوقت عبارة عن ثقافة بداوة أمام ثقافة عريقة قديمة جداً وهي الثقافة العريقة التي تحمل حضارة أبعد كثيراً مما لدى العرب الذين غزوها، فقد كانت تعاليم زرادشت تقترب كثيراً من تعاليم الإسلام فيما يخص الجانب الخلقي أو الجانب الأخروي هذا بالإضافة إلى مُميّزاتها في الإدارة وفي العلم.......

في ذلك الوقت كانت الثقافة المناوئة لها هي الثقافة المانوية[1]، فكان هنالك احتمالات في شكل نهاية الثقافة الزرادشتية التي يُدين بها الساسانيون بعد أن وصلت فيه إلى نهاية مرحلتها الثقافيّة لأسباب لسنا في مجال مناقشتها، فكان الخيار هو إما الإنتحار من خلال فسح المجال لثقافة تختلف كلياً عن طبيعتها كما أشرت إليه وهو الخيار الذي يضعضع كامل كيان المجتمع والدولة، أو أن تتحول إلى الثقافة البديلة (المانوية).... فكان الخيار الثاني هو البديل، فكان الغزو العربي ذلك الخيار الذي يتناسب مع واقع العالم وواقع الشكل الاجتماعي لتغيّرات المنطقة وشعوبها وذلك بوصول نبي جديد وهو الرسول الأكرم.... فلم يكن استبدال ثقافة بثقافة مقاربة خيار عملي خصوصاً إذا أدركنا بأن الدولة أي القوة سوف لن تكون إلى صف الثقافة البديلة. وهكذا انتحرت الزرادشتية وحل محلها الثقافة البدويّة العربية بتعقيداتها، ولولا وصول العرب إلى المنطقة في ذلك الوقت لكانت عملية الإحلال قد توجهت إلى المانويّة كما هي حالة الثقافة الهيلينية إلى الثقافة الرومانية.

---

(1) المانوية ديانة انتشرت في المنطقة لقرون من الزمن مؤسسها هو ماني تولد عام 216 م ثم قتله بهرام بن هرمز ملك الساسانيين. وهي تعتبر كلاً من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافاً لها، وقد كتب ماني عدة كتب من بينها إنجيله الذي أراده أن يكون نظيراً لإنجيل عيسى. أتباع المانوية هم من تعارف عليهم أولاً بإطلاق لقب الزنادقة في العصور الإسلاميّة.

الثقافة السُنيّة بدأت هزائمها تتلاحق منذ عصر المعتصم (ت 227) ولكنها مرّت بمراحل كلها كانت مراحل علاج وإنعاش وتنفس اصطناعي وولادات اصطناعية وزرع أعضاء وموت (سباتي) والخ. . . . حتى وصلت إلى نهاية العصر العثماني عام 1923 عندما قرر الأطباء بأن الجسد ميت سريرياً (Clinical Death) وهو يحتاج إلى صدمات كهربائية (CPR) لإعادة الحياة له، وإلّا فإن الخيار إذا لم يتم ذلك فالموت البيولوجي هو الخيار المقابل. . . طول الفترة بين الموت السريري والبيولوجي لا حدود لها، فالكثير من الناس صارعوا حسابات الموت السريري إلى أن تمكنوا من اللعب في حسابات البقاء على قيد الحياة.

ثقافات الأمم غالباً لا تموت سريرياً وإنّما تنتقل خصائص حياتها إلى جسد آخر والى إطار جديد هذا في حالة توفر بديل له القدرة على الاستمرار كما هي حالة الثقافة الهيلينية إلى الثقافة الرومانية. ولكن في حالة عدم توفر ذلك فخيار الانتحار هو الوحيد من خلال التخلص من عوامل الحياة المعروفة واستبدالها بعوامل أخرى جديدة كما هي الثقافة العربية إلى الثقافة الزرادشتية في مثالنا السابق.

الثقافة السُنيّة تعيش منذ عام 1923 والى حين أحداث الربيع العربي في حالة موت سريري وهي في الواقع قررت بعد ذلك وبعد تَغيّر العالم بأن الاستبدال والإحلال هو الطريق الوحيد مقابل خيار الموت انتحاراً. . . . . وهذا معناه بأن القدرات الفكريّة والعلمية التي كانت تلك الثقافة تمتلكها ستتحول إلى الثقافة المقاربة لها تلك هي (ثقافة التشيع) أو تُسمّى في المصطلحات الأخرى (ثقافة آل بيت الرسول) أو (ثقافة السلم) أو (ثقافة العلاقات الثلاث)[1] كلها مصطلحات لمعنى واحد.

(1) علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، علاقة الإنسان مع الطبيعة، علاقة الإنسان مع السماء.

بالتأكيد ذلك يغضب بشكل كبير أعمدة وأقطاب ثقافة التسنّن، ولكنه أمر تأريخي. . . فمن منا يفرح لموت جسده أو جسد عزيز عليه ولكنها سُنّة الحياة والبيولوجيا وسمة الثقافة وسُنّة السماء إن أردنا أن نُسمّيها. . . . . . .

فليس من عدل السماء ولا طبيعية السُنّة الحياتيّة في أن يستعبد الإنسان أخيه الأسنان، أو أن يُغيّر من تركيبة الخلق لقرون من الزمن بدون التدخل القانوني للسُنّة التي تحكمها، فليس هنالك في الحياة من شيء يسير بخلاف نظام أو قانون[1]، فكما هي الحياة البيولوجية تتحكم بها قوانين عوامل التفاعلات الكيمياوية فإن حياة الثقافات والحضارات والأمم تتحكم بها قوانين التأريخ أو قوانين الأمم وليس هنالك من يُمكن استثناؤه منها حتى النبي ذاته. . . . فالقانون صارم ليس فيه استثناء وينطبق على الكل من قبل به ومن رفضه.

رفض سُنّة الطبيعة: ولكن هل يقبل أعمدة الثقافة السُنيّة خيار الاستبدال الثقافي كما قبلت خيار الانتقال والإحلال الثقافة الهيلينية إلى الثقافة الرومانية. . . . . ؟ لا أعتقد. . . فخيار التأريخ غير خيار الإنسان، لأن الإنسان مفطور على الذات وعلى مُحيط رؤاه المحدودة، بينما خيار التأريخ هو خيار السُنّة والقانون، بل خيار مَن وضع القانون وهو خالق الكون مدبر الأمور عالم ما في السرائر ذلك هو القوى الهائلة هو الله (Almighty). . . . وليس لهذا الإنسان الضعيف أن يعترض على حكمة القوة الكبرى وعلى مجريات تدبيرها. . . . .

وهنا هي المشكلة الكبرى لخيار الإنسان أمام خيار السُنّن والحياة فهو لا يدرك معناها ولا يُدرك عواقبها. . . . فهو يعتقد بقُدرته على مخالفة السُنّة، وهذا صحيح على المدى القصير، ولكنه صعب على المستوى البعيد

(1) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

خصوصاً تحدّي نتائج مخالفة السُنّة، فهي عمليّة صعبة، وأن رد الفعل الطبيعي للسُنّة سيكون مُكتسحاً قوياً مُحطّماً كما تحطمت أمم أخرى وكيانات ودول كانت قائمة[1].

الذي يبدو في الأفق هو أن أقطاب الثقافة السُنيّة لم يرق لهم الاستسلام أمام منطق التأريخ أو منطق الطبيعة، بل أنهم لم يعتقدوا والى الآن بأن ثقافتهم قد ماتت سريرياً، فموقفهم كموقف الشخص الذي لا يُريد أن يُصدّق موت عزيز له وحتى لو أخبره الطبيب بذلك، أو أنه رآه على سرير الموت، إنها غريزة البقاء والتشبث بالحياة، حتى إذا ما تعدّت الفترة الطبيعية لشعور الإنسان هنالك تبدو الأمور قد تحوّلت إلى واقع ملموس في موت العزيز بعد أن يفتقده في البيت وفي العمل وفي العلاقات وغيرها عندها يتكيّف عقله مع حادثة الموت ويقتنع به.

هنا نحن أمام حادثة تاريخية عمرها تقريباً خمسة آلاف سنة في منظورنا منذ عصر إبراهيم النبي، أما لدى الآخرين من شخصيات الثقافتين فإنهم قد يرونها أقرب من ذلك وهو منذ أيام السقيفة 11 هجرية. . . . وحتى على ضوء ذلك الاختلاف فإنه لمن الصعوبة إدراك السُنّة التأريخية في بداياتها أو قبل أن تعمل عملها وتؤدي ضربتها التأريخية. . . . . فكم من الأقوام التزم بما أخبرهم به نبيّهم بانطباق السُنّة على وضعهم وعلى سلوكهم[2]. . . . . ؟ لم أجد في التأريخ القديم والحديث ممن اتعظ بسُنّة السابقين أو أنه اكتشف خطورة تغيير مساراتها حتى إذا ما لحقهم أوزار عنفوانها عندها أدركوا قوتها وفعلها. . .

---

(1) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: 26].

(2) ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: 6].

فقدرات التسنّن السياسي وأقطاب الثقافة السُنيّة لا يرون الأمر بما تراه السُنّة التأريخية بل ربما يبدو لهم العكس[1] فهم يرون بأن الحياة ستُعاد ثانية بقُدرة قادر وبطريقة مخالفة لقوانين التأريخ ثم تُعيد لهم القوة والسلطة على العالم من خلال تغيير السُنّة بسلاح (الإرهاب العالمي) وسلاح القتل لأن الإنسان حسب منطوق تلك السُنّة مُسخّر لتحقيق السيطرة السُنيّة الثقافية، وإذا لم يرعوي إلى ذلك فليس هنالك من ضير في إبادته وتعويضه بأقوام أخرى أو أمم جديدة تحكم بذات القانون الذي تؤمن به تلك الثقافة. . . . . . . وترى كذلك بأنه ليس هنالك من كرامة لإنسان أمام هدف أكبر من حياته ذاتها، فوجود الإنسان على هذا الكوكب في المنطوق الثقافي السُنّي رهينة بتحقق مفهوم سيطرة مبادئ تلك الثقافة. . . . فموت ملايين من البشر ليس أمر مهم أمام الهدف الأكبر هدف سيطرة (الإسلام) أو (ثقافته) التي بُنيت منذ الأيام الأولى لخلافة الصديق.

هذا التحدي الكبير هو من أصول الفكر السياسي الثقافي السني وهو القوة التي يمتلكها في منع الآخرين من الاقتراب من مناطق نفوذه في العالم، وعلى ضوء ذلك فإن الغرب يخشى خشيّة كبيرة أن يقع في يد شخصيات الثقافة السُنيّة سلاح مُدمّر بيولوجي أو نووي وعندها ليس هنالك من صعوبة في تصور استعماله في إبادة الأمم وإبادة بني الإنسان من أجل إبقاء أشلاء جسد تلك الثقافة فاعلاً بعيد عن الموت السريري أو استبداله بجسد آخر له القدرة على العيش كما هُم بقيّة البشر. . . . .

فأدبيات الثقافة تلك تُقر بإبادة الناس، بل لو تعدينا تلك الأدبيّات ورجعنا إلى سلوكيات الثقافة خلال القرون المنصرمة ولحين الوقت القريب

(1) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

لم تُخطئ أعيننا في إدراك ذات التوجه في إبادة المعارضين فهذه الأنفال[1] وحلبجة[2] ومذابح الانتفاضة الشعبانية[3]. ومذابح سليم الأول[4] وكربلاء وفخ والحرّة.

كما لا يصعُب علينا أن نُدرك في الفترة الحالية منذ أعوام 2003 والى حين طباعة هذا الكتاب من طبيعة غريبة في قتل الناس الأبرياء في انفجارات العراق في الأسواق وفي الشوارع وفي البيوت، هذا فضلاً عن أحداث الذبح التي يفتخر بها أولئك الملتزمون بثقافة التسنّن ونحرهم كما تنحر الحيوانات[5]. كما ليس من العسير لنا في أن نُطالع التأريخ ونرى ما كتبته تلك الثقافة في كُتبها وبما افتخرت به من مذابح جماعيّة هائلة وبطريقة غاية في الوحشية، وللمثقف العربي أن يُطالع كل كتب الغزوات أو الغارات وكذلك تأريخ الطبري الكبير وابن الأثير والبقية الباقيّة من كُتُب مقاتل الطالبيين إلى واقع أدبيّات الثقافة التي لا ترى في الإنسان إلا أداة لتحقيق هدف تلك الثقافة سواء أكان تحقيق الهدف بإبادة الإنسان أو بغيرها.

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Al-Anfal_Campaign.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Halabja_chemical_attack.

(3) http//:en.wikipedia.org/wiki/1991_uprisings_in_Iraq.

(4) لمحات إجتماعية، علي الوردي، الجزء الأول. المصدر السابق.

(5) قد يعتقد البعض أن التفجيرات المُروعة الانتحارية والسيارات المفخخة التي تضرب العراق يومياً وبصورة غاية في الوحشية هو أمر تابع إلى اختلاف سياسي بين أطراف الصراع، ولكن الواقع يدل عكس ذلك، فالانتحاريون والقتلة سواء في العراق أو سوريا أو في ليبيا أو الجزائر أو مصر هم شخصيات تنطلق من فلسفة ثقافة التسنن. . . . فالهدف السياسي ليس هو المتقدم بل هدف الإبادة بتلك الطريقة من الوحشية هو ما يتم التركيز عليه وذلك من أجل تخويف وإرهاب الدول والمجتمعات العربية في قرار رفضها لتلك الثقافة، لأن الرسالة التي ترغب تلك الثقافة في نقلها إلى الشعوب هو أن خيار الدماء والذبح هو البديل فقط. . . فلم نجد من أعمدة ثقافة التسنّن والعلماء المعروفين من بادر إلى تحريمها أو إعلان مخالفتها لأسس مبادئ النظرية الثقافيّة السُنّية، بل نرى العكس، نرى الفتاوى التي تظهر لعله يومياً تُنادي وتُشجع تلك الحركات على التشدد في الذبح على المخالفين لهم في أصول تلك الثقافة.

ويتبين هنا بأن الناس على شتى أصنافهم وأديانهم ومناطق جغرافيتهم ليس أمامهم إلا التعايش مع الإرهاب، وهو في ذات الوقت الخيار الوحيد الذي تمتلكه ثقافة التسنّن لتتمكن من خلال ذلك في عودة القوة الضائعة التي افتقدتها والتي تُحمّل الكل في سبب ضياعها وانتقالها إلى الثقافات والأمم الأخرى وخصوصاً الثقافة الشيعيّة من الداخل والحضارة الغربية من الخارج......

إذن نحن أمام قضيّة مُقايضة ومساومة، على العقلاء من كلي الطرفين أن يتبنى كل طرف كيف يتمكن من أن يصل إلى مبتغاه بطريقة أقل كلفة ودماراً وخسارة..... فخيار الإرهاب ورقة قوية وفعّالة ومؤثرة بها تتمكن القوى التي تمتلكها أن تُغيّر الكثير من المواقع باتجاه مصلحتها، هذا في الوقت الذي تعجز فيه القوى الأخرى من توفيره واستعماله في المواجهة.... بمعنى آخر فإن ما تمتلكه الثقافة السُنيّة من أدبيّات وتشريعات يجعلها الوحيدة في أمم الأرض لها القدرة على تجنيد الإرهابيين الانتحاريين على الأقل في هذا الوقت من القرن الواحد والعشرين......

بقيّة أطراف النزاع الشيعيّة على سبيل المثال ليس لهم هذه القدرة لا دينياً ولا ثقافياً ولا حضارياً، فهم عاجزون عن الدخول في معركة مشابهة لقتل الناس الأبرياء أو لقتل العوائل أو تفجير سيارة في سوق مزدحم أو سيارة تلاميذ مدرسة أو غيرها.... نعم لهم القدرة على ذلك في حالة المواجهة الحربيّة أو العسكرية أو مواجهة موقع عسكري[1].

فالإرهاب إذن خيار مهما قيل عن وحشيته أو شرعيته فهو القوة السُنيّة

(1) كما حدث في تفجيرات المارينز في بيروت عام 1985 أو في تفجير السفارة العراقية أو غيرها. كذلك ربما تمتلك ذات القدرة بعض الدول كما هم (الكاميكاز) اليابانيين عندما استعملوا هذا التكتيك في الحرب العالمية الثانية.

الثقافيّة التي تمّ فرضها على العالم بالطريقة التي تراها تلك الثقافة مُناسبة إلى الدرجة التي تتمكن فيه من ابتزاز الكثير من الأقطار الأخرى التي تخشى من أن يصلها حزام ناسف أو جسد إرهابي مُفخخ بعشرين كيلو من المواد المتفجرة...... كما هو اتقاء دول الخليج العربي الأمارات أو غيرها في منع الإرهابيين من العمل على ذلك مقابل السماح لقوى الإرهاب أن تمارس تجارتها في المال غير الشرعي لتزويد الإرهاب وشخوصه......

فالعالم الإسلامي وبسبب الحالة السايكولوجية[1] من غياب مستلزمات الحياة ومستقبل الفرد والعائلة مليء بمن يرى في ذلك تقرّباً إلى الله في تفخيخ جسمه ضد عدو محتمل، بل هي فرصة ذهبية للكثير من الشباب في اكتشاف طريق الالتحاق بجوار النبي الأكرم خلال ساعة أو أقل وبدون ألم إلا لأقلّ من جزء من الثانية.

تفهم الإرهاب..... أمام العالم الليبرالي (الضحية) اليوم خيارات، وأمام ثقافة التشيّع (الضحية) خيارات، كما أن هنالك في ذات الوقت خيارات لدى ثقافة التسنّن (الجانيّة)...... إن دراسة الخيارات عملية في منتهى الأهمية لكل الأطراف، فليس هنالك من عملية كسب بدون أن يكون مقابلها عملية خسارة (Credit Vs. Debit) فزمام الموضوع اليوم هو بيد القوى الثقافيّة السُنيّة لأسباب ولدوافع بعضها واقعي وبعضها خيالي ولكنه على أية حال يبقى سبباً فعّالاً بسبب قدرته على تفعيل الموضوع.

وأهم الدوافع التي فرضت على الطرف الثقافي السُنّي اللجوء إلى استعمال سلاح الإرهاب هي باختصار:

---

(1) العالم، فكر وسجن، د. صلاح شبر، دار العارف، بيروت، 2014.

- مساندة العالم الليبرالي للثقافة الشيعيّة العدو التاريخي للثقافة السُنيّة.
- دخول العراق وإسقاط رمز قوي من رموز الثقافة السُنيّة وهو صدام.
- تخلخل روابط العالم الغربي مع الدول التي تحتل ثقافة التسنّن فيها مواقع قوية مثل السعودية ومصر والإمارات وقطر.
- السماح للربيع العربي في الانطلاق والوقوف ضد استباحته.
- استمرار مراكز البحوث الغربيّة في إظهار خفايا الثقافة السُنيّة فيما يتعلق برؤيتها إلى أمم الأرض ووجوبيّة قتلهم بسبب تصنيفهم بالكفر.
- تغريب الدول الإسلاميّة حضارياً وهو ما يعني إزاحة الثقافة السُنيّة من خلال فتح حرية الثقافة والعلوم والنشر والإعلام.
- مساندة إسرائيل على حساب العرب[1].

في منطوق الفكر العادي هذه النقاط السبعة ليست أسبابا عقليّة تُلزم الطرف الفاعل في استعمال سلاح الإرهاب والقتل العشوائي بصورته الفظيعة التي تظهر في عالم اليوم، وهو ربما السر في الطريقة الوحيدة التي تستعملها الأطراف المتنازعة على قضيّة ما، ولكن كل ذلك أمر واقع بغض النظر عن إنسانيته أو عدمها، فالفريق الثقافي السُنّي يملك سكين على رقبة إنسانٍ ما،

(1) مع أنني لا أتفق مع ذلك فكراً، ولكنني أكتبه لمجرد أن أماشي فيه الرأي العام العربي المسلم السني والشيعي، في الوقت الذي أعتقد بأن إسرائيل هي التي تُمسك بورقة الإرهاب السني من طرف من أجل تحقيق أهداف كثيرة مهمة لهذه الدولة لسنا في مجال بحثها، بل ربما بحثناها في فصول مقدمة الكتاب، فالإرهاب ما قبل عام 1979 كان خال من التأثير الإسرائيلي، أما بعد ذلك التأريخ فإن المصلحة السُنيّة الثقافيّة قد التقت مع المصلحة الإسرائيلية وبالتحديد بعد دخول أمريكا العراق في عام 2003.

وهو حدث واقعي، ذبحه أيضا حدث واقعي، وهذا معناه أن رفض شرعية المطالب عاقبته تنفيذ حادث الذبح وهو أيضاً أمر ليس فيه تردد. . . . . فإذن من الصعوبة لنا في أن نُقرر الآن فيما إذا كانت تلك المطالب هي حقيقيّة أو شرعية أو بخلافها. بل علينا أن نتعامل معها على أنها شرعيّة وأن نُفاوض على أساسها لا على أساس إيماننا بها أو رفضنا لها. . . . . فهذا الخيار ليس خياراً مُتعلقاً بقوة شخص أو بامتلاك دولة لسلاح كما هو امتلاك إسرائيل مثلاً للقنبلة الذرية أو غيرها، فسلاح الإرهاب لا يحتاج إلى ذلك التعقيد وليس هنالك من صعوبة في تغييره بلحاظ بساطته وسهولة استعماله وتوفر أدواته. . . . فلا يتطلب استعمال سلاح القتل الجماعي إلا أن تضع عبوة ضخمة في سوق مُزدحم بالنساء أو بالأطفال وتفجره عن بعد بالرومونت كونترول، كما ليس هنالك من صعوبة في أن تستدرج انتحاري إلى أن يرتدي حزاماً ناسفاً ويتسلل إلى جامع أو مدرسة أو حي ليفجر نفسه. . فهذه قدرات ليست من الصعب على تلك الثقافة توفيرها. . . . فقد صرح أحدهم بأننا نملك مليون انتحاري ولكننا ننتظر إلى حين ينجلي الموقف، أي بمعنى آخر موقف التنازلات التي يُبديها العالم حيال المطالب التي تعترف بتلك الثقافة في قدرتها على سيادة العالم ثانية.

تعيش الدول العالمية في هذا الوقت في اضطراب في تفهّم واقعيّة الإرهاب، منبع ذلك الاضطراب هو اعتقادها بأن ذلك سلاح وطريقة استعماله سوف لن يستمر لدى المؤمنين به لما يمتلك من وحشية مُفرطة كانت قد ولّت منذ العصور الوسطى التي كانت أقل وطأة حينما يُمارس الإعدام والقتل والحرق في الساحات ضمن حدود أشخاص. . . . . في القضية الإرهابية التي نحن بصددها هو أن الكل محكوم عليه بالقتل والاستباحة وهو متعلق بمفاهيم القُربان التي تُقدمها الناس إلى الآلهة عندما تستحق أو يتطلب إرضاءها، فالعملية متعلقة بمفهوم تشريعي ومفهوم

أخلاقي يستوجب تقديم القرابين أمام الله بسبب مشاركتهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بانحسار الإسلام من الحياة وسيطرة الآخرين الصليبيين والروافض والغربيين على البلد.

لم تَفق الدول الغربية بل كل دول العالم من غفوتها إلا بعد أن شاهدوا بأم أعينهم مذابح العراق ومذابح سوريا ومصر وبقيّة الدول التي تُمارس فيها ثقافة التسنّن عملها في تقديم تلك القرابين إلى الخالق..... وعندما استفاق الغرب من غفوته كان الأمر قد تعدى حدوده بشكل ما، فالمد الإرهابي والسلفي وصل إلى مراكز متقدمة في السيطرة على مستويات السياسة والاقتصاد أو الدولة أحياناً. وتحاول أمريكا اليوم أن تنظر أو أن تُعيد الكرّة ثانية في تفهّم الطريقة المُثلى التي من خلالها تتعامل مع السلاح الجديد الذي وصل تواً إلى ساحة عقل الإنسان.

الرؤى:

أولاً: الغربية: ترى الدول الغربية بأن مواجهة سلاح الإرهاب يتبلور في القيام بعدة خطوات أهمها هي:

- دراسة أدبيّات ثقافة التسنّن وتفهمها كما هي لا كما يُراد فهمها[1].
- رفع مستوى الشعوب الإسلاميّة من الناحية الاقتصادية والعلمية والفكرية والاجتماعية باعتبار أن ذلك يُقلّل قدرة الارتباط ما بين فكرة الإرهاب وبين القادة الكبار.
- تشخيص القادة الفكريين الظاهريين والمتخفين سواء أكان ذلك على مستوى الدول أو المنظمات أو الأفراد ومن ثم ضربهم ومحاربتهم.

(1) Robert Spencer and David Horowitz. Obama and Islam. ISBN: 1-886442-77-0. http//:www.frontpagemag.com/upload/pamphlets/Obama-and-Islam.pdf.

- مد يد العون للأفكار الإسلاميّة التي تتعارض مع الفكر الثقافي السني.
- تعاون عالمي دولي وفك الارتباط ما بين الدول التي تستفيد من الظاهرة الإرهابية وبين الإرهابيين ذاتهم وتعويض تلك الدول عما دفعها إلى مساندة الإرهاب.
- فك الارتباط الأمريكي مع إسرائيل وفصل المسارين بالقدر الممكن وعدم استمرار أن يكون الغرب أسير السياسة الإسرائيلية. كما في نفس الوقت حل القضية الفلسطينية من خلال قيام دولة واحدة يكون فيها لكل مواطن من صوت كما هي جنوب أفريقيا.
- العمل جدياً على إزالة كل أشكال الديكتاتوريات في الشرق الأوسط وخصوصا السعودية الراعيّة الأولى للإرهاب من خلال مساعدتها على تبني خيار النظام الديمقراطي وبالتدريج.
- العمل على فصل الدين عن السياسيّة وتقديم دراسات فكريّة تبحث في شرعيّة الفصل المنطلق من أصول الإسلام. والعمل مع الدول التي تتبنى ذلك المبدأ كالعراق ولبنان وإيران ومصر واليمن وتونس. كما في نفس الوقت فتح قنوات تعاون مع المنظمات والأحزاب الشيعيّة التي تؤمن بهذا الاتجاه كحزب الله والأحزاب العراقية وبعض الأحزاب اليمنيّة والمصرية.
- الضغط على الدول التي يرتع بها الإرهاب كالسعودية ودول الخليج وأفغانستان والباكستان وسوريا في إصدار قوانين تجريميّة لظاهرة التكفير والإرهاب. كما في نفس الوقت مساعدتها على تحديث قوانينها فيما يتعلق بتوفير حق المواطن في مصادر الدولة كالصحة والتعليم والمراكز الإدارية.

ثانياُ: السعودية: ومن يدور في فلكها وهي قطر والبحرين والأردن واليمن أحياناً وربما الكويت في مناسبات. . . . ولنتكلم عن السعودية والذي قد لا ينطبق كل حديثنا عن الدولة العربية الكبرى تلك عن بقيّة الأقطار التي ذكرناها تواً.

السعودية تعتبر نفسها بأنها هي الدولة المعنيّة بالتغيير الذي ينشده الغرب، وترى بأن أمريكا عازمة بجد على تغيير النظام، والذي ليس بالضرورة أن يكون ذلك جذرياً كما حدث في العراق، ولكن ليحقق التالي:

- أن يشارك الشعب العائلة المالكة (آل سعود) في مصادر البلد الاقتصادية والنفطية، وأن يخرج البلد من ملكيّة العشيرة إلى ملكية الشعب بطريقة تُرضي الطرفين.
- أن يُمثل السعوديين مجالس برلمانيّة حقيقيّة. وحظر ممارسات الدولة على أساس العرق أو الدين أو المذهب.
- أن تُغيّر السعودية أدبيّات العنف الديني التي تزخر بها كل أجهزتها التعليميّة من الإبتدائية والى الدراسات العليا، كما في نفس الوقت تتخلى على تبنيها نظام الثقافة السُنيّة (الوهابيّة) الذي يُعتبر مصدر الإرهاب والحرب في العالم.
- أن توقف مساندة قوى ودول الإرهاب العالميّة مالياً ولوجستياً.
- خروج الحرمين الشريفين من سيطرة الدولة إلى مجلس إسلامي عالمي.

بالتأكيد الغرب يحلم في تحقيق عُشر معشار من ذلك الحُلُم، فهذه الدولة تمتلك السلطة والنفط والمال وهي أكبر مستورد للسلاح في العالم ولها علاقات واسعة جداً مع المستفيدين من تلك القدرات، فأي تغيير في

شكل الدولة سيسبب في كارثة كبرى في تفجير المنطقة بكاملها، وهو أمر لا يُمكن الحديث عنه أو الاقتراب منه. . . . . فإذا كانت أمريكا تعتقد بذلك فهي واهمة، بل عليها أن تُحافظ على وجودها هي قبل أن تُفكر بتغيير الواقع السعودي.

ومن هذه النقطة بالضبط أخطأت أمريكا في سياستها تجاه السعودية، بل لنقل أخطأت في توقيت عرض رأيها[1]، فقد بدأت موجة الإرهاب الإسلامي بعد أن بات واضحا بأن الغرب ينوي تغيير النظام السعودي بالطريقة التي تُماثلها التغييرات التي حدثت في دول الاتحاد السوفيتي أو غيرها. . . . . فقد صرح بعض القادة الأمريكيين بأن السعودية هدف رئيسي لإستراتيجية أمريكا وعليها أن تُغيّر واقع النظام[2] وقد تمّ تبني الرأي الأمريكي منذ أيام الثورة الإسلاميّة في إيران عام 1979 لأسباب لسنا في مجال ذكرها الآن. وكرد على هذا الموقف كان على السعودية أن تُطاول الغرب بعدة أسلحة أهمها هو سلاح الإرهاب وهو السلاح الذي لا يمكن لدولة أن لا تشعر بالخوف من وجوده في داخلها.

فحرب السعوديين في البقاء في الحُكُم قضيّة أكبر من قضيّة الحياة والموت، وهي نابعة من تُراث وتأريخ عميق مُتأصل منذ بداية عصور تأريخ العرب في البادية وهو ذات المفهوم الذي دارت على أعتابه حروب كبرى وضخمة استمرت لقرون بين القبائل وبين الشعوب إلى أن قتل الأب ابنه

(1) Christopher M. Blanchard, Saudi Arabia: Background and U.S. Relations. Congressional Research Service. 7-7500, RL3353. February 12,2014 www.crs.gov.

(2) Christopher M. Blanchard, Alfred B. Prados, Saudi Arabia: Terrorist Financing Issues. Congressional Research Service. Updated September 14, 2007. www.crs.gov.

واستباح الإبن منزلة أبيه وهكذا[1]. فلم يكن الحُكُم السعودي على استعداد في التفريط بأي احتمال تغيير في شكل الحُكُم تحت أي مُسمى كان. وكرد أو كرسالة توضيح لهذا الرفض الذي كان من الصعوبة على الغربيون هضمه وتفهمه هو التلويح بسلاح الإرهاب، وهو السلاح الذي لا يملكه في العالم غير الثقافة السُنيّة لأنه سلاح إيديولوجي مُتأصّل في مبادئ الدين أو الثقافة التي يلتزمون بها.

في البداية كان الغرب يعتقد بأن الأمر لا يتعدى أكثر من تهديد على مستوى الأقوال أو على مستوى التحديّات التي يُعلنها أطراف النزاع فيما بينهم ولكن ما إن تتحول الصورة في عام 2001 من سبتمبر 11 إلى الواقع الذي رأيناه حتى اعترف الغرب بقدرة الإرهاب كسلاح يجب شموله في مبدأ المفاوضات أو المساومات مع السعودية. هذا في الوقت الذي لا تدّعي الدولة السعودية امتلاكها رسمياً ولا تساوم على تخفيضه أو ما إلى ذلك كما هي مساومات استعمال السلاح فيما بين الدول المتنازعة، بل أنها تستعمله متى ما تحرك الغرب باتجاه تهديد المصالح والسيطرة السُنيّة الثقافيّة في أي منطقة من العالم وبدون إثارة ما يمكن أن يتم ربطه أو تبعيّته إلى السعودية.

فالمؤسسات الدينيّة الكبرى في السعودية واليمن وسوريا والأردن والجزائر ودول أفريقيا الإسلاميّة من السودانيين وغيرهم لهم القدرة على تجنيد الآلاف من الشباب المستعدين لقيادة عمليات الانتحار في وسط جمع من البشر من الأسواق أو المدارس أو غيرها....

(1) ربما أعمق تمثيل لذلك المفهوم هو قول الرشيد (ت 139/ 809 م) لابنه المُحبب المأمون (ت 218/ 833 م) عندما اعترض عليه في أن احترامه واعترافه بإمامة الإمام الكاظم (ت 183/ 799 م) ورفضه في نفس الوقت التنازل إليه عن الحكم.. فأجابه بما هو معروف: والله يابنيّ لو نازعتني على المُلك لأخذت الذي بين عينيك أو الذي فيه عينيك يعني رأسه.

فالسعودية كحكومة كما يَعتقد البعض ربما تكون أسيرة لسيطرة الكارتيل الديني، بل أن قوة ذلك الكارتيل المتمثل برموز الثقافة السُنيّة ربما تقدم على ضرب السعودية أحياناً كما هو انفجارات (الخُبر) في عام 1996[1] عندما حاولت الأخيرة تحديد عمل تلك المؤسسات والسيطرة عليها بالكامل. . . . تلك المؤسسات عبارة عن قُدُرات مشابهة لقدرات الانكشارية في زمن الدولة العثمانية أو (العيّنة Elite) في خلفاء العصر المملوكي مثل الفرقة الألبانية التي استقدمها محمد علي باشا (ت 1849 م)[2] إلى مصر أو الفرقة التي استجلبها داوود باشا (ت 1851 م)[3] إلى العراق أو غيرها مما هو كان كائناً في إيران (القزلباشية)[4] أو غيرهم. . . . فهو أسلوب لم يكن بجديد على تركيبة الثقافة السُنيّة. هذه المؤسسات لها واقع مُنفصل لحد ما عن الدولة ويستمد كلٌ قوته من الآخر بشكل أحياناً يميل إلى التعارض والحرب الداخلية كما حدث في التأريخ من قتل أو تبديل الخلفاء العثمانيين أو العباسيين أو حتى الأمويين، أو قد يحدث العكس بعد أن تُسيطر الدولة عليهم من خلال إبادتهم كما هو حادثة (الخيرية) العثمانية[5] التي أباد محمود الثاني (ت 1220/ 1839 م) كل الانكشارية بحادثة مروعة في عام 1826، أو نادر شاه بالنسبة إلى القزلباشية أو غيرها.

يبدو لي و- لست متأكداً - من ذلك بأن السعوديين كحكام منقسمين إلى فئتين القسم الأكبر يرى في أهمية البقاء على تقوية الصلات مع الكارتيل

---

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Khobar_Towers_bombing.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_Ali_of_Egypt.

(3) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث- ترجمة جعفر خياط - بغداد 1968.

(4) http//:en.wikipedia.org/wiki/Qizilbash.

(5) http//:en.wikipedia.org/wiki/Auspicious_Incident.

الديني ذو الثقافة السُنيّة العتيدة وحُجتهم في ذلك بأن هذا التيار هو الذي حمى الدولة من السقوط بيد القوى المُعادية وهو أمر واقعي، ويقود هذا التيار بندر بن سلطان، أما التيار الآخر فهو تيار كما يُسمى الاعتدال الذي يرى بأهمية أن تبادر السعودية في التخلص من قوى الإرهاب من ثقافة التسنّن المزروعة في المؤسسات الدينيّة وغير الدينيّة المنتشرة في العالم، وأن تتحول السعودية إلى قوة تمتلك موقعها من شكل حُكمها وذاتيّتها لما لها من موقع عالمي في خزين الطاقة.... ويقود هذا التيار شباب سعوديون ممن درس وتلقى تعلميه الأكاديمي في الغرب وتوجّه إلى بناء كيان اقتصادي كبير كالمصارف وشركات (أرامكو) و(سابك) وغيرها.

إن اتخاذ قرار وسط بين الرأيين هو بيد المؤسسة الدينيّة السلفيّة السُنيّة الثقافية، وهذا يعني بأن على الدولة السعودية أن تتخلص من الكارتيل الديني الثوري كما تخلص محمود الثاني من الانكشارية التي كانت قد خططت سراً بل من خلال مساندة الدول التي كانت ترى في الانكشارية خطراً كبيراً عليها مثل روسيا وبريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت...... فقد ساعدت تلك الدول الخليفة في التخلص من الانكشارية بغيّة منهم في تضعيف الدولة لكي يسهل لهم النفوذ إلى جسد الدولة العثمانية، وهذا تماماً ما جرى...... فقد ضعفت قدرة الإمبراطورية بعد مذابح الإنكشارية بشكل كبير أثّرت على مكانتها وقدراتها.

السعودية ترى بأن الغرب يعمل على تضعيف السعودية من أجل الاستفراد بها وذلك من خلال نزع السلاح المضّاء الذي تمتلكه وهو سلاح الإرهاب، كما في نفس الوقت فإن القوى الثقافيّة السُنيّة المتمثلة بالمؤسسات الدينيّة القويّة المنتشرة في العالم ترى في التدخل الغربي عامل خطر على دوام سيطرتها على الدولة وعلى مواقعها وقدراتها وعلى هدفها

في إمكانيّة إعادة السيطرة التي كانت تتمتع بها في العصور منذ أيام السقيفة والى حين بداية القرن الماضي. . . . .

تلك القوى من جانبها تتحرك في ضرب الغرب باستعمال سلاح الإرهاب بملئ إرادتها وبدون العودة إلى الاستئناس برأي السعودية. . . . . فالحرب بعد الدخول الأمريكي إلى العراق وعمليات ما يُمسى بالمقاومة هو من تدبير قوى التسنّن السياسي الثقافيّة التي تعمل بمعزلٍ عن السعودية، كما أن ضرب المصالح الأمريكية في اليمن وفي أفريقيا وحركة داعش هو أيضا يسير بنفس الاتجاه مما يُحرج السعودية أحيانا أمام الغرب.

فلقد أطلقت يد السعودية في بداية الثمانينيات وبالتحديد بعد الثورة الإسلاميّة في إيران وبعد الدخول السوفيتي إلى أفغانستان بشكل كامل في ضرب المخالفين للتوجهات الأمريكية والتي كانت تتمحور في التشيّع السياسي والفكري والثقافي، وبذلك لاحقت القوى المُتسننة التشيّع بصورة مُركّزة في العالم وانحاز الغرب إلى التوجه السعودي بصورة مُطلقة، فزودهم بقدرات كبرى كان من جملتها تشكيل (القاعدة) وغيرها. . . . . .

في تلك الفترة كان التشيّع يُوصم بالتطرف كما هو تشخيص كل أدبيّات الغرب وكتب التأريخ خصوصاً إذا أدركنا بأن أولى حركات التطرف الإسلامي كانت قد تبرعمت من التشيّع في القرن الثالث الهجري مثل القرامطة والنزارية من الاسماعيليّة بعد أن كوّنوا دولاً وكيانات فانعكست كل تلك الأحداث سلباً على تفهّم التشيّع من قبل الجميع مما أدّى إلى تعامي الغرب عن النظر بعين البصيرة إلى حقيقة التغيير التاريخي والفكري للتشيع. . . . . . .

كان ذلك الوقت هو العصر الذهبي للثقافة السُنيّة التي من خلالها بنت كيانات وقُدرات في العالم لازالت باقية إلى الآن تعمل تحت أسماء متعددة

ويتم من خلالها ضرب التشيّع بطريقة أو بأخرى مستفيدةً من أدبيّات الثقافة السُنيّة في الاعتراض على دخول (الكفرة) الغربيين إلى الأرض العربية وخصوصاً بعد حرب الخليج الأولى 1991 فصار الشيعة يُقتلون بذرائع محاباة الأمريكان (الكفرة)، وهذا هو من أهم الأسباب التي مارستها ثقافة التسنّن في تجنيد الانتحاريين إلى العراق بعد الدخول الأمريكي في عام 2003 والى سوريا في هذه الأوقات وكذلك كان قبلاً ولحد ما في أفغانستان.

فكل من تمّ القبض عليهم في العراق من الانتحاريين كانوا يحملون مفهوم عقائدي هو محاربة الروافض أو الشيعة، وعندما يتم الاستفسار منهم بأن الشيعة بالعراق يشتركون معهم في هدف محاربة الأمريكان، يكون الجواب بأن الامريكان يحمون الشيعة من الذبح، فعلينا أن نطرد الأمريكي لكي نتمكن من الاستفراد بالشيعة قبل تقويتهم. . . . . . هكذا انساق الجميع بل العالم الإسلامي أمام تلك المقولة وتمّ تجنيد عدد كبير من الانتحاريين مع عقيدة مسايرة لتوجههم هو قتل الشيعة الذين يُخالفون العقيدة السُنيّة بدرجة ربما أكثر كفراً من اليهود أو الأمريكان.

فالحرب التي تُسمّى مقاومة في العراق في الحقيقة هي لإبادة الشيعة بطريق أو بآخر. . . . . . تجد ذات الأمر الآن في سوريا وفي لبنان وفي ليبيا وفي اليمن وفي تونس وفي الجزائر في اتهام الكثير من القوى الوطنيّة بتشيّعها، مع أن الحقيقة هو أن تلك القوى هي سُنيّة أو أباضية المذهب ولكنها تعمل ضمن مفاهيم الثقافة الشيعيّة، وهذا بالضبط ما يغيض الثقافة السُنيّة في استعمال سلاح العنف في مهاجمتهم وقتلهم.

كل ذلك يتم تخطيطه من قبل أعمدة ثقافة التسنّن أو بما أسميناه بالكارتيل السُني الثقافي وهو ذات الكارتيل الذي سيطر على الدولة العثمانية

منذ عصر سليم الأول عام 911 هجرية (ت 926/ 1520 م) والى حين بداية عصر 1233/ 1812 م عبد الحميد الثاني (ت 1918 م) وذلك بعد أن اكتشف ذلك السلطان بأن الغزو الروسي الذي تمّ في عهده 1912 هو من تدبير الكارتيل الديني العثماني أي ثقافة التسنّن التي كانت مسيطرة على مسيرة الحكم.

كما لم تتوقف قدرات إتحاد التوجه السعودي الذي هو في الواقع نابع من رغبة عارمة في السيطرة والحكم والاستيلاء مع التوجه الثقافي السني الذي كان في ذلك الوقت قد تبرعم على شكل حركة دينيّة جديدة سلفيّة هي الحركة الوهابية. . . بقي هذا التحالف الديني ما بين الحكومة السعودية مع الحركة الوهابية إلى حين الحرب العالمية الأولى ثم الثانية عندها توجهت السعودية بل كلا الفريقان إلى أن ينفصلا اصطناعياً وليس ذاتياً وصار لكل منهم من مؤسسات حيث تمكّنت السعودية من خلال ذلك الكارتيل من أن تُسيطر على الخط الديني في الدول الإسلاميّة وتبقيها تحت سيطرتها تبعاً لها كما هو حركة الإخوان وبقيّة الحركات التي انطلقت على شكل أحزاب يقودها الرأس وهم (الإخوان) بعد أن سُموا أنفسهم بما سمى به السعوديون جيشهم الذي يستعملونه في الغزو[1]. فتحولت السعودية وبمرور الوقت إلى مُمثل لثقافة التسنّن في العالم أي أن العالم السُني يُمثله السعودية مذهباً وثقافة وربما ديناً إذا وضعنا الإسلام كدين تُمثله دولة ما. هذا في الوقت الذي لم تُمانع أي من الحركات السياسيّة أو الفكريّة السُنيّة ذلك الادّعاء، بل أنها وجدت في السعودية مرتعاً خصباً لها في نشر أفكارها بعد أن استعرت حركات القومية والشيوعية في العالم العربي، فصارت السعودية

(1) ثروت الخرباوي: سر المعبد، الأسرار الخفيّة لجماعة الإخوان المسلمين، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012.

تُحارب (الكفرة) أي القوميين والشيوعيين نيابة عن الإسلام وعن ثقافة التسنن.

فقد لجأ إلى السعودية ربما كل قادة الحركات السياسيّة الإسلاميّة وخصوصاً بعد أن ضرب ناصر الإخوان في عام 1954 بعد حادثة المنشية، وهنالك بدأت عملية التوأمة ما بين التيار الحركي السياسي الثقافي السني وبين السلطة السعودية بشكل ليس لتلك الثقافة من خيار في رفضها أو الخروج عن حدودها، كما حدث فيما بعد عام 1979 في إيران بعدما توجهت الحركات السياسيّة الشيعيّة إلى إيران والتي تعاملت معهم بنفس إطار التعامل السعودي مع الحركات السُنيّة. ولكن الفرق الكبير بين القطرين هو أن إيران غيّرت من موقفها على مستوى الدولة ورفضت مقولة الكارتيل الشيعي مع أن هنالك بقايا.... كما في نفس الوقت فإن التوجه الإيراني المبدأي هو رفض مبدأ العُنف.

في فترة ما بين الحرب الثانية إلى حين التحلل من عصر القوميات والأمميات وبدايتها - كما ذكرت - كانت حرب الأيام الستة في 1967 وقمتها في 1979 قد تطبّعت كل الحركات ذات الثقافة السُنيّة بالموقف السعودي أدباً وتأريخاً وفقهاً وسياسة ومالاً وغيرها[1] فتمكنت تلك الدولة من أن تُغيّر مسيرة التحرر الحركي بالاتجاه الذي يضمن استمرار الولاء لها، وفعلا تمكّنت من أن تحرز مواقع متقدمة كبرى في استيعابها ليس فقط للحركات السياسية، بل للحركات الوطنية (كفتح) وحركات شمال أفريقيا واليمن والبحرين وعمان وسوريا ولبنان وحركات العراق وغيرها......

(1) Harold Rhode. The U.S. Role in the Sunni-Shi'ite Conflict With Allies Like These... May 17, 2013 http//:www.gatestoneinstitute.org/3708/the-us-role-in-the-sunni-shiite-conflict.

فقد كانت الثقافة السُنيّة هي العرّاب في دخول الحركات السياسيّة الدينيّة إلى النادي السعودي، بل أن السعودية كانت لا ترغب في الدخول إلى هكذا تحالفات إلّا من خلال مؤسسات الثقافة السُنّية. هذا التوجه بالنسبة إلى الغرب - قبلاً - هو توجه عُقلائي محافظ (Conservative) وهو ذات الموقف الذي تقفه اليوم قطر في التعامل مع الحركات الدينيّة أو غير الدينيّة بعد أن قررت أن تخطو ذات الطريق الذي اختطته السعودية قبلاً.

الغرب وأمريكا وجدت في السعودية قائدة للعالم الإسلامي بغض النظر عن وهابيّتها أو تطرفها، فهي تعمل بنفس إتجاه الفلسفة الغربية في كبح جماح المُتطرفين المسلمين الذين كانوا آنئذٍ متبلوراً كما تعتقد أمريكا بالشيعة الإيرانيون، أو الشيعة عموماً، في الوقت الذي كان التشيّع يعيش في سُبات عميق في العراق وسوريا ولبنان والبحرين والخليج وأفريقيا بل كان اسم الشيعة غير معروف ولو كان معروفاً فإنه يوحي بالاشمئزاز والتطرف يعاونهم في إذكاء هذه النظرة شاه إيران السابق (ت 1980) الرجل القوي المتمكن في المنطقة بعد أن قرر أن يواجه التطرف الشيعي ويضرب مراكز القوى الثورية الشيعيّة بعد عدة محاولات قامت بها تلك القوى مثل حركة نواب صفوي (ت 1955) ثم حركة مصدق (ت 1967) في عام 1956 بعدها حركة الإمام الخميني في عام 1963 والتي على أثرها تمّ نفيه إلى تركيا. . . . . . هذا في الوقت الذي تمّ ترويض المد الشيعي في العراق بدرجة كبرى بعد فشل ثورة عام 1920، أما الشيعة اللبنانيون فإنهم كانوا آنذاك خارج نطاق التأريخ لأسباب لا مجال للحديث عنها هنا.

تعملقت السعودية بشكل لا نظير له، وأصبحت تُمثل صورة العربي وصورة المسلم بالعالم كما تُمثل الفكر الديني كذلك، فقد اجتهدت تلك الدولة بربط مصالحها بمصالح أمريكا من الناحية الاقتصادية والسياسية،

فصار من الصعب فصل المسارين بعضهما عن البعض، لأنّ الضرر الذي يحدثه تصدع أي خيط من خيوط العلاقة تلك سيكون كبيراً بدرجة يصعب تصليحه وهو شبيه كثيراً بشكل علاقة أمريكا مع إسرائيل. . . . . .

فالدول الكبرى تُقرر طبيعة مبادراتها إلى مواجهة أصدقائها انطلاقاً من مبدأ السيئ والأسوأ. وعلى ذلك لم تعلن أمريكا الكثير من الوقائع التي كانت إسرائيل تمارسها ضدها من قبيل الحادثة المشهورة للجاسوس جوناثان بولارد[1] وكذلك الشيء تجده مع السعودية عندما أخفت أمريكا 28 ورقة من أوراق التحقيق حول مشاركة السعودية في هجمات سبتمبر 11، 2001[2]. هذا في الوقت التي تمكّنت الدولة الغنية هذه من تمويل صفقات ضخمة لأسلحة أو عمليات تجسس في مناطق كثيرة في العالم كان القانون الأمريكي قد قرر حضرها على الإدارة الأمريكية أن تقوم بها رسمياً، فكانت السعودية تغطي كل تلك العمليات غير القانونية (القذرة)[3]. . . . . . والتقرير الذي في الهامش هو أحد التقارير المهمة التي يتوجب على كل مسلم الاطلاع عليه في الدور السعودي والثقافة السُنيّة في إثارة الحروب في أنحاء كثيرة من العالم.

في فترة ما بعد حرب الخليج الثانية حدثت جفوة ما بين الكارتيل الديني المُتمثل بالثقافة السُنيّة وبين جهاز الحُكُم السعودي بسبب انضمام السعودية إلى التحالف الذي قاد الحرب على العراق في عام 1991. في الوقت الذي كانت ترى قوى ثقافة التسنّن أهمية صدام وحكمه، تلك

---

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Jonathan_Pollard.

(2) 9/11 Commission Report Executive Summary - National commission on Terrorist Attack Upon the United States.

(3) Involvement of Salafism/wahhabism in the support and supply of arms to rebel groups. Policy Department DG External Policies. EXPO/B/AFET / FWC/2009-01/Lot4/23 June/2013. PE 457.137.

الأهمية متأتيّةٌ من موقع العراق في مواجهته للتشيع الإيراني سواء كموقع جغرافي أو الدخول مع إيران في أطول حرب في المنطقة ثمان سنوات والتي قُتل من كلي الطرفين تقريباً أربعة ملايين شيعي[1]. . . . . . . فشخصية صدام هي نموذج خاص نفيس بما يمتلكه من قدرات، وهو ما تبحث عنه عقول الثقافة السُنيّة لما تتمتع به تلك الشخصية من ميزات أهمها:

- الطائفيّة والبدويّة المُتجذرة في شخصه.
- دمويّته المُفرطة في إبادة المعارضين سواء من شعبه أو من خارجه.
- سيطرته على تقريباً 12 مليون شيعي عراقي.
- عودته إلى الدين ممارسة.
- قوته وخشية الأطراف منه.
- طموحه في قيادة الدول الإسلامية.
- القدرة الاقتصادية التي يتمتع بها العراق.

هذا بالإضافة إلى عوامل كثيرة معظمها واضحة للقارئ اللبيب المتابع[2] وقد يمكن لنا في أن نجد ذات السيناريو قد حاولت الثقافة السُنيّة تطبيقه قبلاً مع عبد الناصر (ت 1970 م) ومع حافظ الأسد (ت 2000 م)

---

(1) مع أن البعض من المحللين السياسيين يرون بأن الغزل ما بين الطرفين قد ضعف على ضوء استمالة صدام وشيوخ قطر لشخصيات دينيّة وإقناعها بضرورة التخلي عن السعودية وذلك انطلاقاً من تطمين صدام لهم بأنه جاد في إسقاط الحُكُم السعودي بدلاً من أن تقوم به المخابرات الأمريكية.

(2) معظم التقارير الغربية كانت قد تنبأت بأن مساندة قوى الثقافة السُنيّة لصدام كان نابعاً من رفضها عملية دخول القوات الغربية (الكافرة) أراضي السعودية (الطاهرة) وهو تحليل ساذج بسبب أن الوجود الأمريكي أو الغربي (غير المسلم) في السعودية سواء أكان على مستوى القوى =

ومع عبد الكريم قاسم (ت 1958 م) ومع الملك حسين (ت 1999 م) ومع جعفر النميري (ت 2009 م) ومع معمر القذافي (ت 2011 م) ومع ربما معظم الرووؤساء العرب ممن تتميّز شخصياتهم بديكتاتورية عمياء وحب مفرط لشخصيته. . . . . .

ولو عدنا إلى التأريخ لوجدنا بأن هذا المُسلسل كان قد تمّ تطبيقه مع خلفاء عديدين، والتي مكّنت ذلك الخليفة من خلال هذا التحالف أن يسود المنطقة كما هي قضيّة سليم الأول (ت 1520 م) بالإضافة إلى خلفاء بني العباس منذ عصر المعتصم (ت 227) وإلى حين سقوط الدولة العباسيّة على يد المغول في عام 909/ 1519 م. . كما لا نستثني من ذلك تأريخ ما قبل الخليفة المعتصم مثل المنصور (ت 158) والرشيد (ت 193) ثم المأمون (ت 218) الذين كانوا يرون أهمية عدم إطلاق يد القوى الدينيّة الشيعيّة كانت أم السُنيّة بل كانوا يرون أهمية صراع المذاهب. . . .

أما الدولة الأمويّة فأنها كانت دولة لم يُكتب بها إلى حين ذلك التأريخ أدب السُنّة الإسلامي وهذا معناه بأن الثقافة السُنيّة لا تمتلك ما تُساوم به مع الخليفة لكي تفرض عليه التعاون معها. . . . كما أن هنالك بعض الدول كانت قد رضخت بصورة كاملة إلى شروط الثقافة السُنيّة كالسلاجقة

= العسكرية أم الخبراء أم غيرها هو أمر لا يخفى على الجميع ومنذ زمن بعيد. . . . . كما أن هناك أكثر من رأي كان يدور بين كواليس السياسة العراقية مغزاه هو أن الشخصيات الدينيّة السُنيّة المهمة في العالم كانوا من دفعه إلى التحرك في غزو الكويت بعد أن طمأنوه بقدرتهم على مساعدته في السيطرة على المنطقة الشرقية من السعودية ومن ضمنها الكويت، هذا الرأي الأخير كان له مصاديق منها التقريب المفاجئ لشخصيات العالم السني ومنحهم تسهيلات كبرى مالية واجتماعية في داخل العراق. كما يمكن لنا أن نشاهد من الناحية الثانية الاندفاع غير المحدود من قبل سُنّة العالم أجمع بحركاتها ومؤسساتها لصدام وذلك ابتداء من توليه الحُكُم في عام 1979.

والمماليك والاخشيديين والأيوبيين وغيرها من القوى التي سيطرت على الدول الإسلاميّة في الوقت الذي كان المغول ودولهم قد وجدوا من سيطرة الدين على الدولة أمر فيه الكثير من القوة لمؤسساتهم ولذلك فقد تمكنوا من السيطرة على المؤسسة الدينيّة بطريقة أو بأخرى سواء أكانت تلك المؤسسة شيعية أم سُنيّة.

فمن خلال التتبع (غير الموثق) ظهر بأن الدول التي أقيمت في المنطقة العربية هي الأقرب إلى تمكين مؤسسات الثقافة السُنيّة من السيطرة منه إلى الدول التي أقيمت في الأقاليم غير العربية مثل طبرستان والهند وبعض مناطق أوروبا وكذلك لحدٍ ما تركيا. . . . . وهذا الحدث التاريخي إن لم يتم توثيقه فإنه سوف لا تكون نتيجته مختلفة عن أصل فرضية نمو الثقافة السُنيّة من الثقافة البدوية. . . . . فالبدو وهم العرب لا يبالون من يُسيطر عليهم إسمياً ماداموا يملكون القُدرة في التحكم بمقدرات الحياة وفي عمليات الغزو والاحتلال[1].

وبتخلخل التركيبة الدينيّة للسعودية صار هنالك طريقان لقيادة عمليات الإرهاب العالمي طريق يقوده الخط الثقافي السُنّي، وهذا تفرّع إلى تفرّعات كثيرة ومتشعبة منها (القاعدة) ومنها (داعش) ومنها (جبهات النصرة) و(جيوش السنة) وغيرها. وقسم تقوده السعودية ذاتها من خلال شخصيات أجيرة عالمية ليست على علاقة مع نظام الحُكُم ولكنها تعمل تحت أسماء

(1) الثقافة البدويّة ترى في أدبياتها بأن البدوي هو عبد لمن غلب ولذلك فإن قريش باعتبارها سيدة العرب كانت لا تُحسن القتال ولا تُحسن مقاومة المعتدين عليها. وعندما وصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق في معركة القادسية سأل حاكم الحيرة عن من يكون سعد بن أبي وقاص. . ؟ قيل له من قريش، فقال: إما إذا كان قرشياً فليس بشيء والله لأجاهدنه القتال، إنما قريش عبيد من غلبهم والله ما يمنعون خفيراً ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير.

أمنيّة أو دينية. . . . . . كلتا القوتان تحملان ذات الهدف مع الحرية التي تمتلكها القوة الأولى باعتبارها مُتحلّلة من سيطرة الدولة مع التركيز على ضرب أي قوة تُخطّط لتغيير النظام السعودي بالتحديد من خلال إشاعة الجو الإرهابي وجو العنف في العالم، وهو الجو الذي يُخيف الغرب ويُغيّر الحالة النفسية للمواطن والمستثمر الأمريكي للاستمرار في ممارسة النشاط الاقتصادي الذي يُعتبر القوة التي تمتلكها الدولة العظمى. . . .

فليس بالضرورة أن تتقاطع القوى المتنافسة أو المتعارضة في حرب مكشوفة أعني بين أمريكا بالذات وبين السعودية، فالولايات المتحدة تحاول إبقاء قنوات إتصال مع كل الدول المعادية لها حتى الدول التي تُعاديها علناً مثل الاتحاد السوفيتي السابق وكوريا وسوريا[1]. فلا تتردد السعودية في نقل

(1) فالحرب الحديثة هي حرب كما تُسمّى عملية عض الأصابع، فغالباً ما تكون الحروب المزمنة مثل الحرب الباردة أو حرب الإرهاب تسير ضمن نسق مُتفق عليه بين الدولتين في حالة ارتفاع وتيرة الهجوم. فعندما تفشل الحلول الدبلوماسية فإن الوسيط بين الدولتين المتحاربتين ينقل لهما نيّة الطرف الآخر في استعمال نوعيّة السلاح ما لم تتنازل تلك الدولة عن كذا مطلب. . . . فالسعودية أنذرت أمريكا لأكثر من مرة بأن التفكير في إزالة أو تغيير النظام السعودي يسبقه هجوم إرهابي على إحدى المصالح في العالم، وتزداد الهجمات بمواصلة الطرف الأمريكي إثارة الرأي العام أو الكونغرس أو غيرها. فقنوات نوعيّة الضربات هو عُرف لدى الدول المتحاربة كنوع من الوقاية فيما لو أراد الطرف الآخر التراجع عن قراراته. . . . . وقد أنذرت أمريكا إيران لأكثر من مرة في حالة حرب الخليج الأولى في وجوب إيقاف الحرب وإلا فإن أمريكا سوف تضرب بعمق أولاً الهدف العسكري البحرية، وثانية منصات النفط، وثالثاً صواريخ (سكود) على المدنيين ورابعاً ضرب الطائرات المدنية. . . . فكانت إيران تسمع من الوسيط كل ذلك ولكنها لم تكن لتُدرك بأن أمريكا لها القدرة على فعل ذلك، ولكن ما أيقظ الإيرانيين من نومتهم هو التهديد الرابع الذي نفذه الأمريكان بطريقة ما وهو ضرب الطائرة المدنيّة الإيرانية المتوجهة إلى الإمارات عندها استسلم القادة الإيرانيون، وشعروا بأنهم أمام تكتيك جديد عليهم أن يتعاملوا معه بعين الجد. . . . هذا الأسلوب نفسه استعملته أمريكا قبل أن تضرب اليابان بالقنبلة الذرية في عام 1945 وكذلك تستعمله دول العالم المتقدم في حربها =

مفهوم استعدادها لتسخير القوى الإرهابية في ضرب المصالح الأمريكية ما لم تتراجع عن قرار كذا أو موقف كذا.

فالعراق بعد التغيير عام 2003 كان خطاً أحمر بالنسبة إلى السعودية خصوصاً بعد أن وصل إلى الحُكُم (الشيعة السياسيين) المتمثلة بالأحزاب الشيعيّة التي في الواقع تمتلك ذات الثقافة (السُنيّة) فيما يتعلق بمنظورها إلى الحُكُم مع اختلاف المصالح، وهو أمر مُهم أتمنى على القارئ إدراكه واستيعابه في هذا السرد. . . . . فقد أنذرت السعودية أمريكا من مغبّة مساندة الشيعة والسماح لهم في حكم العراق والذي لو استمرت في ذلك فإن السعودية ستُنشّط الإرهاب بأجلى صوره لضرب الكل من المدنيين والحكوميين وشخصيات الشيعة بالإضافة إلى المصالح الأمريكية والمصالح الغربية وغيرها، وكانت أمريكا تُدرك ذلك بعد أن استلمت الرسالة كنوع من المساومة وهو سياق معروف ولا يُعتبر مرفوضاً في العرف السياسي. . . . ولكن أمريكا لم تكن لتُدرك عُمق البُغض السعودي للشيعة بتلك الدرجة، وكانت تعتقد بأن هذا البُغض مشابه لواقع البروتستانت والكاثوليك الذين جلسوا في نهاية المطاف لتصفية مشاكلهم بعد حرب استمرت لأربعة قرون.

ونتذكر كيف استجابت أمريكا في عام 1991 في حرب الخليج الثانية واستسلمت للتهديد السعودي الذي هدّدت بضرب القواعد الأمريكية في السعودية ما لم تسحب أمريكا غطاء مساندتها إلى الشيعة واستثناء صدام من

= مثل إسرائيل في طريقة ضربها لغزة. . . . . وهكذا هو علم الحرب الحديثة الذي يقول: إنك إن استعملت كذا سلاح فإنا استعمل كذا تكتيك. . . . السعودية تُهدد أمريكا دوماً بضرب مصالحها وبصورة تُعتبر في أعراف المواجهة أنها حق مشروع لكلي الدولتين في الحفاظ على مصالحها بالطريقة التي تراها مؤثّرة، وهكذا تضرب السعودية أمريكا هنا وهناك إما من خلال القوى المرتبطة بالخط الديني (ثقافة التسنن) أو من خلال التوجّه المُستقل الذي يعمل بصورة مرتبطة بأجهزة مُتصلة بالحكومة نوعاً ما.

السقوط إلى أن توصل الطرفان كحل وسط في تجنّب مأساة كبرى في أن يبقى صدام ضعيفاً مقابل منع التغيير ووصول الشيعة إلى حكم العراق.

فالقوة الضاربة الإرهابية التي تمتلكها السعودية ليست من قبيل القوة العشوائية التي تعمل ضمن خط منفصل عن مجمل الصراع السياسي الذي تقوده ثقافة التسنّن العملاقة التي تُسيطر على قيادات الدول العربية وخصوصاً السعودية والخليج، بل هو جهاز مشابه لأجهزة المخابرات الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية مُناط به مسؤولية حفظ البلد من الانهيار.... وتتفهم أمريكا هذا المنطق في الوقت الذي لا تتفق معه ولا تراه بأنه الطريق الذي يرمي إلى حفظ النظام.

ولكن السعودية في الواقع ليس لها من خيار - كما تعتقد - في تجنّب التغيير وانتقال السلطة إلى الآخرين غير العائلة السعودية. كما وتشارك ثقافة التسنّن الدولة السعودية في كل ما ترميه مع الشرط في التمتع بحرية الحركة حسب مصالحها بشكل منفصل عن السعودية.....

أمريكا من جانبها تعتقد بأن الضغط على السعودية أو حتى محاربتها سوف لن يُجدي نفعاً باتجاه التخلّص من الإرهاب مادامت هنالك شرعية تبريرية تُقدمها ثقافة التسنّن إلى الدولة، كما ترى بأن ضرب الثقافة بما هي عامة سوف لا يؤدي إلّا إلى استشراء الإرهاب بصورة أكبر من ذي قبل بسبب توفر عوامل الإرهاب اللوجستية والفكرية ضمن الواقع العربي، كما في نفس الوقت فإن العالم الإسلامي والعرب هم قوم يميلون إلى اعتماد قوة غير نظامية في حربهم مع الآخرين وهي خصلة مُلازمة لكل الحكومات والدول التي توالت على المنطقة.

كما أن هنالك نقطة أخرى تتفق السعودية بها مع أمريكا في خصوص أهمية إمساك الملف الإرهابي بيدها، لأن العكس سيؤدي إلى مآسٍ ومذابح

كبرى لم يشهدها التأريخ على مدى عصوره، ولنا من سوريا ومن وضعها والعراق شاهد كبير على الوحشيّة المُفرطة التي تتعامل بها قوى ثقافة التسنّن التي خرجت لحد ما عن التوجه السعودي، وهذا قد يحدث في كل أقطار العالم بعد أن يتحول المجتمع إلى عصابات إرهابية تقتل بشكل إجرامي بسبب اختلافهم معهم في مفاهيم الدين ومفاهيم السياسة. . . . . .

في هذه النقطة ترى أمريكا بأنها أمام مشاكل كبرى أحلاها مُر، وعليها أن تتعايش مع قدرات ثقافة التسنّن التي تُساوم الآن الغرب على النقاط التي أوردتها في صدر الفصل وإلّا فإن هنالك ما هو أدهى من ذلك. . . . . فأحداث سوريا والعراق لهي نموذج مُصغّر لمستقبل الضربات التي سوف تُكيلها قوى الإرهاب إلى الكل بشكل لا يوقفها قوة على الأرض، لأن العمل الانتحاري سلاح مدمر بغض النظر عن بساطته وشكل تنفيذه.

دخلت على الخط إسرائيل في طبيعة نظرتها إلى الإرهاب المنطلق من ثقافة التسنّن في الوقت الذي ترى تلك الثقافة بأن الحرب مع اليهود مؤجّل الآن بسبب تُراثيات وأقوال وروايات تقول بأن الحرب مع اليهود سيكون من خلال ظهور المُخلّص الكبير وهو من يتولاهم ويبيدهم، بحيث أن الحجر يقول للمسلم: يا عبد الله أن ورائي يهودي فاقتله أو فاذبحه. . . . وهذه الأقاويل مما رُويت لا ندري ما مصدرها هل هي من الإسرائيليات أو أنها ذو سند مُعتبر. . . . على أية حال، فقد تفهمت إسرائيل منطق السعودية ومنطق قوتها في اعتبار الإرهاب جهاز مشابه لأجهزة إسرائيل (الشين بيت، والموساد) ولذلك فإن العلاقة بين الدولتين على ضوء وحدة المفهوم أمر وارد، بل تحول إلى حقيقة بعد أن التقت ثقافة التسنّن مع ثقافة الدولة العبريّة في منع انتقال الدول العربية إلى واقع الدول الليبرالية الديمقراطية. . . .

هذا التحالف الجديد لم يبرز إلّا بعد حرب الخليج الثانية بحيث أن الكيانين ربما نقول عنهما ثقافة التسنّن مع ثقافة التصهيّن دخلا في تحالف مصالح وهو ليس بالأمر المستغرب أمام خيار إزالة كلي الكيانين كما هي المسيرة العالمية اليوم التي لا ترى من مبرر لوجود ثقافة عنصريّة وفئويّة وإرهابية مثل ثقافة التسنن وثقافة التصهين. . . فقد أُقرّت عنصرية التصهيّن من قبل الأمم المتحدة[1] وإن كلي الكيانين اليوم يعيشان ذات الأزمة في إشاعة الإرهاب الدولي. كما وقف كلاهما في منع بوش الأب من انتخابه لدورة ثانية بالإضافة إلى الالتقاء بأوجه كثيرة عديدة لا مجال للحديث عنها في هذا الكتاب.

خيارات عالمية: إن ثقافة التسنّن كما أشرنا إليها ليست وليدة اليوم، بل عُمقها بعُمق التأريخ، ومنذ عصر البداوة الذي ظهر في فترة النبي إبراهيم الخليل، وهي تتغير من حالة إلى حالة تبعاً لقانون تغيّرات الحياة لكي تتمكن من التلاؤم مع سلوك الإنسان الرافض للسيطرة والاستعلاء كما هي نظرية الانتخاب الطبيعي والداروينية البيولوجية. . . . . .

فقد تحدثنا سابقاً عن مسيرة صراع الثقافتين وحاولنا بقدر الإمكان أن نتجنب الاقتراب من الطائفيّة كما حاولنا في ذات الوقت أن نربط عوامل الصراع وخصوصاً مع غريمتها التاريخية وهي الثقافة الشيعية. . . . .

وها نحن في عصر يختلف كثيراً عن العصور التي كان على الثقافة

---

(1) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 3379، الذي اعتمد في 10 نوفمبر، 1975 بتصويت 72 دولة بنعم مقابل 35 بلا (وامتناع 32 عضوًا عن التصويت)، يحدد القرار (أن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري). ألغي هذا القرار بموجب القرار 46/ 86 يوم 16 ديسمبر، 1991. . شرطًا لمشاركتها في مؤتمر مدريد.

السُنيّة أن تواجه أعداءها، حيث تحوّلت مفاهيم السيطرة اليوم إلى مفهوم مختلف عما كان في السابق، فحيازة الأرض وتسيير الجيوش والسيطرة العسكرية كانت في السابق هو المفهوم لقوة الدولة أو قوة الثقافة أو تفوقها، أما اليوم فإن السيطرة ومفاهيمها قد صارت تُعرف من خلال مصطلحات جديدة تلك هي التفوق الاقتصادي والتقدم التكنولوجي والمعرفي، كذلك الأمر مع مفاهيم الرقيّ ومفاهيم الديمقراطية والاقتراب بين الشعوب. . . .

كما تغيّرت في ذات الوقت منظار المؤسسات العالمية إلى طبيعة الشعوب وإلى قدراتها التي تنطلق من معايير مختلفة عن المعايير السابقة، وصارت قوة الثقافة أو الدولة تنطلق من فكرة عالميّة الإنسان وحريته، ومن المفهوم الذي ما فتئنا نُعيده في كلامنا وهو علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، فصار ذلك هو ما تنظر إليه الأمم والشعوب، كما صار الجانب البحثي والعلمي والمعرفي من أهم ميّزات السيطرة والعلو والقُدرة، كذلك نجد سلاح الإعلام وسلاح الانفتاح، حيث حلّت تلك المفاهيم محل أفكار العالم القديم في السيطرة والقتل والغزو والاستلاب والإذلال وفرض الدين أو الرأي أو شكل الحياة على الشعوب الأخرى.

والإرهاب هو حالة ابتعداد عن واقع العالم والدعوة إلى الالتزام بأساليب العصور السابقة القديمة التي كانت فيها المصادر الحياتيّة محدودة في المعيشة. . . . فكان الرعي وكانت الزراعة ثم تطورت الأمم فصارت الصناعة، وكلما تتطور الحياة وتتحسن علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان كلما تنعكس في ذلك إيجابياً على علاقته مع الطبيعة، وبهذه الحالة تستمر الطبيعة وتُعطي للإنسان فرص رخاء العيش مما يتطلب بالتالي فكرة تقليل فرص النزاع على الموارد المهمة للمعيشة، وبانتقال العالم إلى عصر التكنولوجيا وغزو الفضاء كان لسايكولوجية الإنسان أن تتطور في سعة الأفق وبُعد

النظرة إلى شكل الحياة وإلى العلاقة مع الإنسان، فعندها قلّت أشكال العنف وأشكال المزاحمة على ثروات الطبيعة. هذا ما يخص الكثير من ثقافات الشعوب والأمم التي نتعايش معها في الألفية الثالثة.

بقيت هنا ثقافة التسنّن التي هي في الأصل منطلقة من أمها الرؤوم تلك هي ثقافة البداوة، فبقيت على حالها في نظرتها إلى شكل النزاع وخصوصاً بعدما تمّ (أدلجتها) من خلال الدين الإسلامي، فتحول الصراع شكلاً من صراع على أرض وعشب إلى صراع على ايديولوجية، ثم تطور أكثر فأكثر وتحوّل إلى جانب شخصي نابع من نزعات غرائزيّة اجتماعية حاول مُنظّروها أن يربطونها بالسماء، فصارت عندئذ حافزاً شرعياً دينياً وسماوياً بعد أن زيّنته النظريات الأشعرية والوهابية وغيرها بزينة الإطار الديني والفكري.

هذه الثقافة السُنيّة بدأت تتقوقع على شكل مجاميع إما دول أو فئات حزبيّة بعد أن فقدت قدرتها في التحوّل إلى ظاهرة اجتماعية يُفكر بها المجتمع أو يعيشها كما كان في السابق في الزمن الذي كانت العلاقات مع الشعوب الأخرى محدودة بسبب تأخّر الوسائل التكنولوجية وخصوصاً المعلوماتية. . . . . . .

هذه الحالة كانت هي البداية التي فرضت على تلك المجاميع إلى تبنّي نظرية ثقافة التسنّن كطريق لها في إعادة سيطرتها وعدم استمرار خسارة المستقبل الذي بان واضحاً في تساقط المواقع أحدهم تلو الآخر، وذلك كلّما تقدم العلم وتطورت الأمم وتقاربت أفكار الناس، وهذا معناه بأن أفكار هذا المد سوف ينحسر خلال منتصف ربما القرن الحالي أو على الأعم في نهاية هذا القرن بحيث تتحول الثقافة السُنيّة إلى كيان في متحف كما تحوّلت نظرية الكنيسة الكاثوليكية التي مرّت بنفس خطوات الثقافة

السُنيّة في السيطرة وفي العنف مع الاختلاف في طبيعة ذلك الإرهاب نسبة إلى الوقت.

وقد لا نجد من صعوبة في تفهّم السعي الكبير الذي تقوم به ثقافة التسنّن في منع المنتمين لها أو الشعوب المسلمة من نيل المزيد من الثقافة والانفتاح والعلم، ونرى كذلك الشيء ذاته في وضع حاجز شرعي واجتماعي وفكري أمام المسلمين من أن تختلط بالشعوب المُتقدمة التي تملك قدراً من المعرفة أو العلم أو القيم الإنسانية بحجّة الكفر والشرك والصليبية واليهودية والرفض والزندقة وغيرها[1].

لا أعتقد بأن ما يُسر المسلم وحتى غير المسلم أن يعيش الآخرون في ظلام فكري وعقيدي، لأن عطاء الإنسان على هذه الأرض لم تعد طاقاته مُلكاً لذاته، بل أن عالم التطور والتواصل والمعلوماتية قد حوّل الناس والعالم إلى قرية صغيرة تتعايش من خلال الأخذ والعطاء وهذا ما يدفع الأمم الآن أن تساعد الأمم الأخرى في طريقة فهمها للعلاقة معها. . . . . وهذا بالتأكيد يُحتّم على كل باحثي العالم في أن يُفكروا جديّاً بظاهرة الإرهاب الكبرى التي تُطال الجميع وليس المسلمين أو الشيعة فحسب. . . . .

فالثقافة السُنيّة مع شدة مآخذنا عليها فإننا لسنا مُلزمين في أن نحوّلها إلى كيان مقدس، بل علينا أن نُفكر بروح الانفتاح على مستويات عدة من أجل تحويل الثقافات إلى أصولها أو ما افتقدتها، لأن إبداع الإنسان لو تكامل أي تلاقح مع ثقافات أخرى وبتجرد عن نوازع الإنسان فإنه سيكون عطاءاً خيّراً كما يقول فولهايم في رأيه بالثقافات.

(1) Abdeslam M. Maghraoui, American Foreign Policy and Islamic Renewal, United States Institute of Peace, Special Report# 164 July 2006.

الفصل الخامس عشر

سيناريوهات التغيير

أولاً: دراسة أدبيّات منطلقات ثقافة التسنّن: باعتبار أن لكل ثقافة من فكر ومواد أدبيّة وعلميّة قد تطغى على تلك الأدبيّات تعاليم الدين، أو تعاليم الطبيعة أو العلم أو ما إلى ذلك. . . . . ثقافة التسنّن في بدايتها هي ثقافة بدوية بُنيّت على أسس واقع الصحراء القاسي الذي يعتمد الغلبة والقوة والغزو والقتل ومنع الآخرين من المشاركة في موارد الطبيعة، وبمجيء الإسلام استفادت تلك الثقافة من الرابط الإلهي في توسيع أفق عملها وتأثيرها على الإنسان وعلى اندفاعه باتجاه تحقيق مبادئ تلك الثقافة. . . .

وهذه المحاولة لم تكن محاولة يتخفّى بها الإنسان في بداية إبداعه في توجيه الدين السماوي نحو خير معيشته التي اكتسبها من جو الصحراء، بل ترى بأن الحاجة هي التي دعت ذلك الإنسان في أن يُسخّر ما قدمته له السماء من قُدرات رسالية في سبيل تطوير حياته ومعيشته. . . وهذا أمر طبيعي ربما ينطبق على كل الثقافات التي جاءت على أنقاضها دين أو شريعة سماوية. . . . .

وكان من أوائل من تصدوا لعملية المزاوجة بين ثقافة البداوة وبين الدين الجديد شخصيات كانت ترى أنه لمن مصلحة المكيين القرشيين استنباط علاقة مُزاوجة ما بين الثقافة البدويّة ومفاهيم الإسلام، وهؤلاء

وضعوا أدبيّات تلك العلاقة انطلاقاً من واقع الظرف ربما حرصاً أو وطنيةً أو إيماناً وهو ما تمكّنت به قدراتهم العقليّة أن تتوصل إليه. . بوفاة أولئك القادة الكبار لنُسمّينهم رواد الثقافة السُنيّة لم يكن هنالك من وسائل لحماية ذلك الجنين الجديد الذي تمكن من أن يكون النموذج الأمثل لحالة العرب آنذاك، ولنتذكر بأن الظرف حينئذٍ كان ظرفاً صعباً بلحاظ غياب السندين الأساسيين وهما الكتاب والسنة.

جاءت الدول التي تلت عصر القادة الأوّل وهم الخلفاء الثلاث بمفاهيم هيكلها العام هو الإسلام وجوهرها السيطرة، خصوصاً إذا أدركنا بأن الخلافة كانت محصورة في عشيرة واحدة وهي قريش، فوضعت في هذا الاتجاه الكثير مما نُسب إلى النبي من أجل إضفاء الشرعيّة على ثقافة البداوة الفعّالة التي كانت سائدة قبل مجيء الاسلام. . . . . في هذه الأثناء برزت طبقة المؤسسة الدينيّة التي تُعتبر المُمّول الفكري والشرعي للسلطة (كل سلطة في العالم) فتحولت الحالة إلى حالة عصبيّة وحالة سيطرة. وهكذا بقيت إلى حين العصر الحالي من حالة تحالف ما بين المؤسسة الدينيّة مع مؤسسة الحُكُم وهذا في الواقع هو ما أدّى بنا في أن نصل إلى ما وصلنا إليه من وطأة الإرهاب.

هذا التسلسل يحتاج إلى دراسة من خلال إعادة النظر في التأريخ وفي رواته ثم الخروج بنتيجة منطقيّة عقليّة أقرب إلى مفاهيم الإنسان، وهذا لن يحدث ما لم يكن هنالك جديّة في العمل وفي النظرة إلى مستقبل الإسلام والمسلمين. . . . هذا مع الاعتراف بأنه عمل أقرب إلى المستحيل في ظل الظرف الحالي، ويتطلب لإتمامه خطة سحريّة، ربما هي نفس الخطة التي تمكّن فيها الدين المسيحي من الإفلات من أنياب تلك الطبقة (ثقافة

القساوسة) التي تُوفر للحكم الغطاء الشرعي[1]. . . . . . تمّ ذلك في العالم المسيحي الغربي من خلال تحويل الحكومات الغربيّة إلى حكومات تُنتخب من الشعب بطريقة مهما نَقُل عنها فإنها في خلال ربما قرن من الزمن ارتفع مستوى الوعي إلى الدرجة التي بدأ فيه عصر الانفصال ما بين تلك الطبقة وبين الحكم.

إنّ الدولة أو جهاز الحُكُم بالعموم لا يحتاج إلى ثقافة التسنّن أو رجالاتها وبطانتها إذا كانت تمتلك شرعية مُكتسبة إما من الشعب أو من سلطة برلمانية كما هي حكومات العالم الديمقراطي. . . . . فلو فكرت الدول العربية وخصوصاً السعودية بخيار الحصول على شرعيّتها بأحد الطريقين فعندئذ تتغير المعادلات وتتحول قدرات وعلماء ثقافات التسنّن في إعادة دراسة إرث مقولات (الصحاح) (والفرقة الناجيّة) من خلال تحديث الأدبيّات المستورثة التاريخية وغيرها، وسوف تتحول القضية البحثية في تلك المفاهيم الدينيّة إلى قضيّة علميّة كما هي كل الأديان الأخرى التي مرّت بنفس الطور المسيحية والكونفوشية والبوذية واليهودية. . . . .

في ظل الحُكُم الشرعي تجد ثقافة التسنّن جواً من الانتعاش والنمو

(1) تمكن الملك (أخناتون) (ت 1362 ق.م) في مصر أن يُحدّد قوى الكهنة (المشابهة لثقافة التسنن) الذين كانوا يسيطرون على مسيرة الدولة الفرعونية الكبرى بعد أن وحّد الآلهة (المذاهب آنذاك)) بإله واحد وهو (آتون) وهو الإله صانع الشمس ومُلهم نورها وقال بأن سبب انتكاسة مصر هو المال الحرام واستغلال الدين واستعباد النساء المُقدمين إلى الآلهة، فقام بطرد الكهنة (ثقافة الدين) وأمرهم في أن يُقدّموا تقريراً عن أعمالهم وخدماتهم التي حققوها فلم يكن من أولئك الكهنة إلا أن ألّبوا المجتمع ضده واستعانوا بالأجنبي (الحيثيون) في غزو سوريا ثم إضعاف الدولة الكبرى بعد أن أفلست خزينتها. بعدها مات كمداً واستشعر بأن الشعب المصري لم يكن جدير به (قصة الحضارة، ويل وايريل ديورانت، الجزء الثاني، المجلد الأول، ص 178، المصدر السابق).

ينعكس على عموم الدولة، وبالقدر المعاكس الذي تمتلك سلطة الدولة شرعيّة إما من الشعب أو من البرلمان فإنها ستستغني بقدر كبير عن ثقافة التسنّن التي تتحول إلى جانب ثيولوجي يتعامل مع السماء ومع العقل من أجل إثراء معيشة الإنسان وهو الهدف الرئيس لإرسال الأديان إلى الحياة.

هذا من جانب، من الجانب الآخر فإن الطبقة الثقافيّة المُسيّسة السُنيّة هي في الحقيقة كانت قد مارست عملية اختطاف لمبادئ (مذهب) التسنّن (Hijacking). . . فهذا المذهب كأي مذهب في الإسلام يتكون من روايات ونصوص وشخصيات وعقيدة تستقي كامل تركيبتها من المصدرين الرئيسيين الكتاب والسنة، وليس من مصلحة علماء التسنّن أن ينقلوا موقف أو رواية مُخالفة لعقل الإنسان أو هنالك من شك في مصداقيّتها وهو ما سوف يفتح الباب للفقه ولعلم المذهب السني في أن يُعيد النظر بالكثير مما وصله من روايات متأتيّة من عملية ضغط السياسة على المذهب. . . . . . .

كل ذلك يجب أن يُمارس في محيط خارج عن نطاق السلطة والحاكم بحيث أن العملية البحثيّة يجب أن تتّسم بالاستقلالية كما هي صفات البحث العلمي الناجح، فمن الصعوبة أن نعتقد بأن عقل العالم أو الباحث السني سوف ينحرف عن طريق ما تُقرره أدوات البحث العلمي وهذا ما ينطبق على المذاهب الإسلاميّة أجمع.

وأمامنا تجربة الثورة الفرنسية في تحرير العالم من ثقافة دينيّة مسيحية كانت تمتلك ذات القدرة في الاضطهاد وإشاعة الحروب، فلئن كانت حروب القرون الوسطى في أوروبا قد قادها التيار الثقافي المسيحي الكنسي فإن حروب العالم ربما منذ مبعث الرسول إلى الأرض وإلى الآن قد قادتها الثقافة السُنيّة، وقد آل أمر الثقافة الأولى إلى أن تتحول إلى كيان له قدرات كبرى وربما أكبر مما كان في السابق المتمثلة في الفاتيكان ودورها المهم

للعالم. . . . . فإن على أقطاب العالم السني الثقافي والمذهبي أن يستقي من تلك التجربة ما يتمكن فيه من أن يتحول إلى كيان قوى ولكن ليس من خلال الحُكُم والسُلطة وإنّما من خلال حاجة البشرية جمعاء إلى فكر الدين وفكر المذهب.

بالتأكيد هذا كلام نظري بعيد عن الواقع خصوصاً في هذا الظرف ولكنه الخيار الوحيد الذي تسعى إليه شخصيات مُتنورة عُلمائيّة من كل المذاهب، بل أن ذلك هو المقصود من مسيرة (العولمة) التي تقودها دول العالم المسيحي والعالم البوذي والكونفوشي واليهودي كذلك، فلقد بقيت الثقافة السُنيّة هي الثقافة الدينيّة الوحيدة التي تمتلك مقدرات الحُكُم والسياسة.

ثانياً: ثورة دموية واسعة كالثورة الفرنسية لتغيير أنظمة الحُكُم وإقامة أنظمة ديمقراطية بعيدة عن تأثير الثقافة السنيّة، وهو الخيار الدموي الذي بدأه الربيع العربي وكاد أن يتحول إلى قُدرة مشابهة للثورة الفرنسية، مع أن المشكلة التي واجهت التغيير في تلك الفترة هو فكرة الدين، فقد تمّ اختطاف الثورات العربية في ربيعها من قبل التيار الديني غير المستتر في الوقت الذي كانت ثقافة التسنّن مستترة في داخل أنظمة الحكم، بينما الأحزاب التي سرقت الثورة من الشعوب العربية تمكّنت من أن تجهض فكرة استمرار الثورة. . . . . ويبدو أن المجتمع العربي لم يكن مهيأً لمماشاة فكرة التغيير، بمعنى آخر لم تكن الشعوب العربية وربما وإلى الآن تُدرك بأن هنالك مصطلحان كبيران يلعبان الدور المهم في مسيرة الشعوب تلكما هما:

- ثقافة التسنن
- مذهب التسنن

بل كانت الشعوب تعتقد بأن الدين هو ما يراه في الشارع والمسجد وما تتقوّله سُلطات الدولة، كما لا يعلم بأن الشرعيّة للحاكم تؤخذ من الدين،

وأن الحُكُم القائم هو حُكُم ليس له من شرعية إلا من خلال وجود قوة ثقافة التسنّن التي هيّأت الأرضية إلى شرعيّة الحُكُم..... فالشعوب العربية غير الشعوب الغربية في اهتمامهم بالحُكُم والشرعيّة..... فالثورة الفرنسية لم تطلب من الشعوب التحلّل من الدين سواء أكان ذلك الدين ثقافةً أم تعاليم أم مذهب. فقد قررت تلك الثورة الكبرى في أن يكون للدين مجاله بمعزل عن صراع الحُكُم والدولة والسياسة. وهذا هو من أهم عوامل تأخّر تحقيق أهداف الربيع العربي. ولذلك فإنه لمن المعتقد بأن الربيع العربي ستكون له جولةٌ كبرى ثانية أهم بكثير من الأولى وهذه الثورة ستكون ضد الدين ومؤسساته وثقافته وكل ما من شأنه أن يكون قد تداخل في مسيرة الحُكُم.

ثالثاً: أن تقوم بعملية الدراسات العلميّة والفقهية والدينية والتاريخية ليست أمم الشرق ومؤسسات الحكومات أو علماء الشرق من المسلمين، وإنّما تقوم بهذه المهمة مراكز بحوث ضخمة غربية كبرى مع استعارة عدد من المفكرين الكبار الإسلاميين من المتنورين ومن الأسماء التي تمّ ذكرها سابقاً أو من قبل الغربيين أنفسهم ثم تقديم تلك الدراسات إلى الشعوب والحكومات العربية والإسلامية بلغتهم[1]....... بالتأكيد هذه مُهمة مُضنية وصعبة وطويلة الأمد وخصوصاً في موضوع مناقشة ثوابت إسلامية مثل فكرة (الصحاح) وفكرة السُنّة النبويّة وتدوينها، وفكرة جمع القرآن، وفكرة النقل التاريخي ومدى مطابقته للواقع، وفكرة توثيق السند للحوادث الإسلاميّة

(1) يقوم الألمان الآن بتبني مشروع كبير (الجينوم القرآني)، تبنته عالمة ألمانية مستشرقة هي (انجيليكا نيوفيرث Angelika Neuwirth) بميزانية مليوني يورو ولفترة سوف تمتد ثماني عشرة سنة... وقد قُسّم العمل إلى فترتين ضمن فريقين سوف يقوم الفريق الأول بوضع (بنك معلومات Databank) لكل ما يتعلق بالقرآن، والثانية في تحليل العمل الأول، في محاولة فهم الجو الديني والحقبة التاريخية التي عاصرت انبعاث الإسلام، باتجاه إعادة تصنيعها للاقتراب من فهم أفضل للنص القرآني.

عامة، كذلك الأمر مع موضوع الشخصيات التي وُضع على شخصياتها (فيتو) في تحليل مسيرتها. . . .

كل ذلك ممكن أن يتم ولا أعتقد بأنه عمل صعب التنفيذ، فقد كَتبت ثقافة التشيّع الشيء الكثير مما يحتاجه ذلك المشروع كما كَتب في الموضوع عُلماء سُنّة كبار ولكن ليس بالصورة الواضحة البحثية. . . مع أن الشيعة (ومنتموا ثقافتهم) كتبوا في علم الرجال وفي توثيق الحديث والرواية وشخّصوا الرواة المشكوك في صحة أقوالهم، كما كتبوا في سند الروايات ومطابقتها لمنطوق العقل، كذلك ناقشوا كل ما تؤمن به ثقافة التسنّن من الجانب الفكري وليس الجانب المذهبي.

بدأت مبادرات التشيّع في توجيه أخطاء ثقافة التسنّن منذ انتهاء القرن العاشر الهجري أي بعد زمن حالة التشنج التي كانت مُستعرة ما بين الدولتين العثمانية والصفوية. وبعد أن صار العراق من حُصّة الدولة الأولى. . . . . . وكان ذلك الجُهد قد انطلق منذ القرن الرابع الهجري[1] حتى وصل إلى ذروته في نهاية القرن العاشر الهجري عندها انتقل الجُهد إلى منحىً آخر وهو علم (الدين المقارن) أو (الثقافة المقارنة) بعد أن بدأ أولئك العلماء في دراسة تفاصيل كل شخصيّة من الشخصيات التي اعتمدتها ثقافة التسنن، كذلك الأمر في كل مادة فكريّة أو دينيّة جاءت في كتب المذهب السُنّي بكامل تفرعاته ومدارسه كما هو جُهد الشهيد الثاني (ت 965/ 1557 م)

(1) كتب الشيعة متن الفكر الإسلامي (Text) ابتداءاً منذ القرن الرابع الهجري إلى أن اكتمل بالصورة العامة في بداية القرن العاشر الهجري وكان من أعلامهم: المفيد (ت 413/ 1022 م) والمرتضى (ت 436/ 1015م) وابن أدريس (ت 598/ 1201 م) والعلامة الحلي (ت 726/ 1325 م).

والشيخ البهائي (ت 1030/ 1621 م) وغيرهم ممن ناقش المفاهيم السُنيّة ثقافة كانت أم مذهباً بيراع الفكر لا بيراع التشهير أو الانتقاص أو المذهبيّة.

بالتأكيد تلك الخطوات الثلاث لا يمكن لها أن ترى النور إلا من خلال واقع سُلطوي قوي يعزل الدين عن السياسة كُليّاً وليس بشكل متجزئ وهذا تابع ليس إلى قُدرة الحُكُم أو السلطات السياسيّة فحسب، بل إلى وعي الشعب الذي عليه أن يقفز بفكره إلى معرفة مستقبل حياته من خلال خطوة الفصل تلك.

فالذي يمكن لي استدلاله بأن فكرة دخول العراق في عام 2003 ومحاولة إقامة حكومة ديمقراطية شعبيّة مُتعددة التوجهات كانت هي الخطوة الأولى التي كانت تُراهن عليها مصانع القرار الغربي في زرع بذور هذا التفكير في العراق أولاً على أمل أن تنتقل المسيرة إلى واقع الدول الأخرى في المنطقة وخصوصاً السعودية ثانياً. . . . .

ولكن العراقيين كانوا ربما من أبعد الشعوب في تفهّم مصطلحات (الثقافة) واختلافها عن مصطلح (الدين)، فهو شعب تنخر به الأميّة بعُمقها في كيانه وكذلك الفقر والتأخّر الصحي والوعي السياسي فضلاً عن واقع سيادة التشيّع (المذهبي) في قُطُر بالتأكيد سوف لا يكون هو النموذج الأمثل للتغيير في المنطقة التي تسودها ثقافة التسنن. . . . .

فمصر ربما كانت هي من أفضل المناطق التي كان لها القدرة على التغيير في فصل مسيرة الدين والثقافة الدينيّة عن مسيرة القوة والدولة وليس العراق.

الفصل السادس عشر

تشظى ثقافة التسنن..

ليس هنالك من خيار حوار مع ثقافة التزمت بالنهج البدوي والعقليّة القرشيّة وبمنطق الذبح بالسكين. . . . . فخيارات الأخذ والرد مع مسيرة عُمرُها بعمر التأريخ أمر ليس من السهل تصوره. . . . . . فلم يُحدثنا التأريخ عن منطق حوار تمّ ما بين تلك الثقافة وبين المُصلحين أو الأنبياء أو بين من يختلف معهم بمبدأ أو فكر، فها هنا أمامنا أقدم نموذج لحوار قابيل مع أخيه هابيل[1] وأمامنا حوار كل الأنبياء حتى رسولنا الكريم ثم من بعده أئمة الخير والاصلاح فلم يزد تلك الثقافة إلا تعنّتاً واستكباراً وغطرسة لأنها

---

(1) ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 28]. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (71) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (73) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (76) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78)﴾ [يونس: 71-78]. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

تمتلك مفاتيح القوة والسطوة.... فمنطق العقل غالباً ما يكون غائباً في مفاهيم تلك الثقافة بل أن الرد الذي تفهمه هو رد القوة والإرهاب والضرب بقسوة كبرى.... فالثقافة ليس هو شيء تمتلكه شخصيات أو كيانات وإنّما هي مسيرة مرهونة بشروط وبمقومات.... فلو افترضنا جدلاً بأن أعمدة ثقافة التسنّن أدركوا بعد المذابح القادمة التي ربما قد تحصل في عصر التكنولوجيا وتقدم سلاح الموت، لو افترضنا بأنهم حاولوا التراجع عن نشر تلك الثقافة، فهل ممكن لها أن تموت أو أن تضمحل أو أن يؤمَن جانبُها...؟ بالتأكيد لا.. فالثقافة ليست مُلك شخص أو دولة أو هيئة، وإنّما هي مُلك للأمة من الصعوبة اقتلاعها من كيان المجتمع ما لم تتم الدورة التأريخية فعلها خلال توفر شروط انتزاع تلك الثقافة من أجيال الأمة.

في هذه الفترة لا أعتقد ولا أرى من قدرة في التخلص من تلك الثقافة بقرار أو بمرسوم حكومي كان أم اجتماعي لأن جذور تلك الثقافة ضاربة أطنابها في كيان الأمّة إلى الدرجة التي تستلزم تغيير أجيال من أجل انتزاع تلك الجذور..... فالمجتمعات العربية عموماً بشتى أقطارها تعيش اليوم في المرحلة الثالثة وهي مرحلة الإحلال أو الاستبدال، حيث يمكننا أن نُشخّص خطوات معالجة مشكلة ثقافة التسنّن في المراحل التالية:

- مرحلة دراسة آثار التأريخ القديم (Archiology) منذ زمن إبراهيم الخليل وإلى عهد نبوة الرسول في مكة.
- مرحلة تفهّم الثقافة السُنيّة المسح الوبائي Epidemiology [1].

(1) مُدتها كانت منذ تأريخ يوم السقيفة المصادف الإثنين الاثنين 11/ 632م أو ما بعد يوم الأربعاء العاشر من المحرم 61/ 680 م أي بعد موقعة كربلاء وإلى نهاية الدول العباسيّة 909/ 1519م.

- مرحلة التشخيص Diagnosis حتى نهاية عصر عبد الحميد الثاني تقريباً 1918 م.
- مرحلة التهيئة لإحلال الثقافة البديلة Replacement المرحلة التي نعيشها الآن.
- مرحلة العلاج Treatment.
- مرحلة التعايش المزمن مع المرض Chronics.

ولو أردت أن أخمّن طريقة التحوّل إلى المرحلة العلاجيّة فإنني لا أستبعد في أن تنتهي هذه المرحلة إما من خلال حرب كبرى تقودها كل الدول التي تشترك في مصلحة مع ثقافة التسنّن والتي تحكم باسم الدين وهي تقريباً كل الدول العربية ما عدا مصر ولبنان والباكستان ودول جنوب شرق آسيا، أو من خلال مرحلة ثانية لربيع عربي على غرار مسيرة الثورة الفرنسية التي انطلقت في عام 1789 انتهت في عام 1798، مع حرب محدودة مختلفة عن الحرب التي افترضناها في الخيار الأول. . . . . وربما في تلك الحالة قد تستغرق نصف عدد سنين الثورة الفرنسية أي خمسة سنوات على أبعد الاحتمالات وذلك لأسباب كثيرة أهمها هو وجود ثقافات بديلة على مستوى الواقع منها الثقافة الشيعيّة ومنها الثقافة الغربيّة الليبرالية ومنها الثقافة الارثوذوكسية الشرقية.

وربما نجد بأن المرشح الكبير للإحلال أو الاستبدال ستكون هي ثقافة التشيّع لما لها من عمق فكري وأدبي وقدرة كبرى على التعامل مع أحداث العالم المتعددة وتغيّراتها بسبب توفر عامل (الإجتهاد) الذي تؤمن به تلك الثقافة، هذا بالإضافة إلى وجود إيران كقوة صاعدة كبرى تُساندها حضارة الغرب بشكل من الأشكال[1]. ولكن الشيء الذي ألمسه وأتوقعه في عنصر

---

(1) الحضارة الغربية الليبرالية تنظر بعين التعاطف مع إيران كدولة وكثقافة، فهي لا تتعامل معها =

الإحلال هو الجانب الفكري للثقافة الليبرالية الغربية على مستوى ظواهر الحياة كالتعليم والحكم والاقتصاد والبحث والجمال والفن وما إلى ذلك من مُكونات الثقافة. . . . وقد تبقى طريقة الإحلال تلك لفترة ربما تطول لنصف قرن أو أكثر إلى أن يشعر المجتمع العربي بحاجته[1] إلى الدين، أكرر (حاجته) إلى الدين وليس (حبه) إلى الدين.

هذه هي المرحليّة التي مرت بها شعوب الغرب ذاتها بعد أن شعرت في القرن السابع عشر بعد هجرة الأوروبيين إلى أمريكا بأن الدين ليس حاجة، بل أنه جانب تعوّدته المجتمعات كنوع من تكملة الشخصية، فلذلك كانت نسبة الملحدين (Atheist) ونسبة اللاأدريين (Nothing in particular) ونسبة اللادينيين (Unaffiliated) ونسبة المُتحللين (Agnosticism)[2] أكثر مما هي

= من منطلق تشيّعها المذهبي مع أن التشيّع عامل مهم، وإنّما تتعامل معها من منطلق عُمقها في الحضارة وفي التأريخ بما هي مسيرة الدولة الساسانية التي كانت على صراع واحتكاك مع حضارات اليونانيين والحضارة الرومانية. . . . . . والغرب عموماً يُعطي للجانب الحضاري قدراً ليس قليلاً في تقييمه للشعوب وخصوصاً الشعوب التي ترمي إلى الانعتاق من سيطرة الثقافات القديمة. . . . . فالثقافة السُنيّة في إيران سادت لفترة طويلة في عهد الصفويين مع أنهم شيعيو المذهب، كما أن القاجاريين والبهلويين كانوا أيضا شيعة ولكن ذوو ثقافة سُنيّة في تعاملهم مع منطوق الحُكُم والدولة والسيطرة. كما يخشى الغرب في أن تتحول إيران الحالية إلى قوة تؤمن بأساليب ثقافة التسنّن ما لم يتم العمل معها عن قرب لتجنب ذلك التحوّل الذي يُعتبر من أكبر المخاطر في صراع الحضارات. وهذا الشيء ممكن أن نلحظه في تعامل الحضارة الغربية مع الثقافة التركية فيما قبل وفي أواسط القرن الماضي وبوصول نجم الدين أرباكان إلى رئاسة الوزراء والتي دلّت فترته بأن الشعب التركي ليس له من تقبّل نفسي ولا اجتماعي في تبني ثانيةً الثقافة التي طلّقها قبل أكثر من نصف قرن، بل أن طلاقه منها كان فعلاً بالثلاث.

(1) ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

(2) الملحد لا يؤمن بالله، اللاأدري لا يعرف فيما إذا كان هنالك رب، اللاديني يقول بوجود دين =

عليه الآن بأضعاف (مع فقدان الرقم التوثيقي وذلك لعدم وجود إحصائيات في ذلك الوقت) أما اليوم فإن العدد يصل إلى 20% في أمريكا.

أما الشعب اليهودي فإنه دخل في مرحلة تحديث الديانة اليهودية فانقسم اليهود على ضوئها إلى ثلاث طوائف: المحافظة، الارثوذوكسية، التجديديّة، وكانت عملية التحديث عملية مُضنية وصعبة جداً إلى أن تمكّنت أخيراً الحركة التجديدية من أن تجد طريقة مهمة في إقناع يهود أوروبا وأمريكا في تغيير الكثير من روايات (السلف) اليهودي التي كانت هي المُتحكّمة في اليهودية العالمية إلى أن تمكّنت من أن تضع اليهود على طريق فكري وفلسفة جديدة مغزاها نقطتان: أولاهما أن تقييم الإنسان ليس مُعتمداً على دينه أو ماله أو عشيرته، وإنّما نابع إلى مقدار خدمته إلى المجتمع، ثانيهما هو رفض التقليد إلى الحاخامات واتّباع طريقة تتناسب مع الواقع الجديد في العبادات وفي طقوس السبت وفي الأكل. . . ولا زالت عملية التحديث مستمرة يقف في وجهها (السلفيون اليهود) الذين يُسمون (الارثوذوكس اليهود) وهؤلاء انقسموا إلى قسمين قسم يؤمن بالحداثة وقسم يبقى على سلفيّته ولكن العموم من اليهود اليوم هم علمانيون يؤمنون بالديانة اليهودية من أجل تهذيب الإنسان وليس من أجل السيطرة أو ما شابه[1].

= ولكنه لا يعنيه، المتحللون لا يقولون بقبول أو برفض الإله أو الدين. أنظر الموقع التالي: http//:en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_the_United_States.

(1) إن الغالبية العظمى من اليهود الملتزمين في الولايات المتحدة مُقسمة بالتساوي تقريباً بين أتباع الممارسة الإصلاحية واتباع الممارسة المحافظة. وتُمثل اليهودية الأرثوذوكسية (السلفية) أقليّة قوية ولكنها مؤثرة. وبالعكس في داخل إسرائيل يُشكل الغالبية العظمى من اليهود الملتزمين من الأرثوذكس، ويشكل المحافظون والإصلاحيون أقلية صغيرة جداً لكنها مُتنامية.
إن نصف سكان يهود أمريكا لا يتنسبون إلى أي حركة دينية، ويُسمون غالبا باليهود (العلمانيين)، بمعنى أنهم يتمسكون بشعور للهوية اليهودية، لكنهم يشاركون قليلاً، أو لا =

فالثقافة التي تمتلكها شعوب الغرب الليبرالية يُمثل الدين مُكوّناً مهماً من تركيبتها، وكذلك المذهب وكذلك التفرعات التي تتفرع من المذهب أي المدارس الفكريّة المتنوعة. . . . . . فلم يكن مجتمع أمريكا بعد الهجرة الكبرى يُدرك بأن الدين مُكمّل مهم من مُكمّلات الحضارة أو الثقافة، وإنّما كان يرى العكس عندما عاش مآسي الكنيسة ووحشيتها في القتل، فأعتقد أن الكنيسة تُمثل فكر الدين، كما يَعتقد السُنّة المسلمين بأن ثقافة التسنّن أو الحكام المسلمين أو الخلفاء يُمثلون الدين. . . .

فمنظار الشعوب إلى الدين ينطلق من شخصية الحاكم أو شخصية الدولة. فلذلك ترك الغربيين الدين في الفترة التي تلت الهجرة اعتقاداً منها بأن ذلك يُجنّبها المزيد من المآسي، إلى أن مرّ على المجتمع الغربي ثلاث قرون وهو يبحث عن شيء افتقده في ثقافته ولكنه لم يمتلك أداة التشخيص في إدراك كنه ذلك المفقود. مع أن الباحثين في أمريكا كانوا قد تعمّقوا في هذا الجانب بشكل كبير خصوصاً بعد أن بنت إسرائيل في عام 1948 كيانها (القومي) وبتوجه ديني، ولكن وبسبب الحساسيّة المُفرطة ضد الدين من قبل الأمريكان توقفت محاولات العودة إلى السماء حتى ثورة إيران في عام 1979 فظهر مُفجّرها بلباسه الديني وهو يقود شعب وثورة عندها تغيّرت نظرة العالم الغربي في شعوره (إكتشافه) بحاجته إلى الدين كمكوّن ثقافي مهم من ثقافة الغرب والأمريكان.

وهنا ليس لنا من الصعب أن نُدرك الفاصلة الزمنية منذ ذلك الوقت

= يشاركون بالمرة، في الممارسة الدينيّة مثل الصلاة أو الأعياد. وأكثر من نصف سكان إسرائيل علمانيون. وبالرغم من أن غالبية اليهود الملتزمين في إسرائيل أرثوذكس، فإنهم لا يُشكلون إلاّ نحو عشرين في المائة من مجموع السكان اليهود. راجع الإحصائيات من موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: http//:mfa.gov.il/MFAAR/Pages/default.aspx.

وإلى الفترة التي تحوّل فيها الدين إلى مُكّون رئيسي في الثقافة الغربية (وليس في الحكم) أي على المستوى الشخصي وعلى مستوى الأخلاق والقيم والتركيبة الاجتماعية والنظرة إلى العائلة وإلى التربية وإلى كل ما هو مُتعلق بسلوكيّات الإنسان في التعاملات الشخصية. . . . . . هذه الفاصلة الزمنية هي ثلاث قرون وهي التي كانت فترة اختبار عملي للثقافة الغربية في أن تُدرك تأثير وواقع الدين على حياتها، وهي ذات الفترة التي نحتاجها نحن المسلمون في نهضتنا لكي نصل إلى المرحلة التي وصل إليها الغربيون اليوم والتي تقريباً قطعنا منها إلى الآن نصف قرن فبقي أمامنا قرنان ونصف من فترة الحضانة التي يستلزمها العقل البشري في معرفة ضرورات الدين.

فالمجتمع الإسلامي سوف لا يقفز في خلال هذه الفترة من الفترات الخمسة التي ذكرتها ويبحث عن العلاج في عملية الاحلال إلى التزام ثقافة التشيع، بل سيكتسب من ثقافة الغرب ابتداءاً عامل إحلال سيحل محل ثقافة التسنّن وهي فترة ربما تطول إلى ما لا يقل عن قرن من الزمن إلى أن يدرك ويعود ثانية إلى ثقافة التشيّع التي بالتأكيد ستكون هي التي يتم اختيارها من قِبل مجتمع اكتسب حضارة الحرية الغربية ومستلزمات الليبرالية وجوانب الحالة الاقتصادية وعلاقته مع تفاصيل الفن والأدب والعلم والبحث والتعليم والتربية وكل ما يتعلق بتوجهاته التي ستتحول في خلال الفترة الحالية إلى واقع غربي ثم بعد انتهاء فترة الحضانة هذه سيُدرك أهمية الدين له كما أدركها الغربيون بحادثة معينة أو بغيرها فيعود إلى ثقافة التشيّع طواعيّة. . . . . تماماً مثل ما حدث للحضارة الغربية في عودتها إلى الدين في عام 1979 ثم بناء نظام لعلاج واقع الانحرافات السلوكيّة والأخلاقية للمواطن وعلاقته مع الدولة ومع النظام وبناء تركيبة أخلاقية وتربوية تعتمد على الدين وهي المرحلة الرابعة من المراحل التي ذكرتها.

أما المرحلة الأخيرة وهي مرحلة مقاومة المرض المُزمن وهو مرض ثقافة التسنّن فإنه أمر لا ينتهي مادامت أدبيّات وكُتُب وروايات وعلم الكلام وعلم الصحاح قائمة ما بين ظهرانينا، فهذا التُراث - كما ذكرت - كتبته الثقافة السُنيّة السياسيّة قد تحوّل إلى تركيبة أكبر من ذات مفاهيم الدين أحياناً، فإنه لمن الصعب التفكير بالتعايش مع الداء بدون وضع خطة علاجيّة كبرى تشترك بها ليس فقط المجتمعات الإسلاميّة بل كل الأمم والثقافات من أجل تقليل الضرر الذي تبثه تلك الثقافة للعودة ثانية إلى الحياة فيما بعد انحسارها أو سُباتها، وهذا كما ذكرت قانون طبيعي تُمارسه كل الكائنات أو الثقافات التي تمّ تحديدها من قبل قُدرات طبيّة أو بشريّة أو فكريّة في العودة ثانية إلى ساحة المعترك لكي تجد طريقها إلى الاستمرار في السيادة على الآخرين.

وكما نعلم بأن علاج المرض المزمن (Chronic) يختلف في استراتيجيته عن المرض الحاد (Acute) وربما في طريقة ونوعيّة العلاج وهو ما سوف يتم التعامل معه في وقته وخصوصاً وأن أمم الأرض في طريقها إلى اعتبار الصراع الأممي هو صراع تكنولوجيا وعلم وبحث، كما أن درجة التفاضل الآن تختلف في أولوياتها عما كانت في السابق، فأفضلية شعب أو أمة من الأمم يقاس بقدرة الدولة أو المؤسسة أو الشعب على تقديم أفضل صيغة من صيغ علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان وليس في عدد الحروب أو القتلى أو الشعوب التي يتم استعبادها.

الاستجابة: ليس هنالك من تأكيد في تقبّل جسم المريض إلى العلاج، فالكثير من العلاجات توّلد لدى الجسم ردود أفعال وأحياناً حساسية يتحول فيها العلاج إلى جانب سلبي، هذا في افتراض تقبّل المريض إلى التعاون مع الطبيب في شأن تناول العلاج. . . . . فالثقافة السُنيّة الآن تعيش فترات

الضعف في تقدير النتيجة، أو بعبارة أخرى تعيش الشعور بعدم الأمان لعدم اطمئنانها إلى الطبيب أو إلى العلاج، كما تستنكر أحياناً تلك الثقافة وجود مرض، بل بالعكس ترى العالم كله مريض بمرض لا يمكن علاجه إلا بالإبادة من أجل حفظ مبادئ ما وصلها من التراث. . . . . وفي هذه الحالة يستصعب اتباع وسائل العلاج العادية، وإنّما يجب لتحقيق أفضل النتائج هو أن يصل المريض إلى درجة مُتهالكة من الضعف ومن عدم القدرة على الحياة عندها تراه يسعى إلى العلاج.

الثقافة السُنيّة لم تشعر بوجود إحباطات نابعة من شكل تركيبتها أو مواد ثقافتها، بل كل ما يمكن استنتاجها فيما أشارت لها في أدبياتها خلال هذه الفترة من عقود الألفيّة الثالثة هو أن الخطأ ليس نابعاً من ذاتها، وإنّما يكمن الداء أو الخطأ في أعداء الله وأعداء الإسلام، وأن المذابح التي تُجرى اليوم في العالم والحروب التي دارت خلال القرون المنصرمة هي من صُنع الكافر عدو الله وعدو الإنسانية. . . . . . .

وهذا معناه بأن قنوات الحوار متوقفة على قدرة الأفكار في التبادل من أجل الوصول إلى صيغة مرضية لحفظ سلام العالم. . . . . وهذا المنطق هو المنطق الذي يفرض على سُنّة الطبيعة أو التأريخ أن تأخذ دورها في التعامل مع مسيرة تلك الثقافة بشكل تفرضه قوانين التأريخ كما فُرضت على الثقافات الخطرة أن يُقوّض الله لها من يوقفها عند نقطة الخطر العالمي كما هو فكرة (النازية) و(العنصرية) التي حاولت ألمانيا العظمى من أن تطبقها على المجتمع العالمي. كذلك تجد فعاليّة تلك السُنّة قد انطبق على الفكر (المغولي) وبقيّة الأفكار التي كانت تحمل في مبادئها ثقافة إبادة الآخر.

من الصعب أن نعتقد بأن ثقافة التسنّن هي ثقافة الإسلام كما تدّعي هي، فكل ما كُتب في التعاليم الدينيّة من الممكن لنا مناقشتها باعتبارها من

وضع الإنسان، فما كُتب في فترات ما بعد موت الرسول هو ناتج فكر الإنسان العادي الذي تُحرّكُه الغرائز وتُوجهه الأهواء والمصالح، أما المُقدّس فهو القرآن والسُنّة وهو ما يمكن أن يكون البداية لبناء فكر سلمي رباني خالٍ من أدبيّات الشر والانتقاص من حرية الإنسان. . . . .

فلم نجد في القرآن ولا في السنة النبوية فعلاً أو قولاً ما يُشابه فكر الثقافة السُنيّة التي تُشيع العنف والقتل وبغض الآخرين. . . . . فالقرآن ها هو يصدح بأعلى صوته على لسان نبيه في القول: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] وهي نقطة مهمة من نقاط حوار الثقافات وهو القول المروي الصادر من الخالق العظيم على لسان نبيه الذي لا يقبل التأويل بغير فكرة (استحالة امتلاك كامل الحقيقة).

من الممكن أن تتبدل الثقافات بقرار أو بحدث ولكن ذلك لا يحدث إلّا بعد أن يفرض القرار أو الحدث نفسه على واقع تلك الثقافة، فحرق بوعزيزي نفسه في عام 2011 فرض حاله على واقع جديد، وحرق البوذ المونك أنفسهم في ساحات سايغون لإيقاف حرب فيتنام عام 1965 فرض نفسه، وكذلك قرار عمر بن عبد العزيز (ت 101) كتابة السُنّة فرض نفسه على الحياة، كذلك هجوم ألمانيا على أوروبا والحرب العراقية الإيرانية كلها فرضت نفسها على واقع تغيير الحالة الحضارية أو الثقافية. . . . . .

فالثقافة غالباً لا ترى في ذاتها أنها تحتاج إلى تغيير أو إلى تبديل، وإنّما هو الظرف أو السُنّة التاريخية الذي يقدح زناد مسيرة التغيير. . . . . . . فالإنسان في طبعه يرى بأنه مكتمل وأن حضارته هي الحضارة التي ستسود

(1) سورة سبأ، الآية: 24.

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾[1]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ﴾[2]، فليس هنالك من أمم قررت بملئ إرادتها أن تُغيّر من شكل حضارتها. . . . فكلما تعمق الزمن ازداد الارتباط بتلك الثقافة اعتقاداً من تلك الشعوب أن ثقافتها هي الأفضل وهذا ما يستلزم المحافظة عليها، بل أن البعض يرى بأهمية السعي في محاربة المغيّرين الاجتماعيين[3]، ولكن الشيء الذي فات الكثير من الثقافات هو أن الإنسان دوماً عبد للسُنّة التاريخية والتغيير الحضاري وهو لا يتمكن من أن يقف لفترة طويلة مُقابل قُدرات التغيير والسُنّن الحضارية[4].

لم تصل ثقافة التسنّن بَعدُ إلى القناعة في أهمية التغيير، فلم نلمس في أدبيّات القادة من اعترف بخواء تلك الثقافة وفقدان تناسبها مع الظرف الثقافي الجديد للعالم. . . . . بل وجدنا العكس في زيادة الإصرار على التمسك بالثقافة السُنيّة كلما خطت الأمم الأخرى درجة في مسيرة التحضّر والعلم. . . . . .

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر، فإن الغالبية الكبرى من (الشعوب) السُنيّة قد حسمت موقفها في رفض ذلك النوع من الفكر فاعتبرته بأنه فكر لا يَصلُح لقيادة الحياة. . . . فكلما سنحت فرصة للثورة على رموز الثقافة السُنيّة فإن الشعوب تبدأ في رسم عنوانها بحركة أو مسيرة فكريّة ضد هيكل تلك الثقافة من خلال عمل أدبي أو ربيع عربي أو مبادرة إلى انتقاد

---

(1) سورة الكهف، الآية: 35.

(2) سورة القصص، الآية: 78.

(3) ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78].

(4) ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61].

التراثيّات، أو تبني مواقف مناقضة لتلك الثقافة مثل التوجه إلى الحالة الإلحادية التي أتمنى أن نمتلك نظام احصائي مستقل في تتّبع عدد الملحدين أو الذين رفضوا تعاليم ثقافة التسنن. . . . . فليس هنالك من شك بأن الكثير من الحركات أو الصيحات القومية أو التغييرية أو حتى الأمميّة اليسارية كانت عبارة عن رد فعل ضد الثقافة التي التزم بها الحُكّام المسلمين وهي في الواقع ثورة على ثقافة التسنّن التي تتستّر وتتشرّع بها الحكومات العربية.

فقد كان نصيب الدول العربية من التغيير العالمي في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي قليل جداً بل معدوم بعد أن انتفضت ثقافات أمم أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية، وثقافات العالم الكونفوشي والبوذي في آسيا ضد أشكال الثقافة السوفيتية أو الثقافة الديكتاتورية وبدأت ثقافات الشعوب هي السائدة في تلك الأقطار ثم طوّرت من قدرة ثقافاتهم الوطنيّة بالطريقة التي أصبحت متناسبة مع الواقع العالمي، واقع التكنولوجيا، وواقع القطب العالمي الواحد. . . . فقد كانت تلك الأقطار التي تحررت تعيش تحت حكم مُشابه لواقعنا من وجهة النظر في السيطرة الثقافيّة التي تفرضها قوى الدين المُتحالفة مع قوى السلطة وبأسماء مختلفة عما نحن عليها في التسمية مع التشابُه في المُسمى.

فقد تمكنت ثقافة التسنّن - كرد فعل - من إشغال المنطقة بحروب كبرى دموية منها الحرب العراقية الإيرانية وحرب سوريا وحروب النزاع المستمر مع إسرائيل بعد أن تحوّلت تلك الدولة إلى قميص عثمان لما قدّمت من خدمة كبرى لثقافة التسنّن[1] في إشغال المجتمع وتوجيه طاقاته

(1) هنالك من يرى بأن فكرة الدولة العبرية في إسرائيل كانت مشغلاً مهماً وعاملاً مساعداً لثقافة =

إلى وهم وآمال ليس لها من نتيجة. وهذا التأخّر في مواكبة المسيرة العالميّة للفكر الثقافي من شأنه أن يخلُق حالة غير طبيعية في نمو عقل العربي وعقل المسلم، ومثاله كالجسم الإنساني الذي كان عليه أن ينمو مثلاً في عُمر المُراهقة عشرة سنتمترات ولكنه ولسبب مرضي لم ينمُ بل انتقل إلى مرحلة الشباب فبقيت معه هذه العاهة العصيّة مُلازمة ليس فقط لجسمه بل لتفكيره ووضعه النفسي والتي من الصعوبة معالجتها باعتبار أن النمو كان مرتبطاً بواقع زمني وبيولوجي وباجتيازه فإن الظرف لذلك النمو سوف لا يُعاد ثانية.

فالتغيرات الثقافيّة في الأمم تُساير عمليّات التغيير العالمية بنفس مثال الجسم الإنساني، فعندما تأخّر العرب في مماشاة نهضات الأمم الثقافيّة في أعوام الثمانينيات وأعوام التسعينيات فإن الانعكاس السايكولوجي والفكري كان كبيراً على عقل الفرد العربي وهو يرى حالة البؤس التي يواجهها مقابل أمم الأرض الأخرى التي وجدت طريقها في مسيرة الحضارات العالمية. . .

فلم يكن أمام أمة العرب إلّا أن تشعر بالإحباط وهي ترى العوق (Disbility) الذي أصابها من جرّاء منعها من أن تُساير حضارة وثقافة النمو الفكري العالمي. وهذا العوق بالتأكيد ليس من قبيل أن يزول بعملية جراحية أو بتناول دواء، فهو ثابت في الجسم يبقى معه حتى الموت. . . . . .

والحقيقة هو أن التخلف الثقافي لأمم العرب لم تكن أعوام الثمانينيات أو التسعينيات هي السنين الوحيدة التي عجزت فيه ثقافة التسنّن من أن

= التسنّن في دوام حاجة الدول العربية إلى الغطاء الديني السياسي من أجل السيطرة بدون توفر الغطاء الشرعي العالمي الذي يجب توفره من أجل إنشاء دولة مؤسسات، وقد لعبت فكرة إسرائيل التي تحالفت مع قوى التسنّن الثقافي دوراً كبيراً في توجيه قدرات الأمّة الإسلاميّة إلى صراعات استمرت لأكثر من ثلاثة أرباع القرن. أنظر في الفصل القادم من الكتاب أسماء الحروب والنزاعات التي شاركت فيها قوى التسنّن الثقافي.

تُماشي مسيرة حضارات العالم، بل لقد سبقتها فُرص أخرى في منتصف القرن التاسع عشر وكذلك في بداية القرن العشرين وربما في انعطافات كبرى أخرى كانت ثقافة التسنّن قد وضعت على عقول شعوبنا غشاءاً سميكا[1] حجبها في أن ترى ماذا يدور في العالم من تغيّرات[2].

فقد سعت ثقافة التسنّن بكل ما أوتيت من قوة أن تُشعر المواطن العربي المسلم بعدم حاجته إلى مُنجزات الأمم الأخرى أو قُدُراتها التكنولوجية أو العلميّة البحثيّة، بل أشعرته بأن كل تلك الأمم هي بمقام الخدم (Slave) لثقافتنا لأن الله خلق الآخرين عبيداً للمسلمين المؤمنين، فهؤلاء يمارسون البحث والعلم وهو يصل إلينا جاهزاً بعد أن ندفع لهم من أموال ثروات الأرض التي أفاضها الله علينا من النفط والغاز وغيرها. . . . . كما كانت سابقاً، وهذا ذل أراد الله إذلالهم لأنهم رفضوا أن يكونوا مسلمين. . . . هذا هو المنطق العام الذي تتحدث به شخصيات الثقافة السُنيّة السياسيّة التي كرّست كل طاقاتها لمنع وصول العلم والفكر والتكنولوجيا إلى الشعوب المسلمة على أن يبقوا على ما هم عليه من الجهل والتخلف والبقاء على الالتزام بمواد ثقافة التسنّن التي تُعتبر الركيزة الكبرى لدوام السيطرة.

---

(1) ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: 57].

(2) أمم أمريكا الجنوبية تتشابه لحد كبير مع الأمم العربية بلحاظ هيكل الثقافة التي كانت سائدة في منتصف القرن الماضي وفي شكل الصراع وتزاحم المصالح. تغيّرت هذه الأمم الآن وفي بداية التسعينيات بشكل كبير إلى الدرجة التي قفزت فيها دول وتحوّلت إلى قدرات عالمية مثل البرازيل والأرجنتين وتشيلي وغيرها. وقد بدأ الباحثون المتخصصون في علم الثقافات يدرسون أسباب تلك التغيّرات فوجدوا بعد بحوث طالت عقدين من الزمن بأن الفارق الثقافي هو الحد الفاصل وهو العامل الفاعل في التغيير، وليس الجانب الاقتصادي أو جانب القبليّة أو القومية. أنظر في ذلك كتاب: (صموئيل هيتنغتون: الثقافات وقيّم التقدم، المركز القومي للترجمة، 2000 المصدر السابق).

فالمواجهة اليوم بين الثقافات هي مواجهة علميّة ومعلوماتيّة، فبالقدر الذي تتطور قدرة الشعوب العربيّة والمُسلمة في الاطلاع على الأمم الأخرى كلّما تعمّقت درجة الاحتكام والتواصل اللغوي أو البحثي أو الاجتماعي، كلما بانت نقائص ثقافة التسنّن وبانت تركيبتها الفكريّة. . . . . . فالمسلم العادي - كأي إنسان - ينمو في طبعه البحث عن الشيء لأن عقليّة الوصول إلى الحقيقة هي فطرة بشريّة أشار إليها القرآن[1]، ولكن ثقافة التسنّن جعلت القرآن مُحتكر في تفسيره إلى آراء أعمدة علماء تلك الثقافة، فقد حُجر على عقل المواطن أن يُفسر القرآن للاستفادة منه في الحياة، مُعلّلاً ذلك بمحدوديّة عقل الإنسان في استنباط مفاهيم القرآن الذي أنزله الله للإنسان العادي العربي لكي يُدركه ويستفيد من عطائه. . . . . .

فقد عملت تلك الثقافة على تفريغ الكثير من مفاهيم الدين والقرآن من محتواها الرباني وصبّتها في قالب مفاهيم ثقافة التسنّن لكي تُضلّل المُسلم وتُشكّكه بثقته بنفسه في قدرته على تفهّم الدين إلّا من خلال أدبياتها وفكرها. وهذا أيضا أدّى إلى انحسار كبير في توجّه المسلم إلى القرآن ككتاب هداية له، بل تركه وبقيّ يُصارع علّه يجد أجوبة لأسئلة تدور في ذهنه من هذه الثقافة أو تلك[2]. . وقد نجد الشيء ذاته ينطبق على السُنّة النبويّة في بُعدها الفكري للمسلم. في الوقت الذي حُوّلت تلك الثقافة هذين

---

(1) ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت: 20].

(2) حرّمت الكنيسة اقتناء الإنجيل أو قراءته، أو ترجمته، كما حُرّم تناول القرآن من قبل المسلمين، بقيت هذه الحالة إلى حين القرن الخامس عشر (القرن العاشر الهجري) الذي طُبع به أول إنجيل. . . . فبعد وفاة النبي بدلاً من أن يُقدّم إلى المسلمين الكتاب القرآن (ذاته) الذي أنزل، فإنهم كانوا ينوون إلى تقديم كتاب فيه شروح للقرآن كما هي الأناجيل.

العمدين الدينيين المهمين إلى تراث للتبريك أو مادة فكريّة تدفع المسلم إلى قتل وبغض الآخرين. . . . . وبتعطّل القرآن والسُنّة تعطل الكثير من الفكر الديني الإسلامي وكذلك الجانب البحثي والجانب العلمي فزاد ذلك المسلمين جهلاً إلى جهل وهو الجو المناسب والخصب لنمو أفكار الثقافة السُنيّة التي بنت كل كياناتها على مدى القرون المنصرمة على عاملي التخلف والحروب.

وفي عصر العولمة واتساع وصول المعلومات إلى الناس عاشت الثقافة السُنيّة في وضع حرج بسبب تمكّن المسلم من قراءة أدبيّات تلك الثقافة في الوقت الذي دفعت المسلم إلى التفكير لإيجاد طرق تفسيرها وتفهمها، والتي ستقود المسلم وعقله إلى الاصطدام بمفاهيم الثقافة السُنيّة التي لا تتوافق مع منطوق العقل ولا طبيعة الحياة، كما في نفس الوقت تودي به إلى اكتشاف واضعي تلك الثقافة الذين لم يكن لهم من ارتباط مع النبي بلحاظ أن السُنّة كُتبت بعد مائة وخمسين سنة من بدايتها. . . . . .

كما سيكتشف المسلم بأن مُخرجات الثقافة لا تتوافق مع ما جاء به القرآن أو ما قرّرته طبيعة سلوكيات النبي نفسه. هذا كله تُضاف له طبيعة الوحشيّة المُفرطة سلوكاً وعملاً التي مارستها ثقافة التسنّن مع الشعوب الأخرى وما إلى ذلك من أسئلة مُحيّرة تدفع المسلم في البحث عن أجوبتها في الثقافات القريبة عن ثقافة التسنّن تلك هي فقط ثقافة التشيّع الثقافة الوحيدة المُنافسة في الواقع الإسلامي، وهي كما يقولون الغريم التاريخي لها منذ قرون من الزمن.

وهنا تحوّلت ثقافة التشيّع إلى بديل فكري وجماهيري وعلمي ومعلوماتي يستقي منها المسلم مواده الاستفهامية التي عجزت عنه الثقافة السُنيّة أن تتعاطى معها، فدخل العقل الشيعي الثقافي تفكير المسلم

وخصوصاً المُسلم المُثقف، فبُنيّت الكثير من أفكار المسلمين على مبادئ ثقافيّة شيعية في تفسيرها أو نظرتها للقرآن أو للسُنّة أو للتراث أو لواقع الحُكُم والسلطة أو لمبادئ احترام حقوق الإنسان أو غيرها من المفاهيم المُهمة التي يبحث عنها المسلم اليوم......

بدأت فترة الإحلال تلك منذ بدايات عصر المعلومات ربما في أواسط الثمانينيات وتعمّقت أكثر بعد عصر شبكات التواصل الاجتماعي ومُحرّكات المعلومات وغيرها. في هذه الفترة لم يكن أمام ثقافة التسنّن إلا أن تُمارس الأسلوب القديم المعروف وهو أسلوب الحرب والعنف وإشغال الناس بظاهرة فُقدان الأمان (Obscurity) وهي الظواهر التي لا تدع للإنسان المجال للتفكير في جوانب الفكر والعقيدة وتحسين ظرفه الفكري والثقافي، بل تُلزمه أن يكون أسير التخلص من مشكلة الحرب والإرهاب وغياب الأمان.

ولكن الحروب تحوّلت وبمرور الوقت إلى أداة مُحفّزة في وصول المعلومة وهي في ذات الوقت جو يدفع الإنسان في البحث عن البديل آخذين بنظر الاعتبار سعي الدول الغربيّة إلى مد يد المساعدة إلى الشعوب التي ترمي إلى تغيير واقعها...... فلم تعد إذن الحروب النظامية بين الدول هي الأداة التي تمنع المسلم من البحث الفكري عن مستقبله ومستقبل عقيدته، فلذلك كان البديل العملي هو الإرهاب وهو السيف المُسلّط المُخيف الذي يعتمل في داخل نفسيّة المُسلم سواء أكان جانيّاً أم ضحيّة...

فلم يَعُد المُسلم في هذا الجو الخانق يُفكر إلّا من خلال سعيه في التخلص من القتل الذي ساد المنطقة بعموميتها، فكان لزاماً على المسلم العادي أن يمنع القطر الذي يعيشه في أن يبتعد عن مواجهة أفكار ثقافة التسنّن لكي لا تدخل بلاده في حرب إرهابية دموية كبرى، فالأقطار التي

نشط بها الإرهاب بدايةً هي الأقطار التي تلمّست أولى خطوات التغيير والتخلص من ثقافة التسنّن، مثل: العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن ومصر وليبيا والجزائر، أما الدول التي لم يدخلها الإرهاب فهي الدول التي لم تبدأ فيها مسيرة التغيير والتأثّر بالثقافة الشيعيّة مثل السعودية والخليج عموماً والمغرب والسودان.

فالمواطن العربي يعتقد اليوم بأن الإرهاب سوف يُلاحقه لو فكّر في إتباع سياسة التغيير التي اتّبعها العراق مثلاً، ولذلك فإنه يعيش في خوف دائم من الاستمرار في هكذا سياسة والتي فرضت عليه في تقبّل ما سنّته تلك الثقافة على حياته قبل بها أو رفضها.

ولو اطلعنا بدقة على أدبيّات الثقافة الشيعيّة لم نجد فيها ما هو منافس لثقافة التسنّن وخصوصاً في مبادئ الحُكُم والقوة والسلطة باعتبار أن تلك الثقافة ليست طامعة في سلطة دينيّة حسب ما قررته أدبيّات التشريع الفقهي. . . . نعم من الممكن قيام دولة (دنيويّة) وهي الدولة التي تُسمّى في العرف العام دولة ديمقراطية ليس للدين علاقة في تركيبتها إلا من خلال رفع مستوى جانب الأخلاق للمسلم. هذه الصفة التي يتحلى بها الشيعة تُعتبر عُنصراً إيجابياً وعلى ثقافة التسنّن أن تستفيد منها في سعيها إلى تولي الحُكُم وذلك بسبب غياب المُنافسة الشرعيّة والفقهيّة. . . . .

ولكن المؤكد من ذلك فإن الصراع على الحُكُم والقوة ليس هو المُسبب الرئيسي في اعتبار الثقافة الشيعيّة هي الغريمة الأولى، بل أن السبب الأكبر والرئيسي هو امتلاك الثقافة الشيعيّة إلى تُراث وفكر وعقيدة لها القدرة على تغيير المجتمع السُنّي ثقافياً وربما مذهبياً. وهذا معناه بأن أصل ثقافة وعقيدة التسنّن مُهدّدة من قبل ثقافة التشيّع وهو موضوع مُختلف عما نُفكر به في موضوع الحُكُم والقوة.

فالحرب الفكريّة الخفيّة التي يقودها كلا الطرفان هي الأداة المُتحكّمة في استعار الإرهاب ضد الشيعة وعلى مساحة العالم، وهو الأسلوب المؤثّر والفعّال في منع تلك الثقافة من مواصلة عملها الفكري والعلمي في مهاجمة الفكر السُنّي بحثاً وعلماً وفقهاً وأدباً . . . . .

فقدرة الثقافة الشيعيّة في التأثير على شعوب العالم وعلى مراكز البحوث وعلى مسيرة إنتاج الأدب وانتقال الفكر قد خلخل من عقيدة التسنّن ومن ثقافته بشكل ملحوظ على قِصر المُدة الزمنيّة لانطلاقة ثورة المعلومات، بحيث لم يعد لتلك الثقافة من قُدرة على الإبداع في أي حقل علمي أو بحثي أو ديني أو فكري، وإنّما كل ما تمارسه الآن تلك الثقافة هو الرجوع إلى الماضي وإلى الكتب الصفراء في المنازلة الفكرية.

كما وفي نفس الوقت لم يعد للفكر السني الثقافي من قدرات إبداعية أو بحثية بل أن معظم السُنّة من المثقفين كانوا هم من أوائل من تصدى للفكر السُنّي ولثقافته بشكل خفيّ خوفاً من القتل والإرهاب، معظمهم خرج بهدوء من دائرة الفكر السني إلى فضاء الاستقلالية تجنباً إلى المزيد من الدماء والقتل . . . . . .

وبمراجعة بسيطة على مثقفي المسلمين الذين يؤمنون بثقافة التسنّن لم نجد منهم من اسم بارز أو له ثقل في عالم المعرفة، فقد غادرها الكل ولم يبق منهم إلّا البعض من الحزبيين الإخوانيين أو التحريريين لدوافع سياسية. أما الغالبية من مفكري القرن الماضي وهذا القرن فقد غادروا منطق التسنّن تحولاً إلى حالة وسطية أسموا أنفسهم بعُلماء (الحداثة)، وقد ذكرنا أسماءهم في هذا الكتاب سابقاً[1]. والحداثة هنا هو مصطلح تفهمه ثقافة

(1) لا أدري هل أصف القرضاوي من علماء ثقافة التسنّن وحتى لو كان ذلك فإنه رجل يميل مع =

التسنّن بأنه الاقتراب من ثقافة التشيّع، أو أنها ثقافة شيعيّة مُتسترة بتلك الأسماء[1].

ولذلك فعندما يتم ذكر كل ما يُشابه مصطلحات الحداثة فإنها تُوضع في عنوان واحد وهو الكفرة المشركين الأنجاس. . . . . .

ولنا هنا أن نتصور خلو ثقافة عالميّة كثقافة التسنّن من مُنظرين أو مُفكرين أو عُلماء في مختلف الاختصاصات التي تتكون منها كلمة (الثقافة)، فلم تحوي الثقافة السُنيّة إلا شخصيات دينيّة فقط، وهذه الشخصيات ذات تفكير واحد وتوجّه مُتعصب لمذهب أو لرأي مُحدّد، كما ليس لنا من الصعوبة أن نُدرك لماذا اصطبغت الثقافة السُنيّة بالطابع الديني، مع أنها من المفترض لها أن تكون وحسب التعريف العام للثقافة أن تحوي معظم تخصصات مسيرة الحياة من الدين إلى المذهب إلى الجمال إلى الفن إلى التأريخ إلى العلم إلى البحث وما إلى ذلك من تفرعات مصطلح الثقافة.

بالتأكيد إن ثقافة ذات توجه ديني ليس لها من قدرة على الصمود أمام

= الميل السياسي للدولة التي يقطن بها مع ماله من إيجابيات فكريّة لا ترقى إلى ما قدمته الشخصيات التي طلّقت ثقافة التسنّن كسعد الدين ابراهيم، والعوا، وجمال البنا، والغنوشي، والترابي وغيرهم الكثير الكثير. وليس لي في أن أشير إلى أسماء علماء ثقافة التسنّن إلا أولئك الذين اعترفوا بانتماءهم إليها كابن عثيمين، وابن باز، والعريفي، وإحسان الهي ظهير، ومحمد ناصر الألباني، وعبد العزيز آل الشيخ، وصالح الفوزان، وبكر أبو زيد، وابن جبرين، ومحمد أمان الجامي، وعبد الرزاق عفيفي.

(1) المعتزلة حركة عقليّة بدأت على يد واصل بن عطاء (ت 131) أساسها رفض تفكير ثقافة التسنّن التي كانت تلتزمه الدولة آنذاك، ولقد خشيّ المُعتزلة من القتل باتهامهم بالتشيع فتداركوها بتسمية أخرى سماها بهم أعدائهم وهو الحسن البصري فقيه البصرة، مع أن الغالبية الكبرى منهم كانوا شيعيو الثقافة. فبقوا على حالتهم الوسطية في التخلص من سيف السلطة من جهة وتسطيح العقل الديني (ثقافياً) من جهة أخرى.

ثقافات أخرى وتوجهات حياتيّة مُتنوعة..... بل أنها وبمرور الوقت تميل إلى الانحسار والضمور حتى تتحول إلى مكوّن واحد ذلك هو (المذهب) أو (الدين)، عندها لا تُسمّى آنئذ ثقافة، بل تُسمّى مذهباً أو مدرسة فكرية، وهذا لو حدث فإنه سيكون كارثة كبرى تُصاب بها ثقافة التسنن، بل مذهب التسنّن لأنها ستكون مقتصرة على توجّه محدود جداً من الحياة.

الفصل السابع عشر

أين الخطأ في التشيّع الثقافي...؟

لابُدّ وأن تتشارك الأطراف المُتصارعة في تبني أسباب الصراع مع الاختلاف في نسبتها بما تلحق هذه الجهة أو تلك. . . . . .

فالثقافة الشيعيّة مع أنها الضحيّة على مدى أربعة عشر قرن من الزمن هذا بلحاظ ظهور الإسلام، فهي تبقى مُشاركةً لحدٍ ما في طريقة إدارة الصراع مع الثقافة السُنيّة، وهذا بالتأكيد كانت دوافعه هو المُطالبة بحق العيش وحق الحياة أسوةً بأختها الثقافة السُنيّة، هذا في الوقت الذي لا تُزاحم تلك الثقافة أهم ركن من أركان أختها السُنيّة وهو مسألة الحُكُم والسيطرة التي تخلّت الشيعيّة عنها فقهياً وتأريخياً وروائيّاً وكذلك واقعيّاً.

عمليّة إدارة الصراع من قبل الثقافة الشيعيّة كان يتم من غير حساب لردود الفعل السُنيّة صاحبة السلطة والقوة والقدرة على إفنائها أو سحقها. . . . . فالتشيع قد التزم جانب تحمّل القتل والشهادة كمفهوم دخل في صلب فكر معتقداته فصار من أساسيات هذه المدرسة على مدى التأريخ يفتخر به الجميع (وكرامتكم من الله الشهادة). . . .

وهذا المفهوم وإن كان قد ابتدأ به منذ موت فاطمة في سنة 11 هجرية، ولكنه تعمّق في النفس بعد سنة 61 هجرية موقعة كربلاء، فلم يعد للكثير من

الشيعة من هدف إلّا نيل الشهادة والقتل على يد أعتى مجرمي ذلك العصر[1]. . . . . بالتأكيد سلاح الموت حتى وإن كان صبراً أو انتحاراً أو حرقاً فهو ذو تأثير جماهيري كبير جداً تتعامل معه النفس البشرية بانفتاح وتعشق من خلاله الفكر الذي انطلقت منه تلك التنغيمة[2].

السبب الثاني هو الاندفاع العلمي الذي تميّز به التشيّع ومنتموه في تناول العلم بكل أشكاله سواء أكان العلم ذلك فقهاً أو أكاديمياً. . . . . فمعظم علماء الإسلام منذ أن بدأت النهضة العلميّة هم من الشيعة، وحتى في القرون المتأخرة ما بعد الاحتلال العثماني كان الشيعة هم من كتب وألّف وأصدر الدوريات، وكذلك تجد الحال في الشعر وفي كل جوانب الأدب. . . . . وكان لهذا الاتجاه العلمي من وقع سلبي على العلاقة مع

(1) انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، كما أنظر تراث التضحية وأسماء المضحين منذ حجر، ورُشيد، وصعصعة، وابن جبير، وكُميّل، ثم الحسين، وزيد، ثم صاحب فخ، ثم صاحب باخمرا، ثم ذو النفس الزكية، واسماء امتلأت بهم كتب التأريخ، وتلوّنت باللون الشيعي في ميلهم إلى التضحية. . . . ولم يقتصر هذا الجانب على الدم، بل صار أدب وشعر ورواية بحيث أن الشعراء صاروا شيعة بسبب ما تُحفّز تلك الثقافة في نفوسهم من قُدرة شعريّة أو أدبيّة كما هو المتنبي والفرزدق وجرير وأبو فراس والكُميت وغيرهم من الصعوبة عدّهم والتي ذكرهم الوالد الشهيد في كتابه السفر الضخم (أدب الطف، أو شعراء الحسين، جواد شبر، المصدر السابق). كما لا يقتصر السعي إلى الشهادة على الطبقات تلك، بل تعدّاها إلى العلماء الكبار من المراجع والمجتهدين فكان آخرهم هم السبزوراي (ت 1993) والشهيدين الأول (ت 1980) والثاني (ت 1999) في نهاية القرن العشرين.

(2) كل القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى العراق في القرن السادس عشر الميلادي كانت ذو توجه سُنيّ، وعندما دخلت العراق واستوطنت في الجنوب تشيّعت كلها، بينما بقيت القبائل التي سكنت أعالي الفرات على مذهبها السُنيّ، وقد تتعدى الأمور حدود المذهب إلى حدود الدين عندما نلاحظ بأن الأديان الأخرى كانت تسكن في مناطق الشيعة الجنوبيين كاليهودية والمسيحية والصابئة والبعض من الكُرد أكثر منه في مناطق تُسيطر عليها توجهات ثقافيّة سُنيّة.

التسنّن بسبب أن العلم كان في ذلك الوقت هو علم مقارن يغوص فيه الباحث في انتقاد الأفكار الأخرى من الناحية العلميّة لكي يثبت صحة رأيه[1]. هذا المنهج لم تألفه الثقافة السُنيّة واعتقدته بأنه نوع من أنواع الحرب على المواقع السياسيّة أو مواقع القوة، فردّت على ذلك النقد ليس بالنقد والبحث، وإنّما بالتكفير والتسفيه وحلّيّة القتل لهؤلاء كما قُتل الشهيد الأول العاملي (ت 786/ 1383 م) في دمشق، والشهيد الثاني الجبعي (ت 965/ 1557 م) وكذلك العلامة الكركي (ت 940/ 1503 م) وغيرهم كثير.

السبب الثالث هو انفتاح التشيّع على الأفكار الأخرى إن كانت أفكار مناقضة للإسلام أو قريبة منه مثل المانويّة واليهوديّة والمسيحيّة والبوذيّة والزرادشتيّة وغيرها وهو منهج اتبعته الثقافة الشيعيّة منذ زمن بعيد بسبب أهمية معرفة ما يمتلكه الإنسان من بُعد فكري وعلمي من أجل الاستفاضة أو من أجل الرد أو المنافسة..... الثقافة السُنيّة بالمقابل كانت ترى بأن الاقتراب من الفكر المُخالف هو بعينه كفر، بل يجب وضع حاجز شخصي وفكري مع الأفكار الأخرى وهذا هو ما أثار حساسية السُلطة التي كانت الثقافة السُنيّة تسيطر عليها، فكان الرد السُنيّ هو شمول كل أولئك ومن ضمنهم الشيعة بالكفر ثم شرعيّة مقتلهم.

السبب الرابع هو السجال الفكري المستمر الذي كان يدعو إليه الشيعة

(1) وهذا ينطبق ربما على كل النظريات الفقهيّة والفلسفيّة والأصوليّة...... وهذا النهج البحثي كان هو عنوان كلا الثقافتين فقد أصاب أعمدة التشيّع كما أصاب السنة، فقد انتقد ابن إدريس الحلي (ت 598/ 1201م) شيخ الطائفة أبو الحسن الطوسي (ت 460/ 1039م) بانتقادات من الصعب على الإنسان أن يتصور حدوثها بين علمين، كما انتقد الكثير من العلماء الشيخ المفيد (ت 413/ 1022م) أب الفقه الشيعي.

في تحدّي علماء الثقافة السُنيّة علنياً وأمام الناس وفي المساجد والتجمعات العامة وهو نوع من الدعاية الفكريّة ربما لمذهب التشيع، وهذه تطورت وبمرور الوقت إلى ظاهرة المجلس الحسيني[1] الذي تحوّل وبمرور الوقت إلى مظهر تحدي واضح من الصعوبة مواجهته بما تمتلكه الثقافة السُنيّة من مفاهيم مُشابهة. . . . . فالشيعة تمتلك أحداث وروايات غالباً ما تتوافق مع

---

(1) هي شعيرة لا تختلف في شكلها العالم عن شكل أي تجمع ديني إسلامي كان أم غيره، هدفه ربط أتباع تلك الديانة بمفاهيم العقائد. . . . . . في قضيّة المجلس الحسيني هنالك تميّز، مع أن ذلك التميّز قد سبقتهم إليه الأديان الأخرى وخصوصاً المسيحية في ذكر مقتل المسيح الذي صُلب بطريقة وحشية. هذا المفهوم انتقل إلى العرب الذين كانت لهم جلسات معروفة يحضرها راوي أو قاص يروي لهم أخبار الأولين وأخبار البطولات، كما تَغيّر الحال في زمن معاوية (ت 61) إلى أن يتحول هذا التجمع إلى تجمع ديني سياسي من خلال بث روايات مختلقة عن النبي من أجل خدمة الهدف السياسي للدولة. بعد مقتل الحسين 61 هجرية كان الناس يتشوقون إلى سماع ما تمّ في الواقعة من بطولات ومن مآسي فكان الشهود الذين حضروا الواقعة يجلسون لكي يرووا إلى الآخرين بطولات آل البيت وغيرها. . . . . ولكن طابع المأساة وعُمقها في طريقة قتل الحسن وأهل بيته غيّرت من فكرة المجلس خصوصاً بعد أن عرفت عائلة الخليفة يزيد (ت 64) بأن القتيل هو الحسين حفيد النبي، فيُقال بأن زوجة يزيد عاتقة كانت أول من أقامت المجلس على الحسين، بينما يرى آخرون بأن المختار الثقفي كان هو من بادر إلى ذلك. . . . . استمرت هذه الظاهرة وتحوّلت إلى ظاهرة اجتماعية وسياسية بالإضافة إلى دينيّتها بحيث صارت حدثاً مُرتبطاً بالتشيّع، ولكن السُنّة في بغداد وفي عصور السلاجقة والعثمانيين كانوا قد مارسوها بأسلوب مختلف قليلاً مع ذكر للحسين أيضاً وذلك لكي لا تكون قضيّة الحسين حكراً على الشيعة. . . . . وقد برز في الخطابة شخصيات عمالقة كبار كان لهم دور مهم في الحياة السياسيّة والاجتماعية لذلك القطر حتى صار الخطيب طبقة مهمة في المجتمع له وزنه في أوساط السياسة والمجتمع في الوقت الذي بدأت الأمّة تتوقع في العصور المتأخرة أن يكون الخطيب هو الصوت السياسي لرفع مظلوميّة الشيعة إعلامياً وهذا ما أدّى إلى مقتل واستشهاد عدد كبير منهم وكبيرهم هو الشهيد جواد شبر (ت 1983)، راجع: (معجم الخطباء: داخل، حسن، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والإعلام، بيروت، لبنان 1996).

ميول تلك المجتمعات من قصص بطولة الإمام علي (ت 41) أو بطولة العباس (ت 61) أو القصة المأساوية لمقتل الحسين وأولاده وأهل بيته، وهذه تفتقدها أدبيّات الثقافة السُنيّة مما أفقدها الكثير من قدرة التأثير على الناس وعلى عوام الأمّة التي تضم في الغالب طبقات بسيطة تجد في ذلك النوع من السرد القصصي والشعري المُلحّن ما يعكس واقع يومهم ومآسيهم...... هذه التجمعات كانت مدرسة (سيّارة) تمكن بها الشيعة من اكتساح الطبقات الاجتماعية بشكل يكاد أن يكون كلياً، فأينما أقيم مجلس كان هنالك توجه شعبي نحو التشيع.

السبب الخامس هو الترفّع عن موالاة السلطة والاعتماد على أنفسهم مالياً ومعيشيّاً، كما أن طبقة العلماء لدى الشيعة يختلفون عنها مما لدى السنة في تجنّب مال الدولة، بل أن أموالهم تأتي من الأخماس، وهو الشيء الذي منحهم حُريّة الحركة وحرية رفض التبعيّة للسلطة الدنيوية..... هذا الموقف خلق حساسية كبيرة فاعتبرته ثقافة التسنّن بأنه نزوع إلى الاستقلالية الدينيّة أو الفكرية...... وقد أدّى ذلك إلى أن تتحول المدارس الشيعيّة الدينيّة إلى قُدرات عميقة في العلم الديني المستقل عن فكر السلطة والدولة. وهذا الأمر لم يقتصر على الحكومات السُنيّة بل شمل الحكومات الشيعيّة كالبويهيين وبنو حمدان والدولة المشعشعية وغيرها.... بالتأكيد بالمقابل نرى بأن رد الفعل السُنيّ هو التخوف من سحب الشرعيّة.

السبب السادس هو التدريس الديني الذي يختلف ما بين الثقافتين، فالثقافة الدينيّة الشيعيّة ترى في أدبيّات التدريس مُنطلقاً لبناء عمق فكري حضاري للتشيّع أو للإسلام، بينما لم تُدرك الثقافة السُنيّة سبب اندفاع تلك الثقافة إلى هذا النوع من الجديّة المُعمّقة في دراسة الدين ما دام التشيّع لا يؤمن بقيام دولة (دينيّة) في ذلك الوقت، فكان ذلك حافزاً على التشكيك في

التخوف من تصدّر الثقافة الشيعيّة أدبيّات العالم الإسلامي وهذا ما تمّ بالفعل.

السبب السابع هو الفكرة المهدوية التي يؤمن بها الشيعة التي تنادي بظهور مُخلّص لهم يأخذ بثأرهم من ظالميهم، وظالميهم هم أعوان الحكومات من ثقافة التسنن، وقد ذهب الشيعة بعيداً جداً في شروحات يوم الظهور وصوّروه بشكل درامي، وكأنّ المهدي قد ظهر الآن وقام بممارسة عملية الثأر تلك مع السُنّة. . . . . الحقيقة وراء ذلك هو أن كل أحاديث الأئمة التي كانت تُروى عن المهدي وظهور المُخلّص كانت لتسكين الشيعة وتطييب نفوسهم من ممارسات السلطة لهم من قهر وقتل وتشريد. مع أن السُنّة لا يخفون إيمانهم بالمهدي ولكن الروايات التي وضعت في شخصية المهدي ليست هي التي كتبها الشيعة والتي كانت منطلقاتها هو تهوين الظلم الذي سلّطته الحكومات على الشيعة[1].

السبب الثامن هو التُراث الذي كُتب في زمن الصفويين من قبل الشيعة الذين والوا السلطان الصفوي والذي كان ذلك التُراث لا يخلو من أن يكون سياسياً يخدم السُلطة الصفويّة في صراعها المُضني والطويل مع العثمانيين السُنّة. . . . فقد كانت تلك الأدبيّات بمثابة النار الذي صُبّ على الزيت. مع أن الجانب السُنيّ يضم في أدبياته أضعاف مضاعفة من تلك الروايات

(1) ترتفع وتيرة الروايات التي تنادي بالظهور في زمن الضيق وزمن المحنة التي تمارسها السلطات على الشيعة، وهي ظاهرة طبيعيّة كما اعتقد لدى الإنسان في التطلّع إلى مُخلّص له في لحظات الشدة. فكانت تُكتب في تلك الأوقات كتب كثيرة ينهال عليها الناس ويقرأها الكثير من أجل أن يعيشوا أمل الخلاص، ومن خلال تلك الروايات وجدت هنالك تشابهاً كبيراً ما بين ما كُتب في أدبيّات المهدي لدى الشيعة مع المهدي العالمي الذي تؤمن به المسيحية أو الثقافة السُنيّة في شكل القتل وفي طريقة تخليص العالم.

في قتل الشيعة وفي استباحتهم... ولكن الفرق هو أن غلطة العاقل بألف كما يُقال، بينما غلطة الأميّ بواحدة..... فقد تمّ الاستفادة من كل تلك الأدبيّات التي كانت سياسيّة الهدف في إثارة الجانب السُنيّ على التشيّع وعلى ثقافته والتي يتم تناقلها وإلى الآن بين المدارس السياسيّة السُنيّة وثقافاتها من أجل استمرار حالة تبرير قتل الشيعة[1].

هذه ربما أهم إخفاقات الثقافة الشيعيّة في تدارك أمر إدارة الأزمة مع الثقافة السُنيّة وهي نقاط تُلزم الشيعة أكثر من إلزامها الطرف الآخر لأنها عناصر إثارة تدفع الطرف القوي صاحب السلطة إلى التحرّك بشكل مُضاعف ضد الطرف الشيعي الأضعف.... بالتأكيد هنا نحن لسنا في مقام مناقشة الجانب الفكري أو الجانب العقائدي واختلافهما والذي لا أعتقد بأنه هو السبب في الصراع الثقافي مع الاعتراف بالقول بأنه لا يخلو من تأثير ولكنه ليس هو بالعنصر الرئيس بدلالة اختلاف المذاهب السُنيّة فيما بينها بدرجة أكبر أحياناً من اختلافها مع التشيع.

---

(1) لو تمت مقارنة ما كُتب من قبل الشيعة ضد السُنة في زمن الصفويين بما كتب عن فقه التآخي بينهما لرجح الجانب الثاني بمئات المرات على الجانب الأول..... كما يخلو أدب التشيّع الذي يُقرّه المجتهد أعني كل المجتهدين، فقهاء العصر منذ تأريخ تلك الدولة وإلى الزمن الحالي من أدب سياسي شيعي أو ما يُقلّل من عقائد الآخرين من المسلمين من السُنّة أم من غيرهم. بل أن معظم بحوث علماء الشيعة خلال القرون الأربعة الماضية لا تتوافق مع ما قيل في زمن الصفويين لا فقهاً ولا روايةً..... نعم بين الفترة والأخرى يبرز التطرف الديني والمذهبي من هنا ومن هنالك من كلتي الفرقتين على شكل مقالات أو كُتُب أو أشخاص وهؤلاء لا يُعتدّ بهم على النطاق الفكري والعلمي.

الفصل الثامن عشر

خيار تزاوج الثقافتين

كما هي طبيعة البشر وطبيعة الأديان كذلك جهد الإنسان في الحياة كله يندرج تحت مفاهيم تزاوج أو تقارب المفاهيم، فليس هنالك من فكرة تمتلك كل الحقيقة لأن الله الخالق جعل الحقيقة مصدر بحث دائم تتجدد بتوسع العقل، وهذا هو من المفاهيم العرفانيّة الأخلاقية والعلمية البحثية التي تُحفّز الإنسان في الوصول إلى أعتاب الحقيقة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[1]. . . . . حقيقة المفاهيم المكونة (لثقافة مجتمع) سواء أكانت الدينيّة أو المذهبيّة أو الاجتماعية أو الأكاديمية أو غيرها فهي أولاً في توسع دائم، ثانياً أنها غالباً ما تسبق عقل الإنسان العادي. . . .

ففي اللحظة التي يُقرر الإنسان بأنه يمتلك الحقيقة الكليّة فهنالك قصور عن غاية صحتها وهذا هو سر حث الأديان على تكثيف الجُهد بطاقة الأمم وليس بقدرات الفرد باتجاه اكتشاف نظام حياة يتمتع بقدرة كبرى على ربط العلاقات الثلاث (الإنسان مع أخيه الإنسان، الإنسان مع الطبيعة، الإنسان مع السماء). . . الإنسان هنا ليس هو الفرد بل هو تعبير عن الثقافة التي تُشكّل عقل الفرد والمجتمع.

---

(1) سورة الانشقاق، الآية: 6.

إنه لمن المُخطئ التفكير بقدرة أمة من الأمم أو ثقافة من الثقافات أن توفر سعادة الحياة من خلال جُهدها لذاتها مهما امتلكت من قُدرة أو معرفة أو تطور. . . . . فالثقافة الإسلاميّة لم تأتِ لنوع محدد من الثقافات لكي تغنيها وتُثريها، وإنّما جاءت إلى أمم وثقافات الأرض أجمع لكي تتمكن كل ثقافة من تلك الثقافات من أن تنتهل من الإسلام ما تتمكن به من حل مشاكل الحياة ومشاكل الطبيعة.

لا ترى الثقافة السُنيّة في أمم الأرض ولا في شعوبها من قُدرة في أن تتشارك معها في بناء مستقبل الإنسان سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا أم في الآخرة. بل وضعت لنفسها مقاييس استنبطتها من طبيعة المعيشة التي كانت بداوة العرب قد وضعتها لنفسها في التعامل مع مفردات الحياة، فحولوها إلى قوانين ربطوها بالسماء من خلال مقولات دينيّة فصارت بمرور الوقت مُقدّس معصوم. وبهذه العقليّة كان الحرب والصراع والقتل هي النتيجة الطبيعيّة لهذه النوعيات من العقلية. . . . . فقد استهانت بل أهملت الثقافة السُنيّة كل الأديان التي سبقت الإسلام وكل التفرعات الفكريّة والمذاهب التي انبثقت من الإسلام، وفرضت عليهم عامل القوة والقتل بطريقة قنّنتها بشكل أحالت أمم الأرض إلى شعوب محكومة بالقتل ما لم يكن هنالك تراجع ديني أو إلزام بدفع جزية معيشتهم على الأرض.

لم تعد هذه الفلسفة هي التي تتقبلها الفطرة البشريّة، ولم يكن الدين قد قبلها أصلاً، وهي ذات الفكرة التي اصطدمت بها أفكار الأديان التي سبقتنا كالمسيحية واليهودية، تلك التي جرّبت هذا النوع من التعامل مع شعوبها ولكنها أخيراً انقضّت عليهم بالسوء والخراب حتى تمّ التوصل إلى فكرة الانفتاح على الإنسان بما هو إنسان اعتمادا على المفهومين التاليين:

- ليس الأفضلية هو ما يعتقده الإنسان أو ما يحمله من قدرات ماليّة

أو عائليّة أو دينية، بل الأفضلية هو ما يؤمن به فيما يقدمه إلى بناء المجتمع والأمة.

- ليس من العدل أن يُقلّد الإنسان أي شخص فيما يتعلق بالمسؤوليات الكبرى سواء أكان ذلك التقليد ديني أو اجتماعي. بل عليه أن يولّد في ذاته قُدرة على معرفة ما يجب أن يُقدمه إلى المجتمع ذاتياً وليس تقليداً أو اتباعاً.

معظم ثقافات العالم عندما تُفكر بموضوع التغيير فإنها تجد صعوبة في التحلّل من ثقافتها القديمة، فالأمر ليس مُتعلقاً بالرغبة في التغيير أو بعدمه، وإنّما هو قانون مفروض على الثقافة التي تسير نحو الانهيار والتأخر، مع هبة السماء دوماً في أن تنبلج شخصية عملاقة تحاول إنقاذ تلك الثقافة من الانهيار كما هي قدرة غورباتشوف مع مساعدة العالم الغربي في الحفاظ على الثقافة الروسية من التحلّل والموت، أو الثقافة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية وبمساعدة الغرب، أو حتى اليابانية بعد خسارتها في الحرب.

وعملية خسارة ثقافة في مواقف ليس معناه موتها أو فنائها، فكما ذكرنا سابقاً وقلنا بأن الثقافة لن تموت، وإنّما تتحول من طور إلى طور آخر، لأن موت الثقافة كما مثّلناه في وقته يتشابه مع عملية تخليص الجسم من البكتيريا كلها ظناً في أن الجسم سيجد قمة عافيته بعد التخلص من هذه المايكروبات الخطيرة، ولكن الذي يحدث هو انقضاض أعداء آخرين وهي الفيروسات والفطريات وأحياء أخرى أشد خطورة من البكتيريا. . . . . . ولذلك فإن خيار العمل على موت ثقافة مناوئة عمليّة غير مأمونة العواقب. . . .

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فقد ذكرت سابقاً بأن موت الثقافات ليس خياراً عمليّاً لأن عُمر الثقافة كعمر الجسم المشع (Isotope) له سقف محدد وبمحاولة إفناء ذلك العنصر المُشع يعني المزيد من

الإشعاعات المنطلقة التائهة التي تتحول إلى (جذور حرة Free Radicals) في التفاعل مع ثقافات أخرى والتي في معظم الأحيان تكون مُدمرة للمجتمع.

فخيار تزاوج الثقافات هي عملية مُقنّنة لمنع كوارث ردود فعل الثقافة التي تسير إلى التحلل. . . . . وهي ليست بالغريبة عن منطوق التأريخ، فالكثير من الثقافات تمكّنت من التزاوج والانطلاق بروحية مختلفة عما كانت عليه سابقاً كما هي الثقافة الرومانية التي انطلقت من الثقافة الهيلينية، أو الثقافة الليبرالية الأمريكية من الثقافة الكاثوليكية الأوروبية، أو الثقافة اللاتينية التي تزاوجت مع الثقافة الأمريكية لتنتج حضارة وثقافة جديدة كما هي الثقافة البرازيلية والارجنتينية، كذلك ينطبق الأمر على الثقافة الصينية الحاليّة التي وجدت بأن خيار التزاوج مع الثقافة الليبرالية الأمريكية هو خير لها من التحلل، كما تحللت ثقافة السوفيت التي لم ترع لعالم تزاوج الثقافات من دور لها كخيار أفضل من خيار الانفراط والضمور. . . .

فقد أكلت الثقافة الغربية من الثقافة السوفيتية مأكلاً واخترقتها من العمق إلى أن جاءت الفرصة لانهيارها بعد أن حلّت في أركانها ثقافة الغرب الليبرالية[1]. بالتأكيد نحن نتكلم عن ظاهرة التزاوج الثقافيّة والتي ليس هي

(1) كانت الثقافة السوفيتية تُنازع أنفاسها في بداية التسعينيات وهي في غُرفة الإنعاش، وقد حاولت ثقافات أخرى أن تدخل على خط المزاوجة كما حاول الإمام الخميني في رسالته في عام 1989 إلى غورباتشوف، وكذلك ثقافات محليّة مثل الثقافة الشرقية الارثوذوكسية التي كانت مُتأصّلة في أوروبا الشرقية، كذلك حاولت الثقافة الكونفوشية. ولكن نقاط التلاقي والتوافق مع الثقافة الغربيّة الليبرالية كانت أكثر مما هو لدى بقيّة من حاول من الثقافات الأخرى. تجد نص الرسالة على الموقع التالي:
http//:www.eslam.de/arab//manuskript_arab/briefe/imam_khomeini_an_gorbatschow.htm.

بالعملية السهلة التي تمر بانسيابيّة كما كتبناها، بل بالعكس فإن القوى المحافظة (Conservatives) كانت تقف موقفاً متشدداً جداً من أي تفكير من شأنه أن يُحقّق عملية التزاوج الثقافي سواء أكان ذلك من السوفيت أو من الأمم الأخرى الطامحة إلى انهيار الثقافات كالغرب أو الصينيين أو المسلمين أو غيرهم، وهي ظاهرة طبيعية في أن تواجه العمليّة التغييّريّة الكثير من المعارضة تحت أسماء الوطنية والأصالة والتراث وغيرها، مع أنها في الواقع تفسير لفكرة واحدة تلك هي المحافظة على مراكز القوة التي يمتلكها أولئك المحافظين والخشية من خسران مواقعهم، فالعملية هي عملية نفعيّة منبعها رد فعل خسران مراكز القوى.

من المنظور الثقافي للأمم تعاني اليوم ثقافة التسنّن من واقع بائس لازمها على شكل مرض مُزمن - كما ذكرت - منذ فترة ليست بالقصيرة عندما توقفت عجلة العطاء والإبداع وهو زمن المعتصم العباسي (ت 227) ثم تمّ إحياؤها على يد طبيب مُتخصص يمتلك قدرات ثقافية وخبرات وهو طور العهد العثماني وخصوصاً سليمان القانوني (ت 947/ 1566 م) فصارت بعد ذلك التأريخ ثقافة لها استقلاليتها عن ثقافة التسنّن بعد أن امتلكت مُقدّرات وأسباب الثقافة، فصار اسمها كإبن شرعي للثقافة الأم (الثقافة العثمانية). . . . ثم كانت أول محاولة تزاوجيّة لمنع تحلّلها وانهيارها قد تمت على يد عبد الحميد الثاني (ت 1918) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن المحاولة فشلت وبقيت كل أمم الأرض تتصارع على التزاوج مع الثقافة العثمانية وخصوصاً ألمانيا البروتستانتية وروسيا الارثوذوكسية[1].

(1) الأتراك والألمان يعودون لنفس العرق ويشاركهم في ذلك إيران بالإضافة إلى الكُرد وهو العنصر الآري، وقد تمكّنت ألمانيا ما قبل الحرب العالمية الأولى أن تدخل على أصول الثقافة العثمانية بشكل قوي ومؤثر أملاً منها في أن تكون الوارث الطبيعي لتلك الثقافة التي هي في طريقها إلى الموت (الثقافي)، فقد زار غليوم الثاني دمشق والقدس مع مصاحبة زوجته له =

عملية المزاوجة بين الحضارات بالشكل الطبيعي تُعتبر حالة طبيعية، فإنها ذو فوائد جمّة على شعوب كلا المجتمعين الطالب والمطلوب، كما هو عائد الفائدة التي جنتها الثقافة الليبرالية الغربيّة من تزاوجها مع الثقافة السوفيتية في عام 1991، ولكن محاولة عبد الحميد الثاني فشلت بسبب عناصر القوة والنفوذ التي كانت الثقافة السُنيّة تحتلها في داخل كيان الدولة، وفي مراكز صنع القرار[1]. وهكذا كما يخبرنا التأريخ دخلت الحرب وخسرت تركيا

= يرافقه في ذلك الخليفة العثماني. كذلك كانت روسيا هي الطامعة الأخرى في المزاوجة مع الثقافة العثمانية لما لروسيا من مُشتركات كبرى لا تقلّ عن تلك التي مع الألمان. نفس الطموح كان يُراود آمال النمساويين، ولكن الفرنسيين والبريطانيين كانوا من حوّل الزواج إلى شهر عسل خريفي باستعمال عامل القوة. . . أنظر في بعض من تلك الحوادث (علي الوردي في لمحاته الجزء الثالث، المصدر السابق)، كذلك كتاب: (مذكرات غليوم الثاني، المطبعة السلفيّة في القاهرة، 1341 هجرية).

(1) كان قرار السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1878 بمثابة انتحار لمستقبله بعد أن أعلن بأنه سيستعين بالشرعيّة (الدستورية) من مجلس النواب، أي البرلمان بدلاً من قوى شرعيّة الدين التي تُمثله (ثقافة التسنن)، تلك الثقافة التي كانت تمتد في تأثيرها إلى كل أوساط الدولة وخصوصاً الجيش ومراكز القوى إضافة إلى المراكز الدينيّة المتنوعة. وهنا كان رد الفعل الذي تبنّته الثقافة الأخيرة وبالاتفاق مع روسيا سراً في منع تلك الخطوة من التحقق. . . . وفعلاً غزت روسيا تركيا في نفس العام ووصلت على مشارف اسطنبول مما فرض على السلطان أن يوقف العمل بالدستور والبقاء على النسق السابق في الاستعانة بشرعية ثقافة التسنن. . . . . .
وعندما بدأت الدولة تتفكك ثقافياً وعسكرياً كان هنالك خياران في تبعيّة وراثة تركيا وهما إما ألمانيا أو روسيا، وكان هوى الثقافة السُنيّة يهب باتجاه روسيا لنفس الأسباب السابقة، ولذلك كانت روسيا هي الدولة الأولى التي أعلنت الحرب على الدولة العثمانيّة ولم تعلن ذلك على أية دولة أخرى حتى على أعدائها من الذين أعلنوا الحرب عليها كألمانيا والنمسا، هذا مع العلم بأن لا روسيا ولا الدولة العثمانية لهما من علاقة في حادثة مقتل ولي عهد النمسا، ولكن الذي حدث وغيّر أسس اللعبة هو قيام الثورة البلشفيّة في أثناء الحرب عام 1917 مما ظهرت آثار الرياح باتجاه الوراثة الألمانيّة (التي لم ترثها بسبب حدوث ثورة مشابهة لثورة الروس) عندها افتعلت تلك الثقافة حادثة ضرب الطرادات الفرنسية والبريطانية من أجل إدخال تركيا في =

خُسراناً مبينا، ثم بدأت الأمور تسير باتجاه مختلف إلى أن تحوّل العالم اليوم إلى قطب واحد فلم يكن أمام ثقافة التسنّن اليوم أي خيار آخر غير خيار الإرهاب هذا في الوقت الذي كان خيارها في مواجهتها لمصيرها في زمن عبد الحميد الثاني هو روسيا، فأمامها في ذلك الوقت ثلاث خيارات:

- إما أن تقبل بالتزاوج مع الدولة التي تضمن مصالحها وهي روسيا آنذاك.
- أو الفرض على الدولة العثمانية في إبقاء شرعية الدولة بيدها لا من خلال (الدستور).
- أو الحرب وتوريط تركيا في حرب كبرى.

ولكن الذي حدث هو أن الأقدار قد أخرجت روسيا من اللعبة، تلك الدولة التي كانت تراهن عليها ثقافة التسنّن في وراثة الدولة العثمانيّة بعملية التزاوج منها وذلك بعد أن استعرت الثورة البلشفية في عام 1917، كما في نفس الوقت أقرّ الدستور العثماني في عام 1909 وأزيحت الثقافة السُنيّة من موقعها العملاق كراعية للشرعيّة، فلم يبق أمامها عندئذ في ذلك الوقت من خيار إلّا توريط تركيا في حرب كبرى وهي الحرب العالمية الأولى[1].

= حرب وإشغالها عن تنفيذ مخطط التخلي عن ثقافة التسنّن في استقاء شرعيّة الدولة والحكم، فكان أول ما وصل أتاتورك إلى الحُكُم أن عاقب الثقافة السُنيّة على مخططها في توريط تركيا في حرب ليس لها فيها من ناقة ولا جمل وذلك بإلغاء الدين كلياً والدعوة إلى دولة علمانية.

(1) راجع في ذلك كتب ومقالات كثيرة منها:

The Encyclopedia Americana, 1920, v.28, p403.

Fromkin, David, (2001), A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East, New York: Owl Books, pp 119, ISBN 0-8050-6884-8, OCLC 53814831.

http//:en.wikipedia.org/wiki/World_War_I.

فليس من الصعب أمامنا وعلى كل مُتتبع يرمي الحياديّة في النتيجة أن يُدرك الدور الذي لعبته الثقافة السُنيّة في جر تُركيا إلى الدخول في أتون الحرب العالمية الأولى في الوقت الذي لم يكن آنذاك سلاح الإرهاب والسلفيّة الجهادية موجوداً فكان لزاماً ومن أجل تحقيق أهداف تلك الثقافة الدخول في حرب إبادة شاملة كبرى وهو الذي يُبرّر إبقاء قوى السيطرة فاعلاً في الدولة العثمانية. . . . .

أما اليوم فإننا نرى تلك القوى هي ذاتها قد استعادت قدرتها وقوتها من خلال تكنولوجيا الإرهاب، تلك التكنولوجيا القادرة على أن تُحوّل سلام العالم إلى جو إرهاب واضطراب[1].

يبدو لي وللكثير من متابعي التغيّرات الفكريّة الثقافيّة بأن قادة (الثقافة السُنيّة) هم ذاتهم ممثلي (مذهب التسنّن) وهذا هو قمة الانتحار والعبثيّة، فليس في الإمكان أن نفترض في أن يكون الفقيه سياسياً، أو أن يكون

(1) الشيء الذي يُثير عجبي هو افتقاد العالم السُنيّ بتنوعاته إلى مُخططين ثقافيين أو علماء اجتماع أولئك الذين يمتلكون القدرة على فهم تطورات الثقافة ومرحليّتها، فلم نشاهد على مستوى البحث الجامعي أو الفكر الديني من تصدّى للكتابة إلى معالجة الحالة الخطرة التي تمر بها ثقافة التسنّن أو حتى مذهب التسنّن الآن، فقد تُركت الساحة إلى البعض ممن كتب كرد فعل أو كإنفعال أو كبغض لتلك الثقافة أو المذهب، وهذا بالتأكيد ليس هو الطريق لوضع معالجات لما تُعانيه تلك الثقافة من نكسات على مدى لنقل قرن من الزمن. . . . . بالتأكيد موت ثقافة التسنّن ليس هو بالأمر المُفرح لكل المسلمين سنة كانوا أم شيعة وحتى غيرهم لأن ذلك الموت سيُعرّض ثقافات أخرى إلى الاهتزاز وفقدان التوازن مما يسمح لقوى أخرى أكثر تطرّفاً في إحلال مواقع تلك الثقافة كما هو محاولة الثقافة المغوليّة في عام 656/ 1258 م على بغداد واحتلالها ثم معاودة الأوزبك ثانية بعد قرن ونصف على يد تيمورلنك عام 804/ 1402 م وأسره للسلطان العثماني بايزيد الأول. . . . . مشكلة خلو العالم السني من قادة مخططين لمستقبل العالم السُنيّ أمر يُثير الحيرة ويؤجج النفوس لأن الخيار الآخر الذي سيواجهه المسلمون هو وصول قوى مُتطرفة تؤخر مسيرة الحضارة والثقافة قرون عديدة إلى الوراء.

الطبيب مُهندساً، بل المسار الصحيح هو فصل كلي التخصصين الثقافي عن الديني لأن الواقع الديني شبه ثابت لما يحويه من أدبيّات وروايات وتعاليم دينيّة ترتبط بالمُرسِل (بكسر السين) وهو الباري عزّ وجلّ. . . . . أما الثقافة فهي نتاج الإنسان تتحرك في داخلها قدرات البشر بطريقة متناسبة مع القدرات الفكريّة التي يمتلكونها ليضعوا مساراً ثقافياً أو للحفاظ على تُراث الثقافة أو لتطويرها بما يتناسب مع مكوناتها. . . .

فقد من الممكن أن تصطبغ الثقافة بالصبغة الاقتصادية أو الجماليّة أكثر من اصطباغها بالصبغة الدينيّة أو الغيبيّة وهذا كله هو حصيلة جُهد الإنسان الذي يستوجب على علماء الثقافة أن يضعوا الخُطط في توجيه تلك الثقافة لما فيه منفعة لميسرة المجتمع سواء أكانت تلك المنفعة مناقضة أحيانا لمُكوّن من مكونات الثقافة الدين مثلاً أو تفضيل مكوّن آخر على بقيّة أجزاء الثقافة. . . . .

هذا الأمر يتطلب جُهداً إنسانياً يعمل بجو من الحرية الفكريّة والحرية الشخصية، والذي قد يتعارض أحياناً مع الدين أو مع أي توجّه مُقدّس من توجّهات المجتمع. ولذلك فإنه لمن المهم جداً لنا نحن العرب المسلمين أن نتفهم علميّة الفصل تلك بالشكل الذي تمّ في مسيرة الأمم الأخرى التي حققت ثقافتها قدرات كبرى في مسيرة الإنسان[1].

(1) لا نعني بعملية الفصل هو الانتقاص من دور الدين كما يعتقد البعض، وإنّما هو إعطاء الدين دوره الفاعل في المجتمع بالشكل الذي يكتمل في عمله مع فطرة الإنسان بما يتعلق بالاقتصاد والتأريخ والجمال والفن والحُكُم والدولة والأدب وغيرها من مكونات أخرى. بالتأكيد لم يجعل الله الدين لوحده خيار لحل مشاكل الإنسان بدليل أن القرآن يُصرح بأهمية اقحام خيارات الحياة الأخرى من العلم والحكم والبحث العلمي والاجتماعي.

الفصل التاسع عشر

لماذا يجب إبادة الشيعة في العالم...؟

هذا تماماً هو السؤال الذي يسأله الشيعة ويُحاولون تلمّس الإجابة عليه من خلال واقع المعاناة الكبرى التي تُواجههم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أو يزيد، وهو أيضا السؤال التقليدي الذي يبدو أن جوابه لم يكن بجديد لدى قادة ثقافة التسنّن السياسي الذين يُدركون السؤال في وجوبيّة التخلص من الشيعة.. مع أنهم يتحسرون كثيراً في مجالسهم الخاصة على ضياع الفرصة وبما فاتهم من فُرص ذهبية أمام تحقيق حُلم الذبح المنشود (الهولوكوست الشيعي)، فقد كانت قبل هذا التأريخ هنالك أكثر من فرصة للتخلص من التشيّع سواء أكان على مستوى الفكر أم على مستوى الشخصيات...... فأحداث كربلاء 61 كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هدف الإبادة، وكذلك كانت فترات ربما أيام السقيفة أكثر مُلاءمة فيما يتعلق بالظرف السياسي والظرف الاجتماعي في غمرة شعار (الردّة) الشعار الرائج الذي لا يُمكن أن تقف أمامه قوة أو معارضة.

فقد اتفق قادة الثقافة السُنيّة على ضرورة انجاز مشروع الانتهاء من إبادة الشيعيّة أو على الأقل التخلّص من شرورهم كما هو مشروع العالم المسيحي تجاه اليهود ما قبل القرن التاسع عشر عندما كان قرار التخلص منهم أمراً مفروغاً منه، وإنّما الاختلاف كان في الكيفيّة بعد أن ضاقوا ذرعاً بهم من

خلال الشكل الديني الذي يحمله كلي الدينين فيما يتعلق بالعداوة التقليديّة بينهما وخصوصاً إدعاء مقتل السيد المسيح على يد اليهود. . . . . هذا بالإضافة إلى قُدُرات اليهود في توجيه العالم المسيحي إلى الوجهة التي تبدو إلى الناس بأنه دين لا يتوافق مع سلام البشر. . . . فكان القرار المسيحي هو نفيهم إلى جزيرة موزمبيق أو إلى الأرجنتين أو إلى منطقة بعيدة عن العالم حتى استقر رأي العالم المسيحي إلى نظريّة فلسطين التي كانت آنذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية وكانت تُحكم بقبضة حديد مما سيحوّل ذلك الكيان إلى أداة بيد حُكّام المنطقة الإسلاميّة القادرين على التعامل مع الملف اليهودي من خلال الفرض الديكتاتوري كما هو الواقع في التأريخ. . . . . ولكن اليهود لم يستسلموا إلى واقع العالم المسيحي حتى في زمن هتلر الذي قرر إبادتهم ليس بسبب العامل الديني، بل بسبب الخوف على سلامة البشرية حسب (نظرية الأعراق) المشهورة التي أشرنا لها في هذا الكتاب والاعتقاد بأن العالم سيعيش بسلام في حال التخلّص من اليهود.

ولكن الصورة التاريخية تغيّرت بشكل كبير بعد أن تفهمت الثقافة السُنيّة المسيطرة على القرار في الدولة العثمانيّة حاجتها إلى الوجود اليهودي باعتباره الجهة التي من الممكن إلقاء تبعات كل ما من شأنه أن ينعكس سلبياً على الإسلام على اليهود (كبش فداء) (Scape goat). . . . هذا في الوقت الذي رفض السلطان عبد الحميد الثاني (ت 1918) الموضوع فقررت تلك الثقافة المتمثلة آنذاك بالمفتي وشيخ الإسلام وبقيّة القوى الكبرى التي كانت تملك مفاتيح الدولة العثمانية في كل أرجائها إلى عزل السلطان وإلقاء تبعاته على القوى اليهوديّة التي رُفض طلبها في فلسطين، مع أن الموافقة كانت محروزة من قبل القوى السُنيّة المسيطرة على الحُكُم العثماني.

فاليهودية اسم قديم ليس هنالك من يختلف في تحمّلهم وزر الكثير من

المآسي التي حدثت في الإسلام، فصار من السهل إلقاء تبعات النكسات التي حلت بالإسلام خصوصاً في القدم على التأثير اليهودي وإلى ربما الوقت الحالي بشيء ما يتقاسمهم الشيعة أو الثقافة الشيعيّة بدرجة أكبر. وليس هنالك من تعاطف فكري واجتماعي في تحميل كلا الجهتين مآسي العالم الإسلامي فيما قبل وإلى الآن.

أما موقف الشيعة من هذا التخريج فإنهم لا يُعيرون لذلك الاتهام من شأن، بل أنهم يرون الأمر من منطلق حسابات الخسارة والربح الأخرويّة، بل لا يدافعون عن أنفسهم بما يتعلق بالتهمة أو بنوايا قوى الثقافة السُنيّة في إبادتهم..... ربما أحياناً يُضيفون إلى مشروع تلك الثقافة آراءهم التاريخية بأن إبادتهم هو أمر محسوم يمكن أن يحدث في أي وقت أمام جزاء أكبر وهو ظهور المخلّص، لأن ثمن الإبادة هو ظهور المهدي وبدونه فلا يمكن أن يتحقق عصر الظهور..... معادلة جدليّة بناها الشيعة بثقافتهم التي توارثوها على مدى القرون الطويلة من استمرار القتل والتهجير[1].

وقد وجدت ثقافة التسنّن في استسلام الثقافة الشيعيّة إلى طموح الإبادة أمراً مُشجعاً في استمرار مشاريع الإبادة وإلقاء تبعاتها عليهم وخصوصاً في حالات الإحباط التي تُصيب المجتمعات الإسلاميّة أو الدول التي بدأت تضعف وتنحسر..... فلم يخلُ مؤلف أو كتاب أو خطبة من تسويق مفهوم

---

(1) قبور بكوفان وأخرى بطيبة/ وأخرى بفخ نالها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها / وأخرى بباخمرى لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكية / تضمنها الرحمن في العرصات
وقبر بطوس يالها من مصيبة / تردد بين الصدر والحجبات
نفوس لدى النهرين من بطن كربلا / معرسهم فيها بشط فرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما / يفرج منها الهم والكربات

ضرورة إبادة الشيعة والتخلص منهم من أجل إعطاء الإسلام قوته وعنفوانه وإعادة تأثيره في السيطرة على أمم الأرض ثانيةً. . .

فقد نلاحظ بأن الأدب الذي بدأ في بداية عصر التدوين الأول ثم الثاني كان يشير إلى بناء مفهوم التخلّص من الشيعة، فقد ألّف العلماء الكبار من أعمدة الثقافة السُنيّة في القرنين الثاني والثالث الميلادي تصانيف كبرى جُلّ هدفها هو إثبات كفر الشيعة ومروقهم عن الإسلام، ثم حليّة قتلهم والتخلص منهم. . . . . فأحيانا تكون اللغة سهلة الفهم في تسميتهم بالروافض أو الزندقة وأحيانا بالتلميح في عدم إدراج أفكار الشيعة من ضمن الفرق الإسلامية. . . . . . وما أن يدخل القرن الرابع الهجري حتى غاب التلميح إلى التصريح، بل توجّه الأدب في الثقافة السُنيّة إلى إثبات ضرورة التخلص من الشيعة وأنهم الجسم السرطاني الذي يجب حماية الدين باستئصاله.

كما اهتمت تلك الثقافة في أن تصور أن الثقافة الشيعيّة هي ثقافة غريبة عن جسم التسنّن أو جسم الاسلام، فوضعوا للتشيع صوراً وأشكالاً تبدو للمسلم بأنهم أناس يختلفون عن شكل المسلم العادي في طريقة إيمانه وممارسته للدين وعبادته[1]، كما صوّروهم بأنهم ليسوا من الجنس المحترم من الناس، فهم ديلم والديلم هم أقوام يُعتبرون في العُرف الإسلامي طبقة منخفضة من البشر كما هم العبيد والبربر والترك والكافر وغيرهم من الأمم التي أشاعتها ثقافة التسنّن في تقسيم الناس وذلك من أجل تعبئة الأمّة في مساندة الحُكّم للتخلص منهم. . . . .

فقد كان اسم الشيعة مقرون دوماً بمصطلحات مُمجّة للمسلم العادي

(1) بل أحياناً تنقل صورة الشيعي بأنه ليس من قبيل البشر وانه مسخ من مسوخ الله في امتلاكهم ذيول يخفونها عن الآخرين، وأن ذلك كان بسب سبهم للصحابة وحقدهم على تراث الإسلام.

مثل الزنادقة والروافض وغيرها من الأسماء الكثيرة. فكانوا ينادونهم بتلك الأسماء وبشكل علني، كما مارسوا معهم سياسة التسقيط الشعبي والاحتقار وهي ممارسة لم تكن مقتصرة على الشيعة فحسب، فالثقافة السُنيّة سياسة استعلاء للكثير بل لكل الأفكار التي لا تتفق مع توجهاتهم، فهي تقترب من الأفكار العنصرية التي تُحرّمُها القوانين الدولية، بل يحرمها الإسلام.

فقد كان الاعتقاد سائداً وربما إلى الآن بأن أمم الأرض غير المسلمين أو غير السنة هم من يجب استعبادهم إن لم ينتموا إلى الإسلام[1]، وقد تجد ذلك واضحاً في تعامل الدول التي حكمت باسم الإسلام تجاه الأمم المجاورة لها كالأوروبيين والفرس وبقيّة الشعوب، بل أحياناً كان العثمانيون يُسمون ملوك أوروبا أو ملكة بريطانيا باسم (قيرالس) أي ملك أو ملكة إقليم بريطانيا باعتبار أن بريطانيا أو فرنسا هي بالأصل تابعة إلى الحُكُم الإسلامي. وأن الأديان الأخرى هي أفكار خارجة عن السياق الإلهي فيجب إما امتلاكها والسيطرة عليها، أو جعلهم تحت رحمة تلك الثقافة، وكان ذلك هو أساس المفهوم الذي تبنته تلك الدول في الغزو وفي إبادة المجتمعات المجاورة.

أدّت تلك الحالة من الفهم إلى مشاكل كثيرة جداً أصابت الدول التي كانت تحكم باسم تلك الثقافة، فقد تمكن الأوروبيون في القرن السادس والسابع عشر في أن ينتصروا في أكثر من موقعة على العثمانيين خصوصاً بعد انحسار حصار فينا الثاني فكان الصدر الأعظم يكتب إلى الخليفة ليقول له بأن الله أراد ذلك ولو شاء لنصرنا، وأن الخسارة هي خسارة وقتية، ثم

(1) وحتى لو دخلت الأمم الأجنبية إلى الإسلام فإنهم سيُطلق عليهم اسم (موالي) أو أجانب أو أعاجم وهم درجة ثانية في المواطنة قياساً إلى العرب أو المسلمين في الولادة.

يشير إليه ليقول بعد أن سأله الخليفة هل من الممكن أن نُقيم أسطول حربي قوي مثلهم بالقول: يامولاي إننا نتمكن من أن نصنع المجاذيف من الذهب والسفن من الفضة ولكننا لا نقوم بذلك الآن، بل أنه أمر الله.

وبالفعل استمرت حالة الغطرسة الكبرى واحتقار الشعوب في كل مراحل وأماكن الدولة إلى أن سقطت وبشكل معروف على يد الغُزاة ثم على يد الأوروبيين فيما بعد فيما قبل وإثناء الحرب العالمية الأولى.

غطرسة المعرفة: تجنبت الثقافة السُنيّة كل ما من شأنه اطلاع الشعوب الإسلاميّة على طريقة التفكير لدى الشعوب الأخرى، فكانت تحظر على مُتّبعيها مبادراتهم إلى تفهّم الشعوب أو الأديان أو القوميات غير الإسلامية. فقد رفضت الدولة العثمانية الاعتراف بما حققه (فاسكودي غاما) في اكتشافه لرأس الرجاء الصالح وتوجه الدول الأخرى إلى بناء مستعمراتها التي تسير بها السفن إلى الهند، كما رفضت ثقافة التسنّن العثمانية الاعتراف بنُظُم أوروبا أو التعلّم منهم أثناء الثورة الصناعية، فقد كتب أبو بكر راتب أفندي سنة 1790 وكذلك صادق رفعت باشا 1865 عندما اطلع على الثورة الفرنسية وعمقها في تغيير المجتمع وكذلك نظام الحُكُم في فيينا أو أسبانيا وفرنسا كتاباً إلى السلطان العثماني يحثّهُ إلى الاستفادة والتعلّم من العلوم الإدارية لتلك الدول. كذلك اتخذت الثقافة السُنيّة من موضوع المطبعة المسماة (ابراهيم متفرقة)[1] موقفاً سلبياً، ونفس الشيء نراه قد انطبق على الصحافة والترجمة والصحف وبقيّة وسائل المعرفة.

كما لم نجد في كل أدب الثقافة السُنيّة من بحث موضوعي عن أفكار

---

(1) إبراهيم متفرقة هي اسم أول مطبعة دخلت الدولة العثمانية والتي حوربت بشكل كبير من قبل شيخ الإسلام ومن قبل كل منتم لثقافة التسنّن باتهامها نشر أفكار الظلال والكفر وأنها سوف تؤدي إلى تحريف السنة والقرآن. ويبدو أن اسمها جاء من اسم الشخص الذي جاء بها إلى اسطنبول.

الشيعة من جملة ربما آلاف الكتب التي كُتبت في التشيّع وفي عقائد الإمامية، لم نجد فيما بينها كتاب واحد تناول عقائد التشيّع بالموضوعية والتجرّد، نفس الشيء تجده عن كل الأفكار الأخرى كالمانوية والمسيحية واليهودية والزرادشتية، بحيث تبدو تلك الأفكار بأنها أفكار ظلال يستحق معتنقها القتل لأنها بعيدة عن إرضاء الرب..... وهذا ينطبق كذلك على الديانات الأخرى التي تنتشر في العالم كالبوذيّة والبراهميّة والكونفوشيّة... وقد لا نستغرب إذا وجدنا بأن كل الكتب التي كتبتها الثقافة السُنيّة على مدى أكثر من ألف سنة ليست بالكتب الواقعية في مناقشة موضوع العقائد والأديان، وهي ظاهرة غريبة جداً لم نجدها في بقيّة الثقافات والأديان حتى الأفكار التي دخلت في حروب دموية مع المسلمين.

والملاحظ هو أن الدكتاتورية كانت تزداد بازدياد الانفتاح المعرفي والثقافي في الدول العربية أو في الدول التي كانت تعتنق الإسلام، فعندما نُماشي تأريخ المنطقة نجد أن الديكتاتورية التي تقودها الدولة تتضخم في جو الانفتاح والمعرفة، فالكتب التي تمّ إصدارها من قبل علماء الشيعة ككتب السيد المرتضى (ت 436/ 1015 م) والعلامة الحلي (ت 726/ 1325 م) والتي تمّ نشرها في جو الانفتاح في العراق البلد الذي خرج تواً من سيطرة ديكتاتورية الثقافة السُنيّة خلال وصول البويهيين (المعتدلين) إلى الحُكُم قد تمّ مواجهتها والرد عليها من قبل أساطين الفكر الثقافي السني كأبن تيمية (ت 728/ 1327 م) وغيره بحيث أدت تلك المواجهات إلى تغيير في الموقف من خلال اجتاح ديكتاتوري فكري قادته ثقافة التسنّن بدخول السلاجقة وغيرهم من الدول التي تقودها عصابات تحالفت معها بشكل مبدئي إلى أن تمّ إيقاف المسيرة الفكريّة التي خلقتها أجواء الحرية بعد وصول المغول إلى بغداد.

ومع أن الحركات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية المقاومة الاستعمار كانت تستمد من الدين معينها ولكن في ذات الوقت كان قادة التحرير أو المناضلين هم ممن تمكّن من استيعاب أفكار الثورة الفرنسية ربما من الذين عاشوا أو درسوا لفترة في الغرب مثل عبد الحميد بن باديس (ت 1940) ومالك بن نبي (ت 1973) وأبو رقيبة (ت 2000) ومحمد الخامس (ت 1961) وعبد القادر الجزائري (ت 1883) وقادة الثورة المصرية وروادها وكذلك في لبنان وسوريا وغيرها من الأقطار، وكذلك انطبق الأمر على إيران وعلى تركيا.

فقد تميّز النموذج الذي تبنته الشعوب في فترة ما بعد الحربين العالميين بنوع من الاستقلالية عن ثقافة التسنّن الكلاسيكية من قبيل الالتجاء إلى مفاهيم جديدة مثل الاشتراكية أو القومية أو العلمانيّة[1]، فكان ذلك بالنسبة إلى الثقافة السُنيّة ناقوس خطر وخشية من أن تتمكن تلك الأفكار من إزاحة قدرات ثقافة التسنّن من السيطرة على الحكم. وهذا التخوف نابع من وجود ثقافة بديلة هي ثقافة التشيّع التي تُعتبر البديل لأفكار الديكتاتورية التي تفرضها القوى المتسننة السياسية.

فقد سمح الغرب لبعض الحركات العلمانيّة العربية في أن تجد طريقها إلى المُعارضة ضدها وهذا كان بسبب تعاطف الشعوب الأوروبية مع الشعوب التي ترغب بالتحرر من الأجنبي ضد حكوماتها وبالسبب الجوهري الثاني وهو توجيه الشعوب إلى أهمية التخلّص من ثقافة التسنّن المُسيطرة

---

(1) مع أن العلمانية لم تكن هو المفهوم الذي تُدركه الشعوب وهو (ضد الدين) بل مفهومه الصحيح هو إيجاد طريقة لسعادة الإنسان من خلال مبادئ الإنسان الأصيلة، وهي بالأصل مفاهيم الأديان التي أوحيت من السماء. أنظر كتاب: (العلمانية، للشيخ شمس الدين، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 1980)، وكذلك الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Secularism.

على عقليّة الشعوب الإسلاميّة في اعتقادها بأنها تُمثل الدين، واعتماد خيارات فكريّة إنسانية أو دينيّة كما هو الوضع في الغرب وبما أفرزته الثورة الفرنسية من مفاهيم عالمية.

أما الأفكار القومية والاشتراكية فقد باءت بالفشل في البلدان التي خرجت من نفق السلطنة العثمانية بعد أن عملت القوى الثقافيّة السُنيّة على محاربتها من خلال اتهامها بالكفر فخسرت تلك الأفكار آخر مواقعها ما بعد حرب عام 1967 فتحوّلت القوى التي كانت تنتظر الفرصة وهي قوى الدين السياسي إلى بديل للقوتين الاشتراكية والقومية وبدأت المقولات تُشاع بأن الدين الذي أسقطه كمال أتاتورك في تركيا كان هو الطريق الصحيح وعلى العالم الإسلامي أن ينشد عودة فكرة الخلافة العثمانية. . . .

هذا في الوقت الذي كانت بالمقابل الثقافة الشيعيّة تنشر أفكارها بشكل بعيد عن الانسياق خلف تلك المقولات، لأنها ثقافة نأت بنفسها عن خلط الدين بالسياسة منذ البداية، وسمحت لنفسها في أن تلتقي مع ثقافات أخرى تصب في صالح خدمة المجتمع. . . . . . فكان قادة التحرر من أفكار العودة إلى حضن الثقافة الدينيّة السُنيّة هم من حملة مشعل ثقافة التشيّع التي كانت تدعو إلى الفصل ما بين الدين والسياسة بشكل ربما أكثر تنسيقاً من التوجه المسيحي في عصور ما بعد الثورة الفرنسية.

فقد انهار بسقوط الدولة العثمانية أنظمة متعددة كانت تُعتمد من قبل الجهات الدينيّة لتلك الدول طريقاً للصعود إلى القوة والسلطة مثل نظام التسلسل الديني ونظام التقرب النَسَبي ونظام المليشيات المسلحة وأنظمة القمع التي كانت الدولة تعتمدها في المحافظة على شكل الحكم. . . . . كنظام (الدوشرمة)[1] ونظام الانكشارية وكذلك القزلباش وبقيّة أسماء

(1) هو نظام انتزاع الأطفال من العوائل غير الإسلاميّة وفرض الخدمة العسكرية في الجيش =

التنظيمات المليشياوية التي يعتمد عليها الحُكُم في سيطرته المستمرة. . . . . . كل ذلك كان يستمد شرعيته من أئمة الدين التي تعتمدها ثقافة التسنن، فصارت المواجهة واضحة ما بين السلطة وبين الجماهير. . . . فكان على ثقافة التسنّن أن تساوم أحياناً السلطة، وأحياناً تساوم الجماهير، فأيهما من الممكن أن يتفق معها فهو المقدم في التعامل. . . بل ربما أحياناً يجتمع كلاهما في التعامل ولكن على انفصال.

فقد كانت الجماهير وبعد ثوراتها في مقاومة عصر الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية وهو العصر الذي بدأت قبضة السلطة الدينيّة تضعف أمام قوة الجماهير التي توجهت إلى الأفكار البديلة التي كانت مطروحة على الساحة وهي كما ذكرت القومية والأممية أي اليسارية في الوقت الذي لم تكن ثقافة التشيّع لها من وجود أو واقع على مساحة الأرض، بل كانت عبارة عن فكرة في النفوس وفي العقول يصعب النطق بها أو التحدث عنها أو استعارتها كبديل للثقافة السُنيّة. . ففي العراق مثلاً كان قادة النهضة بشتى تنوعاتهم قوميهم ويسارييهم هم ممن تأثر بثقافة التشيّع[1].

كما تناوبت الأقطار العربية فيما بينها بشكل فيه الكثير من الاختلاف

= العثماني وفصلهم تماماً عن عوائلهم وتربيتهم على نهج الولاء للسلطة. أنظر: (الجديد في العسكر الجديد، ليلى الصباغ. مجلة الفكر العسكري، السنة الرابعة، العددان الثالث والرابع، دمشق، 1976).

(1) قادة الحزب الشيوعي العراقي كانوا شيعيو المذهب كسلام عادل (ت 1963) وغيره وكذلك حزب البعث والقوميين الناصريين. وقد تجد ذلك طاغياً في كل قطر عربي يحوي انتماءاً شيعياً أو قريب من الشيعة كلبنان والبحرين والسعودية واليمن ومصر وتونس. أما الأقطار التي ينعدم فيها التشيّع المذهبي انتماءاً فقد انبرى إلى قيادة الحركات تفرعات الشيعة مثل الصوفيين كعمر المختار (ت 1931) في ليبيا والسادة كما هو عمر مكرم (ت 1822) في مصر وهكذا.

وذلك تبعاً لحالتين أولاهما طبيعة وجود أو فقدان ثقافة التشيّع في ذلك البلد، وثانيهما هو نوعية الانتماء وتوجات الدولة... ففي الأقطار التي تقع تحت النفوذ البريطاني كالعراق والخليج واليمن والسعودية فهنالك تحالف تمّ بنائه ما بين الثقافة السُنيّة وبين بريطانيا بعد أن تمّ إقناع الأخيرة بخطورة ثقافة التشيّع على مستقبل وجودها في المنطقة[1].

أما الأقطار التي كانت تُحكم ضمن المنظومة الفرنسية كشمال أفريقيا وسوريا ولبنان فإن فرنسا قد رفضت مبدأ التحالف مع ثقافة التسنّن وبذلك صارت تلك الأقطار حاضنة لفكرة التغيير في الأقطار العربية وخصوصاً لبنان وتونس بالإضافة إلى مصر.......

فثقافة التسنّن لم تكن تخشى سيطرة أجنبي أو غربي على مقدرات الحكم، بل أنها كانت تتحسس من وجود حاضنة فكريّة مناقضة لثقافتها وهي ثقافة التشيع..... فالتشيع ممكن أن ينمو في أي قطر من الأقطار العالمية وبشكل انسيابي عندما تنمو أفكار الحرية الفكريّة والثقافية، وتوجهات الانفتاح والشفافية.... فالخوف الذي تستشعره الثقافة السُنيّة ليس بالضرورة أن يكون خوفاً من حاضر، بل هو خوف من مستقبل حاضنته أفكار التحرر والانعتاق والثورة وسيادة الأمة.. فكل من تلك التوجهات تُعتبر في المنطوق الثقافي السني هو تشيع، مع أنهم يسمونه بأسماء مختلفة وبطريقة لا يمكن أن يدركها الإنسان العادي.... ففي ذلك الوقت لم يكن بمقدورهم معرفة معنى مصطلح (الثقافة)، فلم يتمكنوا من أن يقولوا بأن

(1) اقرأ في ذلك كتابي (محمد جعفر أبو التمن، التميمي، خالد، دراسة في الزعامة السياسيّة العراقية، دار الوراق، 1996). وكتاب (الشيعة والدولة القومية حسن العلوي، المصدر السابق). وفي الحقيقة بقيت تلك السياسة طاغية على الموقف البريطاني إلى حين حرب الخليج الثانية 1991.

(ثقافة) تلك الشخصية هي (ثقافة شيعية)، فكانوا يسمونه (يتشيع) أو (يتزندق) وهو مقارب جداً لمصطلح (الثقافة الشيعية).

كذلك لم يكن بمقدور الثقافة السُنيّة ولا مفكريها أن يواجهوا فيما بعد الحرب العالمية الثانية أفكار العلمانيّة وأفكار التوجهات التقدميّة في الغرب مثل برتراند رسل (ت 1970) أو ماركس (ت 1883) أو هيغل (ت 1831) أو سبينوزا (ت 1677) أو حتى سارتر (ت 1980) وذلك لافتقاد الثقافة السُنيّة إلى مفكرين مطّلعين على ثقافة أولئك المفكرين، حيث كانت الثقافة السُنيّة قد منعت منتميها من تناول أفكار (الكفرة الملحدين) بل حتى الكلام معهم أو الاقتراب منهم، ولذلك لم نجد في كل أدبيّات العالم السني من كتاب أو بحث يخصّ الشخصيات الكبرى العالمية التي ذكرتها أو غيرها، وهو فقر كبير عانته المكتبة الإسلامية، كما عانت توجهات الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، وإن من اقتحم هذا الجانب هم المتنورين من منتمي مذهب التسنّن والذين كما سميناهم ذو ثقافة شيعية. . . وقد وجدت أن البعض ممن حاول أن يترجم إلى الشخصيات العملاقة الكبرى الغربية فإنهم ترجموها بشكل وضعوا في داخلها ردودهم المتهكمة بشكل خالٍ من العلمية.

هذا الفراغ الذي عانى منه المجتمع الإسلامي فتح الباب للأفكار القوميّة واليسارية من غزو عقول المجتمع مع تعلق بفكرة العلمانية[1]. وهو ما يُفسر التعطّش إلى أمل للخلاص من سيطرة ثقافة التسنّن التي لم تكن تبدو للناس بأنها (ثقافة) وإنّما كانوا يرونها بأنها (دين). . . . . بينما في الحقيقة هي ليست كذلك، فرفض المجتمع - على حسب فهمهم - الدين

---

(1) ليس المعنى هنا رفضي لتلك الأفكار ولكن أتحدث من منطوق الفهم الذي تحمله عقول المجتمع بما تراه ثقافة التسنّن وليس بما يراه المطلع المثقف.

وتوجه إلى الإلحاد والعلمانية التي فهموها أيضاً فهماً خاطأً كرد فعل ضد الثقافة السُنيّة المسيطرة على مقدرات الحُكُم والواقع الفكري للبلدان الإسلامية....

وفي هذه الفترة خسر الفكر الإسلامي (الأصيل) بما هو عام موقعه في نفوس الأمة، وصار الدين أمر يقترن بالرجعيّة وبالتخلف بسبب هذه الجدليّة التي ذكرتها... وقد كانت الخسارة عامة لم تقتصر على السُنّة أو الشيعة، بل على كيان المجتمع، فتوجهت الحكومات في ذلك الوقت إلى التزام طابع الفكر (الهجين) وهي أفكار الاشتراكية، والقومية واليسارية والعلمانية وغيرها، فنشأت الدول العربية كلها بجماهيرها على ذلك النسق حتى أن حدثت نكسة حزيران في عام 1967 فظهر إلى المجتمع بأن الفكر الوضعي أي القومية والاشتراكية لم تعد هي المناسبة إلى واقع الدولة، في الوقت الذي نسوا بأن السبب في ذلك هو تخلف الفكر السني الثقافي الذي ترك الساحة أمام غزو تلك الأفكار....

وهنا نرى بأن الجماهير عادت ثانية إلى فكرة الدين مع تشوش كبير في فهمه بسبب خلو الساحة من منظّرين ومفكرين مع انتشار الأمية وانتشار التخلف والفقر وما إلى ذلك. فلم يعد المجتمع يرى في طه حسين (ت 1973) آنذاك إلّا تراثاً أكاديمياً محضاً ليس له علاقة بتغيير المجتمع وثقافته، فالمجتمع العربي في عمومه لا يقرأ ولا يتابع بل هو اتكالي في طريقة رسم مستقبله.

هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار أن المجتمع العربي بكل أقطاره في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وإلى حين نكسة حزيران من عام 1967 كان مجتمعاً مستعمراً تُسيطر عليه في الغالب الأعم بقايا الوجود الاستعماري بشكل أو بآخر وهو كما ذكرت شهد تحالفات ما بين السلطة وبين القوى الثقافيّة السنية....

وقد نجد الشيء ذاته في الأفكار الشيعيّة أيضاً كما في إيران في تلك الفترة فترة ما قبل عام 1979، بمعنى آخر كان العالم الإسلامي كله عبارة عن كيان لا يملك إرادته بيده في الوقت الذي كانت الثقافة السُنيّة تعمل بشكل حثيث وتدريجي على إعادة مواقعها التي خسرتها في الحرب العالمية الأولى. هذا بالإضافة إلى استحداث الكيان الإسرائيلي في فلسطين واحتضانه من قبل الغرب وهو الأمر المساعد لتلك الثقافة في قدرتها على جمع شتاتها وقوتها بتسويق مفاهيم معاداة اليهودية وهي المناداة التي تتعلق بالدين أولاً وليس بالقومية أو الأممية.

فإسرائيل كانت بالنسبة إلى الثقافة السُنيّة أمراً له أكثر من إيجابية على مستقبل تنامى التفاف المجتمع العربي والمسلم حول تلك الثقافة، فبقاء التهديد والسيطرة من قبل اليهود له عمق بعيد ولازال وإلى الآن على تفكير المسلم لما له من جذور عميقة متعلقة بالقرآن وبالسنة. فكانت المقولات التي سوّقتها ثقافة التسنّن بأن إسرائيل هي بلد يهودي جاء للانتقام من المسلمين وهم الآن في طريق الأخذ بثارات العصور في زمن الرسول، يضاف لها الكثير من الشائعات التي تلوكها تلك الثقافة في طموح إسرائيل من النيل إلى الفرات.

فقد كانت حرب 48 و67 حربان مهمان لانتعاش الثقافة السُنيّة وتقويتها وعودة نشاطها فيما بين المسلمين وذلك تخويفاً من الخطر الإسرائيلي القادم لاحتلال المنطقة الواقعة ما بين النيل والفرات[1]..... الحكام والدول العربية بأجمعها وجدت في فكرة تنشيط الثقافة السُنيّة أمراً إيجابياً لها بلحاظ

(1) هنا لا نُريد نحن أن نؤكد أو ننفي تلك المقولات التي تمتلئ بها كتب المسلمين، وإنّما نُريد الإشارة إليه هو التأثير الذي تركته أحداث قيام إسرائيل على تنشيط الثقافة السُنيّة في الدول العربية.

استمرار سيطرتها على شعوبها لافتقادها المبرر الشرعي في حاكميّتها، فمعظمهم إما قبائل أو عصابات جاء بها المستعمرون الغربيون من أجل سبيل استمرار سيطرتهم[1]، وهنا لا يغيب عن بالنا ما للدين من أهمية للحاكم خصوصاً إذا كان أجنبي أو غير عربي، فالدين عنصر هام جداً يتطلب تسويقه من قبل ثقافة التسنّن من أجل استمرار السيطرة أي الاستعمار.

فلم يكن من بُدّ لقادة الغرب خصوصاً البريطانيين من أن يتحالفوا مع الدين والذي كان آنذاك متمثلاً بالثقافة السُنيّة في كل الأقطار ومن ضمنها إيران الشيعيّة الانتماء[2]، وكأنّ المقولة المعروفة: بأن الحُكُم في البلدان الإسلاميّة لا يمكن أن يدوم بدون تحالف مع الثقافة السُنيّة[3] قد ظهرت مصاديقها. . . . . . وعلينا هنا أن نتذكر بأن أدبيّات ثقافة التسنّن لا تمنع شرعاً ذلك النوع من التحالف باعتبار أن الحاكم الشرعي هو من يتمكن من السيطرة بالقوة أي أن الشرعيّة تأتي من القوة حتى وإن كان الحاكم أو الحُكُم فاسقاً أو جاهلاً[4].

(1) مثل آل سعود وآل الصباح وآل خليفة وآل ثاني، والأشراف الهاشميين وقبائل شمال أفريقيا. كل تلك التشكيلات القبليّة كانت في الواقع تعمل عن قرب مع الغربيين من أجل إدامة السيطرة وتقاسم السلطة.

(2) لنتذكر هنا تعريفنا لثقافة التسنّن في قولنا بأنه الأسلوب وليس العقيدة، فليس هنالك من تعارض في أن يكون الإنسان شيعياً في الانتماء المذهبي ولكنه سني الثقافة كما هم الشاه وعلمائه، أو قد يحدث العكس كما هو عرابي (ت 1911) وعمر مكرم (ت 1822) السنيي المذهب.

(3) عندما دخل الاستعمار الغربي الدول العربية مثلاً في العراق فإنهم جاءوا بنفس الشخصيات التي كانت تقف إلى جانب الدولة العثمانية فيما قبل سقوطها لكي تحكم ثانية مثل نوري السعيد والكيلاني والسعدون وغيرهم من الأسماء الكثيرة، وهو ذات الأمر تجده في الدول العربية الأخرى. راجع (حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية. المصدرالسابق).

(4) لسنا هنا في هذا التحليل ممن يرفض أو يقبل واقع سيطرة وصول الغربيين إلى حكم بلداننا =

إنه لمن البديهي أن يُثار سؤال عن موقف الثقافة الشيعيّة من كل تلك الأحداث ودورها في مواجهة هذا التسطيح الاجتماعي الذي تقوده أعمدة ثقافة التسنن. . . . الجواب هو أن الثقافة الشيعيّة كانت في تلك الأوقات عبارة عن كائن في سبات (Hibernation) أعني بالسبات هنا هو الحالة البيولوجية التي تُفرض فرضاً، وليس اختياراً. . . . . . . تلك الثقافة كانت أقرب إلى الموت منه إلى الحياة. . . .

بالمقابل كان الفكر (المذهبي) قد نمى بصورة كبيرة على حساب (الثقافة) وخصوصاً في الأقطار التي تضم عدداً من الشيعة كالعراق وإيران والخليج ولبنان وأفريقيا وشبه القارة الهندية. وكان هذا التجمع المذهبي لا يُمثل في معادلة صراع الأفكار إلّا كما يقولون أصفار على الشمال، بل أن قدرة تلك الثقافة كانت موزعة في تجمعات ومساحات أخرى كما ذكرنا وهم الأحزاب والتجمعات القومية واليسارية والوطنية والعلمانية وبقيّة المساحات التي تتجمع بها قدرات الثقافات. . . . هذا بالإضافة إلى حالة الاضطهاد الذي كان التيار الشيعي يعانيه في الأقطار التي تُسيطر عليها ثقافة التسنّن مثل السعودية والعراق وإيران حيث كان على أشده من جرّاء سيطرة الثقافة السُنيّة على عقليّة الحكام الذين كانوا يرون في الثقافة السُنيّة بأنها الجهة التي تمنحهم الشرعيّة بعكس الثقافة الشيعيّة الخطرة على مستقبل استمرار سيطرتهم. . . . فكان تأثيرهم يكاد أن يكون معدوماً في الوسط الثقافي الإسلامي حتى حرب حزيران 1967 عندها نهض الشيعة المثقفون

= التي كانت تُحكم سابقاً من قبل العثمانيين، كما لسنا ممن يتفق أو يختلف مع مفاهيم الاستعمار أو مفاهيم السيطرة التي تُسوّقها ثقافات العرب أو ثقافات الإسلاميين السياسيين. وإن ما نُريد الإشارة له هو طبيعة النظرة التي كانت ثقافة التسنّن تحملها باتجاه تأصيل فكرة السيطرة وامتلاكها من خلال تسويق أدوات الدين سواء أكان مع هذه الجهة أو تلك.

أي متبنو الاتجاه الشيعي في العمل ضمن دائرة السلم الاجتماعي وضمن توجيه المجتمعات إلى جانب الفضائل ثم فصل الدين عن الدولة والاستعداد إلى دولة عالمية كبرى مادتها التسامح والشفافية.

لا بأس هنا في الإشارة إلى أن العلماء أو المفكرين الشيعة ربما معظمهم لم يستوعبوا الفروق المذهبية عن الفروق الثقافية، وإنّما كان البعض منهم يناور بين هذا وذاك لأن الفكر الثقافي سواء الشيعي أو السني يحتاج إلى تحفيز كما هو شأن البحث العلمي الطبي، فكلما ازدادت البحوث كلما تحفز العقل العلمي على ممارسة أسلوب البحث بصورة أعمق وأدق، كذلك الأمر مع الصراع الفكري الثقافي بين الطرفين الذي لم يكن له من أرضية مشتركة أي خطوط تماس، وإنّما كانت الثقافة السُنيّة هي المسيطرة على الساحة تماماً بينما انزوت الثقافة الشيعيّة باتجاه التمذهب كما ذكرنا محاولةً منها في حفظ ما بقي لهم من تراث قديم.

ولعل فترات ما بعد الثورة الدستورية في إيران 1906 وكذلك ثورة العشرين 1920 في العراق كانت من أجدب الفترات التي توالت على التشيّع من الناحية الثقافية. وكان سبب ذلك هو الخيبة الكبرى التي أصيب بها العالم الشيعي كله وفقدانه الثقة بمستقبله بعد أن تمكن شاه إيران البهلوي في عام 1916 من إحكام سيطرته على إيران ووضع كامل الثقافة الشيعيّة تحت تصرفه، وكذلك الأمر مع الحكام ما بعد ثورة العشرين التي فقد بها العراقيون الكثير من طموحاتهم بعد خساراتهم العسكرية التي منوا به أمام البريطانيين وما تلاها من سيطرة شبه كاملة للثقافة السُنيّة على العراق، بل في كل البلدان الأخرى كلبنان والبحرين والسعودية وسوريا واليمن.....

وعندئذ وفي تلك الفترات كان على المجتمع الشيعي أن يتوجه إلى المقولات الغيبية فيما يتعلق بالظهور وعودة أمل الدولة الشيعيّة المستوحاة

من كتب التُراث المتخصص في المهدي وهي محاولة معروفة غايتها تغطية الفشل في التحدي الثقافي مع المنافس الكبير لهم وهي الثقافة السُنيّة القوية. هذا بالإضافة إلى حرب الاستئصال التي كانت تواجهها تفرعات الشيعة (غير الرسمية) مثل العلويين السوريين والأتراك وكذلك الزيديّة والخوارج والإسماعيلية في بقاع الأقطار العربية المتعددة.

كادت الثقافة الشيعة أن تموت في خلال العقد السابع من القرن العشرين بعد أن خبا وهجها وانطفأ نورها، فالتحدي لم يكن له من وجود كما كان في زمن الدول الإسلامية. فقد أصبح من الصعب في ذلك الوقت التحسس بالتحديات بعد أن تقسّم العالم العربي والعالم الإسلامي إلى أمم وأقطار، وأصبح الخبر الذي يحدث في قطر من الأقطار يعاني من مشاكل كبرى في وصوله إلى التجمعات الشيعيّة الأخرى، فإيران مثلا كانت تعتبر لدى العراقيين الشيعة بأنها عالم مختلف كلياً عن واقع التشيّع العراقي وخصوصاً الهم الثقافي، فالقومية هي الهم الأول، ثم الفارق الطبقي والعرقي وما إلى ذلك، كذلك الأمر مع الشيعي اللبناني أو الشيعي البحريني أو الشيعي الأفريقي فقد توجه كل من تلك الأقطار إلى همه اليومي وإلى شكل مواجهته مع النظام الجديد الذي استحكم في شكل السلطة وفي طريقة تحالفاتها مع القوى القديمة وهي ثقافة التسنن.

من خصائص الثقافة الشيعيّة أنها لا تعيش في أوساط ذات حدود جغرافية أو زمانية أو اجتماعية كما هو السمك في الماء الذي يرمي إلى توسيع قدراته من خلال محيط مائي واسع مملوء بالأوكسجين أو من عدمه. وهي بعكس الثقافة السُنيّة التي وجدت لها قدرات أن تعيش في محيط محدود بسبب التجزئيّة التي تمتلكها في تركيبة فلسفتها. . . . . .

فالثقافة السُنيّة تعمل من خلال طريقة إدارتها إلى خلق تنوعات طبقيّة،

وهي طبيعة من طبائع تلك الثقافة وليس أمر مفروض عليها، مثل الخوض في مواضيع: الانفتاح على الحضارات أو الثقافات الفكريّة أو التعلم من الآخرين أو الحوار مع الأفكار المخالفة لأن ذلك كله من المحرمات في تعاليم تلك الثقافة، كذلك أمر التعاليم عن فكرة الجنس أي المرأة والرجل، وفكرة الحر والعبد، وفكرة الكافر والمسلم، وفكرة الفرقة الناجية من الفرقة المحترقة، وفكرة قريش عن غيرها من القبائل، وفكرة القوي عنه من الضعيف، وفكرة الحيازة والسبي والتسري.. هذه الأفكار هي أفكار نبعت من طريقة التكوين السني الثقافي على مدى قرون وربما كما ذكرنا منذ ما قبل عصر قريش حيث صار ذلك هو المسبب الرئيسي في أن يتحول المجتمع إلى طبقات وفئات كما كان سائداً في عصور الدول التي بدأت ما بعد عصر موت النبي وإلى حين سنة 1923 بإلغاء الخلافة الإسلاميّة والابتداء بعصر جديد ليس لتلك التحديدات من وجود في ظل نظام علماني يتساوى فيه الجميع أمام الله وأمام الدولة.

هذه الحالة من التقسيم الاصطناعي المفروض على ثقافة التشيّع أدّى بالنتيجة إلى ما يشبه توزيع تركة الإنسان إلى أقسام صغيرة موزعة على الورثة الذين لم يكتسبوا منها قوة عما كانت كلها بيد مالك أو وريث واحد.... هذا حدث في زمن الحرب الباردة التي استعرت فيما بين الدولتين وراح ضحية ذلك الصراع أمم كثيرة وسقط باستعارها دول ومنظمات، وكان للشيعة النصيب الأكبر في دفع ثمن الانتماء التوحيدي. هذا في الوقت الذي كانت فترة تلك الحرب بمثابة شهر عسل للثقافة السُنيّة بما حققته من انتصارات وتحالفات على مستوى العالم، فهي الثقافة التي تنتعش بالحرب والصراع والتجزئة وتنمو في محيط النزاعات، تماماً عكس ثقافة التشيّع باعتبار أن الأولى قوية والثانية تدفع ثمن ضعفها......

وفي خضم ضغط الأحداث في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كانت المؤشرات تنبئ بمخطط لإبادة الشيعة في العالم يُعدّ له في ليل مظلم وخصوصاً في العراق والخليج كما هي عملية محاولة إبادة الأرمن والأكراد من قبل، وكذلك أمم أخرى في الأرض. . . .

فالشيعة في المنطوق العالمي لم يكن لهم من غطاء دولي، إذ أن عملية استئصالهم سوف تلاقي تجاوباً فيما بين الدول الإسلاميّة ما عدا سوريا آنذاك، وكذلك في منطوق الدول الغربية وخصوصاً تلك المتحالفة مع ثقافة التسنّن بريطانيا. . . . ولا أدري الموقف المرتقب من أمريكا أو العالم الغربي آنذاك. . . . .

وقد يستغرب القارئ اليوم من كلامنا هذا ونحن نطلقه في العقد الثاني من الألفية الثالثة وكأننا نتكلم عن ألف سنة مضت في الوقت الذي ارتكب صدام مجزرة الأنفال[1] ومجزرة حلبجة[2] في نهاية الثمانينيات بحق الأكراد ولم يتم اكتشافهما إلا بالصدفة، فدول العالم الكبرى في ذلك الوقت لم تكن تُعير إهتماماً إلى إفناء هذه الأمّة أو تلك، لأن فناء الأمم في العالم يسير بصورة متصاعدة (160 مليون قتيل) بسبب روح الهمجية التي كان الإنسان يعيشها تجاه أخيه الإنسان.

فقد راهنت قوى التسنّن الثقافي على شخصية صدام (ت 2006) باعتباره الرئيس العربي المسلم الذي يمتلك قدرة الإفناء لمن يُراد التخلص منه، ولما يمتلك من وحشية مفرطة لا تجاريه في ذلك أية شخصية على وجه الأرض حسب اعتقادي، فكان المفترض أن تُعاد قضيّة الهولوكوست ولكن

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Al-Anfal_Campaign.
(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Halabja_chemical_attack.

بشكل آخر، هذا في الوقت الذي كانت قوة الشيعة في ضعفهم وخصوصاً العراقيين منهم، فهم أقرب إلى البداوة منه إلى التحضر....

فقد انتمى معظمهم - جهلاً - إلى حزب صدام ليس توقيّاً منه بل طلباً في قوة وحيازة بدوية، كما دخلت القوى الشيعيّة العراقية المعارضة في طور سبات فلم يستشعر صدام وقتها بخطورة الشيعة حتى حين أن جاء الحدث الأكبر حدث اندلاع الثورة الإيرانية الإسلاميّة في إيران في سنة 1979 عندها تغيّرت المعادلات بل انقلبت الموازين بشكل انتقل التأثير على بقيّة بقاع العالم.

كما دخل عامل آخر أكثر أهمية في بلداننا العربية وهو عامل التوظيف الحكومي الذي لم يكن له من وجود فيما قبل الحرب العالمية الثانية إلّا لفئات محددة من الشعب مثل بعض فصائل المليشيات المسلحة أي الانكشارية أو الدوشرمة أو القريبين من بلاط السلطان فكان التوظيف بمثابة تجيير لسياسة الدولة.... فقد سعت الأنظمة العربية إلى الاهتمام بهذا الجانب وخصوصاً في العراق والسعودية والخليج وسوريا حيث خلقت هذه الطبقة بداية لتشكيل قطاع شعبي لم يكن له من وجود في السابق يدين بالولاء للدولة، كما خلقت في تلك الفترة مؤسسات دينيّة ليست بمنفصلة عن الدولة سُميّت بأسماء متنوعة مثل وزارة الأوقاف أو وزارة الشؤون الدينيّة أو ما إلى ذلك وهؤلاء طبقة أخرى يتم تخريجهم والاهتمام بهم في قيادة المساجد المنتشرة في الدولة ومنع أصوات المعارضة التي ترتفع ضد الموروث أو ضد ممارسات الثقافة السُنيّة التي بنى النظام السياسي شرعيته عليها.

بعد عصر دعوة الأمم المتحدة إلى الانعتاق من الاستعمار في بداية الستينيات من القرن الماضي كان على ثقافة التسنّن أن تبادر إلى اتخاذ خطوتين أولاهما هي التهيؤ إلى الوضع القادم وضع التحرر من الاستعمار،

والثاني هو خلق بؤر صراع من شأنها أن توفر غطاء في التهيئة لممارسات مذابح إضافية إلى القوى المعارضة الشيعيّة مذهبيّاً كانت أم ثقافياً. . . . . فكانت الخطوة الأولى هو التحالف مع قيادات الأنظمة التي تحكم في العصر الاستعماري في سبيل انتشال التحرر من الاستعمار بطريقة أقرب ما تكون عملية انتقال لا عملية مقاومة، فكان في ذلك أن انتقلت السلطة في بعض الدول الإسلاميّة والعربية بطريقة مبرمجة مثل أحداث تونس والمغرب ولبنان والسعودية والأردن حيث قُدّم الاستقلال كما يسمونه على طبق من ذهب لنفس الشخصيات التي كانت تحكم في العصر الاستعماري.

أما الدول التي لم يجد فيها من له القدرة على الاستمرار مثل العراق والجزائر واليمن والصومال ومصر وسوريا وأفغانستان فكان هنالك أزمة عاشتها ثقافة التسنّن في طريقة التعامل مع هذه الأنظمة كان ثمنها المزيد من المذابح الأهلية التي لم تستقر حتى وقتنا الحالي، وذلك بسبب رفض الحكام أن يستوعبوا درس القدرة للثقافة السُنيّة في الاستمرار في علميّة التحالف. . .

فقد دفع العراق ثمناً باهضاً في ثورات دموية كبرى[1]، نفس الشيء حدث في سوريا واليمن وكذلك في الجزائر والصومال يضاف إليها مصر لحد ما ولكن بشكل مختلف[2]. فالمذابح التي مورست في هذه الدول تعتبر

---

(1) حركة رشيد عالي الكيلاني عام 1941، حركة قاسم 1958، حركة البعثيين 1963، حركة القوميين 1963، حركة البعثيين 1968، ثم في نفس السنة 30 تموز، حركة 1979 تولي صدام الحكم.

(2) يتميز مصر من ناحية الواقع الثقافي السني بميزة خاصة أهمها هو وجود الأزهر الذي يعتبر التركيبة الوحيدة في العالم الإسلامي في طبيعة علاقته مع الدولة، وهذا الكيان له سلطة موازية لسلطة الثقافة السُنيّة مع الاختلاف، وغالبا ما تعاني الثقافة السُنيّة من تلك التركيبة بسبب قدرة الاستقلالية التي يمتلكها الأزهر، ولذلك تحذر قوى الثقافة السُنيّة من التحرش بهذه المؤسسة أو منافستها بشيء ما.

الأعنف في العالم الإسلامي مما في أقطار عربية أخرى ربما عقاباً أو صراعاً واقعياً... وبنظرة بسيطة على الأقطار من المجموعة الثانية نلحظ اشتراكها في وجود بذور (لثقافة شيعية) أو تعداد سكاني شيعي.

أما الأقطار المسلمة غير العربية فإن الثقافة السُنيّة تنظر إلى الشيعي العربي بمنظار مختلف عن نظرتها إلى الشيعي غير العربي الإيراني أو الأفغاني أو الأفريقي أو الأذربيجاني..... فالشيعي غير العربي لا يمثل خطراً محسوباً على مسيرة ثقافة التشيّع لأنه مشكوك أصلاً بشرعية انتمائه الإسلامي وذلك بنعته بالفارسية أو الزرادشتية أو المانوية أو غيرها من مصطلحات متباينة، كما أن الحاجز الكبير الذي خلقته تلك الثقافة ما بين العرب وغير العرب كان عميقاً إلى الدرجة التي تقسّمت على أساسها الدول في المنطقة بطريقة دخلت معها في حروب دموية، وهو ذات الأسلوب الذي استعمل في السابق في التفرقة ما بين القيسية واليمانية أو القرشيّة والموالي أو القحطانيين والعدنانيين وهكذا.

فقد انسحب الشيعة غير العرب من عملية المقاربة مع إخوانهم العرب بسبب الحملات من هذا القبيل التي أسستها وروّجت لها الأنظمة فتحول الخليج إلى ساحة صراع بعضهم يسميها شوفيني وبعضهم شعوبي وغيرها من الألفاظ التي روّجت لها الثقافة السُنيّة لكي يبعدوا الشيعة العرب عن الشيعة غير العرب، مع أن عدد القسم الثاني هو أكبر من القسم الأول[1]. فكانت فكرة القومية هي السيف الكبير الذي تبنته الثقافة الدينيّة السُنيّة في

(1) في العراق قُسّم العراقيون إلى قسمين مواطن درجة أولى وهم القادمون من أصول تجنس تركي، ومواطن درجة ثانية لأولئك المنحدرين من غير الأتراك إيرانيين أو باكستانيين أو غيرهم وبقيت هذه الحالة إلى حين عصر التغيير 2003. وكان القسم الأول يمثل الانتماء المذهبي السني، بينما يمثل الثاني الانتماء الشيعي.

إشاعة مفاهيمها التي كانت ترمي إلى توسيع الشرخ مع الشيعة غير العرب. . . . وعلى هذا الأساس تحوّلت إيران إلى دولة معادية للعروبة مع أن الحُكُم اطراداً من المفترض أن ينطبق على تركيا وبقيّة الأقطار الأخرى ولكن مفهوم الأجنبي الأعجمي لا يشير إلّا إلى الإيرانيين كما هو مفهوم الساميّة التي تشمل اليهود بينما العرب أيضا ساميون، ولكن السياسة استثنتهم من قانون معاداة السامية المشهور (Anti-Semitism).

كما سيطرت الثقافة السُنيّة العتيدة على مسيرة التربية وكتب التأريخ، وكان شيخهم الكبير في هذا التوجه هو الباحث ساطع الحصري (ت 1968) الذي وضع أسس التربية وكتب التأريخ للعراق وسوريا واستعارت منه دول المنطقة الكثير من الأفكار تلك. . . . .

فقد صارت الثقافة السُنيّة هي المادة الأساسية التي تُدرّس في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، كما أستهين بدرس الدين أي الثيولوجي بالإضافة إلى التقليل من مواد التأريخ واللغة[1]. وبذلك نشأ جيل لا يعرف تأريخه الصحيح ولا دينه ولا لغته إلّا من خلال النظرة التي تكتنزها الثقافة السُنيّة وهي خطوة هامة كانت تلك الثقافة قد مارستها في طوال قرون وتمكنت فيه من النجاح باتجاه إلغاء مشاركة المجتمع في الحياة السياسيّة والفكرية. . . . . .

بالمقابل كان يقف أمام هذه الخطوة ثقافة التشيّع التي كانت تقاوم ذلك بطريق أو بآخر لا من خلال نشر أفكار التشيّع كرد بديل، بل إشاعة مفاهيم

(1) في الدول المتقدمة تعتبر مادة التأريخ واللغة والدين مواد مهمة تلازم الطالب في معظم مراحل دراسته منذ الابتدائية، مع أن تلك الدول تلتزم التعليم العلماني أي حضر تدريس تعاليم الدين في المدارس وإنّما الذي يقدم في مادة (الثيولوجي) أي علم الأديان هو تأريخ الدين ومقارنته مع الأديان الأخرى، وطبيعة انتشار تلك الديانة في العالم.

الإنسان العامة مثل الحرية الفكريّة والحرية الشخصية والتعمق بالبحث ومراجعة تراث الماضي والميل إلى حكومات شعبية وإعادة حقوق المواطن وتحديد سلطة الدولة. فكانت تلك الأفكار تنشر من قبل رواد الثقافة الشيعيّة على شكل ممارسة وفكر، فكانت بذلك قد اتخذت موقف الثقافة المناوئة التي على أساسها تمّ تصنيف التشيّع على أنه عامل خطر على مسيرة الثقافة السُنيّة التي لا يعلن عن اسمها بل يقال بدلاً منها بأنها أفكار ضد الدين أو ضد القومية أو ضد الوطنية.

كما أوقفت الثقافة السُنيّة حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية ومنعت المجتمع من تعلّم اللغات العالمية خصوصاً اللغات الشرقية مثل الفارسية والتركية والأفغانية والعبرية بحجة إنه لمن الأجدر لتلك الأمم أن تتعلم من العرب لا العكس... فلم يترجم كتاب واحد من الأدب الفارسي أو التركي أو الروسي أو بقيّة الشعوب التي تضم مسلمين في بلدانها، وقد تمّ من خلال ذلك عزل الشعوب العربية عن الشعوب المسلمة الأخرى، كل ذلك خوفاً من أن تستفيق الأمّة العربية عن واقع تمّ بناؤه على أسس تجزيئية غير صحيحة.....

كما فتحت الجامعات الخاصة التي تدرّس فقط توجه الثقافة السُنيّة مثل جامعات السعودية وجامعات العراق الخاصة وجامعات شمال أفريقيا وهكذا، كما توجّه البحث في تلك المراكز إلى اجترار الماضي وإلى تعميق أسس الاختلاف مع الآخرين من أجل خلق حواجز فكريّة مع العقائد والتوجهات الأخرى، كما حوربت الأفكار التي تخالف الثقافة السُنيّة واتهامها بالكفر بل أصدر على البعض من رواد تلك الأفكار أحكام بالقتل[1].

(1) في الستينيات من القرن الماضي أصدر كاتب سعودي كتاب يوثّق إيمان عم النبي أبو طالب =

كما تمّ حظر التعامل مع الفلسفة وعلم المنطق وعلم الأديان بدرجة من التردد والخوف وهو المبدأ الذي أدّى إلى تأخّر واقع المجتمعات العربية كلها بشكل تسجله الهيئات العالمية خصوصاً تقرير التنمية البشرية الألفية الذي أصدرته الأمم المتحدة لكي تكون الأقطار العربية في قعر قائمة الدول التي تقرأ أو تترجم أو تؤلف[1].

تقسيمات: كان من أهم ما انتجته الثقافة السُنيّة في خلال تلك الفترة (ما بعد الحرب العالمية الثانية) هو تشتيت المجتمعات العربية ليس فقط على مستوى الدول بل في داخل الدولة الواحدة والمدينة الواحدة وذلك من خلال خلق بؤر أزمات وصراعات وكان للنصيب الاقتصادي الحظ الأوفر في تنامي طبقات اقتصادية متمولة على حساب طبقات مسحوقة كبرى، فلقد كان النفط ومصادر الطاقة سلاح كبير وصل إلى يد الثقافة السُنيّة من خلال الدول التي التي تمّ عقد التحالفات مع الحُكُم وخصوصاً دول الخليج والعراق والجزائر والتي من خلالها كان لهذه الثروة أن تتمكن من السيطرة على مسيرة المجتمعات الفكريّة بإشاعة فكر الثقافة السُنيّة في العالم أجمع. . . . .

كما في نفس الوقت تمكن ذلك المال من أن يغيّر من طبقات المجتمع وتركيبتها فانتقلت القوة في القرن العشرين وما بعد الحرب العالمية الثانية إلى أمراء النفط وتمكنوا من إعادة التحالفات السابقة الدينيّة الاقتصادية ثم

= مما حدى بالسلطات السعودية إلى إصدار حكم قطع الرأس عليه إلى أن تدخلت الدول العالمية فتم تخفيف الحُكُم عليه بنفيه إلى العراق.

(1) http//:www.undp.org/content/dam/undp/library/corporate/UNDP-in-action2012/Arabic/UNDP-AnnualReport-ARABIC.pdf... Also see: http//:www.un.org/ar/esa/hdr/pdf/hrd13/complete.pdf.

تغيير واقع الدول العربية تبعاً لقوة المال وقوة النفط كما حدث تقريباً في كل الأقطار العربية ولكن أوضح مثال لها هو لبنان والعراق وليبيا والجزائر.

أما الثقافة الشيعيّة وأمام مسلسل المال النفطي فإنها لم تقف موقف المواجهة كما ذكرنا، بل أنها كانت تدعو إلى سياسة التوزيع العادل لتلك الثروة ليس بلحاظ شيعية الفكرة بل بلحاظ إنسانيتها وأهميتها من الناحية الوطنية، فربما كانت ثورة مصدق (ت 1967) الشعبية[1] خير دليل على تفسير المعنى، كذلك الأمر في أحداث المناطق الشرقية في السعودية على مدى انتفاضات القرن الماضي[2]. كذلك الأمر في انتفاضات البحرين[3].... نفس الشيء تجده في العراق وخاصة مقتل عبد الكريم قاسم (ت 1963)[4] وفيما يتعلق بقانون رقم 80[5].

(1) انطلقت بقيادة رئيس الوزراء مصدق في عام 1953 من أجل إزالة إحتكار النفط إلى الشركة المشتركة الإيرانية الأنجليزية (AIOC) ولكن البريطانيين زوّروا انتخابات مجلس الشورى وتمكنوا من طرده ومن ثم قيادة انقلاب أمريكي لإعادة الشاه بقيادة كيرمت روزفلت حفيد الرئيس روزفلت، وقد تمّ ذلك بعملية خططت لها المخابرات الأمريكية سموها (عملية أجاكس). في ذلك الوقت كان الصراع الأمريكي البريطاني على أوجه من أجل الحصول على الطاقة. أنظر المصدر التالي:

Jeffery T. Richelson: A Century of Spies: Intelligence in the Twentieth Century. Oxford University Press. 249 صفحة ISBN 0-520-25328-0.

(2) Jones, Toby Craig (2010). Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia. President and Fellows of Harvard College. p. 201. ISBN 978-0-674-04985-7.

(3) http//:en.wikipedia.org/wiki/1990s_uprising_in_Bahrain.

(4) عبد الكريم قاسم (ت 1963) شخصية مثيرة للجدل تولى أول رئاسة للجمهورية بعد إسقاط الملكية وهو شيعي الثقافة سني المذهب، مع أن البعض يرى بأنه شيعي المذهب أيضاً.... حاول نقل العراق إلى مصافي الدول المتقدمة ولكن أعمدة الثقافة السُنيّة عاجلوه فقتلوه بطريقة غاية في الوحشية.

(5) Metz, Helen Chapin, ed. (1988). "The Turkish Petroleum Company". Iraq: A Country Study.

وكذلك الجزائر[1] في مسلسل المطالبة بحق المواطن من النفط. وربما أفضل من تناول الموضوع هو البحاثة حنا بطاطو (ت 2000) في كتابه القيّم: الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية الحديثة في العراق، الذي نشر عام 1978. والذي في الواقع تنطبق الكثير من رؤياه على العالم العربي وليس فقط على العراق.

ووفقا لتلك الطبقيّة التي خلقتها ظاهرة الثروة النفطية في العالم العربي وتمكن الثقافة السُنيّة من الاستفادة من قوتها تقسّم المجتمع ثانية وانحسرت بذلك الكثير من التقسيمات التي كانت سائدة خصوصاً القبليّة والعشائرية والمناطقية. ولكن تلك التقسيمات بقيت كما هي في المناطق الجغرافية التي يقطنها الشيعة أو المهمّشين وسببه هو استثناء تلك الطبقات من حصتهم من عائدات الثروة النفطية، حيث انتبهت بعض الدول مؤخراً إلى هذه الظاهرة وخصوصاً دول الخليج ما عدا البحرين والعراق وتمكنت تلك الدول اليقظة من شمول الشيعة في بعض ما يدره النفط على الفرد المواطن. . . . . بقي العراق وربما البحرين لحد ما بعيد عن معادلة التقسيم حيث استعرت فيه وكما نعرف أعنف ثورات شهدتها المنطقة، كما أن هذين القطرين كان لهما نصيب كبير في تخريج عدد كبير من الثوار والمفكرين ذو الثقافة الشيعية.

أما عُمان فإنها غيّرت من سياستها في أعقاب بداية الثمانينيات وسلكت مسلكاً معتدلاً بعدما اكتشفت حكومتها (الأباضية) المذهب بأنها لا تُستثنى من محاربة الثقافة السُنيّة لها وعليه فإنهم تفهموا الموقف الشيعي الثقافي وتعاملوا مع تلك الثقافة ليس بنفَس الإقصاء وإنّما بذات النَفَس الوطني العام

(1) Prochaska, David. "That Was Then, This Is Now: The Battle of Algiers and After.". p. 141.

مع أن نسبتهم لا تتجاوز 10% على أعلى التقادير. ولكن بالرغم من ضآلة عددهم فإن ثقافتهم في المسامحة والفكر والعلم والانفتاح هي السائدة على بقيّة ثقافات التجمعات الأخرى حتى الأباضية الذين يُعتبرون أصحاب ثقافة شيعية.....

وللأمانة نقول بأن الكويت كانت هي الرائدة في رفع حواجز الطبقية ما بين سكانها[1] ولكن الإمارات وقطر لازالتا تتطلبان المزيد من العمل على هذا الجانب.....

لعله ليس من الصعب لنا اكتشاف حالة الطبقية من الفقر التي يعيشها الشيعة في المناطق التي تعمل بها الثقافة السُنيّة باتجاه تهميش الثقافات المناوئة لها خصوصاً في العراق والبحرين. وهؤلاء هم الطبقة التي تعيش هاجس الثورات والانتفاضات ربما ليس من أجل التمذهب وإنّما من أجل مقاسمة الثروة.

أما لبنان فإنها بعد أن كان التشيّع يمثل الأقليّة في بداية القرن العشرين أصبح اليوم هو الطبقة الأكبر فيما بين المكونات الكبرى الثلاث، حدث ذلك في وقت تغيير الشكل الإقطاعي السابق الذي كان يسيطر على الشيعة إلى الشكل الجديد الحزبي الطائفي الذي صار اليوم يمثله في البرلمان قوى شيعية كانت حتى الوقت القريب مهمشة من قبل القوى السُنيّة القوية، وكان الشيعي مواطن درجة أدنى وهذا ما سبب في خلق مشاكل كبرى للمنطقة جاء بسبب ردود الفعل للاضطهاد الذي تعرض له الشيعة على يد السنة على مدى ربما أكثر من ألف سنة، وربما نستشهد بأكبر حادثتين وهما مقتل الشهيد

(1) قاد الشيعة الكويتيون عبء المقاومة المسلحة التي شكّلوها بعد أن استباح صدام الكويت في اغسطس 1990 وساعدهم في ذلك الشيعة العراقيون الفارون من العراق وتمكنوا من تشكيل قوة لا يُستهان بها في ضرب مؤخرة القوى العراقية التي عاثت فساداً في الكويت.

الأول العاملي (ت 786/ 1383 م) على يد علماء الثقافة السُنيّة بعد صلبه وحرقه، والشهيد الثاني الجبعي (ت 965/ 1557 م) وكذلك مذابح جمال باشا الجزار في عام 922/ 1922 م. . . . .

الشيء الملاحظ في لبنان هو وضوح الحدود الفاصلة لكلتي الثقافتين السُنيّة والشيعية. . . . فالقوى التي تُسمّى الوطنية بغض النظر عن انتمائها المذهبي فهي صاحبة الثقافة الشيعيّة كذلك الأمر بالمقابل ينطبق على القوى التي تُسمّى اليمينية فهي القوى التي تميل إلى العنف والقتل وحيازة الآخر، فقد يمكن لنا ملاحظة التحالفات من كلي الفريقين اللذين يمثلهما اليوم قوى 14 آذار و8 آذار حيث دخلت كلتي الثقافتين في صراع دامٍ وبشكل ملفت للنظر يمكن من خلاله معرفة أو قراءة كلتي الثقافتين من خلال الممارسة اليومية والسياسية لكلي المعسكرين[1].

فالثقافتان تحولتا في لبنان إلى (حالة Status) مما يسمح برؤيتها بكل وضوح وذلك بسبب الحرية الاجتماعية والسياسية التي تسود لبنان وهو البلد الوحيد في العالم بل ربما في التأريخ الشيعي أن يمتلك الشيعة حرية ثقافتهم الفكريّة والسياسية والاجتماعية بالصورة التي جعلت منهم قوى كبيرة وقدرة هائلة على مستوى المنطقة بل على مستوى العالم بحيث أن الكثير من المحللين السياسيين يرى بأن الصراع السوري الدموي الذي يعيشه ذلك القطر منذ عام 2011 سببه هو التخلص من الشيعة اللبنانيين بطريقة المذابح

(1) يمثل تيار المستقبل المسمى تيار 14 آذار الذي يضم معه المحافظين اليمينيين من تيار المارونيين الذين قادوا الحرب الأهلية الدموية اللبنانية سنة 1975 مع التيار الديني السني المتزمت والمحافظ بالإضافة إلى التيار السلفي المتسنن، كذلك يضم الشيعة من أقصى اليمين من جانب. . . . ويمثل تيار 8 آذار حزب الله وحركة أمل والمارونيين تيار الوسط العوني مع بقيّة القوى الفلسطينية والتقدمية والثورية وبقايا المذاهب الصغيرة المهمشة والسنة الوطنيين وطوائف المسيحيين الصغيرة جهة ثقافية أخرى مناوئة.

الجماعية التي تعدّها أقطاب الثقافة السُنيّة في المنطقة والتي تعتبر السعودية هي المايسترو لتنفيذ ذلك يشاركها الأردن وبعض دول الشمال الأفريقي العربية مثل مصر وليبيا (فيما سبق) وقبل أحداث الربيع العربي.

فالقدرة الهائلة التي تمتلكها الثقافة الشيعيّة المتمثلة بالقوى الوطنية والفلسطينية والقوى الدينيّة التي لا تعترف بالعنف طريقاً لنشر أفكارها، هذا بالإضافة إلى السنة ذو الثقافة الشيعيّة من كل أقطار العالم العربي أصبحت اليوم عبئاً كبيراً مُهدداً للثقافة السُنيّة التي بدأت عوامل الشيخوخة تنخر في كيانها وفي أدائها. وهذه القدرة ربما كانت هي السبب الرئيس لتغيرات المنطقة ومساومات الحرب وخصوصاً في العراق والبحرين واليمن وسوريا الآن، كما أنها كانت من أهم عوامل انتشار ثقافة التشيّع التي نرتأي بأنها كانت السبب المباشر في تفجير أحداث الربيع العربي في عام 2011[1].

(1) ثورات الربيع العربي، النظر من الداخل الثقافي، وعامل ثقافة التشيع، صلاح شبر، المصدر السابق.

الفصل العشرون

إذن ماذا يصح أن يتم التعامل مع ثقافة التشيّع والشيعة...؟

أين المشكلة في التشيع. .؟

وأين مشكلة الثقافة الشيعية. .؟

هل هو الانتماء إلى آل البيت. . آل الرسول. .؟

وهل أن التشيّع يُعتبر فكراً مُزندقاً أو يهودياً بحيث أن وجوده داخل الإطار الإسلامي سيدمر الإسلام عقائدياً من الداخل. . .؟

وهل أن الحرب ضد التشيّع هي حرب فكريّة. . . أم سياسية. .؟ أم ماذا. .؟

أو أنها حرب وجود. .؟

لنقرب المثال أكثر إلى واقع حي. . تلك هي طريقة تعامل الكاثوليك مع اليهود. . . . . فالكاثوليك يمثلون في المسيحية كما السنة في الإسلام من ناحية الأكثرية أو القوة الدولية التي تتحرك فيها. بالمقابل هنالك أكثر من مذهب مسيحي في العالم[1]. . . . . والكاثوليكية تعتبر كل تلك

---

(1) عدد المذاهب المسيحية في العالم هي تقريباً 41 ألف مذهب، فكل كنيسة تعتبر ذات فكرة مذهبية تختلف في شكل ارتباطها بالديانة المسيحية وتفسيرها للإنجيل عن الأخرى، ولذلك =

المذاهب بأنها ليست مسيحية بل أخذت من المسيحية أو فيها شيء من المسيحية. أما اليهود بالنسبة إلى الكاثوليك فإنهم العدو الأكبر لهم، مع أن اليهود ليسوا ممن نافس المسيحيين في الاستيلاء على الدول التي أقامها المسيحيون أو السيطرة على الحكم، فأعداد اليهود في العالم دوماً في تناقص باعتبار أن اليهودية دين غير توسعي.. فأين إذن يكمن السر في محاربة اليهود، مع أن اليهود يعتبرون أن المسيح يهودي الدين، وأن الديانة المسيحية جاء بها تزويراً حواريو المسيح وكذلك السلطة السياسية.

مشكلة معاداة اليهودية هو الحرب الثقافيّة وليس الدينية، فاليهود تمكنوا من أن يحكموا سيطرتهم العلميّة والاقتصادية والفكرية على واقع العالم، وهذه القدرة اليهودية هي عبارة عن ثقافة كبرى أدت بالكثير من مسيحيي العالم إلى ترك الكنيسة والتوجه إلى أفكار شتى تبدأ من الإلحادية إلى اللاأدريّة إلى فكرة الدين المدني[1] وغيرها...... ويرون في ذلك بأن التأثير اليهودي هو الذي سببّ - بصورة غير مباشرة - في تفرعات المذاهب المسيحية بذلك العدد من الضخامة، هذا في الوقت الذي بقي الدين اليهودي قوي الجانب مصون الحدود عصي عن التبرعم المذهبي كما هي المسيحية.

تُحمّل الكاثوليكية اليهود مأساة ضعف الديانة المسيحية، وانحسار معتنقيها بين أمم الأرض، كما تحمّلها مأساة المذابح التي تُرتكب في العالم من حروب وإلحاد ومذابح وانحراف وصراع سياسي بين دول العالم....

= تعتبر كل كنيسة مكوناً فكرياً دينياً مختلفاً في الكثير من تفسيراته إلى الدين والى الإنجيل والعقائد الأخرى التي تخص المسيحيين.

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/American_civil_religion.

كيف نفسر ذلك وما هو دور اليهود المباشر في كل الخسارات التي مُنيّت بها المسيحية. . .؟ الخسارات أعني بها هو ابتعاد المجتمع عن الالتزام بالدين المسيحي بالإضافة إلى خسارة العالم المسيحي لأجزاء كثيرة منها أفريقيا وآسيا وغيرها ثم سقوط الدولة الرومانية ومن بعدها البيزنطينية وما إلى ذلك. . .

فعندما نوجه السؤال إلى المسيحي عن الدور المباشر لليهود في كل ذلك ترى إجابتهم تتبلور في القول بأن الأجواء والأفكار التي كان اليهود يدعون إليها كانت حافزاً إلى الناس في الابتعاد عن المسيحية. . . . أي بمعنى آخر هو فتح طريق من قبل اليهود إلى المجتمعات المسيحية في تبنيها خيارات بديلة للخيار الديني المسيحي وهو ما سبّبّ بالتالي إلى ضعف العالم المسيحي.

وعلى ضوء ذلك صار قرار التخلص من اليهود أمراً بدأ منذ بدايات الدولة الرومانية قبل اعتناقها المسيحية، وكذلك بعدها، واستمر حتى العصر الحديث فيما بعد الحرب العالمية الثانية إذ قرر هتلر إبادتهم. . . . والحقيقة أن قرار هتلر لم يكن نابعاً بالدرجة الأولى من عندياته بل كانت الكاثوليكية تقف خلفه[1] بصورة غير مباشرة. . . . . وليس ذلك فقط، بل أن محاربة اليهود كان قد بدأ منذ 1250 سنة قبل الميلاد في أيام الخروج من مصر إلى سيناء. فقد تمّ تقريباً إبادة الكثير من يهود أوروبا ومن ضمنها روسيا تحت مرأى ومسمع كل العالم.

ولنقرّب المثال إلى واقعنا وصراع الثقافتين السُنيّة والشيعية. . . . . فالثقافة السُنيّة ترى في التشيّع الثقافي خطراً داخلياً مستمراً مهدداً لها في كل

(1) Berenbaum, Michael: Anti-Semitism. Encyclopaedia Britanica.

ما تمتلكه من قوة وما تمتلكه من تراثيات فكرية، فهو ليس صراع على حكم بالدرجة الأولى لأن الثقافة الشيعيّة لا تحمل في أدبيّاتها وتشريعها ما يسمح لها في إقامة دولة (دينية)، بل يسمح فقط بدولة (مدنية) وكلاهما يعتبر في عرف الثقافة المناوئة (السنيّة) أمر له تبعاته السلبية الكبرى عليها في استمرار سيطرتها على الدول الإسلامية.. هذا أولاً.

أما من الناحية الثانية فإن البغض المستمر والتحسس من التشيّع هو قديم بقدم الإسلام.... فقد بُنيت كل التراثيات على أساس مقاومة الأفكار الشيعيّة والتي أحياناً لا تذكر كما هي، بل يذكر أسم التشيّع ضمن مفاهيم أخرى، ولكن في العموم فإن الخطر الذي تتحسسه الثقافة السُنيّة من التشيّع لا يمكن إزالته من أذهان الجميع لأنه يطغى على كل تشريع أو حادثة تأريخية أو رواية أو حديث نبوي أو موقف قرآني أو ما إلى ذلك....

فالثقافة السُنيّة مبنية بالأساس على فكرة التخلص من الشيعة..... فمعظم من ناقش الوضع الإسلامي لا يمكن له أن يخطأ في القول بأن مشكلة المسلمين أو مستقبل الثقافة السُنيّة مرتهن باليهود والشيعة باعتبار أن اليهود هم عدو خارجي، والشيعة عامل داخلي، وأن الأخير هو أخطر من قرينه الخارجي.

علينا أن نعترف بأمانه بأن معظم المناوئين أو الداعين إلى إبادة الشيعة من الجسم الإسلامي هم من تمّ تعبئتهم من قبل الأدبيّات والثقافات التي تديرها مؤسسات الثقافة السنية، وهذا يعني بأن موقف إبادة الشيعة الذي يتبناه معظم عوام السنة لم يكن منطلقاً من فهم واعٍ وإدراك ومعرفة، وإنّما هي تعبئة عاطفية ليس لها من أساس فكري. أماً إذا تحدثنا عن أعمدة ومفكري الثقافة السُنيّة تلك التي تخطط لسياسة الاستئصال فإنهم كانوا قد استوعبوا خطر التشيّع على ثقافتهم بسبب واقع سيطرتهم على القوة السياسيّة

وأبعادها بصورة فكريّة وليست انفعالية أو تأثيرية. . . . ولكن الشيء الغريب الملاحظ والجدير بالدراسة المعمقة هو ظاهرة طردية سطوع الفكر الشيعي بازدياد الضغوط التي تسلطها الثقافة السُنيّة على الثقافة الشيعيّة في العالم، وربما مرد ذلك هو الفعل الجماهيري في البحث عن السؤال الكبير في أسباب التخلف الذي ينخر بالمسلمين ودولهم ومجتمعاتهم. . . .

فليس هنالك من أداة جامعة للمسلمين أكثر من طروحات ذلك السؤال المُحيّر الكبير الذي يقضّ مضجعهم والذي يتكرر لقرون من الزمن ذلك هو: أين الخطأ. . .؟ وأين هي المشكلة الكبرى التي أدت بالعالم الإسلامي أن يصل إلى أعمق درجات التخلف والانحطاط على شتى المجالات. . . . .؟

فبالقدر الذي يتكرر مسؤولية إلقاء تبعية ذلك التأخّر على الشيعة من قبل ثقافة التسنّن كلما ترى النتيجة معاكسة من قبل المسلمين في اللجوء إلى دراسة ثقافة التشيع. . . . . وبالمقابل لجوء أعداد كبيرة في التحوّل إلى جانب هذه الثقافة[1]. فقد خلت المكتبات الإسلاميّة من كتب الشيعة بعد أن انهال عليها المسلمون لمعرفة أسس التشيّع خصوصاً في بلدان تتمتع بحرية نسبية مثل مصر واليمن وشمال أفريقيا وغيرها من البلدان التي عجزت دور النشر فيها عن مواكبة الطلب على الكتاب الشيعي من قبل عوام المسلمين.

انهيار ثقافي: لعله من البديهي أن نلحظ بأن المواقع السُنيّة الثقافيّة بدأت تنهار أمام زحف الفكر الشيعي (الثقافي) وهذا تجده على مستوى

---

(1) أقرب ثلاث شواهد هي: تصريح العاهل الأردني فيما أطلق عليها نظرية الهلال الشيعي عام 2004، وتصريح الرئيس مبارك في عام 2006، ثم مقتل العالم الشهيد حسن شحاتة في عام 2013.

البحوث والجامعات وعلى مستوى الحوارات الفكريّة وكذلك في النشر والطبع وغيرها. . . . فلم يعد للثقافة السُنيّة هنالك من شيء جديد تقدمه إلى المسلمين، بل كل ما تقوم به في هذا الوقت هو إعادة طباعة الفكر القديم في حُلّة جديدة أو تحقيق جديد، وهو أمر طبيعي لثقافة أغلقت على حالها باب البحث والاجتهاد منذ عشرة قرون فصارت حبيسة فكر من الصعوبة له أن يضارع فكر الثقافة الشيعيّة الذي تعامل مع مفاهيم (الاجتهاد) (والبحث) كأساس مهم من أسس القدرة الإنسانية ليس بلحاظ الفكر الشيعي، بل بلحاظ أفكار الإنسانية كلها من خلال الخروج من أطر (الدين) إلى أطر (الثقافة) باعتبار أن التشيّع ثقافة فكريّة جامعة لكل الناس وليس للمسلمين فحسب، كما أنه ليس إطاراً دينياً أو مذهبياً، بل هو (طريقة) لفهم الحياة.

بنت الثقافة السُنيّة مبررات مشروعها في إبادة الشيعة على وقائع سياسية وليست إيديولوجية مع عمل دؤوب تقوده السلطات، ولكنها بدأت تخطط بشكل منظم (Systematic) بعد عام 1979 أي بعد أحداث الثورة الإيرانية معتمدة على ثوابت تأريخية تمس مشاعر المسلم والتي كانت تتبلور في توجيه السؤال التالي:

من فعل ذلك بنا. . ؟
من سبّبَ في تأخّر العقل العربي المسلم. . . ؟
من سبّبَ في واقع التخلف الاقتصادي والعلمي. . . ؟
من سبّبَ في ضعف المسلمين إلى هذا النوع من الذل والهوان. . ؟
من سبّبَ في انهيار النظام وكيان الدولة. . ؟
ومن كان وراء إشاعة الديكتاتوريات العمياء في دولنا. . . ؟
من سبّبَ في إشاعة الأمراض النفسية المرضية. . . ؟
ومن أشاع الإرهاب الوحشي في نفوسنا. . . ؟

من سبب كل ذلك لنا في الوقت الذي نرى بالمقابل دول أخرى كانت لحد الأمس القريب دولاً متأخرة، وإذا بها اليوم في قمة عنفوانها وقدراتها كهولندا أو ماليزيا أو كوريا واليابان وحتى دول أفريقيّة كانت بالأمس مصائد لعبيدنا وإذا بها اليوم تتحول إلى قوة في العلم وفي المعرفة وفي احترام كيان الإنسان.

كان الناس يشاركون بعضهم البعض في السؤال عن تلك الأسئلة التي لا يجد فيها من له الإجابة الشافية عنها...... فقد أشاعت الثقافة السُنيّة في القرون ما بعد السابع الهجري بأن أصل المشكلة هم (المغول) الذين دخلوا بلداننا وأسقطوا الدولة العباسيّة أي دولة الخلافة، وأن الشيعة كانوا هم وراء إسقاطها من خلال الوزير ابن العلقمي (ت 1258)..... فقد كان الرد على ذلك الاستنتاج هو أن الجماهير المسلمة قد شاهدت بأن النهضة الإسلاميّة قد أحرزت أرفع درجات تقدمها العلمي والإداري بعد عصر المغول مباشرة، بل أن المغول أنفسهم دخلوا في الإسلام فزادوه قوة إلى قوة، وتحول الفكر الإسلامي بجانبيه السني والشيعي إلى واقع ملموس كان أفضل كثيراً مما كان قبله.

فالدولة العباسيّة كانت دولة ديكتاتورية عمياء يحكمها قتلة مجرمون ويتحكم بها عصابات متحالفة مع ثقافة التسنن، فكان لهم أن يُحشدّوا المسلمين إلى توجيه أصابع التهمة إلى التشيّع وإلى ثقافته من خلال شخص واحد يقال بأنه شيعي وهو ابن العلقمي، وهي محاولة غير موفقة من أجل التنصل من مسؤولية دور القيادات السُنيّة الثقافيّة في الوصول إلى تلك الهزيمة المروعة ثم الانحدار الاجتماعي العارم.....

إنه لمن السهل على الإنسان أي إنسان في أن يُلقي بتبعات عمله وفشله على الآخرين، بل هي سياسة ذكية في التحلّلّ من ألم النفس أولاً ومن لوم

الآخرين وغيرها، ولذلك فلم نشهد في التقييم التأريخي أن بادر شخصية من شخصيات الثقافة السُنيّة في الاعتراف بواقع الانهيار أمام المغول[1].

كما حاول البعض أن يلقي بتبعات مشكلة التخلف في العالم الإسلامي على الأتراك باعتبارهم شعب تمكن من تسخير الإسلام بأسوء ما يمكن استعماله فغضب الله علينا وأدى بنا إلى الحالة التي وصلنا إليها. . . . ومن الطريف أن تجد ذات الشيء في هذه المقولة لدى الأتراك الذين ما فتئوا يُصرّحون بأن تخلّصنا من العرب أو المسلمين هو الذي دفع بنا في أن نكون الدولة الحادية عشر عالمياً بعد أن كنا في القعر في تسلسل التقدم الحضاري.

وليس ذلك فقط، بل تجد ذلك مطبّقاً لدى الأمم الأخرى التي خرجت من ربقة الماضي الإسلامي العربي كالفرس الإيرانيين والبوسنيين والماليزيين وغيرهم من الشعوب التي ارتقت في طبيعة كيانها إلى الدرجة التي وصلت إلى مرحلة كبرى في طبيعة الحُكُم أو طبيعة الثقافة. . . . ولكن الثقافة السُنيّة تدّعي في هذا المعرض بأن الأعاجم (غير العرب) كانوا قد حطّموا الإسلام وحطموا العروبة كمخطط بيّتوه منذ الأيام الأولى لسيطرة الخلافة الراشدة أو الأمويّة عليهم وهم الآن يثأرون لما أصابهم في الماضي. . . . . ولكن كل

(1) كل الأمم تستجيب إلى لحظات المحن أو الخسارات التي تمر بها من خلال توثيقها ومكاشفة نفسها وشعبها بما جرى إلاّ الثقافة البدويّة وتفرعاتها فإنها تعتبر الخطأ أمر مخيف بسبب فقدانها للشعور بالأمان واعتقادها بكره المجتمع لهم. لذلك لم نجد في كل التأريخ الذي كتبته ثقافة التسنّن من كاتب واحد ناقش أو اعترف بخطأ سلوك أو خسارة في حرب أو ضعف في مواجهة. وعندما خسر صدام في حرب الكويت عام 1991 وتوقيعه معاهدة الذل في خيمة صفوان رجع قادته وهم يهللون بالنصر على أمريكا، وأعلنت في ذلك اليوم شعارات الانتصار فصدّقهم المجتمع وهلل معهم في ذلك النصر المزعوم. وقد تجد الشيء ذاته في واقعة كربلاء بعد أن تزيّنت الشام بدخول سبايا بنات النبي إلى دمشق ابتهاجاً بالنصر الذي اعتبروه عملاً بطولياً.

ذلك لم يصمد أمام حالة الخذلان التي أصيبت بها تلك الثقافة وما وصلت إليه من التأخر، في الوقت الذي نرى بأن مسيرة الثقافة الشيعيّة المتعلقة بجانب العلم والبحث والتغيير السلمي أصبحت الآن هي الأدوات التي تمكّنت بها تلك الدول غير العربية المسلمة من أن تُعيد بها بناءها وفلسفتها ونظرتها إلى أحداث العالم.

كذلك رفعت الثقافة السُنيّة مقولة عداوة الغرب الصليبية وبأنها كانت هي الفكرة التي حطّمت الروابط الإسلاميّة من خلال خلق عداوات بين المسلم العربي مع المسلم التركي أو الإيراني أو الماليزي وغيرها، وألقت بأسباب ذلك إلى واقع السيطرة الأوروبية على دول المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى وأن الغرب كان هو المصدر الأساسي للفكرة القومية التي حطمت اللحمة مع الآخرين من القوميات. . . . بالتأكيد ذلك التبرير له ما ينسفه من خلال الفترة القصيرة التي سيطرت بها الدول الغربية على الدول العربية وهي في معظمها لا تتجاوز ربما نصف قرن مقارنة بتبعيّة هذه البلدان إلى الآخرين من الأتراك أربعة قرون والمغول ثلاثة قرون والإيرانيين قرن أو أكثر والمماليك قرن ونصف والسلاجقة قرن تقريباً وهكذا. . . كما في نفس الوقت كان لتأثير سيطرة دول الغرب على واقع الدول الأخرى عاملاً إيجابياً كبيراً في نهضتها كما هي اليابان وجنوب أفريقيا وكوريا وأندونيسيا وشعوب كثيرة. فليس بالضرورة أن تتحول الدول المستعمرة إلى كيان بائس، بل العكس هو ما حدث في الكثير من دول العالم التي كانت تحمل معاني الثقافة المتطورة.

هنا لا بأس في أن نشير إلى الفرق مثلاً بين عدن وبين سنغافورا أو هونغ كونغ كلاهما كان مستعمرة بريطانية ولكن انظر الفرق فيما بين هذه الدولة العربية ونظيراتهما الأخريتين، وهذا يُقدّم دليل على أن التخلف في البلدان العربية أو التي كانت الثقافة السُنيّة تحكمها كان قبل دخول المستعمر بقرون،

ولم تتمكن الدول الغربية أثناء دخولها البلدان العربية من أن تنهض بواقعها فتركتها تواجه مصيرها بنفسها. . . ولكن الثقافة السُنيّة لا تقبل بهذا التحليل بل تؤكد بأن الاستعمار وطريقة استعماره إلى الدول العربية والإسلامية كان عاملاً مباشراً في التأخّر وخصوصاً بعد ظهور مصطلح الامبريالية الذي أصبح كما تدّعي تلك الثقافة بأنه العامل الحاسم في تأخّر دولنا وهذا متبلور الآن في كيان أمريكا التي تُعتبر الدولة التي تساند أعداء الإسلام.

وبعد عام 1948 وأمام الخسارة الكبرى للعرب في مواجهة اليهود في فلسطين كان أمام الثقافة السُنيّة التي كانت المتحكمة بالدول العربية أن تلقي بتبعات التأخّر على العامل (اليهودي) وهو العامل الذي من السهولة أن يجد له قبولاً لدى الشعوب العربية باعتبار أن العداء ما بين اليهود والمسلمين هو عداء تأريخي قديم، حيث استفادت الثقافة السُنيّة بشكل كبير من ظاهرة وجود اليهود في فلسطين فكانت هذه التهمة عبارة عن مكب (Dumping Yard) يمكن لتلك الثقافة أن تلقي بتبعات الفشل في عملها على العامل اليهودي. . . هذا في الوقت الذي كانت تشيع تلك الثقافة بأن اليهود هم قوم لهم (حصانة ربانية) ومن الصعب مقاومتهم أو مصارعتهم أو الدخول في حرب معهم وهو ما فسح المجال أمام الكثير من التبريرات والممارسات في إلقاء تبعاتها على اليهود خصوصاً موضوع ارتكاب مذابح ضد أعدائهم من ثقافة التشيع. . . . . فقد أصبح هذا التفسير من التفسيرات المقبولة على شتى المستويات، فبمجرد أن يُشار إلى اليهود فإن التبرير سيكون مقبولاً باعتبار أن اليهود موجودون في مخططاتهم في كل بقعة من بقاع العالم وأنهم ذو نفوذ من الممكن تحميلهم تبعات الآخرين. . . . . .

واستمرت الأمور في تعقيداتها في إلقاء تبعات إحباطات الثقافة السُنيّة السياسيّة على اليهود بعد كل حرب من الحروب التي تنشب بين إسرائيل

والعرب كحروب 1967، 1973، 1982 لبنان وحروب المناوشات مع الجيران وغيرها، ولكن ذلك وبمرور الوقت بدا إلى المثقفين ما هو إلّا شمّاعة يستعملها (الحكام) لتخدير المجتمع وتبرير تسلطهم، في الوقت الذي لم تدرك الشعوب بأن الذي يقود العملية ليس الحكام بالتحديد، وإنّما هي ثقافة التسنّن التي تحالفت مع الحكام.... فمتى ما انفصلت مسارات التحالف بين الثقافة السُنيّة وبين الحكام لأي سبب من الأسباب فإن الحرب الداخلية على الحاكم ستبدأ ضده بأسماء متعددة مثل حرب حماه في عام 1982 وحروب التكفير والهجرة ضد السادات ومصر، وقبله ناصر في حوادث كثيرة أهمها هو حادثة المنشية وحرب عام 1956 وحرب إيران والعراق 1980 - 1988. وحرب 1991.

فللثقافة السُنيّة قدرات أكبر كثيراً مما نعتقد، فهي تُمسك بعدة أطراف في وقت واحد ولا يُعرف مع أيٍ من الأطراف تحالفت، ومع من اختلفت... هذا في الوقت الذي تبدو تلك الثقافة بأنها البريئة التي تريد الخير والصلاح إلى الأمّة من خلال إشاعة عامل الدين والتقوى.....

كما أنها الجهة ربما الوحيدة القادرة على تمويل الحرب بطريقة أو بأخرى.... فالمنظمات الفلسطينية التي كانت فيما قبل حادثة الصلح مع إسرائيل كامب ديفيد عام 1979 كانت معظمها تُمول من المؤسسة السُنيّة الثقافيّة بأسماء متنوعة وكأنها ممولة من الدولة السعودية باسم مساعدة الصراع المسلح الفلسطيني، أو من قبل الدول التي تلتحق بسياسات السعودية التي تعتبر القاعدة الكبرى لثقافة التسنّن في العالم، يضاف إلى كل ذلك الحرب الأهلية اللبنانية التي استعرت منذ 1975 ولمدة 13 عاما وتوقفت في عام 1990، وبتوقفها في أوكتوبر من ذلك العام كان هنالك خطر في بقاء المنطقة بدون حرب كبرى فاستعجلت الثقافة السُنيّة في إشعال حرب الخليج الأولى في أغسطس 1990 من خلال احتلال صدام إلى

الكويت[1]. أما حرب الخليج الأولى لثمان سنين 1980 - 1988 فهي الحرب التي تمّ تمويل العراق رسمياً من قبل دول تلك الثقافة. هذا فضلاً عن كل الحروب التي اشتعلت في المنطقة أو الصراعات الجانبية التي تدور هنا وهناك في طول وعرض البلدان العالمية.

(1) بعض الحروب التي شاركت فيها مؤسسات الثقافة السُنيّة في تمويلها: 1971، حرب تحرير بنجلاديش، 1971 بين الهند وباكستان، 1973 مصر وإسرائيل، 1991 حرب الصحراء الغربية، 1974 الغزو التركي لقبرص، 1975 الحرب الأهلية اللبنانية، 1977 المناوشات المصرية الليبية، 1977 حرب أوغادين، 1978 الصراع في جنوب لبنان، 1978 حرب أوغندا-تنزانيا، 1987 الصراع التشادي الليبي، 1979 الحرب الأهلية الأولى في تشاد، 1979 الغزو السوفيتي لأفغانستان، 1980 الحرب الإيرانية العراقية، 1982 حرب لبنان 1982، 1982 حرب الحدود الإثيوبية الصومالية، 1983 الحرب الأهلية السودانية الثانية، 1984 حركة التمرد الكردية في تركيا، 1987 الانتفاضة الأولى فلسطين، 1988 الحرب الأهلية الصومالية، 1988 حرب ناغورني كاراباخ، 1989 حرب الحدود بين موريتانيا والسنغال، 1989 الحرب الأهلية الأفغانية، 1989 التمرد في جامو وكشمير، 2003 صراع بلوشستان (إيران)، 2003 الحرب في دارفور، 2003 حرب العراق، 2003 الحرب في شمال غرب باكستان، 2003 التمرد الإسلامي في المملكة العربية السعودية، 2004 صراع إيران - بيجاك، 2004 صراع بلوشستان، 2004 الحوثيون اليمن، 2005 الحرب الأهلية الرابعة في تشاد، 2006 حرب لبنان، 2006 الحرب في الصومال، 2007 تمرد الطوارق الثاني، 2007 صراع لبنان، 2008 إجتياح أنجوان جزر القمر، 2008 صراع لبنان، 2008 صراع جيبوتي وإريتريا، 2009 حرب غزة، 2009 شمال القوقاز، 2009 حرب الصومال، 2009 التمرد الإسلامي في نيجيريا، 2009 اليمن الجنوبية، 2010 حرب القاعدة في اليمن، 2010 جنوب قيرقستان. 2011 الحرب الليبية الأهلية، 2011 حروب السودان المختلفة في الجنوب، 2011 أحداث شمال كوسوفو، 2011 حرب الشباب في الصومال، 2011 أحداث العراق، 2012 شمال مالي، 2012 أحداث جنوب السودان، 2014 ليبيا وحربها الأهلية، 2014 حرب القرم في أوكرانيا، 2014 مشاكل شمال العراق، 2014 حرب غزة. 2014 أحداث سوريا، 2014 أحداث داعش في العراق، انظر على الموقع التالي:
Heidelberg Institute for International Conflict. http//:www.hiik.de/en/index.html.

وكلما تقدم الغرب بثقافته واتساعه كلما تزداد شراسة الثقافة السُنيّة في نشر أفكار العنف والحرب والإرهاب، بحيث أن الفرق يبدو جلياً في كل خطوة من خطوات التقدم الحضاري الذي يحدث في الغرب حيث تجد بالمقابل حدثاً محطماً لواقع المجتمع العربي بطريقة تبدو للمسلمين بأنها من صنع مؤامرات اليهود أو الامبريالية الأميركية. بينما هو في الواقع تحذير (ثقافي) كرد فعل على تلك الخطوة الحضارية المهمة. . . . فكل اتفاقيات الدول العربية مع إسرائيل تبعها عنف كبير في المنطقة موّلته ثقافة التسنّن بأسماء متنوعة وبتنظيمات تبدو للبعض بأنها وطنية أو دينيّة ولكنه في الواقع كان قد تمّ تمويله من المال الثقافي السني ومن يقف خلفه من دول إسلامية تقودهم السعودية التي ترى في فلسفتها (الثقافية) بأن المنطقة العربية هي من حيّزها وهذا يستلزم على الغرب أو أي دولة إذا فكرت في الإقدام على أية خطوة سياسية فإنه يجب عليها مشاركتها في وضع أسس تلك الخطوة مقدماً وذلك من خلال تقاسم الأعمال مع السعودية ودول الخليج ومصر سابقاً.

إنه لمن الصعب لنا ونحن نكتب في هذا الموضوع مع الإشارة إلى كل حادثة بما يقابلها من رد أفعال عنف أو حرب أو ثأر سياسي أو اقتصادي لأن متابعة هذا الأمر يحتاج إلى كتاب كامل لما لذلك من تفرعات صعبة الإثبات بتلك السهولة. . . . . . فالولايات المتحدة أي الغرب غالباً لا يتابع كثيراً هذا الأمر بل يتجاوزه انطلاقاً من رؤيته في ضرورة الاستمرار في العمل السياسي مع الدول التي تثير متاعب الحروب لها لأن الدخول معها في مشاحنات موسعة له تبعات كبرى، وأكبر دليل على ذلك هو عدم إثارة موضوع الصفحات الثمانية والعشرون المتضمنة دور السعودية في أحداث 9/ 11 وانتظار الفرصة المناسبة للتعامل معها.

ولكن ما دور الغرب في حديثنا الحالي وما موقعه في صراع الثقافتين

الشيعيّة والسنية. . . ؟ الثقافة السُنيّة تعتبر الغرب عائقاً كبيراً في تنفيذ ما تراه مناسباً في مشروع التخلص من ثقافة التشيّع أو من الشيعة، وهذا الأمر صحيح في مجمله، حيث تمنع الولايات المتحدة بقوتها أي تعدي ممكن أن تقوم به أية جهة قوية ضد جهة ضعيفة سواء أكانت دينيّة أو عرقية، وأمامنا أحداث كوسوفو وأحداث البوسنة والهرسك ثم الصومال وراوندا وغيرها من المواقع التي تدخلت أمريكا فيها بصورة مباشرة في منع المذابح الجماعية.

كانت الثقافة السُنيّة ترى بأن حدث تضعيف صدام ومن ثم الوقوف عائقاً أمام منع إبادة شيعة العراق ما بعد عام 2003 كان بسبب التدخل الأمريكي، فالعرب وخصوصاً السعودية وبقيّة القوى المتسننة العربية بمنظماتها الثقافيّة السُنيّة السياسيّة كانت تراهن على ارتكاب مجازر كبرى ضد الشيعة وذلك في جو الفوضى من خلال استعمال أسلحة دمار شامل. . . . . .

ومع أننا لا يمكن لنا في أن نراهن على توثيق اشتراك السعودية العربية في هذا المخطط، ولكن يمكن لنا في أن نرى فيها بأنها ستغض الطرف عن القوى الثقافيّة الدينيّة السُنيّة التي تهيئ نفسها منذ أمد بعيد في سبيل الحصول على هذه الفرصة من الظفر بالشيعة العراقيين في فرصة كهذه الفرصة. وعلى أساس ذلك توجهت الثقافة السُنيّة بقواها ضد الأمريكان في العراق رغبة في إجلائهم والاستفراد بالشيعة وقتلهم في الوقت الذي كانت القوى السُنيّة تمتلك قدرات قتالية كبرى تتجاوز بمرات ما يمتلكه الشيعة من أسلحة دفاعية.

وعندما انسحب الأمريكان من العراق كان الشيعة قد تمكنوا لحد ما في الدفاع عن أنفسهم من هجمات القوى المعادية ولكنهم لم يتمكنوا من

السيطرة على مذابح كبرى ترتكب يومياً من خلال إرسال السيارات المفخخة والانتحاريين إلى المناطق المدنيّة في بغداد ومدن العراق الأخرى بشكل وحشي لا يمكن لإنسان العصر الحديث تصوره في بشاعة القتل وطريقة الانتقام. وعندما ظهر لقوى الثقافة السُنيّة بأن حوادث المذابح الجماعية لم تؤثر على مسيرة التشيّع بادرت إلى استحداث فكرة (داعش) فدخلت العراق في الشهر السادس من عام 2014 وتوغلت في مناطق الشيعة الساكنين في شمال بغداد وتمكنت من أن تُشرد ما لا يقل عن مليوني إنسان شيعي معظمهم تركمان وأكراد وشبك كما تمّ إفناء عدد غير معروف بطرق من القتل لم تألفها المنطقة.

وهنا نرى بأن الفكرة التي كانت الثقافة السُنيّة تخطط لها في استئصال الشيعة لم تزل تجد لها من منفذ في تحقيقها بطريقة أو بأخرى من خلال وسائل متنوعة تتبدل وبمرور الوقت، حيث نرى بأن (القاعدة) وبقيّة الفصائل السُنيّة وداعش ومسميات أخرى كانت ترمي بالأساس إلى الانتهاء من الشيعة في البلدان التي يختلط فيها الشيعي مع السني مثل العراق وسوريا ولبنان ومصر حتى إذا ما تحقق ذلك فهنالك خيارات أخرى في البلدان التي لازالت تتحكم فيها القوى الثقافيّة المتسننة مثل السعودية والبحرين وشمال أفريقيا.

أما إيران فإن خطرها على الثقافة السُنيّة ليس بقدر الشيعي العربي فهي تخطط إلى إشغالها في حرب طويلة إما مع إسرائيل أو مع الولايات المتحدة أو من خلال استعمال سلاح مدمر يغيّر من توجهات الدولة الإيرانية بما يتعلق باعتناقها التشيّع والتحول إلى دولة قومية أولاً وذو ثقافة غربيّة قبل أن تتحول إلى دولة ذات أمة شيعية - إيرانية..... وهذا المخطط ليس من اختصاص العصابات المتسننة مثل القاعدة أو داعش وإنّما هو مخطط دولي اهتمت به السعودية كدولة غاية الاهتمام، كما اهتمت في الوضع السوري

أيضاً، وكان القرار الذي عملت عليه لوقت طويل هو إسقاط النظام السوري ومن ثم إبادة الشيعة في سوريا[1] ثم في لبنان[2] من خلال إثارة طغيان التطرف السني الغوغائي لاستئصال الشيعة أو تشريدهم إلى خارج سوريا.

الموقف الأخير: ماذا كانت نتيجة صراع الثقافات إلى حين نهاية العقد الثاني من الألفية الثالثة، وهل حققت ثقافة التسنّن بروتوكولها القديم في مخطط إبادة الشيعة وثقافتها وهل وصلت إلى أعتاب ذلك. . .؟

بالتأكيد عملية إبادة شعب أو ثقافة هي عملية ليست من النوع الذي يمكن تحقيقه في حقبة زمنية قصيرة أو في مرحلة واحدة، خصوصاً بعد أن تحوّلت مبادئ وأسس تلك الإبادة إلى هدف تعتمد عليه حياة الثقافة الأخرى وبقاءها. . فالثقافة السُنيّة وإلى الآن لم تتمكن من الاعتراف في أن التشيّع ثقافة مع إيمانها بأن التسنّن دين وثقافة. . . . . وهنا نرى بأن التشخيص في طبيعة العدو قد اختلف باتجاه خطأ التشخيص، كمن يُشخّص مرض فايروسي في اعتقاده بأنه مرض بكتيري أو أن يحارب مجتمع عربي باعتقاده في أنه آري وهكذا.

فالثقافة السُنيّة تحارب التشيّع باعتباره (مذهب ديني Sect) أو (طائفة Cult) ضالة لا باعتباره (ثقافة Culture) هذا في ظل عجز التشيّع عن توضيح هويته الثقافيّة فلم يعمل الشيعة على إظهار كوامن فكرة التشيّع إعلامياً أو دولياً في اعتبار التشيّع ليس ايديولوجية دينيّة فحسب، فبقي هذا التصور ثابت في أنظمة القوى التي تريد استئصاله. . . . . وسبب القصور

(1) نسبة الشيعة الاثنا عشريون في سوريا لا يتجاوز 3% أي تقريبا نصف مليون نسمة، أما العلويون فنسبتهم ترتفع إلى 15%.

(2) نسبة الشيعة في لبنان هو 33%، مليون ونصف مواطن تقريباً.

عن توضيح ذلك المعنى من قبل الشيعة هو أن التشيّع لا يزال يعيش في غيبوبة فكريّة وحضارية لا يدري أين هو موقعه من مسيرة التأريخ ومسيرة الحضارات، كما لا يدري بأنه يمثل (مذهب) أو (ثقافة). . . . كل ما يعلمه هو أن التشيّع يأخذ من الدين شيء ومن السياسة شيء ومن العلم شيء أيضاً. . . . وعليه فإن التشيّع لم يكن نسق واحد ولم يُقدّم نفسه بصورته الواقعية التي يجب أن يكون عليها. . بالتأكيد ربما نُحمّل ونحن نكتب في عصر التكنولوجيا وفي عصر التقدم الفكري والبحثي ما لا يمكن لطائفة مثل التشيّع أن تدرك معاني صعبة الإدراك وصعبة الفهم.

فلم يكن الشيعة هم الأقوام الوحيدون في العالم قد تاهوا في تحديد هوية الانتماء أو شكله، فقد تاه اليهود فيما قبلهم في متاهات كبرى وفي تفرعات تحديد من يكونون هم. .؟ هل هم قبيلة، أو دين أو ثقافة أو أمة أو مذهب. .؟ فتفرقوا وتشتتوا إلى أقسام وإلى مجاميع وصاروا من أضعف أمم الأرض إلى أن انبثقت الفكرة الجديدة (الصهيونية)[1] وهو سبق جديد قبل أن تحدد الأمم المتحدة معنى الدولة. هذه الفكرة صنعت لليهود شكل الانتماء، فصارت بعد نقاشات كبيرة كان رائدها هو هرتزل (ت 1904) نوع من الهوية التي حوّلت شتات اليهود إلى قوى كبرى تُشعر المنتمي اليهودي بقوة المجموع[2] والتي على ضوئها تمكّنت تلك المجموعة من أن تنال السبق على الأمم في العلوم ومجالات الحياة الأخرى[3].

---

(1) تقسم الفكرة الصهيونية إلى أقسام منها: ثقافية، دينية، سياسية، عالمية، عمالية. . . صاحب الفكرة هو: ناثان برنباوم الفيلسوف اليهودي النمساوي عام 1890.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Zionism.

(3) يعتقد معظم العرب أو المسلمين بأن انجازات اليهود جاء بسبب طرق التحايل والخداع التي يمتلكها هذا الشعب، وهو تصور غير صحيح على العرب أن لا يعيشوا في وهم هذه المقولة، بل أن يحسنوا فهم عدوهم على ما هو عليه لا على ما نُريد أن نصفه في المفاهيم الايديولوجية.

بالتأكيد التشيّع كما وضعه لهم أئمتهم الإثنى عشر بأنه امتداد للثقافة الإسلاميّة المحمدية وهذا معناه هو وجوب احتواء كل التبرعمات التي تبرعمت عن الفكرة الرسالية بشتى تنوعاتها ومنهم التسنّن مذهباً وثقافة، وإلّا فإن التشيّع يتحول إلى ثقافة تعيش خارج نطاق الإسلام كما هم الانكليكان[1] والمورمان[2] الذين يُعتبرون طوائف اتخذت من المسيحية مبادئها فقط. . . . . . .

ولنعود ثانية إلى الفكرة الصهيونية[3] فهذه المظلة تحوّلت اليوم كفكرة جامعة لكل اليهود بشتى أقسامهم بغض النظر عن شكل المذاهب الداخلية المتصارعة داخل الفكرة اليهودية، فقد تمكّنت من احتوائهم بالطريقة التي اعتبرت الصهيونية نفسها بأنها امتداد لليهودية التي جاء بها موسى وأنها ثقافة جامعة.

الشيعة بوجودهم الحالي ومن الواقع العملي ليس لهم القدرة في أن يفكروا باحتواء المذهب السني ولا بقيّة طوائف المسلمين التي قد يصل عددها إلى مئات (مصدر غير موثوق)، وأعني بالاحتواء هو (التمكّن النصّي) من ناحية والتعايش المشترك من ناحية ثانية على أن يتحمل الكل الكل. . . . . ومع أن السنة أو ثقافتها ترى في نفسها بأنها هي الجامع الوحيد للمسلمين مع عدم توفر البديل، ولكن علاج هذه الثقافة لحالة الهوية الموحدة هو استئصال الآخرين والتخلص منهم وهي سياسة بالتأكيد غير عملية وغير واقعية.

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Anglicanism.

(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/Mormonism.

(3) باعتبارها التجربة الحضارية الوحيدة التي يمكن لي أن استعملها في هذا المضمار مع إدراكي صعوبة تقبل هذا المصطلح من قبل القارئ العربي لما لهذا الاسم من حساسية ورفض. . . ولكنني مضطر بسبب شحة تجارب الأمم في هذا الإطار.

في القرن العشرين وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية في عام 1988 تحوّلت الفكرة الشيعيّة من الشكل (القومي) إلى الشكل (الثقافي) (بشكل ما) وهي قضيّة حتمية ربما لكل فكرة عندما تشترك في هدف موحد، وليس ذلك فقط بل أن التشيّع بدأ يخرج الآن ولو بنسبة ضئيلة من أطره السابقة التي هي (المذهبية) و(القومية) إلى فضاء (الثقافية) وبدأت تلك الثقافة تضع نفسها في موضع بديل للثقافة السُنيّة في العمل مع بقيّة شتات التنوعات الإسلاميّة المذهبية والعرقية والتعامل معها ضمن نفس الفكر الإسلامي وثقافته التي تمثلها ثقافة التشيع... أي أنها طرحت نفسها كبديل (جامع) لكل الثقافات التي تحويها المظلة السنية.

هذا المنحى لم يكن توجّهاً إيراني الإخراج أو التصميم كما يعتقد البعض، بل كانت بداياته تعود إلى قرن من الزمن[1] ولكنه تحول إلى ظاهرة أممية ليس للجانب الإيراني فيه إلّا ما لدى الجانب العربي مع الاختلاف في الأدوار. فالفكر القومي والفكر العنصري[2] الانتمائي قد تمّ تجاوزه من قبل بعض الشيعة، وهذا معناه بأن المراحل القادمة ستؤهلهم لتحقيق هدف

(1) ربما كان أول من وضع لبنات الفكرة هو العلامة النايني (ت 1936) في كتابه (تنبيه الأمّة وتنزيه الملة)، بعدها بثلاثة عقود انبرى إلى ذلك الشهيد الصدر محمد باقر (ت 1980) في سلسلة كتبه المتنوعة. قبلهما كان للعلامة الكبير جمال الدين الأفغاني (ت 1897) قصب السبق في اقتحام غمار هذا المطب والذي أودى به أخيراً إلى مقتله في حادثة اغتيال غامضة.

(2) الإيرانيون آريو العنصر (Race) بينما العرب هم ساميون، وسبب تسمية إيران بهذا الاسم هو للتعريف بذلك الانتماء. فالاسم قبل ذلك هو (Percian) وبما أن اللغة العربية لا تضم الحرف الأول في لغتها فحولته إلى فاء، والفارسية حضارة لم تكن مقتصرة على هذه البقعة من الأرض المعروفة اليوم باسم إيران. أنظر الموقع التالي:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Persian_Empir.

القدرة التي تجمعهم كأمة وثقافة وجامعة بديلة لما وضع التسنّن محله فيها في أن يكون الامتداد للإسلام.

خيارات التسنّن الثقافي: ليس أمام التسنّن الثقافي من خيارات كثيرة في طريق الصراع الفكري والثقافي والعلمي مع التشيع، فالثقافة كما ذكرنا ليست وليدة فترة زمنية قصيرة بل أنها وليدة عمل دؤوب يحتاج إلى قرون من الزمن، ونتائجه هي نتائج تحكمها سنن التأريخ ومسيرة الثقافات. . . . . . تشبيها يكون أقرب إلى تراكم مرض السرطان وانتشاره في الجسم على مدى غفلة المريض الطويلة حيث يكون من الصعب التفكير في احتمال شفائه من خلال أدوية أو أشعة أو ما إلى ذلك. . . . . فالزمن عامل حاسم في مثل هذه المواقف، فليس من السهل أمام ثقافة التسنّن أن تُعيد النظر في ماضي التُراث في تعديله أو رفضه لأنه يمثل قاعدة (معصومة)، كما ليس بالإمكان أن يتم التحاور أو مزج التُراث السني بتراث التشيّع أو التوجه إلى استعارة أسلوب التسامح والتحمل والعيش مع التشيّع بنفس الانفتاح والشفافية، فالخيارات كلها مسدودة لا يمكن تحققها أو العمل عليها في هذه الظروف.

وعلى ضوء ذلك المفهوم تراهن ثقافة التسنّن قبلاً واليوم على عامل (القوة) أي قوة الحُكُم والسلطة (عامل ثقافة البداوة) التي تتمتع بها في تحالفاتها مع (أدوات الحكم) في الدول العربية والتي تحوّلت تلك التركيبة الهجينة وخلال قرون من التحالفات إلى مكوّن واحد من أجل إدارة الصراع مع الثقافة الشيعيّة ومع مسيرة التطور العالمي. . . . . . ولكن الشيء الجديد الذي برز إلى واقع الأحداث هو أن القوة لم تعد هي العامل المهم في حسم المواقف، بل تحوّلت دول وأمم وثقافات كثيرة إلى مصافي الدول المتقدمة

لا بسبب عامل القوة العسكرية والمباحثية، بل بسبب قدرات العلم والتكنولوجيا والقانون[1]، فأصبح السلاح القديم الآن عقيماً (Useless) لا يمكن استعماله في مواجهة التطور الثقافي التي تصارع به الثقافة السُنيّة خصوصاً بعد أن أصبح العالم اليوم يحكمه مفهوم (العولمة) وليس مفهوم الحرب الباردة.

تحاول اليوم الدول التي تحكّمت بها ثقافة التسنّن على مدى قرون من التخلص من تبعيّة تلك الثقافة والعودة إلى فكر الدولة الحديثة التي تتحول فيه ثقافة الدين أو الثقافة السُنيّة إلى مكوّن يسير إلى جانب الدولة، وليس آمراً لها، وكذلك ليس متقاطعاً معها كما هو حالة الديانة اليهودية في إسرائيل[2] أو المسيحية في الغرب، هذا الخيار تعاني منه السعودية اليوم وتعاني منه كذلك دول الخليج في الوقت الذي نجحت مصر وتونس باتجاه تصحيح هذا المسعى......

فقد اكتشفت السعودية (كدولة) خلال حرب الخليج الثانية وليس قبلها بأن الثقافة السُنيّة كانت قد أنشبت أظفارها في كيان الدولة بشكل يصعب التخلص منها بالطرق العادية وستقع في نفس مطب سقوط الدولة العباسيّة والعثمانية ونتيجتهما المأساوية الكبرى......

فقد فشلت الولايات المتحدة في إقناع السعودية ومنذ أعوام ما بعد

---

(1) ألمانيا، اليابان، كوريا، سنغافورا، أفريقيا الجنوبية، البرازيل، هونغ كونك. ماليزيا.

(2) إسرائيل دولة علمانية لا تعتمد اليهودية ديناً رسمياً لها، ومصطلح اليهودية (نسبة إلى يهوذا احد أبناء يعقوب) وهو مصطلح قومي وليس مصطلح ديانة باعتبار أن بني إسرائيل هم شعب يدين باليهودية، فاليهودية هي قومية عندما تطلق في المفهوم السياسي. راجع المصدر:
http//:en.wikipedia.org/wiki/Jews.

الحرب العالمية الثانية بخطورة تلك الثقافة على كيان الدولة فتركتها تتخبط في مواجهة مصيرها المحتوم القادم.

تعتقد السعودية (العائلة) بأن خيارها هو خيار (البداوة الثقافية) وهو التخلص من العدو جسمانياً من خلال إبادته وفرض خيار الثقافة الوحيدة التي تمتلكها، وهذا هو بالضبط ما تعمل عليه اليوم في تعاملها مع الشيعة في العالم، تقودها كما ذكرت بمسيرة عمياء الفكرة الوهابية التي تعاشقت مع الثقافة السُنيّة بطريقة بدت وكأنها كيان واحد مع الدولة. وها هي اليوم تمارس نظرية البداوة في استئصال الآخرين في العراق وفي أماكن الشيعة من خلال فتاوى أو عمليات منظمة عسكرية أو إنشاء كيانات ومليشيات مسلحة متذرعة بمقولة الحفاظ على الدين من عبث المحرفين الشيعة الكفرة وثقافتهم العمياء.

فخيار التخلص من الشيعة ربما هو الخيار الوحيد الذي يعيش في عقليّة مخططي ثقافة التسنّن وهو الإتجاه الذي تسير عليه ضمن هدف مرسوم ربما يتناوب ضمن مرحليّة بعضها قريب وبعضها بعيد...

فلقد كان انسحاب الولايات المتحدة من العراق بل من المنطقة بطريقة أو بأخرى هو الخيار الذهبي الذي تسعى إليه الثقافة السُنيّة ليس بغضاً بها بل بسبب منعها من الوقوف حاجزا أمام المذابح التي تنوي ممارستها[1]....

(1) وقفت الولايات المتحدة موقفاً صلباً أمام المذابح التي مارستها الثقافة الصربية المتشددة السياسيّة في البوسنة عام 1992 وفي كوسوفو 1998، وفي الحرب الأهلية في راوندا عام 1994، وفي مذابح العراق عام 2003، وفي ليبيا 2011، وهي تمارس الدور ذاته في الكثير من أقطار العالم بسبب موجة التطرف الديني والطائفي الذي ساد العالم بعد انتهاء الحرب الباردة في عام 1991.

وما عمليات القاعدة وداعش والمنظمات المتطرفة السُنيّة الأخرى إلّا من أجل تحقيق هذا الهدف من خلال انسحاب أمريكا من المنطقة لكي يصفى الجو إلى قدرات الثقافة السُنيّة الكبرى للتخلص من التشيّع ومن بقيّة من يحملون الهم الثقافي الشيعي..... وبالتخلص من الشيعة جسدياً يمكن للثقافة السُنيّة أن تستعيد عافيتها في تمكّنها من السيطرة ثانية على عقول وعلى واقع الدول العربية وحكامها، بل كل الدول الإسلامية، هذا بلحاظ أن إيران في طريقها إلى التوجه نحو الهم الوطني وليس الهم الفكري الثقافي الذي من الممكن أن يقف حاجزاً في منع تلك المذابح.

وما هو رأي الشيعة في مستقبل نظرة التسنّن الثقافي في إبادتهم...؟ : لا يرى الشيعة في العالم من جديد في نيّة الثقافة السُنيّة تجاههم، فهو قرار تمّ اتخاذه منذ أيام السقيفة أي 11 هجرية ولازال القرار فاعلاً من الناحية الشرعيّة (النصيّة) لما تؤمن به الثقافة السُنيّة ومن الناحية الفعلية. فمعظم الكتب المعتبرة لدى ثقافة التسنّن (الوهابية خصوصاً) تؤكد هذه الحقيقة بطريقة أو بأخرى، وكلما تقدم الزمن تتجدد دعوات إبادة الشيعة بسبب التغيير الحاصل في عقليات العلماء أو الثقافيين الذين يصدرون تلك القرارات.... فهو ليس بالقرار المرتبط فقط بالجانب الديني، بل في كل جوانب الفهم الثقافي السني للحياة. فوجود الشيعي في الحياة يعني التعايش مع عامل يحمل في داخله عنصر إبادة له، وعليه أن يفكر جدياً (كما يراها هو) في التخلص منه بأي صورة من الصور.

فبسبب كثرة من تمّ قتلهم على مدى التأريخ من الشيعة واتساع المذابح الجماعية (Ethnic Cleansing) التي مورست ضدهم في كل دولة وعصر أصبح من المُسلّم به بأن القتل لم يعد أمراً مخيفاً يجب تجنبه أو الاستعداد للتخلص منه... ولهم في ذلك الكثير من المواقف التاريخية ربما أهمها

هي قضيّة الحسين في عام 61 هجرية كذلك مذابح الأتراك لهم من قبل سليم الأول (ت 926/ 1520 م) بعد أن أفتى بذلك علماء الثقافة السنية، وكذلك الهجمات الوهابية على النجف وكربلاء في بداية القرن التاسع عشر. . . . أما أقربهم لذلك فهي مذابح صدام حسين في الأهوار[1] والشعبانية[2] وغيرها في بداية التسعينيات، نفس الشيء تراه منطبقاً على واقع العراق اليوم في المفخخات والسيارات الملغومة ودعوات علماء ثقافة التسنن في وجوب إبادتهم. . . . .

كل ذلك جعلهم أمة لا تعيش لغدها لأن غدها مرهون بوصول سيف الذبح إلى أعناقهم، بل الأكثر من ذلك تعتقد الشيعة بأنها لا ترى في القتل من مبادرة - كما نقول عنها - نهاية العالم، بل أنها أحيانا - كما يرون - فخر أو أنشودة ذو لحن رباني. . . . . . وعلى ضوء هذين المفهومين تأخّرت خطوات التطوير الاقتصادي والاجتماعي لتجمعات الشيعة في العالم العربي، ومثلهم كمثل الذاهب إلى الموت المحتم فليس هنالك من دافع في التفكير بمستقبل مختلف عن هذا المسار. هذا الرأي تجده حاكماً لغالبية الشيعة من الطبقات الشعبية السائدة في أوساط العراقيين الذين يعتبرون من أكبر التجمعات في العالم الشيعي.

تلك الفكرة حتّمت على شيعة العراق في المبادرة إلى تشكيل قوى الرفض للسلطات إن كان ذلك الرفض يندرج تحت الاسم اليساري أو القومي أو الوطني أو الديني أو الإلحادي وما إلى ذلك. . . . . كما حتّمت عليهم أن يكونوا وقود لكل نار يشعلها الحاكم ضد الآخرين من الانتفاضات إلى الصراع السياسي إلى الانتقام القبلي أو غيره.

(1) ttp//:en.wikipedia.org/wiki/Human_rights_in_Saddam_Hussein%27s_Iraq.
(2) http//:en.wikipedia.org/wiki/1991_uprisings_in_Iraq.

أما الطبقات المتنورة من الشيعة فإنهم ينظرون إلى مواقف إخوانهم من السنة في نيّة قتلهم منطلقاً من دافع انفعال وتعصب وهو أمر من الممكن تغييره من خلال التعامل ومن خلال الاختلاط كما حدث فعلاً في العراق خلال قرون الهجرات العربية إلى وادي الرافدين والذي كان السبب غيّر معادلة نسبة الشيعة إلى السنة (65% شيعة، 17% سنة من دون الكرد) كذلك انطبقت الحالة في لبنان وأفريقيا وغيرها من بلدان العالم...... تجد الشيء ذاته فاعلاً حتى في الطوائف الأخرى المسيحية واليهودية والصابئة والكرد الفيلية، والشبك. فالمعاملة اليوميّة مع الشيعة غيّرت الكثير من المواقف والرؤى باتجاه قبول مبدأ التعايش والتحمل. ولذلك فإن هذه الطبقة - المتنورة - لا ترى في كل ما تصدره أدبيّات ثقافة التسنّن بأنها جادة في التنفيذ، هذا فضلاً عن منبعها السياسي وليس الفكري....... بل أن كل ما قيل وكتب في الأزمنة السابقة منذ عهد السقيفة لم يكن منبعه إلّا تسجيل النقاط السياسيّة على الطرف المنافس..... وهذا معناه بأن التسنّن المذهبي الحقيقي يرفض الرأي السياسي الثقافي السني ويعتبره تجاوزاً على إخوان لهم في الدين.

أما التشيّع السياسي من التنظيمات والأحزاب والمنظمات المذهبية والفكرية فإنها ترى في الموقف السني موقفاً مشابهاً لموقفها هي من السنة باعتبار أن الهدف لكليهما هو هدف سياسي أو هدف الغلبة، والمعركة هي ليست معركة فكر ومذهب وشريعة، وإنّما هي معركة من يكسب نقطة انتصار على الآخر.... هذه الفئة من الشيعة ليس لهم من موقف إلّا إشاعة تخويف الشيعة من السنة، كما تمارسها الأطراف السُنيّة السياسية، وكأنّ النتيجة متبادلة هدفها الحصول على المزيد من المؤيدين المغفلين للانضمام إلى تلك التنظيمات السياسيّة الطائفيّة كما هي الأحزاب العراقية الحالية وكذلك التشكيلات الطائفيّة اللبنانية.

العلماء الشيعة من المراجع وطلبة الحوزات العلميّة يرون في استعدادات الإبادة التي تعدها الثقافة السُنيّة بأنها حتى لو وقعت فإن التشيّع أصلب من أن يتم تحقيق ذلك المفهوم، كما تراهم واثقون جداً في الاعتقاد بأن الفكر الديني الشيعي الذي وصل إليهم كفيل في أن يسود العالم السني يوماً ما من خلال العمل على تغييره التوجه الأخير باتجاهين إما الالتجاء إلى طريقة الفهم الشيعي للإسلام، أو بالاعتدال السني. . . . هذا التصور المستقبلي لعلماء التشيّع سيدفع الاعتدال السني بالدخول في معركة صراع التشذيب الفكري (للنص السني) والتي ستكون حتمية النتيجة ذلك هو الاقتراب من التشيّع بدرجة كبرى.

وعندما ننتقل إلى الفكر الثقافي الشيعي الذي لا تمثله تلك الطبقات بل تُمثل جزءاً منه فإنه يرى بأن المواجهة حتمية، وهي المواجهة التاريخية التي يجب أن تتحقق بين الثقافتين. . . هذا الفهم منطلق من قانون الحالة العلميّة (Dynamic Vs. Static) خصوصاً في زمن العولمة وزمن ميل الدول إلى الاستقرار والتوجه إلى الإنتاج والثروة وإنعاش المواطن. . . . . . فالدلائل في الانتقال من حالة السيادة المبنيّة على الوهم وإبادة الآخر إلى فكر الاستقرار النفسي والتحمل العقائدي ليس له أن يحدث ما لم تتحقق المواجهة بين الثقافتين، كما هي حالة الاحتكاك الذي حصل بين القوتين الكبريتين الفكر الليبرالي الأمريكي والسوفيتي الاشتراكي الذي ابتدأ بالمفاجأة الذريّة (هيروشيما) في عام 1945[1] تلك التي حتّمت على الأطراف أن يتعايشوا كل مع الآخر بلحاظ أن الإفناء الذي يتحدث عنه أحد

(1) http//:en.wikipedia.org/wiki/Atomic_bombings_of_Hiroshima_and_Nagasaki.

الأطراف هو إفناء للكل، والعيش هو عيش الكل. . . . فتحول الصراع بعد تلك الحادثة إلى ما سميّ بالحرب الباردة حيث امتنع كلا الطرفان في استعمال السلاح الفتاك[1]. . فالقنبلة الذرية كانت الحدث الحاسم الذي فرض على الأطراف المتنازعة أن يتركوا خيار إبادة الآخر، لأن الآخر عندما يُباد فأن الأول يكون قد أبيد واقعاً.

(1) بناء ثقافة السلم، خالص جلبي. دار المنبر، 2001.

التوجهات المستقبليّة لمسيرة الصراع ومؤشراتها هي:

1 - توجه العالم في التغيير إلى الخيار الثقافي الشيعي السلمي وليس الخيار الثقافي السني خيار العنف.

2 - رفض مفاهيم الثقافة السُنيّة المنطلقة من الثقافة البدوية - القرشية - الأموية - العباسية - العثمانية من قبل المسلمين أنفسهم، والتوجه بدلاً من ذلك إلى ثقافة آل النبي في صياغة مفاهيم الحياة.

3 - تفهم الغرب بمؤسساته الحكومية والبحثية لمبادئ التشيع، وإدراكها لخطورة ثقافة التسنن. بعد أن كان إدراكه مختلف قبل 9/ 11.

4 - حدوث ربيع عربي ثانٍ وتمكنه من تغيير الأنظمة بالأسلوب السلمي الشيعي وليس توجه العنف السني.

5 - تحول الكثير من سنيي المذهب إلى التزام خيار التشيّع الثقافي في فهم الحياة والإسلام وزيادة أعداد المثقفين والباحثين من هذا النوع.

6 - عودة القوة الإيرانية ثانية (كحادث عرضي) وانبعاثها من جديد واعتراف الغرب بها كقوة مهمة في المنطقة. . .

7 - تحوّل أول بلد عربي في التأريخ الإسلامي قاطبة إلى حكم شعبي ديمقراطي وهو العراق. وهو ما يمثله ثقل التشيع.

8 - التزام الحركات الشيعيّة المسلحة على طول خطها بخيار رفض العنف مع أصالة معاداتها إلى الغرب، وهو بعكس الحركات السُنيّة التي تتميز دوماً بالعنف والإرهاب.

9 - جدب الفكر السني الثقافي وعدم تمكنه من مواكبة أحداث التغيرات في العالم وتعملق الفكر الثقافي الشيعي بشكل ضخم واكتشاف سيادته وأسبقيته للكثير من الأفكار.

10 - الوحشية المفرطة التي ميّزت الفكر الثقافي السني في طريقة التعامل مع الأعداء الإيديولوجيين والذي ظهر بأن ذلك هي مفاهيم فكريّة سُنيّة تزخر بها كتب المذهب وهو بما معناه ليس أدب طارئ اعتنقته الحركات السياسيّة المقاتلة.

11 - إستعمال مفاهيم الكفر في التخلص من الآخرين بطريقة أو بأخرى سواء أكان ذلك الآخر شيعياً أم مسيحياً أم يهودياً أو أي دين آخر.

وماذا سيحدث...؟:

1 - سيكون الخيار الوحيد الذي تمتلكه الثقافة السُنيّة هو الإرهاب وستحاول تلك الثقافة ضم دول عربية عديدة إلى تلك الفلسفة وأهمها السعودية وبعض من دول الخليج إلى أن تسقط تلك الدول بعد أن ينفذ خيار وصبر الدول المتقدمة منها.

2 - سيتمكن الإرهاب من ارتكاب مجازر دامية بالشيعة في الدول الثلاث العراق سوريا ولبنان.

3 - سينبثق حلف شيعي - غربي تقوده إيران لحماية شيعة العالم من الذبح ولكنه سيبقى ضعيفاً أمام قدرة الإرهاب الثقافي السني.

4 - يتشتت شيعة العرب من جرّاء الضربات الموجعة التي يكيلها لهم التسنّن الثقافي والإرهاب ويتحول التشيّع إلى ثقافة غير عربية أي إيرانية أو غربية كما هم الإسماعيليون.

5 - سيتحول التشيّع إلى كيان شبيه بالأمم التي غيّرت العالم كالأمة اليابانية والأمة اليهودية والأمة السنغافورية والأمة الصينية، ولكن ذلك ليس أقل من مائتي سنة من الآن.

6 - مستقبل الثقافة الشيعيّة هو مستقبل غير عربي باعتبار أن الثقافة السُنيّة هي المتحكمة في العروبة، بينما الثقافة الشيعيّة وجدت لها أرضاً خصبة مع ثقافات العالم المنتشرة في أقطار العالم الغربية منها والشرقية.

المصادر

الكتب العربية

1 - ابن الأثير, عز الدين: أسد الغابة، في معرفة الصحابة. دار ابن حزم، بيروت، 2012.

2 - ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التأريخ، 12 جزءاً، دار صادر، بيروت، 1979.

3 - ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمن: المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992. المكتبة الالكترونية: (International Archive).

4 - ابن الفوطي، كمال الدين: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

5 - ابن أبي الحديد، عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت 2003 . نسخة الكترونية

(https://archive.org/details/shrhnahjbalagha).

6 - ابن حجر، العسقلاني، شهاب الدين: تهذيب التهذيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991.

7 - ابن حزم، محمد علي: جمهرة انساب العرب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة المعارف، مصر، 1982.

8 - ابن حنبل، أحمد: المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر وحمزة الزين. دار الحديث، بيروت، 1980.

9 - ابن عبد البر الأندلسي، يوسف ابن عبد الله: الاستيعاب في بيان الأسباب. دار الجيل، بيروت. 1412.

10 - ابن كثير، أبي الفداء الدمشقي: اختصار علوم الحديث، دار ميمان للتوزيع، الرياض، 1431.

11 - ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، لبنان. نسخة الكترونية (http://www.waqfeya.com/search.php).

12 - ابن كثير، عماد الدين اسماعيل القرشي الشافعي. البداية والنهاية. تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية. بيروت لبنان. 2004. نسخة الكترونية (http://waqfeya.com/search.php).

13 - ابن ماكولا، إكمال الكمال، نسخة الكترونية، مكتبة ملتقى اهل الحديث. (http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=32252).

14 - ابن هشام،أبي محمد عبد الملك: السيرة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2009.

15 - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، 1414هـ.

16 - أحمد، عباس صالح: اليمين واليسار في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973.

17 - الإبراهيم، علي عزيز، العلويون والتشيع، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، 1992.

18 - الأشعري، أبي الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، بيروت 1990.

19 - الأصبهاني، الميرزا: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ستة مجلدات، الدار الإسلامية، بيروت، 1991.

20 - الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة الاعلمي، بيروت، 1987.

21 - الأصفهاني، ابي الفرج: الأغاني، تحقيق لجنة من المختصين باشراف مدار الحبال، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2014.

22 - الأمين، حسن: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، 1997.

23 - الأمين، محسن : أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين. دار التعارف، بيروت، 1986.

24 - الأميني، عبد الحسين: الغدير في الكتاب والسنة والأدب. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1994. نسخة الكترونية.
(https://archive.org/details/algadeer).

25 - الباقلاني، محمد بن الطيب: إعجاز القران، تحقيق محمد صقر: مصر، دار المعارف، 1971.

26 - البحراني، مفلح: إلزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب، نسخة الكترونية. في:
http://rafed.net/booklib/view.php?type=c_fbook&b_id=111&page=42.

27 - البغدادي، الخطيب أحمد بن علي: تقييد العلم، دار الاستقامة، بيروت، 1992.

28 - البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، لجنة البيان العربي، مصر 1956.

29 - البهادلي، كاظم: مجالس المؤمنين في الأربعة عشر المعصومين، المكتبة الحيدرية، 2012.

30 - التميمي، خالد: محمد جعفر ابو التمن، دراسة في الزعامة السياسيّة العراقية، دار الوراق، لندن، 1996.

31 - الثقفي، أبو إسحاق: الغارات، دار الأضواء، بيروت، 1987.

32 - الجابري، محمد عابد، نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة العاشرة، 2009.

33 - الجنابي، عدنان، الدولة الريعية والديكتاتورية، دراسات عراقية، بغداد، 2013.

34 - الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، 1960.

35 - الحلي وليد، نظرة إلى وقائع انتفاضة شعبان عام 1411 هـ، الموقع الألكتروني. (http://www.dr-alhilli.com/index.php?limitstart=62).

36 - الخرباوي، ثروت: سر المعبد، الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012.

37 - الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تأريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979. نسخة الكترونية. (https://archive.org/details/WAQtaba).

38 - الخوئي أبو القاسم، (المدخل) إلى تفسير القرآن. مؤسسة الخوئي الإسلامية، لندن، نسخة الكترونية.
(http://alkhoei.net/arabic/khlib/viewbook/fullbook/viewbook.php?bid=106).

39 - الدوري، عبد العزيز: نشأة علم التأريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000.

40 - الدينوري ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. 1967.

41 – الذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

42 – الذهبي، شمس الدين: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1374.

43 – الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996. نسخة ألكترونية.

(http://search4.shared.com/q/CCAD/1/ سير %20 اعلام%20 النبلاء%20 pdf?suggested).

44 – الرسالة الأحمدية في الطريقة البكتاشية، احمد دده، ص 15 القاهرة 1959.

45 – الزمخشري، أبي القاسم: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الاعلمي للمطبوعات بيروت، 1992.

46 – السعيد، خالد: أشهر الاغتيالات في الإسلام من عهد الصحابة إلى نهاية العصر العباسي، دار الفارابي، بيروت، 2012.

47 – الشهرستاني: أبي الفتح: الملل والنحل، تحقيق فاعور ومهنا. دار المعرفة، بيروت، 1993.

48 – الصدر، محمد باقر: بحث حول الولاية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1979.

49 – الصدر، محمد باقر: فدك في التأريخ، دار التعارف، بيروت، 1992.

50 – الصدر، محمد باقر، نظرة في العبادات والمعاملات، دار التعارف، بيروت، 1990.

51 – الصدر، محمد باقر: فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، 1982.

52 - الصدر، محمد باقر: خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، سلسلة الإسلام يقود الحياة، دار التعارف، بيروت، 1990.

53 - الصدر، محمد باقر: التفسير الموضوعي للقرآن، دار التعارف، بيروت، 1992.

54 - الصدر، محمد باقر: إقتصادنا، دار التعارف، بيروت، 1982.

55 - الصدر، محمد باقر: الإسلام يقود الحياة، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، 1403.

56 - الصنعاني، محمد بن إسماعيل، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام بالرياض، 2011 نسخة الكترونية. (http://waqfeya.com/search.php).

57 - الطبراني، أبي القاسم سليمان: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة أبن تيمية، القاهرة، 1983، نسخة إلكترونية. (http://www.waqfeya.com/book.php?bid=1349).

58 - الطبري، ابن جرير. تأريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر. 1967. نسخة الكترونية. (http://waqfeya.com/search.php).

59 - الطهراني، بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت 1990.

60 - الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن. الفهرست. تحقيق الشيخ جواد القيومي. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، 1417 هجرية.

61 - العاملي، الحر محمد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. قم، إيران. نسخة الكترونية. (http://librarsaduq.blogspot.com/2013/11/blog-post_17.html).

62 – العزاوي، عباس: تأريخ العراق بين احتلالين، بغداد، 1949.

63 – العسكري،مرتضى: عبد الله بن سبا، الجزء الأول، الطبعة السادسة، مطبعة نشر توحيد إيران، 1992.

64 – العسكري، مرتضى: خمسون ومائة صحابي مختلق. دار الزهراء، بيروت، 1991.

65 – العلايلي، عبد الله: سموّ المعنى في سموّ الذات أو الإمام الحسين، دار الجديد، بيروت، 1996.

66 – العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي. دار الزوراء. لندن. 1988.

67 – العلوي، حسن: الشيعة والدولة القومية، مطبوعات CEDI، فرنسا، 1989.

68 – العلوي، هادي: من تأريخ التعذيب في الإسلام. دار المدى، 2010.

69 – الغزالي، أبو حامد: الإقتصاد في الاعتقاد، مطبعة السعادة، مصر 1327هـ.

70 – الغزالي، أبو حامد: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد ص 23، طبعة دمشق، 1960.

71 – القرطبي، ابن رشد: روضات الجنان في الجامع لأحكام القرآن: تحقيق ياسين الأيوبي، دار الأرقم، 2006.

72 – القرطبي، أبن رشد أبو الوليد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

73 – القزويني، جودت: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، دراسة في التطور السياسي والعلمي، دار الرافدين، بيروت، 2005.

74 - القطب، عبد الرزاق: أنساب العرب، دار البيان، بيروت، 1960.
75 - القلقشندي، ابو العباس أحمد: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب للطباعة والنشر، 2006.
76 - القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، 1922.
(نسخة إلكترونية http://waqfeya.com/book.php?bid=12).
77 - القمني السيد: النبي إبراهيم والتأريخ المجهول. مدبولي الصغير. بدون سنة الطبع.
78 - الكلبي، أبن هشام: مثالب العرب والعجم، بدون سنة ومكان الطبع.
79 - الكنجي، محمد بن يوسف: كفاية الطالب في مناقب آل أبي طالب، دار إحياء تراث آل البيت، طهران، 1404.
80 - المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار الجامع لأخبار درر الأئمة الأطهار. تحقيق عبد الزهراء العلوي. دار الرضا، بيروت، لبنان. المكتبة الالكترونية. (https://archive.org/details/BeharAlm6a3en).
81 - المدني، علي خان: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مكتبة بصيرتي، قم، 1397.
82 - المديني، توفيق: أمل وحزب الله في حلبة المجابهات المحلية والاقليمية، دار الأهالي - دمشق، 1999.
83 - المسعودي، عليّ بن الحسين: مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1411هـ.
84 - المظفر،محمد رضا: المنطق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1422.
85 - المظفر، محمد رضا: عقائد الإمامية، مركز الأبحاث العقائدية، قم إيران. 1422 هجرية.

86 - النجاشي، أبو العباس أحمد: رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي قم، 1407.

87 - النيلي، عالم سبيط: ملحمة جلجامش. دار المحجة البيضاء، بيروت، 2005.

88 - الهندي، علاء الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

89 - الوردي، علي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد، 1965.

90 - الوردي، علي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد، 1969.

91 - الوردي، علي: منطق ابن خلدون في حضارته وشخصيته، دار كوفان، لندن، 1994.

92 - اليماني، عبد الرحمن: الأنوار الكاشفة، عالم الكتب، بيروت، 1378.

93 - أبن سعد،محمد الزهري: الطبقات الكبرى، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة. 2001.

94 - أبن عبد ربه، العقد الفريد في تاريخ الشرفاء التليد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

95 - أبو الحسن، النوبختي: فرق الشيعة، مطبعة الدولة. اسطنبول، 1931.

96 - أبو زهرة، محمد: أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، 1990.

97 - أسماء الهلالي: الوضع في الحديث، مظاهرة ووظائفه. كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس 1966.

98 - أوزون، زكريا: جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين، دار رياض الريس، بيروت، 2004.

99 - أوزون، زكريا، جناية سيبويه، دار الريس، بيروت، 2004.

100 - آدم، متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990.

101 - برنارد لويس، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ،تعريب سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1982.

102 - برنارد لويس، الحشاشون، تعريب محمد العزب، دار مدبولي، 2006.

103 - برنارد، لويس وإدوارد سعيد: الإسلام الأصولي، دار الجيل، بيروت، 1994.

104 - بروكلمان كارل، تأريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

105 - بن نبي، مالك: مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000.

106 - توينبي، آرنولد: مختصر دراسة التأريخ، ج 1، ترجمة محمد شبل، محمد شفيق غربال، وعبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، بيروت، 2011.

107 - جلال الدين، السيوطي، تأريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

108 - جلبي، خالص: بناء ثقافة السلم، دار المنبر 2001.

109 - جواد، علي: المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية، دار الجمل، 2005.

110 - جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب ج 1، بغداد، 1965.

111 - جواد، علي: تاريخ العرب في الإسلام. دار الحداثة، بيروت، 1966.

112 - حسن، داخل: معجم الخطباء. منشورات المؤسسة العربية للطباعة والإعلام، بيروت، لبنان 1996.

113 - حسين، طه: علي وبنوه. دار المعارف، مصر، 1999.

114 - حسين، طه: في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1926.

115 - حسين، طه: قادة الفكر، دار الهلال بمصر، 1925.

116 - دراكر، بيتر: يوميات دراكر، دار جرير، بيروت، 2008.

117 - ديورانت، ويل: قصة الحضارة، بيروت، 1980.

118 - ستيفن همسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر خياط، بغداد 1968.

119 - شبر، جواد: أدب الطفِّ أو شعراء الحسين، دار المرتضى، بيروت، 1969.

120 - شبر، صلاح: العالم فكر وسجن، دار العارف، بيروت، 2014.

121 - شبر، صلاح: تربية العائلة في الغرب، فصل من مسيرة صراع الحضارات، دار العارف، بيروت، 2014.

122 - شبر، صلاح: ثورات الربيع العربي، نظرة من الداخل،عامل ثقافة التشيع، دار الروافد، بيروت، 2015

123 - شرف الدين، عبد الحسين: النص والاجتهاد، بيروت، 1965.

124 - شمس الدين، محمد مهدي: العلمانية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان . 1982.

125 - شمس الدين، محمد مهدي: نظام الحكم والادارة في الإسلام، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، 1991.

126 - طه، باقر: ملحمة جلجامش، اوديسة العراق الخالدة، وزارة الإرشاد العراقية، 1959.

127 - غريغوري، ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، دار الرائد، بيروت، 1994.

128 - فلهاوزن، يوليوس: أحزاب المعارضة السياسيّة الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1958.

129 - فوكوياما، فرانسيس: نهاية التأريخ والإنسان الأخير، ترجمة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، 1993.

130 - قبَّاني، محمد: الوجيز في الخلافة الراشدة، دار وحي القلم للنشر والتوزيع، بيروت، 2008.

131 - كركوكلي، رسول: دوحة الوزراء. ترجمة موسى كاظم نورس. دار الكاتب العربي، بيروت، 1972.

132 - كوبلاند، مايلز: لعبة الامم، ترجمة مروان خير، طبع في انترناشيونال سنتر، بيروت 1969.

133 - ماسيه، هنري: الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 1988.

134 - مانديلا، نلسون: رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، مطبعة جمعية نشر اللغة العربية، افريقيا الجنوبية، 1998.

135 - محمود نصار والسيد يوسف: محاولات اغتيال النبي وفشلها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

136 - محي الدين، نزيه: التقية، دار القلم، بيروت، 2006.

137 - مذكرات غليوم الثاني: ترجمه إلى العربية أسعد داغر ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية في القاهرة، 1341، هجرية.

138 - مراد، يحيى: معجم أسماء المستشرقين، لم يذكر سنة ومكان الطبع.

139 - مسكويه، أبي علي أحمد: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، ج1. دار الكتب العلمية، بيروت 2003. نسخة الكترونية. (http://www.waqfeya.com/book.php?bid = 5458).

140 - مغنية، محمد جواد: الشيعة والحاكمون، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2000.

141 - نعمة، عبد الله: فلاسفة الشيعة، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

142 - نيبور، كارستن: رحلة نيبور الى العراق. ترجمة سعاد العمري، بغداد 1954.

143 - هاشم، صالح: الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التأريخ، دار الساقي 2013.

144 - هيتنغتون، صموئيل ولورانس هاريزون: الثقافات وقيم التقدم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009.

145 - هيتنغتون، صموئيل: الإسلام والغرب، آفاق الصدام. ترجمة مجدي شرشر، مكنية مدبولي، مصر، 1995.

146 - هيكل، محمد حسنين: خريف الغضب، بدون مكان الطبع، 1983.

التقارير والدوريات العربية

1 - ليلى الصباغ، «الجديد في العسكر الجديد»، مجلة الفكر العسكري، السنة الرابعة، العددان الثالث والرابع (دمشق 1976).

2 - الاجتهاد، عدد 2 شتاء 1989 (ريتشارد رب) - الشريعة والقانون في العصر العثماني ص169. مأخوذ من مجلة الواحة عدد 4، الشيعة والدولة العثمانية. مفاعلات المذهب، المؤسسة الدينية، والمصلحة، فؤاد إبراهيم، مجلة الواحة عدد 4.

3 - جريدة الحياة في عدد اوكتوبر 1، 2013.

4 - جميلة العربي، الصادرة في الكويت، بعددها (155) المؤرخ شعبان 1391.

5 - تعريف الثقافة الإسلامية، د. مفرح بن سليمان القوسي (www.alukah.net/Culture).

6 - جريدة الحياة اللندنية في عددها الصادر 7 تشرين الأول 2013.

7 - ليلى الصباغ، الانكشارية أنظر الموسوعة العربية على:
http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1717&m=1).

8 - من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الإيلخانيين. عبد الباسط مصطفى الرفاعي. مجلة سامراء، مجلد 8، العدد 30، السنة الثامنة 2013. جامعة سامراء العراق.

الكتب الاجنبية

1. Albert, Alexa, "Brothel. Mustang Ranch and its Women". Random House 2001. ISBN 0-375-50331-5.
2. Bearman, P."F??ima." Encyclopaedia of Islam, Second Edition. Edited by:, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs. Brill Online, 2014. Reference. 08 April 2014.
3. Bruce F.F., (The Last Thirty Years). Story of the Bible.
4. Cook, M. A., Rentier States: The Case of Iran", in Studies in the Economic History of the Middle East, ed. (Oxford University Press, Oxford 1970.
5. Corbin, Henry (1993) [1964]. History of Islamic Philosophy. London: Kegan Paul International in association with Islamic Publications for The Institute of Ismaili Studies. ISBN 978-0-7103-0416-2. Translated by Liadain Sherrard, Philip Sherrard.
6. Edward S. Creasy. History of the Ottoman from the beginning of their empire to the present time
7. Fromkin, David (2001), A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East, New York: Owl Books, صفحة 119, ISBN 0-8050-6884-8,OCLC 53814831
8. Geertz: Islam Observed. Religion development in Morocco and Indonesia, New Haven, Yale Universtity Press, 1968. Pp 108.
9. Holt, P. M.; Bernard Lewis (1977), Cambridge History of Islam, Vol. 1, Cambridge University Press, ISBN 0-521-29136-4.
10. Jeffery T. Richelson: A Century of Spies: Intelligence in the Twentieth Century. Oxford University Press. صفحة 249. ISBN 0-520-25328-0. Electronic copy (http://books.google.iq/books?id=HohPaIyc5G0C&lpg=PA249&dq=moss adegh+referendum&pg=PA249&redir_esc=y#v=onepage&q=mossadegh %20referendum&f=false)
11. Jones, Toby Craig (2010). Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia. President and Fellows of Harvard College. p. 201. ISBN 978-0-674-04985-7
12. Josef W. Meri, Medieval Islamic Civilization: An Encyclopedia - Google Boeken. Books.google.com. 2005-10-31. Retrieved 2012-03-04.
13. Kn Michael Banton, Religiion and cultural system, (ed), Anthropological ap-

proaches to the study of religion, London, Tavistock, 1966, pp 1-46. (المـقـال مترجم في مجلة كتابات معاصرة سنة 1966 عدد 28 ص 6-27).

14. Lapidus, Ira (2002), A History of Islamic Societies (2nd ed.), Cambridge University Press, ISBN 978-0-521-77933-3
15. Laurence Lockhart. The fall of The Safavi Dynasty. Canbridge University. 1958.
16. Lightfoot, Neil R. How We Got the Bible, 3rd edition, rev. and expanded.
17. Madelung, Wilferd (1997), The Succession to Muhammad: A Study of the Early Caliphate, Cambridge University Press, ISBN 0-521-64696-0.
18. Matthew C. Nisbet. "NatureÆs Prophet: Bill McKibben as Journalist, Public Intellectual and Activist". Discussion Paper Series #D-78. Joan Shorenstein Center on the Press, Politics and Public Policy, School of Communication and the Center for Social Media American University. p. 7. Retrieved March 8, 2013
19. Percy Sykes. A History of Persia. V 1. London 1958.
20. Prochaska, David. That Was Then, This Is Now: The Battle of Algiers and After. pp. 141(http://muse.jhu.edu/login?auth=0&type=summary&url=/journals/radical_history_review/v085/85.1prochaska.pdf).
21. Robert Spencer and David Horowitz. Obama and Islam. ISBN: 1-886442-77-0.
22. Robinson, Chase F. (2003), Islamic Historiography, Cambridge University Press, ISBN 0-521-62936-5.
23. Stefan Heidemann. Edited By: Angelika Neuwirth, Nicolai Sinai and Michael Marx: The Quran in Context, Historical and Literary Investigations into the Quranic Milieu. Brill, Leiden, Boston, 2010. ISBN 978 90 04 17688 1.
24. Thomas G., Should Know. Plante and Courtney Daniels. Pastoral Psychology, Vol. 52, No. 5, May 2004.
25. Tomasello, M (2003) Constructing a Language: A Usage-Based Theory of Language Acquisition, Harvard University Press. ISBN 0-674-01764-1 (Winner of the Cognitive Development Society Book Award, 2005)
26. Tritton, A.S; Goldziher, I.; Arendonk, C. van. "Ahl al-Bayt". In P.J. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel and W.P. Heinrichs. Encyclopaedia of Islam Online. Brill Academic Publishers. ISSN 1573-3912.
27. Young, Gregory G. (1978). Your personality and How to Live with It. New York: Atheneum/SMI. ISBN 0-689-10918-0.

التقارير الاجنبية

1 . http://albaath.online.fr/Volume%20I-Chapters/index-Volume%20I-HTML.htm ميشيل عفلق والإسلام
2. http://drsanity.blogspot.com/2005/08/shame-arab-psyche-and-islam.html تقرير عن الجانب النفسي العربي
3. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_level_of_military_equipment. نفقات السلاح في العالم
4. http://habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/56- صفحة-مجهولة-من-تاريخ-الفكر-الإسلامي.
5. http://iranarab.com/Default.asp?Page = ViewArticle&ArticleID = 203& SearchStr = ViewAll. تقرير عن منطقة الفراغ في التشريع الإسلامي
6. Hossein Mahdavy, "The Pattern and Problems of Economic Development in
7. http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom = 2176 &idto = 2176&bk_no = 60&ID = 2038. نصر بن علي الجهضمي
8. http://madrasato-mohammed.com/mawsoaat_olum_hadith_01/Page_010_0005 .htm. موسوعة الحديث
9. http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheJewishReligion/ChildrenOfAbraham/Pages/the%20roots.aspx وزارة الخارجة الاسرائيلية
10. http://mfa.gov.il/MFAAR/Pages/default.aspx. نسبة المتدينين بين اليهود
11. http://rafed.net/booklib/view.php?type = c_fbook&b_id = 21&page = 71. كتاب الفرق والمذاهب في الاسلام
12. http://shiaonlinelibrary.com/. علماء الشعية
13. http://www.aai.uni-hamburg.de/voror/Personal/heidemann/Heidemann_Texte/Heidemann_Quran_in_Context_2010_Representation.pdf مشروع الجينوم القرآني
14. http://www.alhassanain.com/arabic/magazin/iman/iman_7_10_3/27.html. معركة الشعيبة في العراق
15. http://www.amnesty.org. تقارير منظمة العفو الدولية
16. http://www.asecondlookatthesaudis.com/ هجمات سبتمبر 11 وعلاقتها بالسعودية
17. http://www.cdc.gov. تقارير المركز الامريكي لأحصائيات المرض

18. http://www.eslam.de/arab//manuskript_arab/briefe/imam_khomeini_an_gorbatschow.htm. رسالة الإمام الخميني الى غورباتشوف
19. http://www.etymonline.com/index.php?term=culture. Etymology Dictionary. العناصر الثقافيّة
20. http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=712&idto=712&bk_no=59&ID=778 مقتل الفجاءة
21. http://www.nationmaster.com. احصائيات الفقر والتخلف في دول العالم
22. http://www.terezia.org/section.php?id=2940. المسيحيون في الدولة الأمويّة
23. http://www.theoildrum.com/node/10238 تقرير صادرات النفط السعودي
24. http://www.un.org/ar/esa/hdr/pdf/hrd13/complete.pdf تقرير التنمية البشرية كامل
25. http://www.undp.org/content/dam/undp/library/corporate/UNDP-in-action/2012/Arabic/UNDP-AnnualReport-ARABIC.pdf. تقرير التنمية البشرية
26. http://www.unodc.org/documents/data-and-analysis/Crime-statistics/International_Statistics_on_Crime_and_Justice.pdf. ظاهرة الإخصاء والتسري
27. www.iipdigital.usembassy.gov عدد المعدومين في أمريكا

البحوث الأجنبية

1. Involvement of Salafism/wahhabism in the support and supply of arms to rebel groups. Policy Department DG External Policies 11 دور السلفية في أحداث سبتمبر
2. 9/11 Commission Report Executive Summary - National commission on Terrorist Attack Upon the United States 11 تقرير هجوم سبتمبر
3. Abdeslam M. Maghraoui, American Foreign Policy and Islamic Renewal, United States Institute of Peace, Special Report# 164 July 2006 الانبعاث والتجدد الإسلامي
4. Andrew Alexandra and Seumas Miller. Common Morality and æInstitutionalisingÆ Ethics. Australian Journal of Professional and Applied Ethics, Volume 7, Number 1, June 2005.
5. Armenian genocide, Ugur ?mit ?ng?r. تقرير عن مذابح الأرمن
6. Berenbaum, Michael: Anti-Semitism. Encyclopaedia Britanica. http://www.britannica.com/EBchecked/topic/27646/anti-Semitism. معاداة السامية
7. Bernard Lewis, reply by Hugh Lloyd-Jones. The Vanished Library. The New York Review of Books. September 27, 1990. Find it at : http://

www.nybooks.com/articles/archives/1990/sep/27/the-vanished-library-2/. حريق مكتبة الاسكندرية

8. Christopher M. Blanchard, Saudi Arabia: Background and U.S. Relations. Congressional Research Service. 7-7500, RL3353. February 12, 2014. www.crs.gov. دور السعودية في الارهاب العالمي

9. Christopher M. Blanchard, Alfred B. Prados, Saudi Arabia: Terrorist Financing Issues. Congressional Research Service. Updated September 14, 2007 . www.crs.gov. المساندة السعودية المالية للإرهاب

10. Christopher M. Blanchard, Alfred B. Prados. Saudi Arabia: Terrorist Financing Issues, Updated September 14, 2007. CRS Report for Congress عــلاقــة السعودية بالإرهاب

11. Daftary Farhad: Diversity in Islam: Communities of Interpretation. The Muslim Almanac. The Institute of Ismaili. 2006. http://www.iis.ac.uk/SiteAssets/pdf/diversity%20in%20islam_daf_logo.pdf

12. Edward S. Creasy. History of the Ottoman from the beginning of their empire to the present time, chiefly founded on تأريخ الدولة العثمانية

13. Harold Rhode . The U.S. Role in the Sunni-Shi'ite Conflict With Allies Like These... May 17, 2013. الرؤية االغربية لصراع الشيعة والسنة

14. Heidelberg Institute for International Conflict. http://www.hiik.de/en/index.html. الحروب في العالم

15. Khatchik DerGhougassian, The Social Origins of Shia And Sunni Islamism. تقرير عن النظرية الاجتماعية لدى الشيعة والسنة, (http://www.udesa.edu.ar/files/UAHumanidades/EVENTOS/The_%20social_%20origins _%20of_%20islamism_Khatchik_310311.pdf).

16. Knowledge-networks-nations.pdf Reference Royalsociety.org, www. royalsociety.org, 2011. نسبة البحث العلمي في دول العالم.

17. Lesley Newson, Peter J. Richerson, Robert Boyd. Cultural Evolution and the Shaping of Cultural Diversity . تطور الثقافات والمجتمعات البشرية

18. Lloyd Hawkeye Robertson and La Ronge, Sask. Unfertile ground: Religious mutations in the scientific community Humanist Perspectives, 44(3), 30. Northlands College. الطفرة الثقافيّة في المجتمعات

19. McClenon, James. "Tylor, Edward B(urnett)". Encyclopedia of Religion and Society. Ed. William Swatos and Peter Kivisto. Walnut Creek: AltaMira, 1998. 528-29. نظرية التطور الديني

20. Metz, Helen Chapin, ed. (1988). "The Turkish Petroleum Company". Iraq: A Country Study. http://countrystudies.us/iraq/53.htm العراقي 80 قانون رقم
21. Robert Satloff. U.S. Policy Toward Islamism: A Theoretical and Operational Overview. council on foreign relations. New York, 2000 الموقف الأمريكي في التطرف الإسلامي
22. The Encyclopedia Americana, 1920, v.28, p.403. الحرب العالمية الأولى
23. The Sexual Abuse Crisis in the Roman Catholic Church: What Psychologists and Counselors الفضائح الجنسية الدينية
24. The Sunni-Shia Divide. Report from Council on Foreign Relations تقرير عن الرأي الامريكي في التسنن السياسي
25. Why Are 28 Pages about Saudi Involvement in 9/11 Still Secret? http://truthstreammedia.com/ عن السعودية 11 فقدان وثائق تحقيقات سبتمبر

فيديو

http://www.youtube.com/watch?v=JVgvsk5tH4Q. فلم عن شخصية المهدي

الدراسات الأجنبية

1. http://en.wikipedia.org/wiki/Auspicious_Incident مذبحة الانكشارية
2. https://en.wikipedia.org/wiki/Sykes%E2%80%93Picot_Agreement سايكس بيكو
3. http://ar.wikipedia.org/wiki/ الاخباريون.
4. http://ar.wikipedia.org/ wiki/المطبق_سجن.
5. http://ar.wikipedia.org/wiki/ الثأر_ظاهرة
6. http://de.wikipedia.org/wiki/Ab%C5%AB_l-Hudhail أبو الهذيل العلاف
7. http://de.wikipedia.org/wiki/Bischr_ibn_al-Mu%CA%Bftamir بشر بن المعتمر
8. http://de.wikipedia.org/wiki/Corpus_Coranicum نظرية الجينوم القرآني
9. http://en.wikipedia.org/wiki/%C3%96ljait%C3%BC. السلطان خدابندة
10. http://en.wikipedia.org/wiki/1982_Hama_Massacre مذبحة حماه
11. http://en.wikipedia.org/wiki/1990s_uprising_in_Bahrain انتفاضة البحرين
12. http://en.wikipedia.org/wiki/1991_uprisings_in_Iraq الانتفاضة الشعبانية
13. http://en.wikipedia.org/wiki/Ab%C5%AB_%E1%B8%A4an%C4%ABfa. أبو حنيفة
14. http://en.wikipedia.org/wiki/Abbasid_Caliphate. أبو مسلم الخراساني

15. http://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Yahya_ibn_al-Sakkak ابن السكاك المغربي
16. http://en.wikipedia.org/wiki/Ahl_al-Bayt. أهل البيت
17. http://en.wikipedia.org/wiki/Akhbari. الاخبارية
18. http://en.wikipedia.org/wiki/Al-Anfal_Campaign. حملة الأنفال
19. http://en.wikipedia.org/wiki/Alawites. العلوية
20. http://en.wikipedia.org/wiki/Ali. علي بن أبي طالب
21. http://en.wikipedia.org/wiki/Al-Ma%27mun. المأمون العباسي
22. http://en.wikipedia.org/wiki/Al-Qaeda القاعدة
23. http://en.wikipedia.org/wiki/American_civil_religion الحرب الامريكية الأهلية
24. http://en.wikipedia.org/wiki/Amnesty_International منظمة العفو الدولية
25. http://en.wikipedia.org/wiki/Anglicanism الانكليكان
26. http://en.wikipedia.org/wiki/Annemarie_Schimmel آنا ماريا شيميل
27. http://en.wikipedia.org/wiki/Atomic_bombings_of_Hiroshima_and_Nagasaki هيروشيما
28. http://en.wikipedia.org/wiki/Auspicious_Incident. مذابح الانكشارية
29. http://en.wikipedia.org/wiki/Bah%C3%A1%27%C3%AD_Faith. البهائيين
30. http://en.wikipedia.org/wiki/Banu_Hashim بنو هاشم
31. http://en.wikipedia.org/wiki/Barmakids البرامكة
32. http://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_al-Harrah. موقعة الحرة
33. http://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Marj_Rahit_(684)
34. http://en.wikipedia.org/wiki/Biblical_manuscript. كتابة الانجيل
35. http://en.wikipedia.org/wiki/Bosnian_War الحرب البوسنية
36. http://en.wikipedia.org/wiki/Buddhas_of_Bamiyan تفجير تمثالي بوذا
37. http://en.wikipedia.org/wiki/Buyid_dynasty. الدولة البويهية
38. http://en.wikipedia.org/wiki/Catholic_sex_abuse_cases. فضائح الجنس
39. http://en.wikipedia.org/wiki/Conquest_of_Mecca فتح مكة
40. http://en.wikipedia.org/wiki/Constitution_of_Medina دستور المدينة
41. http://en.wikipedia.org/wiki/Crucifixion_of_Jesus . صلب المسيح
42. http://en.wikipedia.org/wiki/Cult طائفة
43. http://en.wikipedia.org/wiki/David_Koresh ديفيد كوروش
44. http://en.wikipedia.org/wiki/Dhu_Nuwas ذو نؤاس الحميري

45. http://en.wikipedia.org/wiki/Druze. الدروز
46. http://en.wikipedia.org/wiki/Ethnic_cleansing. تطهير عرقي
47. http://en.wikipedia.org/wiki/Ethnocentrism. الاستعلاء العرقي
48. http://en.wikipedia.org/wiki/Eunuch عملية الإخصاء للرجل
49. http://en.wikipedia.org/wiki/Expedition_of_Usama_bin_Zayd حملة اسامة
50. http://en.wikipedia.org/wiki/Fatimah. فاطمة الزهراء
51. http://en.wikipedia.org/wiki/Fatimid_Caliphate. الفاطميين
52. http://en.wikipedia.org/wiki/Genocide المذابح الجماعية
53. http://en.wikipedia.org/wiki/Ghaznavids الغزنوية
54. http://en.wikipedia.org/wiki/Globalization. العولمة
55. http://en.wikipedia.org/wiki/Halabja_chemical_attack. حلبجة
56. http://en.wikipedia.org/wiki/Hamdanid_dynasty الدولة الحمدانية
57. http://en.wikipedia.org/wiki/Helena_(empress). هيلانة أم قسطنطين
58.http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Jews_in_the_Arabian_Peninsula اليهود في الجزيرة
59.http://en.wikipedia.org/wiki/Human_rights_in_Saddam_Hussein%27s_Iraq مذابح الاهوار
60. http://en.wikipedia.org/wiki/Ibn_al-Muqaffa%27. ابين المقفع
61. http://en.wikipedia.org/wiki/Ibn_Babawayh الشيخ الصدوق
62. http://en.wikipedia.org/wiki/Indo-Pakistani_wars_and_conflicts الحرب الهندية الباكستانية
63. http://en.wikipedia.org/wiki/Inquisition. محاكم التفتيش
64. http://en.wikipedia.org/wiki/Islamic_Salvation_Front الحرب الاهلية الجزائرية
65. http://en.wikipedia.org/wiki/Islamism. الأسلمة
66. http://en.wikipedia.org/wiki/Ja%27far_al-Sadiq. الإمام الصادق
67. http://en.wikipedia.org/wiki/Janissaries. الانكشارية
68. http://en.wikipedia.org/wiki/Jews اليهود
69. http://en.wikipedia.org/wiki/Jonathan_Pollard. الجاسوس الاسرائيلي بولارد
70. http://en.wikipedia.org/wiki/Jonestown مذبحة جونزتاون
71. http://en.wikipedia.org/wiki/Julius_Wellhausen يوليوس ولهاوزن
72. http://en.wikipedia.org/wiki/Kaysanites_Shia. الكيسانية

73. http://en.wikipedia.org/wiki/Khawarij الخوارج
74. http://en.wikipedia.org/wiki/Khobar_Towers_bombingòÃäõîúò úöàî
75. http://en.wikipedia.org/wiki/Kumait_Ibn_Zaid. كميل بن زياد
76. http://en.wikipedia.org/wiki/Kutub_al-Sittah. الصحاح
77. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_percentage_of_population _living_in_poverty الفقر في العالم
78. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_events_named_massacres. المذابح العالمية
79. http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_modern_conflicts_in_the_Middle_East. ثورات الشرق الأوسط
80. http://en.wikipedia.org/wiki/Logia. الكتاب المقدس القديم
81. http://en.wikipedia.org/wiki/Malik_ibn_Anas. مالك ابن انس
82. http://en.wikipedia.org/wiki/Marshall_Plan. مشروع مارشال
83. http://en.wikipedia.org/wiki/Martin_Luther. مارتن لوثر
84. http://en.wikipedia.org/wiki/Mazdak المزدكية
85. http://en.wikipedia.org/wiki/Michael_Servetus ميغيل سرفيتس
86. http://en.wikipedia.org/wiki/Millennium_Development_Goals الألفية الثالثة
87. http://en.wikipedia.org/wiki/Mormonism المورمان
88. http://en.wikipedia.org/wiki/Muawiya_II. معاوية الثاني
89. http://en.wikipedia.org/wiki/Muawiyah_I. معاوية الأول
90. http://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_al-Bukhari. البخاري مؤلف الصحاح
91. http://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_Ali_of_Egypt محمد علي باشا
92. http://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_ibn_Jarir_al-Tabari
93. http://en.wikipedia.org/wiki/Mukhtar_al-Thaqafi. المختار الثقفي
94. http://en.wikipedia.org/wiki/Musha%27sha%27iyyah. المشعشعين
95. http://en.wikipedia.org/wiki/Mustaali. المستعلية
96. http://en.wikipedia.org/wiki/Mutation. طفرات وراثية
97. http://en.wikipedia.org/wiki/Narcissism. النرجسية
98. http://en.wikipedia.org/wiki/Nizari. النزارية
99. http://en.wikipedia.org/wiki/Oxford_English_Dictionary. كلمة مذابح جماعية
100. http://en.wikipedia.org/wiki/Party_of_European_Socialists الأحـــــــــــــزاب الاشتراكية

101. http://en.wikipedia.org/wiki/Persian_Empire الدولة الفارسية
102. http://en.wikipedia.org/wiki/Pol_Pot. بول بوت الكمبودي
103. http://en.wikipedia.org/wiki/Proletariat البروليتاريا
104. http://en.wikipedia.org/wiki/Qizilbash القزلباشية
105. http://en.wikipedia.org/wiki/Racism. العنصرية
106. http://en.wikipedia.org/wiki/Rafida الرافضة
107. http://en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_the_United_States. الإلحاد والدين في أمريكا
108. http://en.wikipedia.org/wiki/Richard_Perle. ريتشارد بيرل
109. http://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Bellah. روبرت بيلاه
110. http://en.wikipedia.org/wiki/Roman_Empire. الدولة الرومانية
111. http://en.wikipedia.org/wiki/Rwandan_Genocide مذابح راوندا
112. http://en.wikipedia.org/wiki/Salafi_movement. السلفية
113. http://en.wikipedia.org/wiki/Sasanian_Empire. الدولة الساسانية
114. http://en.wikipedia.org/wiki/Sayf_ibn_Umar سيف بن عمر
115. http://en.wikipedia.org/wiki/Schizophrenia. الشيزوفرينيا
116. http://en.wikipedia.org/wiki/Second_Vatican_Council. المحفل الثاني للكفاتيكان
117. http://en.wikipedia.org/wiki/Secularism العلمانية
118. http://en.wikipedia.org/wiki/Seljuk_Empire السلاجقة
119. http://en.wikipedia.org/wiki/Shaykh_Tusi الشيخ أبو الحسن الطوسي
120. http://en.wikipedia.org/wiki/Shaykhism. الشيخية
121. http://en.wikipedia.org/wiki/Shia_Islam. الشيعة
122. http://en.wikipedia.org/wiki/Siege_of_Uthman الفتنة الكبرى
123. http://en.wikipedia.org/wiki/St._Bartholomew%27s_Day_massacre. مذبحة بارثولومي
124. http://en.wikipedia.org/wiki/State_terrorism إرهاب الدولة
125. http://en.wikipedia.org/wiki/State_terrorism. ارهاب الدولة
126. http://en.wikipedia.org/wiki/Succession_to_Muhammad. أبو بكر
127. http://en.wikipedia.org/wiki/Sunni_Islam. السنة
128. http://en.wikipedia.org/wiki/The_Holocaust. الهولوكوست

129. http://en.wikipedia.org/wiki/Theory_of_relativity. النظرية النسبية لإنشتاين
130. http://en.wikipedia.org/wiki/Tribonian تريبونيان
131. http://en.wikipedia.org/wiki/Umar_at_Fatimah%27s_house الهجوم على بيت فاطمة
132. http://en.wikipedia.org/wiki/United_Nations_General_Assembly_Resolution_3379 قرار الامم المتحدة
133. http://en.wikipedia.org/wiki/Uranium اليورانيوم
134. http://en.wikipedia.org/wiki/Vatican_City الفاتيكان
135. http://en.wikipedia.org/wiki/World_War_I الحرب العالمية الأولى
136. http://en.wikipedia.org/wiki/Yazid_I. يزيد الأول
137. http://en.wikipedia.org/wiki/Yazid_ibn_al-Muhallab. ابن المهلب
138. http://en.wikipedia.org/wiki/Zaidiyyah. الزيدية
139. http://en.wikipedia.org/wiki/Zanj_Rebellion ثورة الزنج
140. http://en.wikipedia.org/wiki/Zionism الصهيونية
141. http://www.etymonline.com/index.php?term=culture. Etymology Dictionary
142. http://www.mesopot.com/old/adad9/46.htm. النصيريين
143. http://www.niod.nl/sites/niod.nl/files/Armenian%20genocide. مذابح الأرمن
144. http://www.terezia.org/section.php?id=2940 المسيحيون في الدولة الأمويّة
145. https://en.wikipedia.org/wiki/Al-Kumayt_ibn_Zayd_al-Asadi الكميت الأسدي
146. https://en.wikipedia.org/wiki/Balfour_Declaration وعد بلفور
147. https://en.wikipedia.org/wiki/Baltic_states دول البلطيق
148. https://en.wikipedia.org/wiki/Islam_in_the_Soviet_Union الاتحاد السوفيتي
149. https://en.wikipedia.org/wiki/Reconquista سقوط الأندلس
150. https://en.wikipedia.org/wiki/Roman_Empire الإمبراطورية الرومانية
151. http://en.wikipedia.org/wiki/Vatican_City الفاتيكان

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الحقبة الحادية عشر: الدولة العباسيّة (132/ 721 م - إلى 193/ 809 م) من عصر السفاح إلى عصر الرشيد 5

الحقبة الثانية عشر: العصر العباسي الثاني (المأمون 195/ 813 م - المعتمد 260/ 892 م) 31

الحقبة الثالثة عشر: من عام 260/ 869 م حكم المهتدي إلى 329/ 940 م حكم الراضي: توالي 7 خلفاء 55

الحقبة الرابعة عشر: 329/ 940 م من عصر المتقي إلى سقوط بغداد 656/ 1258 م عصر المستعصم بالله: حكم فيها 17 خليفة عباسي 79

الحقبة الخامسة عشر: من عام سقوط بغداد 656/ 1258 م إلى نهاية الخلافة العباسيّة في مصر 909/ 1519 م. 127

الحُقبة السادسة عشر: الدولة الصفوية في العراق 910/ 1501 م إلى عام 1149/ 1736 م (الدخول الأول) 149

الحقبة السابعة عشر: بداية العثمانيين في العراق 159

الحقبة الثامنة عشر: الدخول الصفوي الثاني من عام 1033 هجرية/ 1603م حتى عهد المماليك 1157/ 1753 م. 171

الحقبة التاسعة عشر: الدولة المملوكية في العراق 1159/ 1749 م إلى عام 1246/ 1831 م 191

الحقبة العشرون: الدولة العثمانية 1268/ 1847 م إلى 1313/ 1914م 201

الحقبة الواحدة والعشرون: الحرب العالمية الأولى. . . . . 1914 إلى بداية الحرب العالمية الثانية 1939 215

الحقبة الثانية والعشرون: الحرب العالمية الثانية 1939 إلى احداث سبتمبر 2001 227

الفصل الرابع عشر: ما بعد الربيع العربي الشوط ما قبل الأخير 281

الرؤى 293

الفصل الخامس عشر: سيناريوهات التغيير 317

الفصل السادس عشر: تشظى ثقافة التسنن.. 325

الفصل السابع عشر: أين الخطأ في التشيّع الثقافي...؟ 347

الفصل الثامن عشر: خيار تزاوج الثقافتين 355

الفصل التاسع عشر: لماذا يجب إبادة الشيعة في العالم...؟ 365

الفصل العشرون: إذن ماذا يصح أن يتم التعامل مع ثقافة التشيّع والشيعة...؟ 397

التوجهات المستقبليّة لمسيرة الصراع ومؤشراتها 425

وماذا سيحدث. . .؟ 426

المصادر 427

الكتب العربية 427
التقارير والدوريات العربية 440
الكتب الاجنبية 441
التقارير الاجنبية 443
البحوث الأجنبية 444
فيديو 446
الدراسات الأجنبية 446

هذا الكتاب تناولت فيه:

- مفهوم الثقافة وليس مفهوم المذهبية.
- ويتكلم عن عمق الثقافة-العربيّة الإبراهيميّة مقابل البدويّة-القرشيّة.
- حاولت تجنب تسمية الثقافتين بأسماء (مذهبيّة) أي السنة والشيعة.. ففشلت.
- تناولت الإسلام كظاهرة دين (جزء من ثقافة).
- ثم بحثت امتداد الثقافتين بلحاظ توافقهما مع الإسلام واختلافهما معه (كتجربة).
- كذلك حاولت أن أعطي للشخصيات الشيعية والسنية موقعهما في الثقافتين بغض النظر عن صحتهم من خطأهم لأنني أقل من أن أقيّم أولئك العمالقة.
- فاكتشفت بأن الظرف لن يسمح لي إلاّ في أن أكون عمليّاً في إطلاق اسم (ثقافة التسنن) و (ثقافة التشيع) على مسيرة وسلوك له منهج.
- سايرت الثقافتين بشيء من الإيجاز منذ إبراهيم أب الثقافات والى حين عام 2014 كما يُساير فعل عقار مُكتشف تواً.
- انتفضت في أحيان كثيرة على الموروثات التي وصلتنا فوجدت نفسي خارج إطار البحث.
- حاولت أن لا أكون سياسي أو مذهبي أو حتى ثيولوجي بل باحث فقط.
- وجدت أن هنالك فعلاً (ثقافتين) سايرتا تأريخ المنطقة لقرون مع ضعف مزمن في فهمهما من قبلنا نحن منتموها.
- أشرت إلى طريقة تعاطيهما مع مفردات الدين والحياة وتوقعات مبادراتهما الى حين العقد الحالي من الألفية الثالثة.
- لم أكن موفقاً في الكثير من عوامل الربط ولكن هكذا هو شأن الباحث تبقى في نظريّته فراغات تنتظر من يملئها ممن يمتلك باعاً أقدر وعلماً أوسع.
- أخيراً أنتظر أن ينبلج مفهوم جديد في محيط العقل الإسلامي وهو مفهوم (الثقافة الجامعة).



E-mail: arefli @ hotmail.com
www.alaref.net